كتاب

ذخيرة الاذهان

في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان

الّفهُ

القس بطرس نصري الكلداني

تلميذ مدرسة مجمع انتشار الايمان

المجلّد الاوّل

طُبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين

سنة ١٩٠٥

IMPRIMATUR

† Fr. Jean Drure c. d. i.

Arch. Lat. de Bagdad, Dél. Ap.

التصديق الاوّل

✠ نحن جيورجيس عبديشوع الخامس بالنعمة الجاثليق

فاطريرك بابل الكلدان

نعلن انهُ

لمّا طالعنا باعتناء الكتاب الملقَّب بذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان الذي الّفهُ ولدنا القس بطرس نصري الكلداني الموصليّ المحترم وتوسّمناهُ وفحصناه. رأيناهُ واذا هو قد جاء طبق المرام مختصرًا لطيفًا محكمًا في تواريخ الطائفتين الكلدانيَّة والسريانيّة إن قبل انفصالهما عن بعضهما في سبب البدعة والانشقاق اللذين طرأا عليهما منذ القرن الخامس وان بعد انفصالهما واستبدادهما كلٍّ منهما في فطركيةٍ خاصّةٍ ثمّ اخيرًا بعد اهتداء قسمٍ معتبرٍ من كلتا الطائفتين الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة وتأييد فطركيّاتهما من لدن الكرسي الرسولي المقدّس. وقد اشتمل هذا المصنّف على معظم الوقائع والصروف والانقلابات التي نشأت منذ بدء النصرانيّة الى عصرنا هذا في ايّام السريان المشارقة والمغاربة طرًّا ممّا يرتبط بالامور الدينيّة والبيعيّة كافةً بعد الاستناد الضروري

والانتقادي على ما نوّه عنهُ المؤرّخون الشرقيّون المعتبرون وايضًا الغربيّون . وبالحقيقة انّ تأليفًا كذا لطالما صبت اليهِ القلوب وارتاحت لهُ عوامّ الطائفتين فضلًا عن خواصّها وطلبة مدارسها . ولاسيما ذلك لانحرام القوم ممّا يُغني عن مثل هذا التاريخ كما لسائر الطوائف والامم اذ كان مرغوبًا فيهِ منذ زمنٍ مديد ولِما فيهِ وفي مطالعتهِ من اللذّة والجداء . وانهُ لغير خافٍ عن ذوي الدراية انّ الضرورة تدعو ابناء الطائفتين الى الوقوف على حوادث آبائهم واجدادهم السالفين الماجدين . وانّ الحصول على مثل هذا التاريخ لكنزٌ لا يفنى على انفاقٍ وذخيرةٌ لا يُضرب لها بالاملاق . وانّ عدم وجودهِ نقصٌ لا يُنكر . وجهل محتوياتهِ خللٌ لا يُقدَّر . هذا وقد تحلّى ذا التاريخ بحلل كماله . وتجلّى بعد الجدّ والعناء رونقُ جماله . فكان جديرًا ان يُثنى عليهِ وعلى مصنّفهِ لِما بذل من الهمّة في تحصيل وقائعهِ وأن يُوصى جميع محبّي جنسهم وذكر اسلافهم الراغبين في الحصول على الميراث العزيز الذي قد تركهُ لهم آباؤهم بعد قبولهم النصرانيّة بالاضطهادات ومعاناة الشدائد غير الموصوفة أن يُحرزوهُ ويطالعوهُ بما ينبغي من الاعتناء والاعتبار . فانّ فيهِ فوائد نادرة يعسر الحصول عليها في غيرهِ من المؤلّفات . فضلًا عن الفوائد الخطيرة الناجمة من تملّي ابوابهِ والوقوف على مندرجاتهِ *

† ܠܗܿ : ܡܟܬܒܢܘܬܐ : ܗ :
ܕܝܠܝ ܥܒܕܝܫܘܥ
ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܒܒܠ
ܕܟܠܕܝܐ

من دير السيّدة بقرب قرية القوش في غرّة حزيران
سنة سبعٍ وتسعين وثمانمئةٍ والفٍ للمسيح

التصديق الثاني

انهُ بناءً على ما ابداهُ غبطة السيّد الجليل وعلاّمة عصرهِ الفضيل مار جيورجيس عبديشوع الخامس الجاثليق فاطريرك بابل الكلداني الجزيل الطوبى من الفحص المدقّق بالاعتناء التام للكتاب الملقّب بذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان المؤلّف من حضرة الاب النجيب العالم اللبيب القس بطرس نصري الكلداني طقسًا والموصليّ وطنًا المحترم الذي طلب منا المصادقة على طبعهِ فاننا بطيبة خاطر نوافق بالمصادقة مع غبطة الفاطريرك المشار اليهِ ونحرّض الجميع على اقتناء هذا الكنز المفتقر اليهِ كل انسان وقد قيل :

ليس بانسانٍ ولا عالمٍ مَن لا يعي التاريخ في صدرهِ
ومَن درى اخبار مَن قبلهُ اضاف اعمارًا على عمرهِ

أُعطي في الموصل في دار ماري توما المطروبوليطية التي للسريان القاثوليق في اليوم الثلاثين من شهر ايار المبارك من شهور السنة الثامنة والتسعين بعد الثمانمائة والالف للتجسّد

كاتبه
† اقليميس يوحنا معمار باشي
رئيس اساقفة تكريت شرفًا
والنائب الرسولي على بطريركية
السريان الانطاكية

شهادة الفاحص

لقد وقعتُ على الكتاب الملقّب بذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان الذي ألّفهُ القس بطرس نصري الكلداني الموصلي المحترم. فطالعتهُ ومليًّا تصفّحتهُ وفحصتهُ وقابلتهُ مع كلّ ما كتبهُ في عصرنا هذا المستشرقون وغيرهم عن تواريخ هتين الطائفتَين. فوجدتهُ درّة نفيسة في جنسها يحقّ لواضعهِ ثناء ابناء الكنيستَين الكلدانيّة والسريانية. فاستصوبتُ طبعهُ ونشرهُ في الآفاق في اقرب زمان اذ انّ تأليفًا كذا لطالما صبت اليهِ القلوب وارتاحت له عوامّ الطائفتَين فضلًا عن خواصّها وطلبة مدارسها. ولاسيّما ذلك لانحرام القوم ممّا يغني عن مثل هذا التاريخ كما لسائر الطوائف والأمم. وانّ الضرورة تدعو ابناء الطائفتَين الى الوقوف على حوادث آبائهم السالفين الفخام واجدادهم الماجدين الكرام. فالحصول على مثل هذا التاريخ لكنزٌ لا يفنى على انفاق. وذخيرة لا يُضرب لها بالإملاق

✝ أدّي شير رئيس اساقفة سعرد

ܐܕܝ ܫܝܪ ܕܣܥܪܕ

في سعرد في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٤
ذُخران الشهيدَين الجليلَين مار فثيون
ومار آذورهرمزد

مقدّمة

حمدًا لمن جعل التاريخ طريقةً لمعرفة اخبار الاوّلين. وكشف لنا بهِ القناع عن اسرار الغوابر وصروف الايام بمقابلة احوال المتأخرين مع الاولياء المتقدّمين والمشاهير المتكمّلين *

امّا بعدُ فيقول العبد الفقير اليهِ تعالى القس بطرس نصري الكلداني الموصليّ. انّ التاريخ هو فنٌّ جليل الغاية وتبصرةٌ لأُولي الاذهان في المستقبل ليطّلعوا على سِيَر الذين مضوا فيقيسوا نفسهم عليهم ويقفوا على اعمال الصادقين وفضائلهم فيأتسوا بهم اذا نابتهم البلايا وينتصحوا بأحوالهم في دينهم ودنياهم * فهو تذكرةٌ لما دوّنهُ وتركهُ الاوّلون من المعارف والمآثر وعمرٌ آخر طويل يضافُ على مطالعيهِ كما قيل :

ومن درى اخبار من قبلهُ   أضافَ اعمارًا الى عمرهِ

الّا انّ أحقّ ما يُعني بشانهِ الانسان ان يدري تواريخ طائفتهِ البيعيّة ليطّلع على ما جرى من الوقائع الخطيرة في ما سلف من الاجيال فيها * ولما كان بنو الطائفتين الكلدانية والسريانية يجهلون اخبار بيعتهم المشرقيّة رأى ذوو الفضل الكرام ان يتداركوا هذا الخلل * فتقدّموا اليّ بوضع مختصرٍ ليكون كتابًا يُنهج لطلّاب المدارس الطريق لمعرفة اصول فن هذا التاريخ الشريف. فلم أرَ بُدًّا من التلبية الى دعوتهم واتمام رغبتهم * وقد ارادوا ايضًا ان استوفي فيهِ الكلام عن التواريخ المعاصرة للسريان المغاربة وهم اليعاقبة والذين اهتدوا منهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية المعروفون اليوم في الاصطلاح الجديد بالسريان الكاثوليك. ومن ثمّ فسوف يجد المطالع في هذا الكتاب ملخّص تواريخ

اليعاقبة التي دوّنها ليس فقط ديونيسيوس الاوّل وميخائيل الكبير البطريركان وابن العبري في شان هذه الطائفة اليعقوبية وبطاركتها ومفريانانها . وايّمتها الذين اقاموا في سورية او ماردين وفي تكريت . بل ايضًا اخبار رجالهم الذين اشتهروا بالعلوم والفنون والآداب واحوالهم والانقلابات التي حصلت لهم ايضًا بعد عهد ابن العبري مؤرّخهم الشهير وغير ذلك من الامور التاريخية المهمّة الى يومنا هذا كما فعلت في شان تواريخ السريان المشارقة المعروفين بالنساطرة والكلدان * وبالنتيجة فقد قصدتُ ان يكون هذا الكتاب متكفّلًا بمعرفة اصول تواريخ كلتا الطائفتين او الكنيستين السريانيتين الشرقية والغربية وذلك رغبةً في تتمّة الفائدة وتهذيب الطلبة المختلطين في المدارس وانقيادًا لدعوة الاحبار الرومانيين ولاسيا لاون الثالث عشر السعيد الذكر الذي كثيرًا ما حرّض الشرقيين في فُرَص مختلفة ورغّبهم في ان يجدّوا في درس آثار اجدادهم التاريخية . وذلك لكي يتّضح لكلّ ذي عينين انّ الطوائف الشرقية التي انفصلت من بعضها بعض بالبدع والانشقاقات هي من اصل واحد وراجعة الى ينبوع واحد اعني الكنيسة الانطاكية كما سوف نرى في محلّه * وعليه فتاريخ هذه الطوائف بالعموم هو واحد في المشرق . وبالاخصّ في الناحية الشرقية منه قبل انتشار بدعة نسطور واوطيخي اعني الى نحو نهاية القرن الخامس حينا ازعجت الانقسامات هذه البلاد وفَصلت اولادها من امّهم الواحدة وحملتهم على ان يتضاربوا في المذاهب . ومن ثمّ فلا يمكن فصل تواريخهم الّا بعد مبادىء القرن السادس*

امّا نظرًا الى النظام الذي سلكته فقد اردتُ رغبةً في تسهيل منهاجه وتفصيل موادّه وترسيخ مبادئه وأحكامه في اذهان الطلبة الاحداث ان اقسمهُ

الى اربع حقب تميّزت كلّ حقبةٍ بامر شهير من آثار هذه الكنيسة السريانية . وكلّ حقبة الى ابواب وكلّ باب الى فصول * فجاء بعون الله كتابًا محلّى بفرائد هذا الفن التي يعجز المجتهد اللبيب عن وجودها في كتب اخرى ومنطويًا على اجلّ مسائلهِ واحكامهِ التاريخية * وسمّيتهُ ذخيرة الاذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان لينطبق الاسم على مسمّاهُ *

هذا واني التمس من القارىء اللبيب ان يمعن النظر في اخبار هذا التاريخ ليرى كيف انّ هذه البلاد كانت يومًا مركزًا للعلوم والفنون والآداب ووطن القداسة والفضائل . ثمّ انحطّت الى حال الذلّ والهوان وانتشرت فيها اعلام الانقسام * فاذا تحقّق ذلك فعليهِ ان يفحص جُهدهُ عن اسباب هذا الانقلاب . ويتغاير على شرف وطنهِ واصلهِ ويستنتج ان الحَيد عن جادّة الصدق . والضلال عن الايمان الحقّ يفضيان بصاحبهما الى الوبال *

ثمّ اطلب اليهِ ان يسبل ذيل العفو اذا ما رآني بدون تصنّع وتكلّفٍ مصرّحًا بالحقّ الذي لي وعليّ مُعرضًا عن التغرّض والمحاباة لانّ الحق يعلو ولا يعلوهِ شيء * ولابدّ من ان انبّه مطالعي هذا التاريخ أنّي في تدوين هذه الاخبار البيعيّة قد استندت في كلّ شيء على الينابيع او الآثار التاريخيّة التي قد جمعتها في زمان طويل بنَصَبٍ وجدّ لا مزيد عليهِ من مؤلّفي التواريخ شرقيّين كانوا او غربيين ومن الاساطير المشتّتة امّا في خزانات الكتب وامّا في البلاد المختلفة وهي محفوظة في خزانة كتبي *

واخيرًا ارجو من الواقف على هذا الكتاب ان يغضّ الطرف عن الخلل الذي يعثر عليهِ ويتجاوز عن السهو الذي لا يخلو منهُ كلّ عمل بشري

مهما كان كاملاً * لانّ المشروع الذي اقدمتُ عليهِ هو صعب الخطة ونادر في جنسهِ لم يسبقني فيهِ احدٌ * فاذا وُجد في مستقبل الايام من سيناوئُني ويفوقني في هذا الميدان فلي امل بانّ القارىء اللبيب سيُقدّر عملي هذا على الاقلّ في الزمان الحاضر حقّ قدرهِ متذكرًا انّ الفضل للمبتدىء وان احسن المقتدي . والله اسأل ان يجعلهُ خالصًا لوجههِ الكريم وفائدة العموم وهو حسبي ونعم المسؤول *

واعترافًا بالجميل الذي يجدر بكلّ ذي مروءة ذكرهُ في اوانهِ انتهز هذه الفرصة لأُسدي جزيل شكري وامتناني لغبطة سيدي الجليل مار جيورجيس عبديشوع الخامس بطريرك الكلدان . لانهُ في انشاء هذا التاريخ قد مدّ اليّ يد المساعدة في تحريضاتهِ وآرائهِ الخطيرة ومعلوماتهِ الوافرة وخاصةً في تنازلهِ لفحص هذا التاريخ بعد الفروغ من تأليفهِ * لانّ لهذا الحبر المفضال اليد الطولى في هذا الفن الشريف (وكان قد استقصى البحث عن اخصّ المسائل المشكلة التي عجز عن تحصيلها أبرع المؤلفين . ولهُ في ذلك كتاب جليل في شان تواريخ المشارقة الكلدان يشتمل على وقائع الاجيال الاولى السبعة والقرون الاخيرة الثلاثة لما لهذه الاجيال من الاهمية والاشكال في معرفة حوادثها النادر ذكرها لدى المؤرخين * وقد طالعتُ هذا المصنَّف واقتبستُ منهُ فوائد لم احصل عليها في غيرهِ من التآليف * فلما شرعتُ انا في تاليف هذا التاريخ الحاضر وراق بعيني الحبر المشار اليهِ رأى انهُ يقوم مقام مصنّفهِ) * ولم يكتفِ بان يعضدني في اتمام هذا المشروع . بل توّجهُ بشهادتهِ الخطيرة . وقدر هذه الخدمة الضعيفة التي اديتُها لبني مشرقي حقّ قدرها وكانت هذه الشهادة برهانًا على مكانة واهمية واعتبار هذا التاريخ *

تنبيهات

اعلم اني رغبةً في الاختصار اردتُ ان اصطلح بعض اشاراتٍ تشير الى المؤرّخين الذين اقتبسنا عنهم هذه الاخبار التاريخية لكي يزيد هذا التاريخ اعتبارًا لدى العلماء المدقّقين بذكر هذه الاسناد التي اعتمدتُ عليها . فيستطيع القارىء اللبيب ان يطالعها ويراجعها لمزيد الايضاح *

اخ . مقطوعة عن اخبار بيعيّة وعالميّة . وهي في مجلّدين يختصّ الاول بدير مار يعقوب الحبيس القريب من ابرشيّة سعرد الكلدانية . والثاني بمكتبة مار فثيون بآمد . الّا انهما ناقصان في البداية والنهاية . يحوي الاول اخبارًا من اواسط القرن الثالث الى اواخر الخامس . والثاني اخبارًا من اواخر القرن الخامس الى الثامن . ويظهر ان مؤلّفهما واحد . وفيهما فوائد تاريخية لا توجد في غيرهما *

ما . ماري بن سليمان . وهو المؤرّخ النسطوري الذي عاش في القرن الحادي عشر . وقد نقلنا تواريخهُ عن نسخة توجد الآن في خزانة كتب بيعة مار فثيون الكلدانية بآمد *

ص . صليبا المؤرّخ النسطوري المعروف بابن يوحنا القسّيس الموصلي . وعاش في نحو القرن الثالث عشر . وفي الموصل نسخة من كتابهِ الملقّب بالمجدل او رسالة البرهان والارشاد الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد وغلطًا سمّاهُ السمعاني عمرًا الطيرهاني لان النسخة التي استعملها كانت ناقصة في اولها . ومراعاة لهذا العلاّمة قد ذكرنا اسناد هذا الكتاب تارةً باسم صليبا وطورًا باسم عمرو *

ا . اليّا مطران نصيبين المعروف ببرشينا الذي عاش في القرن الحادي عشر . ولهُ مختصر تاريخ جثالقة النساطرة وملوك الفرس والعرب الى زمانهِ *

تو . توما اسقف المرج الذي عاش في القرن السابع وتكلَّم عن اخبار الرهبان . وطبع كتابهُ العلاّمة بودج الانكليزي ويسمى ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܝܫܢܐ كتاب في رؤساء الاديرة . وقد نشرهُ حديثًا في طبعةٍ مضبوطة الاب بجان العازاري سنة ١٩٠١ في ليبسيك *

يشو . يشوعدنح مطران البصرة الذي عاش في اواخر القرن الثامن . ولهُ كتاب في اخبار الرهبان المشارقة الذين اسَّسوا الاديرة في هذه البلاد وطبعهُ سنة ١٨٩٧ الاب شابو في باريس مع ترجمتهِ الفرنسيَّة ونشرهُ ايضًا الاب بجان مع تاريخ توما المرجي سنة ١٩٠١ *

مج . مجموع السنهدوسات الكبير وهو قوانين مجامع المشارقة الّفهُ مار ايليا الاوَّل البطريرك * وقد طبع ايضًا الاب شابو المستشرق الشهير في باريس سنة ١٩٠٢ مجموعة القوانين التي رسمها المشارقة في مجامعهم الى زمان مار طيماثاوس الثاني *

عبد . عبديشوع مطران صوبا او نصيبين النسطوري الذي عاش في نحو القرن الثالث عشر . ومن مؤلَّفاتهِ التي استندنا عليها مقالة لطيفة في المؤلفين السريان المشارقة الذين اشتهروا الى زمانهِ . ومجموعة قوانينهِ السريانيَّة *

اي . ايليا الدمشقي المعروف بالجوهري مطران دمشق النسطوري الذي عاش في نحو مبادىء القرن العاشر . ومن تآليفهِ مجموعة القوانين التي ترجمها الى العربية وقسمها الى جزئين يحوي الاول قوانين المغاربة والثاني قوانين المشارقة *

او . اوسيب القيصري . وقد طبع تاريخهُ الشهير في السريانية الاب بجان سنة ١٨٩٧ *

عب . ابن العبري . وبها بالاطلاق نشير الى تاريخهِ البيعي الذي قسمهُ الى جزئين . الاوَّل يختص ببطاركة اليعاقبة . والثاني بمفريانات اليعاقبة وجثالقة المشارقة النساطرة . وقد طبعهُ المعلّمان ابولوس ولامي في لوفان من اعمال بلجيكا مع ترجمتهِ اللاتينيَّة سنة ١٨٧٢ *

عب ع . وبها نشير الى تاريخهِ العالمي في السريانيَّة . تكلَّم فيهِ عن الدول التي ملكت في العالم الى زمانهِ . وطبعهُ الاب بجان بنصّهِ السرياني فقط سنة ١٨٩٠ *

عب د . ونشير بذلك الى تاريخ الدول الذي اختصرهُ ابن العبري عن تاريخهِ العالمي وترجمهُ الى العربيَّة وقد طبعهُ اليسوعيُّون في بيروت سنة ١٨٩٢ *

عب م . هو ملحق تواريخ ابن العبري البيعيَّة . ويُعزى الى مؤلّف مجهول الاسم *

هدا . كتاب الهدايات ܟܬܒܐ ܕܗܘܕܝ̈ܐ Nomocanon لابن العبري ويحتوي قوانين المجامع في التهذيب البيعي للطائفة اليعقوبيَّة طبعهُ الاب بجان العازاري في سنة ١٨٩٨ *

اد . كتاب الآداب ܐܝܬܝܩܘܢ لابن العبري بحث فيهِ عن ترتيب الحيوة الادبيَّة بشأن الصلوات والاصوام وممارسة الفضائل والاسرار والعوائد الطقسيَّة في الطائفة اليعقوبيَّة طبعهُ الاب بجان سنة ١٨٩٨ *

لي . لبكوري القدّيس إمام اللاهوتيين الاديرين . ومن مؤلَّفاتهِ تاريخ

الهرطقات ودحضها يُعرف في الايطالية .Storia delle eresie اقتبسنا منها اخبارًا مهمّة في شان المبدعين *

س . هو يوسف شمعون السمعاني الماروني صاحب المكتبة الشرقيّة الشهيرة حيث تكلّم في اللغة اللاتينيّة عن اخبار السريان المشارقة والمغاربة وقدّيسيهم ومؤلفيهم استنادًا على الكتب الشرقيّة التي جمعها في المكتبة الواتيكانيّة . وهي في اربعة مجلّدات . ففي الاوّل تكلّم بالعموم عن مؤلّفي السريان الكاثليك . مشارقة كانوا او مغاربة سواء عاشوا قبل ولوج البدع في المشرق او بعد اهتدائهم الى حضن الكنيسة . وعلامتهُ س ١ * وفي الثاني يبحث عن تواريخ السريان المشارقة والمغاربة او هم النساطرة واليعاقبة واسماء فطاركتهم ومفريانانهم اخذًا عن صليبا المؤرّخ وابن العبري . وعلامتهُ س ٢ * والثالث ينقسم الى جزئين . ففي الاوّل يتكلّم عن مؤلّفي النساطرة حيث اجاد في شرح مقالة عبديشوع الصوباوي المار ذكرها في شان مولفي السريان المشارقة او هم الكلدان . وعن المؤلفين الذين غفل عن ذكرهم الصوباوي او عاشوا بعدهُ . وعلامتهُ ٣ : ١ * وفي الجزء الثاني من الكتاب الثالث يتكلّم عن مسائل كثيرة تخصّ تواريخ النساطرة واخصّ الامم التي دانت بمذهبهم . وعلامتهُ ٣ : ٢ * وقد نشير الى المجلّد الثالث بهذه العلامة ٣ والى الرابع بهذه الاخرى ٤ محضًا *

س ق . مقالة السمعاني . وهي مختصر تواريخ اليعاقبة المحنوبة في المجلّد الثاني من المكتبة الشرقيّة *

لو . لويس السمعاني . ولهُ تاريخ بيعيّ للنساطرة لخّصهُ عن المكتبة الشرقيّة طبع سنة ١٧٧٥ *

د . هو ديونوسيوس بطريرك اليعاقبة الذي عاش في اواسط القرن التاسع ونقل عنهُ ابن العبري تواريخهُ البيعيّة *

م . هو ميخائيل بطريرك اليعاقبة المعروف بالكبير الذي عاش في اواخر القرن الثاني عشر . وقد اقتبس ابن العبري من تاريخهِ كثيرًا من الاخبار البيعيّة *

يا . هو ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان . واشتهر في نحو القرن السادس عشر *

سي . سيرة الشهداء والقدّيسين السريان المشارقة التي طبعها في ليبسيك من اعمال جرمانيا الاب بيجان في مجلّدات متتابعة في الكلدانية منذ ١٨٩٠ ولقبها ܬܫܥܝܬܐ ܕܣܗܕܐ ܘܕܩܕܝܫܐ . وقد اخذ اكثرها عن المصاحف والآثار القديمة المحفوظة في خزانات الكتب الاوروباوية . ولاسيما عن نسخة قديمة توجد الآن في خزانة كتب آمد الكلدانيّة *

تر . ترجمات الجثالقة والشهداء المشارقة طبعها الاب بيجان سنة ١٨٩٥ وهي عبارة عن سيرة مار يابالاها الثالث الجاثليق الذي اهتدى الى الكثلكة واخبار ملوك المغول الذين عاشوا على عهدهِ ومعاملاتهم للنصارى . وسيرة مار آبا الكبير ومار سبريشوع الاوّل ومار دنحا الثاني الجثالقة واخبار غريغور ويزدفني وجيورجيس الشهداء المشارقة *

لك . هو Lequien لكيان المؤرّخ الشهير الفرنسي من الرهبنة الدومنكيّة . ولهُ كتاب شريف في اللاتينية لقّبهُ Oriens Christianus الشرق المسيحي في ثلثة مجلّدات يتكلّم فيها عن اخص اخبار الطوائف الشرقيّة *

با . هو البارون ادولف دافريل الفرنسي Adolphe d'Avril وله كتيب في الفرنسيّة لقّبهُ الكلدانية المسيحيّة La Chaldée chrétienne *

دو . هو المستشرق روبنص دوفال Rubens Duval ألّف كتابًا سمّاهُ المعارف السريانيّة وتكلّم فيهِ ايضًا عن المؤلفين السريان وطبع ثانية في باريس سنة ١٩٠٠

ش ج . تعني المواصلات بين الكرسي الرسولي وكنيسة الكلدان Genuinæ relationes inter S. Apos. et Chaldeorum Ecclesiam. جمعها الاب شموئيل جميل رئيس رهبان دير مار هرمزد بقرب القوش اذ كان في رومية من مكتبة الواتيكان وبروبغندا وطبعها ثمَّ سنة ١٩٠٢

ش م . سيَر شهداء المشرق نشرها في مطبعة الآباء الدومنكيّين الاب ادّي صليبا وهو الآن مطران سعرد

ي . يوسف داود مطران دمشق السرياني الشهير في عصرنا هذا بعلمهِ . ولهُ حواشٍ نفيسة علّقها على تاريخ لومون البيعي تهمّ تواريخ الشرقيين واحوالهم *

جي . تعني جيورجيس عبديشوع الخامس البطريرك المعروف بغزارة علمهِ . ولهُ كتاب جليل في تواريخ المشارقة الكلدان يشتمل على وقائع القرون الاولى السبعة والثلاثة الاخيرة فقط لما لها من الاشكال في معرفة حوادثها النادر ذكرها لدى المؤرّخين . وقد راق تاريخي هذا بعيني الحبر المشار اليهِ حتى رأى انهُ جدير ان يقوم مقامَ مصنفهِ الذي لم يكمّل فيهِ اقتصاص وقائع سائر القرون*

كرا . كراريس واوراق متفرّقة . وهي محفوظة في خزانة كتبي جمعتها

بنَصَبٍ عظيم ونفقات طائلةٍ اعتنيتُ في نسخها من خزانات كتب بلاد المشرق وخاصةً آمد وماردين والموصل في شان تواريخ السريان المشارقة والمغاربة المخصوصة بالقرون الثلاثة الاخيرة التي لم يكتب عنها احدٌ من المؤرّخين الّا نادرًا . وقد ذكرت اسم صاحبها في محلّها اذا كان معروفًا *

ح . الحديث . وهو الاخبار القريبة الى عهدنا التي تناقلها شيوخ هذه البلاد وقد رأوها بعيونهم او سمعوها عن اجدادهم فتسلمناها منهم بالنقل . ومنها ما رأيناهُ نحن باعيننا في هذا الجيل فهي اعظم من ان تؤيَّد بالاسناد *

ثم او ثه . تدلّ على انّ الآثار التاريخيّة قد اقتُبست من نفس المؤلف الذي سبق اليهِ الاشارة *

توطئة

انَّ التاريخ لغةً هو تعيين الازمنة . وعرفًا هو اخبار الحوادث او هو علمٌ يبحث فيهِ عن احوال الغوابر من الشعوب والسوالف من الايام والطوارىء من الوقائع * فهو ياتي اذًا على معنيين *

فالمراد بتعيين الازمنة الفرق ما بين حدٍّ مصطلح عليهِ وبين الزمان الحاضر او الماضي * وهذا الحدُّ انَّما اصطلح عليهِ لوقوع امرٍ او حادث شهير من ظهور دين او مملكة او واقعة غريبة او غير ذلك من الآثار السموية والطوارىء العالميَّة مما يعزُّ عادةً حدوثهُ * فهذه الآثار قد وُضعت حدًّا لمعرفة فرق الزمان بينها وبين ما يجري بعدها او ما جرى قبلها من الحوادث *

والتاريخ بهذا المعنى يُقسم الى اقسام شتَّى . فان الناس بحسب اختلاف احوالهم قد اختلفوا ايضًا في جعل هذهِ الآثار النادرة حدًّا لتعيين الازمنة * وليس هنا محلٌّ لايراد كلّ التواريخ التي استعملها الناس . وانما نذكر اشهرها . وبالاخصّ التي يدور استعمالها في هذهِ البلاد . فمنها تاريخ العالم . وتاريخ اليونانيين . وتاريخ الميلاد . وتاريخ الهجرة *

امَّا تاريخ العالم فهو تعيين الزمان الذي فيهِ فطر الله آدم الانسان الاول في اليوم السادس من الخليقة * وهو يستعمل عند اليهود والروم المنشقين الذين يتبعون طقس الكنيسة القسطنطينيَّة * الَّا انَّ بينهم تباينًا عظيمًا * ولذلك فتاريخ العالم هو على نوعين في حيّز الاستعمال . فان اليهود يحسبون بدءهُ من سنة ٣٧٦١ قبل الميلاد وهو جارٍ الى اليوم عندهم اينما

وُجدوا في العالم * امَّا الروم فيعتبرون بدءهُ من سنة ٥٥٠٨ قبل تاريخ الميلاد (1) . وكان الروم القاطنون في مملكة روسيا يستعملونهُ ايضًا . الَّا انهم تركوهُ وتبعوا تاريخ الميلاد في نحو مبادىء القرن الثامن عشر *

وتاريخ اليونانيين هو بدء مُلك سلوقُس في بلاد الشام بعد موت الاسكندر ذي القرنين * وكان سلوقس اوَّلًا احد قوَّاد الاسكندر وعاملهِ على البلاد المشرقيَّة من مملكتهِ . ولذلك سمّي تاريخ السلوقيّين ايضًا * ويبتدىء في اوَّل يوم من تشرين الاول سنة ٣١٢ قبل تاريخ الميلاد * ومن ذلك ينتج انهُ غلطًا يُدعى تاريخ الاسكندر الذي كان عائشًا قبل هذا العهد * فهذا التاريخ كان مستعملًا في بلاد الشام . استعملهُ كلّ طوائف الأمَّة السريانيَّة التي كانت يومًا خاضعةً للبطركيَّة الانطاكيَّة اي الكلدان والنساطرة والسريان واليعاقبة والموارنة والملكيّون * الَّا انهم في اواسط هذا القرن التاسع عشر شرعوا يستعملون تاريخ الميلاد * وقد استعمل ايضًا هذا التاريخ اليهود وعلماء العرب في حساباتهم العلميَّة مدَّة من الزمان ثمَّ تركوهُ *

وتاريخ الميلاد هو زمان ظهور المسيح على الارض . ولذلك سمّيَ ايضًا تاريخ المسيح وكان ابتداؤهُ بعد ميلاد المسيح في مغارة بيت لحم باربع سنين

(1) لا يتفق علماء النصارى في تعيين المدَّة التي انقضت من خلقة ادم الى زمان مجيء المسيح . وفي ذلك مذاهب شتى * وانما نشأ ذلك عن التباين الذي نجدهُ في نسخ التوراة العبرانية والسبعينية والسامرية من جهة الانساب * فانَّ النسخة السبعينية ذكرت قينان كما ذكرهُ البشير (لوقا ٣ : ٣٦) مع انَّ قينان لاذكر لهُ في النسخة السامرية ولا في العبرانية * الَّا انَّ حساب السنكسار الروماني هو الاضبط والاقرب احتمالًا في ذلك اي انَّ خلق ادم كان سنة ٥١٩٨ قبل المسيح وهو الذي ابدهُ اوسيبيوس القيصري والكردينال بارونيوس المورخ الشهير *

وسبعة ايام * ولمّا كان العلماء قد اختلفوا في المذاهب في المدّة التي مرّت منذ خَلق الانسان الاول الى زمان ميلاد المسيح . ما ساغ لنا ان نقرّر بضبطٍ متى وُلد المسيح * ولكن لمّا كان حساب السنكسار الروماني هو الأصحّ تعيّن انّ المسيح وُلد سنة ٥١٩١ . والتاريخ المسيحيّ بدأ سنة ٥١٩٤ بعد خلق آدم * ثمّ على الحساب المعوّل عليهِ اليوم عند بعض العلماء الغربيّين كانت بداءة هذا التاريخ سنة ٤٠٠٤ بعد خلق العالم * وبدأ هذا التاريخ المسيحيّ اول مرّة عند الافرنج في القرن السادس * امّا الشرقيّون فشرعوا يستعملونهُ في مبادىء القرن السابع عشر. وقد عمّ اليوم استعمالهُ بين كلّ النصارى شرقًا وغربًا من ايّة امّةٍ او طائفة كانوا *

وتاريخ الهجرة هو زمان ترك محمد صاحب شريعة الاسلام مكّة وطنهُ . ورحيلهِ الى يثرب التي عُرفت بعد ذلك بالمدينة * وجرى ذلك في ١٦ تموز سنة ٦٢٢ للميلاد وهي السنة التي بدأ فيها هذا التاريخ * ويستعملهُ المسلمون قاطبة اينما كانوا ووُجدوا * ولا يخفى ان سني هذا التاريخ قمريّة خلافًا لسائر التواريخ التي مرّ ذكرها . والسنة القمريّة تنقص دائمًا احد عشر يومًا من السنة الشمسيّة *

ويُعرف الفرق بين هذه التواريخ او هي الحدود المصطلح عليها . والزمان الحاضر او الماضي بالمدّات المتّفق عليها المعتبرة بمثابة اقيسة للزمان الذي هو توالي الليالي والايام * وهذه المدّات التي تقيس الزمان كثيرة وأهمّها لمعرفة التاريخ الدهر . والعصر . والجيل . والقرن . والحقبة *

فالدهر طائفةٌ غير محدودةٍ من الزمان *

والقرن مدّة طويلة من الزمان . والأصحّ فيهِ انهُ مئة سنة معدودة من بدء التاريخ فصاعدًا او نازلاً *

امّا الجيل فيستعملهُ المولّدون بمعنى القرن . ولذلك يطلقونهُ على مائة سنة . وفي الغالب يُراد بهِ المدّة التي يتجدّد فيها البشر المعاصرون على وجه الارض . وهي عبارة عن ثلاثين او اربعين سنة *

وامّا الحقبة فهي مدة معتبرة من الزمان يجري فيها ويتواصل أثرٌ مهمٌّ من الآثار التاريخيّة *

ثمّ انّ التاريخ بالمعنى الثاني هو علم يُبحث فيهِ عن حوادث الامور المهمّة التي جرت في الازمان السالفة مع تبيين اسبابها وعواقبها وظروفها * وهذه التواريخ تنقسم الى اقسام شتّى . منها تواريخ العالم ويقال لها ايضًا تواريخ الدول. وهي التي تدور على اخبار الامم والطوائف التي ملكت في العالم * والتواريخ المقدسة وهي معرفة الاخبار المحتوية في العهد القديم والجديد . وتواريخ الكنيسة وهي عبارة عن اقتصاص اخبار جماعة المومنين التي رسمها المسيح قبل صعوده الى السماء * إلاّ انّ تواريخ الكنيسة مع هذا التعريف ليست بمعنى واحد فانّ الكنيسة تُعتبر بمعنيين عامّ . فتشمل كل المومنين من اي طقس او امّةٍ كانوا بشرط ان يتّفقوا في وحدة الايمان والآداب تحت رئاسة واحدة كُبرى * وخاصّ فتشمل طائفة من المومنين مُستبدّة بعوائد طقسيّة وتهذيباتٍ خصوصيّة ولو كانت لا تختلف في الايمان والآداب عن راي الكنيسة الجامعة * فكما انّ الكنيسة تُعتبر بهذين المعنيين. كذلك تواريخ الكنيسة تاتي بمعنى عامّ ومعنى خاصّ *

وقد رأينا ان ندرج في هذهِ التوطئة بوجيزٍ من الكلام اخبار الدول التي استبدّت بالحكم على بلاد المشرق . وذلك رغبةً في إطلاع القارىء اللبيب بلمحة عين على الانقلابات التي اصابت في سالف الزمان هذهِ الامصار وتوفيقًا للعلاقات

المرتبطة بينها وبين هذهِ التواريخ البيعيَّة التي قصدنا تخصيصها لهذهِ البلاد .

فنقول بعون الله :

انَّ اوَّل دولةٍ نشأت بعد الطوفان في هذه البلاد هي الدولة الكلدانيَّة . وملك عليها نمرود وبنوهُ واكثرهم شهرةً اورخامس واليهِ يُنسب كثير من الآثار المستخرجة حديثًا وقد كتب على الآجرّ باللغة المعروفة بالمسماريَّة . وانقرضت هذهِ الدولة نحو سنة ٢٤٤٩ قبل المسيح * واستولت عليها دولةٌ ايرانيَّة نحو ٢٢٤ سنة وعقبها دولة عيلميَّة نحو سنة ٢٢٢٥ ق م واندرست هذهِ الدولة ايضًا * فاستظهر على هذهِ البلاد الكلدان الاصليُّون نحو سنة ٢٠٠٠ ق م واستتبَّ الامر لملوكهم نحو ٢٤٥ سنةً * وفاجاهم المصريُّون ودوَّخوا بلادهم . وبعد حروبٍ كثيرة استبدُّوا بالملك عليها نحو ٢٤٥ سنة اي من سنة ١٥٥٩ الى ١٣١٤ ق م . وفيها انقطع ملك المصريّين من هذه البلاد * وقامت دولةٌ آثوريَّة ملكت نحو ٥١٢ سنةً . وكان اوَّل ملوكها تغلات سمدان وخلفهُ بنوهُ على تخت المملكة حتى لعبت بها ايدي الحدثان * فتشاور ارباق قائد بلاد مادي وبلاسيس والي بابل واثارا حربًا على سردانابال آخر ملوك هذهِ الدولة الآثوريَّة فهلك فيها سنة ٨٠٢ . فملك ارباق على مادي وبلاسيس على دولة بابل وآثور نحو ٥٥ سنةً * ولم يلبث الآثوريون ان استفحلوا من جديد . فقامت دولةٌ آثوريَّة ثانية سنة ٧٤٧ * ولم يستبدّ الآثوريون بالأمر حتى قام بختنصر وشاد دولة بابل الثانية واخضع الآثوريين لسلطانهِ فعُرف بمجدّد الدولة الكلدانيَّة . وهو الذي سبى اليهود الى بابل . ولبثت هذهِ المملكة نحو ٢٠٩ سنين الى ان قام بلطشاصر ملكها الاخير . فانتشبت الحرب بينهُ وبين قورش والي فارس . فانتصر هذا عليهِ واغتالهُ طبقًا للرويا التي فسَّرها دانيال

النبي * فدوّخ قورش البلاد وخرَّب بابل ودكَّ اساساتها واستبدَّ بالمُلك وشاد الدولة الفارسيَّة نحو سنة ٥٢٨ ق م واستمرَّت نحو ٢١٥ سنةً الى ان قرضها الاسكندر ذو القرنين * وبعد موت الاسكندر اقتسم قوَّادهُ مملكتهُ العظيمة في المشرق نحو سنة ٣٢٣ . فصارت هذهِ البلاد في حوزة سلوقس الذي اقام كرسيَّهُ في انطاكية التي دعاها باسم ابيهِ انطيوخس . وعُرفت بدولة السلوقيّين . وبعد ان مدّت هذهِ الدولة سطوتها الى اعماق المشرق اعني بابل ومادي وآثور وفرثيا تقوَّضت اركانها واستمرَّت نحو ٦٧ سنةً * فقامت بعدها ثمَّ دولة الفرثيّين نسبةً الى فرثيا المعروفة بالعراق العجمي سنة ٢٢٦ ق م . وكان مؤسسها ارشاق القائد الذي حارب انطيوخس آخر ملوك السلوقيّين واستقلَّ منهم واستولى على جزءٍ عظيم من ممالكهم في اعماق المشرق . واستقامت دولة الفرثيّين ٤٥٢ سنة الى ان لعبت بها ايدي الحدثان وطمست دعائمها سنة ٢٢٧ م على يد اردشير بن بابك المعروف بساسان الذي حارب اردوان آخر ملوك الفرثيّين * فانشأ الدولة الفارسيَّة الثانية المعروفة ايضًا بالساسانيَّة ولُقّب ملوكها بالاكاسرة . ولم يزل هولاء مالكين في المشرق الى ان ظهر الإسلام واستفحل أمر آلهِ * فتضعضعت دعائم الدولة الفارسيَّة حتى انقرضت في الحرب التي اثارها عمر بن الخطّاب الخليفة . وقُتل فيها يزدجرد الثالث ابن خسرو آخر ملوكها سنة ٦٤٤ م . واستمرَّت الدولة الساسانيَّة نحو ٤١٧ سنة * فقامت دولة الاسلام العربيَّة واستولت على بلاد المشرق طرًّا وكان يُدبّر ازمَّتها اوَّلًا الخلفاء الراشدون في مكَّة من ابي بكر الصدّيق الى الحسن بن علي بن ابي طالب ٦٢٢ - ٦٦١ م . ثمَّ الخلفاء الامويُّون في دمشق من معاوية بن ابي سفان الى مروان بن محمَّد بن مروان ٦٦١ - ٧٤٤ . ثمَّ الخلفاء العباسيُّون

في بغداد من العبّاس الملقب بالسفّاح الى المستعصم بالله ٧٤٤ - ١٢٥٨ . حتى تضعضعت اركان دولتهم . وفي اثناء ذلك تخلّل فيها دُوَل صغيرة استبدَّت بالامر والنهي في نواحٍ مختلفة حتى في بغداد ايضًا مع وجود الخلفاء العبّاسيّين . من ذلك دولة السلجوقيّين في افغانستان ودولة بني بويه في فارس. ودولة حامب اسيف الدولة ودولة مصر لاحمد بن طولون . ودولة الموصل لبني عقيل والسلطان لولوء * ثم استفحل امر المغول على يد جنكزخان حتى تسنّى لهولاكو احد ملوكهم ان يفتح بغداد ويقرض دولة العرب سنة ١٢٥٨ بعد ان استمرّت ٦٢٦ سنةً . وانتشرت دولة المغول الى اقاصي المشرق حتى بلاد الهند والصين الى ان تصرّمت حبالها نحو سنة ١٤٠٠ * فظهر تمرلنك في سمرقند احدى مدن تركستان . الذي تصل نِسبةُ الى ملوك المغول واطار لُبَّ سكّان المشرق طُرًّا فزعًا لشدّة بأسهِ وبطشهِ ودوّخ البلاد وملكها عنوةً نحو سنة ١٤١٠ * ثم استولت على هذه البلاد الدولة التركمانيّة وهي دولتان وَليت الواحدة الاخرى. الاولى تُعرف بالماعزة وفي لغتها قره قويونلو لانّ رأيتها كانت موسومة بكبش اسود . واستمرّت الى سنة ١٤٦٨ . والثانية تُعرف بالضائنة وفي لغتها آق قويونلو لانّ رأيتها كانت موسومة بكبش ابيض . واستمرّت الى سنة ١٥١٤ م * ثم استولى على المشرق ملوك العجم المعروفون بالشاهات الصوفيين الى نحو سنة ١٦٢٨ * وكان قد نشا امر الدولة العثمانيّة المنسوبة الى عثمان بن الامير ارطغل واقيمت أُسُسها منذ سنة ١٢٩٦ في بر الاناضول . فدوّخت البلاد حتى دخل محمّد الفاتح القسطنطينية وجعلها مركز المملكة سنة ١٤٥٢ . وبعد حروب كثيرة مع ملوك العجم قبضت ايضًا على زمام هذه البلاد نحو سنة ١٦٤٠ م في عهد مراد سلطانها *

الحقبة الاولى

في تواريخ كنيسة المشارقة منذ ابتدائها الى استفحال النسطرة فيها (٣٣ - ٤٩٨ م)

الباب الاوّل

في تأسيس كنيسة المشارقة على يد رسلها وسياسة جثالقة المدائن لها بعدهم (٣٣-٨٣)

الفصل الاول

في معني الكنيسة السريانية وتسمياتها المختلفة . واحوالها دينًا ودنيا ولغةً في زمان ظهور النصرانية

ان الكنيسة تاتي على معنيين بمعنى عام وبمعنى خاص * فالكنيسة بالمعنى الاول هي جماعةٌ اقامها المسيح من المومنين المعمَّذين المعتقدين بحقائق واحدة والعاملين بشرائع واحدة دينيةٍ وهم يشتركون باسرار واحدة تحت رعاية رئيس واحد روحي وهو حبر رومية خليفة بطرس الرسول * وبالمعنى الثاني هي جماعة او طائفة مخصوصة من المؤمنين المشتركين مع الكنيسة الجامعة اي الكاثوليكيّة بالاعتقادات والشرائع والاسرار الدينيّة والطاعة لرئيسها الروحي الاعظم . الّا انّ لها تهذيبات وعوائد طقسيّة مخصوصة بها وهي محصورة في اقليم او ولاية . او جهة كبيرة تحت ادارة رئيس خصوصيّ من طقسها يتولّى امرها ويسعى لحفظ عوائدها التهذيبيّة والطقسيّة التي تتمسّك بها * وعليهِ فكانت جماعة السريان المشارقة والمغاربة كنيسة بالمعنى الثاني لانّها جزءٌ من الكنيسة الجامعة *

وقد سُمّيت هذه الكنيسة سريانيّة ولو انّ اهاليها كانوا يُدعون في هذه البلاد كلدانًا وآراميين وبابليّين وآثوريّين. لانهُ لمّا تداول الزمان على الدول

الكلدانيّة صار اسم الكلدان كناية عن الماهرين في علم الهيئة وملاحظة النجوم وبعد ذلك أُستعير للدلالة على العرّافين والمشتغلين في الكهانة والفال المحرّم. فلمّا استضاء اهالي هذه البلاد الشرقيّة بنور الايمان المسيحي رفضوا هذا الاسم لِما فيهِ من الكراهية في الدين . وبسبب هذا الاعتبار او ما يقاربهُ هجروا ايضًا تسمية الآراميين والآثوريين والبابليين لانها كانت تشير الى اصحابها الاوّلين عبدة الاصنام * ولذلك نرى انّ الترجمة السريانيّة البسيطة تستعمل كلمة ܐܪܡܝܐ بمعنى الوثنيّ في العهد القديم والجديد كما انّ بولس الرسول اتّخذ في رسائلهِ اليوناني بمعنى الوثنيّ * وقد حذا النصارى في ذلك حذو اليهود الذين كانوا يدعون من سواهم وثنيين او أُمميّين * فبعد ان تركوا هذهِ التسميات التي كان يُعرف بها اجدادهم مستوطنو هذهِ البلاد اتّخذوا لهم اسم السريان في مبادىء النصرانية *

أمّا الاسباب التي دعتهم الى اتّخاذ هذه التسمية دون غيرها فهي اوّلاً . لان الديانة النصرانية كانت قد نشأت وانتشرت بادىء بدء في بلاد سورية . وكان الرسل الذين نادوا بالايمان في هذه البلاد من قاب سورية اي سوريين فصاروا يُنسبون اليهم * ثانياً . لان جثالقة المدائن الذين كانوا يسوسون هذهِ البلاد كانوا خاضعين اوّلاً لبطريرك سوريّة الذي كان جالسًا في انطاكية قاعدة بلاد سوريّة يومًا * ثالثًا . لانّ اللغة السريانية او السوريّة وهي الآثوريّة نفسها (فانّ لفظ ܣܘܪܝܐ منصور بلا شك عن ܐܬܘܪܝܐ كما هو راي هيرودُت المؤرّخ) كانت لغة هذه الاقطار المشرقيّة التي كانت ايضًا متفقة مع سوريّة باللغة والمذهب والولاية الروحية * ولا يخفى ان اللغات تُعطي احيانًا كثيرة اسمها للشعوب فيُدعون بها كما ان الشعوب تُعطي للّغات اسمها * فانّ بلادنا مثلاً تسمّى عربية من اللغة

الشائعة فيها وبالعكس تسمّى اللغة الايطالية لغة تُسكانا من سكان هذهِ المدينة الشهيرة * فلا يبعد عن الصواب ان يكون النصارى قد سمّوا في هذه البلاد سريانًا من اللغة السريانية التي كانت شائعة في سورية وسائر اقطار المشرق * ولذلك فبكل حق نشمل نحن بهذا الاسم (سريان) في ذا التاريخ كلتا الطائفتين الكلدانية والسريانية اللتين خصّصنا لهما هذا التاليف . لانّ كل النصارى كانوا يُدعون قبل نشأة البدع سريانًا *

فهذه الكنيسة السريانيّة تنقسم الى قسمين شرقيّة وغربيّة وذلك باعتبار الجهة الواقعة هي فيها * فالاولى كانت مشتملة على بلاد الجزيرة اي ما بين النهرين . وكردستان . والعراق . وآثور . وفارس . وتركستان . والهند . ويسمّى اهلها مشارقة * والثانية كانت مشتملةً على البلاد الواقعة غربي الفرات وهي سوريّة او بلاد الشام ويُعرف سكّانها بالمغاربة . فالمراد هنا بالمشارقة والمغاربة السريان انفسهم القاطنون الجهة الغربيّة او الشرقية . ولزيادة الايضاح اعلم انّ هاتين التسميتين اي المشارقة والمغاربة هما نسبيّتان ويُعتبران بحصر المعنى . فيراد بالمشارقة قاطنو الجهة الشرقيّة عن سوريّة والفرات ابتداء من حدود سلطنة الروم وهي نصيبين فنازلاً شمالاً وشرقًا ولهذا كانت الرها في الاغلب تُحسب خارجًا عن دائرة هذهِ الكنيسة الكلدانيّة الشرقيّة * ويُراد بالمغاربة سكّان الجهة الغربيّة عن الفرات ابتداء من مملكة الفرس غربًا * اما باتّساع اللفظ فيُراد بالمشرقيّين او المشارقة الفطيركيّات الثلاث اي الاسكندريّة والانطاكيّة والقسطنطينيّة وما يليهن * وبهذا المعنى تدخل الكنيسة السريانيّة الغربيّة مع سكّانها المغاربة في لفظة المشارقة او الشرقيّين * وعليهِ لا يُراد بالمغاربة حسب هذا المعنى الثاني سوى اهل الفطريركيّة

الرومانيّة وهم الافرنج الذين يستعملون فقط الطقس اللاتيني *

وسُمّي ايضاً اهالي الكنيسة السريانيّة الشرقيّة في القرون السالفة . تارةً آراميّين وطوراً آثوريّين واحياناً كلداناً أخذاً عن اسم الممالك التي كانت مستولية على هذه الاقطار الى عهد الماديين والفُرس الذين قرضوها . ثمّ نساطرة بسبب البدعة التي تبعوها * الاّ انّ هذا الاسم قد حُفظ اليوم لتابعي البطاركة النساطرة الذين اتّخذوا كرسيهم في قوجانس * اما الذين اهتدوا منهم الى الكثلكة فقد سمّاهم البابا اوجانيوس الرابع كلداناً . وبذلك عادوا الى تسمية اجدادهم الأولى . ويُدعون ايضاً بالعموم مشارقة * اما اهالي الكنيسة السريانيّة الغربية فسمّوا ايضاً يعاقبة نسبةً الى امامهم يعقوب البرادعي ناشر القول بالطبيعة الواحدة في المشرق * ولم يزالوا متمسكين بهذه التسمية الى ان اهتدوا الى الايمان الصحيح وقوي امرهم فاستبدلوا بالتسمية الاولى الاصليّة التي كانت مشتركةً بينهم وبين النصارى سكّان الجزيرة المشرقيّة قبل انفصالهم بالبدع والانشقاق . ودُعوا سرياناً * ومن ثمّ ترى ان هذه التسمية هي جديدة ولا يحقّ لهم ان يستبدّوا بها هم وحدهم الاّ تبعاً للاصطلاح الحديث * والدليل على ذلك ان النساطرة والكلدان انفسهم يُدعون الى اليوم في القرى والجبال سرياناً ܣܘܪ̈ܝܝܐ * ويُسمّى ايضاً اهل هذه الكنيسة مغاربة نظراً الى الجهة التي كانوا اولاً ساكنين فيها *

هذا ولا يخفى على القارىء الحالة التي كانت فيها بلاد الكنيسة السريانية من جهة الدين فانها كانت حينئذٍ خابطةً في ديجور الظلام وعبادة الاصنام والمجوسيّة ما خلا اليهود الذين كانوا قاطنين في بلاد سوريّة وبعض بلاد الجزيرة والعراق فانهم كانوا يدينون بالدين الحق * واما من جهة السياسة المدنية فكانت بلاد

سورية خاضعة لملوك الروم القياصرة . وبلاد الكنيسة السريانية الشرقيّة كانت دائنةً لولاية وحكم الملوك الفرثيين والفرس الاكاسرة الذين جعلوا قاعدة مملكتهم المدائن وهي سليق وقطسفون * وكانت مدينة نصيبين غالباً كالحدّ الفاصل بين مملكتي الروم والفرس لانها كانت ساحة القتال والميدان الذي تنشبّ فيهِ الحروب بين هاتين المملكتين العظيمتين . وكانت تارةً تقع في يد الفرس وطوراً في يد الروم * فالكنيسة السريانية بالعموم كانت تمتد في كل الاقاليم المتسعة من البحر المتوسط الى مملكة الفرس طولاً . ومن حدود اسيا الصغرى وبلاد الكرج وتركستان الى بلاد اليهودية وبلاد العرب وفارس والهند عرضاً *

امّا اللغة التي كانت شائعة يومئذٍ في هذه البلاد فكانت اللغة الآراميّة او السريانيّة او الآثوريّة وهي الكلدانيّة نفسها التي كان يتكلّم بها ابونا ابراهيم لما هجر وطنهُ والتي أُنزلت بها بعض اسفار العهد القديم وكان يستعملها اليهود في سبي بابل . ولم تندرس الاّ بعد إذ نشر العرب لغتهم العربيّة * هذا وان اللغة الآراميّة الفصيحة الشائعة اليوم هي على نوعين او لغتين احداهما تُدعى شرقيّة والاخرى غربيّة فالشرقيّة هي لغة الكلدان والنساطرة حيثما وُجدوا . والغربيّة هي لغة الموارنة والسريان الكاثوليك واليعاقبة اينما وُجدوا . وليس بين هاتين اللغتين الشرقيّة والغربيّة من فرقٍ الاّ من جهة اللفظ . فان الشرقيين يلفظون الزقاف ܩܵܡܘܐ بالفتح ويُشدّدون الحرف المتحرّك اذا سبقهُ متحرّك آخر * امّا الغربيون فيلفظون الزقاف بالضم المرفوع وينفون كل تشديد * ولا مراء في أنّ لفظ الشرقيين هو الأصح على ما بيّن المدقّقون * (١ طالع كتاب القُصاري . وكتاب النحو للسعيد الذكر المطران يوسف داود)

فموضوع تاريخ الطائفة السريانيّة البيعيّ اقتصاص ما جرى في سالف الازمان من الوقائع الخطيرة منذ ابتداء النصرانيّة في هذهِ البلاد الى الآن * من ذلك مناقب واخبار رُسلنا واجدادنا الاوّلين الذين جدّوا في نشر لواء الديانة فيها وتوطيد اركانها وتوسيع نطاقها . وسيرة ايمّتها واولادها الذين ازهروا فيها بالقداسة والعلوم والفنون والآداب . واعمال المجامع الخصوصيّة التي عُقدت فيها لِسَنّ الشرائع التهذيبيّة على تابعيها . والاضطهادات والنوائب التي آذتها والانقلابات التي حصلت لها والبدع والتعاليم الفاسدة التي نشأت فيها الى غير ذلك من الحوادث الشهيرة *

الفصل الثاني

في بدء معرفة الانجيل في بلاد المشرق على وجه العموم

انّ الديانة النصرانيّة انّما انتشرت في العالم على يد الرسل الحواريّين الاثني عشر وتلاميذ المسيح الاثنين والسبعين * فانّهم بعد حلول الروح القدس عليهم ابتدأوا بقوةٍ علوية ينادون بالانجيل اوّلاً في اورشليم وبلاد سوريّة ثم تفرّقوا الى كل الاصقاع وتوجّه كلٌّ منهم الى ناحية مخصوصة من العالم ليزرع بذار الحق فيها *

وكان قد عُرف الانجيل في هذهِ البلاد قبل تفرّق الرسل على يد المجوس الذين اتوا من المشرق وسجدوا ليسوع الطفل في مغارة بيت لحم وقدّموا لهُ القرابين اعترافاً برسالتهِ الالهيّة * اذ لا بُدّ من انهم بعد رجوعهم الى هذه البلاد قد أطلعوا سكّانها على خبر الايمان المسيحي الذي كانوا قد استناروا بهِ .

فتكون بلادنا بكر المومنين بالمسيح بعد اليهود * وعليهِ فانّ الكنيسة الشرقيّة تكرّم هولاء المجوس وتخرطهم في سلك رسلها مع انّ العلماء قد اختلفوا في هل انهم من بلاد العرب او من بلاد فارس الكلدان . وهذا الاختلاف لا يضرّ بالحقيقة التي نقرّرها . وكفانا حجّةً انّ الانجيل يشهد بانهم عادوا الى بلاد المشرق الذي خرجوا منهُ . وعليهِ فيتّضح انّهم كانوا من بني الكلدان اينما كان وطنهم * لانّ كنيسة الكلدان وهي الكنيسة السريانية الشرقيّة كانت شاملة حينئذٍ بلاد العرب والعجم كما سنقف على حقيقة ذلك في سياق الكلام ومن ثمّ فهي تعدّهم بكل حقّ ما بين رسلها *

ومن بعد المجوس قد مهّد ايضاً الطريق لمعرفة الايمان بالمسيح في هذه البلاد المشارقة الذين حضروا في اورشليم كرازة الرسل الذين طفقوا يتكلمون بالسنة مختلفة بعد ان امتلأوا من روح القدس . فان مار لوقا يروي في كتاب اعمال الرسل (٢ : ٩) انهُ كان بين اولئك الذين كان كلٌّ منهم يفهم لسانهُ الذي وُلد فيهِ « فرثيّون ومادّيون والآنيّون[١] والذين يسكنون ما بين النهرين » * ثمّ يُردف ايضاً انهُ بكرازة بطرس الرسول (٢ : ٤١) « قبِل كلامهُ اناس منهم باهتشاشٍ واعتمدوا . وانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » * والحال ان هولاء الشعوب كانوا بلا شك من بلاد الكلدان . وانهم لمّا عادوا الى بلادهم اخبروا مواطنيهم بالديانة النصرانية وبالآيات التي اجترحها الرسل امامهم في اورشليم لاثبات صحّتها واطلعوهم على اصولها . وبذلك مهّدوا الطريق لبشارة الرسل الذين اتوا بلاد الكلدان للمناداة بالانجيل فيها *

(١) الآلانيون قوم من بلاد بابل وليسوا العيلاميين كما توهم البعض *

اما مَن كان الرسل الذين نادوا بالانجيل في المشرق ؟ فلا شكّ في انهم كانوا على صنفين * الاوّل يشمل الرسل الذين مرّوا في هذهِ البلاد بطريق العَرَض والصدفة . او كان مرورهم محتملاً * والثاني يُراد بهِ الرسل الذين اتوا هذهِ البلاد برسالة خصوصيّة وقضوا مُعظم حياتهم فيها او تكلّلوا ايضًا فيها بالشهادة . فهم يسمّون بكلّ حق رسلها وآباءَها لانهم بذلوا كلّ اتعاب رسالتهم لاستنارتها كما سياتي الكلام عن حال ترجمة كلّ منهم *

الفصل الثالث

في خلاصة اخبار رسل المشارقة من الصنف الاوّل

انّ رسل المشرق من الصنف الاوّل هم مار برتلما ومتّى وتدّي تلاميذ الرب * وقد اتّفق الشرقيّون والغربيّون على هذا التقليد المؤسّس على وحدة الراي اي ان الرسل الثلاثة الأَوّلين قد انذروا بالانجيل في بلاد المشرق ايضًا * امّا مار بطرس زعيم الرسل فلم ينقل بمجيئهِ للبشارة في المشرق سوى المشارقة اي الكلدان *

امّا ملخّص اخبار رسالة مار برتلما ومتّى وتدّي فهو ان برتلما الرسول نادى بالانجيل في بلاد الهند والفرس وارمينية حيث تكلّل مجلودًا ومسلوخًا جلدهُ ثمّ قُطع راسهُ * ومتّى بشّر اولاً في بلاد العرب وما بين النهرين ومادي وتكلّل سنة ٩٠ للتاريخ المسيحي * امّا تدّي فهو يهوذا الرسول نفسهُ الذي دعي تدّي لكي يتميّز عن يهوذا الاسخريوطي . فنادى بالايمان في بلاد العرب وسورية والجزيرة . ثمّ توجّه الى بلاد الفرس حيث اتّفق مع اخيهِ سمعان الملقّب بالقناني

او الغيور للمناداة بالنصرانية وتكلّلا فيها * ثم نُقلت جثمانهما الى بابل ثمّ الى رومية ووُضعت في كنيسة مار بطرس * ولا يخفى ان تدّي وسمعان القناني هما اخوا يوحنّا الصغير وابنا مريم قليوفا ومن اقارب مريم العذراء * هذا ما رواهُ الآباء الغربيّون * وكفانا حجّة لتأييد اتّفاق التقليدين الغربيّين والشرقيّين ما تركهُ لنا مسطّرًا عمرو الطيرهاني وماري بن سليمان المؤرّخان النسطوريّان ولاسيّما عبديشوع الصوباوي مطران صوبا او هي نصيبين في مختصر مجموعة قوانينهِ * (طالع جزء ٩ راس ١ : س ٣ : ٢ وجه ٣ - ٤)

الفصل الرابع

في اخبار رسل المشارقة من الصنف الثاني

إنّ رسل المشارقة من الصنف الثاني هم مار توما . ومار ادّي احد السبعين ومار اجّي وماري تلميذاهُ *

امّا خلاصة رسالة مار توما في المشرق فهي ان توما كان يسمّى يهوذا ايضًا ودُعي كذلك لانهُ كان توأمًا ونادى بالانجيل اوّلاً في بلاد الكلدان اعني الجزيرة وفارس ومادي والعراقين . ونجح في رسالتهِ ودعا الى عبادة الله الحق كثيرين من الوثنيّين بقوّة الآيات التي كان يجترحها * وكان قد أُرسل امامهُ الى ابجر ملك الرها مار ادّي لِيبرئهُ من برصهِ ويبشّرهُ بملكوت السماء * فساعد ابجر الرسولين توما وادّي في اعمال رسالتهما . ثمّ انحدر توما الى بلاد الهند فثار عليهِ اهل الجاهلية فطعنوهُ بالحراب فتكلّل في قلامينا او هي مليابور في ٢١ كانون الاوّل سنة ٧٥ للميلاد * ثمّ نقلت جثّتهُ الى الرها . ثمّ الى بلاد اوروبا

سنة ٤٤٢ . وكان لهُ في الرها كنيسة في عهد عمرو الطيرهاني اي نحو سنة ١٢٢٠ كما روى هذا المؤرّخ * (طالع ترجمة هذا الرسول في سي مجلد ٢ وجه ١ - ١٧٥ : س ٢ : ٢ وجه ٢٥ - ٣٥ : عب ٢ : ٢)

ثمّ بعد مار توما يذكر المشارقة ادّي وهو احد السبعين رسولاً . وهو اوّل رسولٍ اتى بلاد ما بين النهرين وبحسب رواية مورّخي بلادنا وتقاليد آبائنا الى يومنا هذا ان ابجر ملك الرها كان قد دعا السيّد المسيح اليهِ ليأتي ويُبرئهُ من بَرَصهِ وكان ذلك سنة ٣٠ للمسيح * فلما قدم ادّي الى الرها برأَ ابجر وعمّدهُ ، وحاشيتهُ وسكّان مدينتهِ وشيّد كنيسةً في الرها . ولذلك صار يُعَدّ اوّل اسقف عليها * ثمّ انحدر الى نصيبين وبلاد الجزيرة وآثور وباجرمي وهدى سكّانها الى الايمان وكان اينما مرّ يؤيّد دعوتهُ بالمعجزات التي كان يجترحها . واستأصل شأفة الجاهلية وقوّمها من هذه البلاد وبنى كنيسةً في كفر عوزل من بلاد حزّة وأُخرى بمدينة ارزن وكلتاهما دُعيتا باسمهِ . ثمّ عاد الى الرها بعد اثنتي عشرة سنة وتوفّي في ١٤ ايار سنة ٤٩ للميلاد . وكان ابجر الملك القديس بعدُ في قيد الحيوة . ودُفن في البيعة التي ابتناها في الرها * هذا ما نجدهُ مسطّرًا في تواريخ المشارقة ولاسيما في اعمال كنيستهم وتقليدها الذي يؤيّدهُ الآباء * (طالع ما : ص : عب ٢ : ١١) . ويُروى ايضاً ان ادّي كان اسمهُ حنّان وكان مصوّرًا . وانهُ أُرسل برفقة ماري ارسلهُ ابجر الى السيّد المسيح . فصوّر المسيح في منديلٍ واتى بصورتهِ الى الرها مع المكتوب الذي املاهُ المسيح على توما الرسول جوابًا لابجر وقد ذكر كل ذلك اوسيب المؤرّخ . وعنهُ اخذ الآباء البولنديون وكثيرٌ من المشارقة القدماء * (طالع او . ف ١ : ١٢ وجه ٦٧ : ش م مجلد ١ ٨ - ١٢)

ولم يصادق على جوهر هذا الحديث مؤلّفو اليونان واللاتين فقط بل آباء السريان القدماء ايضاً . ومنهم مار افرام الملفان شمّاس الرها المعاصر لاوسيب ويعقوب السروجي الذي كان في القرن السادس اسقف الرها وغيرهما من المؤرّخين والرواة الثقاة * فلو لم يكن هذا الحديث صحيحًا لما عضدوهُ بشهادتهم بل لوَجب عليهم ان ينكروهُ على الاطلاق * اما خبر المنديل الذي صُوّر المسيح عليهِ فلهُ اثر في اساطير القدماء المشرقيين . ويؤخذ عن تقاليد الكنيسة الرهاوية ان هذه الصورة كان يوقّرها نصارى الرها الى القرن التاسع ثم نُقلت الى القسطنطينية فأهداها ملكها في القرن الثالث عشر الى دوق الجنويين . والآن هي في يد الارمن الميكاتاريين في كنيستهم المعروفة باسم مار برتلما الكائنة في جنوا احدى مدن ايطاليا . وقد أُخذ عنها صورة فرعية توجد الآن في لان من اعمال فرنسا * اما المكتوب الذي أُرسل الى ابجر فقد اعتبرهُ السريان صحيحًا وعلى شهادتهم يستند الروم الذين يروون انهُ خُطَّ على جلد في زهاء سنة اثنتين وثلاثين ثم نقل من الرها الى القسطنطينية في عهد البطريرك ثاوفيلا * الّا انهُ في القرن الثالث عشر لمّا التهمت النار البلاط الملكي في القسطنطينية حُرق هو ايضاً مع خزانة الكتب حيث كان محفوظًا *

وقد تلمذ لادّي من الرسل الذين عاونوهُ في الانذار بالانجيل كثيرون ونخصّ منهم بالذكر اجّي الذي اقامهُ اسقفاً وخليفةً لهُ في كرسي الرها . وماري الذي ارسلهُ الى اعماق المشرق واستبدّ بتدبير كرسيّ المدائن . وفالوط الكاهن وعَبشلاما الشمّاس وبرسميا الذي صار بعد اجّي اسقفاً على الرها * ويُروى عن أجّي الرسول انهُ كان بارعًا في نسج الثياب الحريرية . وكان قد

خدم ابجر ملك الرها زماناً طويلاً بهذه الصفة . ثمّ تتلمذ لأدّي الرسول واقتبل منهُ سلطان الكهنوت وصار رفيقهُ ومساعدهُ في اكثر اسفارهِ المناداة بالانجيل في هذه البلاد * وبعد موت ادّي معلمهِ تولّى كرسي الرها وتوجّه الى بلاد آثور وفارس وجيلان المجاورة لبحر قزبين وبلغ تخوم الهند وجوج وماجوج ونشر فيها راية الانجيل * قال ماري بن سليمان « واجي السليح بعد عودة ادّي الى الرها مضى الى الجبل والأهواز وتخوم السند وما قارب اجوج وماجوج وعاد الى قردي وبازبدي وما بين النهرين والى الرها » وذكر انهُ « توفّي في اليوم الثلاثين من تموز » . اه * (طالع عب ٢ : ١٥ : س ٢ : ٢ وجه ١٢ - ٣٥)

وكان اجّي قد سمع بتخلّف معنّى لأبيهِ ابجر المؤمن في المُلك وحيدهِ عن طريقة ابيهِ واعتناقهِ للخرافات الوثنيّة * فعاد حالاً الى الرها ليقوّي شعبهُ في الايمان . ولبث يدبّر كرسيهُ ثلاث سنين * فأمرهُ معنّى ان ينسج لهُ ثياباً حريريّة فأبى معتذراً بانّ وظيفتهُ الراعويّة لا تسوّغ لهُ ذلك . فأمر بكسر ساقيهِ . وقد ايّد اعمال هذا الرسول مؤرّخو المشرق . امّا عند الغربيّين فبقي مجهولاً * (طالع ش م مجلد ١ وجه ١٢-١٤)

امّا الاثمار التي انتجتها رسالة ماري فهي انّ ماري كان قد أُسيم اسقفاً على يد مار توما او ادّي معلّمهِ . وعُيّن للبشارة بالانجيل في اقاصي المشرق فاهتدى الى الحق كثير من الشعوب بتعليمهِ وبالآيات التي كان يصنعها * قال صليبا القسّيس « ومار ماري تلمذ الراذان ثمّ المدائن بجهدٍ عظيم وتعب شديد . لانها كرسيّ مملكة الفرس وسكّانها كانوا مجوساً . ثمّ دورقني وكشكر . أوسام على كشكر اسقفاً وهو اوّل اسقف أُسيم في تلك البلاد ولذلك صار

لصاحب كرسي كشكر المقام الاوّل في كراسي المطرانيّات وناطراً لكرسيّ الفطركيّة * ثمّ انّهُ بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل العراقين والأهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن وبحر الهند » اه * (طالع ثمّه وجه ١٤-٤٠)

الفصل الخامس

في تأسيس مار ماري كرسيّهُ في المدائن . وانفصال مار ادّي ومار ماري

اسّس مار ماري كرسيّهُ في المدائن او هي سليق وقطسفون قاعدة مملكة الفرثيّين التي استولى كرسيّها مع تمادي الزمان على كلّ كنائس المشارقة التي تشيّدت في بلاد الجزيرة وفارس والعرب وتركستان والهند والصين . وكان ذلك سنة ٤٩ للميلاد * وبعد ان دبّر هذا الكرسي ٣٤ سنة توفّي في بادارايا سنة ٨٢ م * ولنا الآن في هذه المسئلة نظرٌ وهو : ان كان مار ماري هو اوّل اسقف قام على المدائن فلماذا يَعُدّ المشارقة في سلسلة جثالقتهم مار توما ومار ادّي ايضاً ؟ فنقول : لا يُنكر ان مار توما ومار ادّي كانا من اخصّ رسل الشرق فانهما هما اللذان سعيا في زرع بذار الانجيل فيهِ قبل كل احد واودعا فيهِ الكهنوت وسلّما درجاتهِ لتلاميذهما * الّا انّ الذي اقام كرسي المدائن الذي تسلّط بعدئذٍ على كل كراسيّ المشارقة هو مار ماري . فهو زعيم اساقفة المدائن ورسول المشرق ايضاً . وفيهِ اشتدّت عُرى الدين والخلافة * وزد على ذلك انّ مار توما لم يقضِ حياتهُ في هذه الناحية المشرقيّة بل انحدر الى بلاد الهند حيث نكّل * وكذا مار ادّي هو الذي اسّس بدءاً كرسيّ الرها ومع ذلك فلعناية

غير مُدركة لم يحز كرسيها تلك السلطة الوسيعة التي صارت لكرسي المدائن *

فاذا اردتَ ان نتقصّى بايّ معنى روى المؤرّخون المشارقة انّ مار ماري أسّس كرسيّ الفطركيّة في المدائن مع انهُ لم يكن هو ولا اسم الفطركيّة معروفين على ذالك العهد فاعلم: انّ اسم الفطرك اعني ابا الآباء وكذا الفطركيّة لم يُعرفا الّا بعد زمان المجمع الخلقيدوني * وكان اساقفة المدائن الذين سُمّوا بعد ذلك جثالقةً خاضعين لفطريرك انطاكيّة كما سياتي شرحهُ * فجثالقة المدائن لم يحوزوا قط شرف او لقب الفطركيّة بحق قانونيّ في اوّل الامر. لانهم لمّا خلعوا الطاعة لرئيسهم الشرعيّ بنزاعهم الى البدعة النسطوريّة وارادوا ان يقيموا لهم كنيسةً خصوصيّةً منفصلةً عن كنيسة المسيح الجامعة اختلسوا اسم الفطرك والفطركيّة في نحو بداءة الجيل السادس واستبدّوا بهِ. وشرعوا ينسبون اصل فطركيّتهم الى الرسل وتلاميذ الرب توما وادّي وماري لكي لا تظهر اقلّ شرفًا من سائر الكنائس الفطركيّة التي شادها بطرس ومرقس في رومية وانطاكية واسكندرية * فالمؤرّخون المشارقة يتكلّمون عمّا تمّ في الزمان التابع للنسطرة كانّهُ جرى في مبادىء الأمر * وعليهِ فعمرو الطيرهاني في قولهِ انّ مار ماري تسلّم الفطركيّة من الرسولين توما وادّي يتبع بذلك عادة الأزمان التابعة التي فيها استبدّ المشارقة بلقب الفطريرك وان لم يكونوا قد حصلوا عليهِ في الاجيال الأولى ثمّة *

وأهمّ الاماكن التي استنارت ببشارة مار ماري هي بلاد الراذان وكان رئيسها هلفانا ذا ثروة عظيمة فبنى فيها كنائس كثيرة وعمّر ديرًا واوقف لهُ الاوقاف * ثمّ كشكر واخيرًا دورقني القريبة من سَليق وهي قرية باداريا. وكانت قُني اخت ارطبان ملك الفرثيّين قد طلبت من مار ماري ان يشفيها

من برصها فشفاها وتنصّرت على يدهِ. ووهبتهُ ضياعها * وكانت دورقُني بيتًا للنار الاههِ المجوس. فبنى فيها كنيسةً وديرًا (١) وأُقيم فيهِ بعد ذلك مدافن لجثالقة المدائن * (طالع سي ا وجه ٨١ : ما : ص: س : ٢٢ وجه ١٩ - ٢٥)

وامتازت كنيسة كشكر ودورقُني على عهد جثالقة المشارقة اعتبارًا لتأسيسهما على يد مار ماري بانّ كرسي كشكر لمّا كان اسقفهُ قد أُسيم بيد مار ماري صار لذلك اوّل الكراسي الاسقفيّة بحيث انّ أسقف كشكر يُضحي بعد موت الفطريرك النائب الشرعيّ الى ان يُختار غيرهُ * امّا كنيسة دورقُني فلانهُ فيها دُفن مار ماري وخلفاؤهُ الجثالقة وفيها أُقيم ديرٌ ومدرسة وجُعلت كرسيًا اسقفيًا. وكان كل فطريرك جديد من بعد ان يكون قد أُسيم في كنيسة كوخي او سليق ملزومًا بمقتضى التراتيب البيعيّة ان يأتي الى زيارتها * (طالع ثمه)

واجلّ افضال مار ادّي ومار ماري على المشارقة هي اوّلًا انّهما ترجما لنا الانجيل الى اللغة السريانيّة وهي الكلدانيّة نفسها. وتُعرف هذهِ الترجمة بالبسيطة لسهولتها وخلوّها من الفصاحة والبلاغة * ولا يخفى انّ النصرانيّة كانت قد انتشرت في هذهِ الاقطار المشرقيّة. فلا يُصدّق انّ الانجيل المشتمل على اصول الديانة وترجمة السيّد المسيح قد بقي بدون استخراج الى السريانيّة اللغة الوحيدة يومئذٍ

(١) قال ياقوت الحموي « ويعرف بدير مار ماري السليح. وقال الشابشتي هو على ستة عشر فرسخًا من بغداد منحدرًا بين النعمانية وهو في الجانب الشرقيّ معدود من اعمال النهروان وبينهُ وبين دجلة ميل ونصف. وعلى مقابل دجلة مدينة صغيرة يقال لها الصافية خربة. ويقال لهُ دير الاسكول ايضًا وبالقرب منهُ دير العاقول ». وقال في دير مار مارِ « هو من نواحي سامرّا عند قنطرة وصيف. وكان عامرًا كثير الرهبان ولأهل اللهو فيهِ المام » قال الشابشتي ودير قنّا يقال لهُ الدير المارماري *

في هذه البلاد . ذلك لانهُ كان يُقرأ في كل جمعيات المومنين وكنائسهم اقتداء باليهود الذين كانوا يُدمنون هم ايضاً على قراءة التوراة * ثانيًا : انهما قد علما المشارقة رتبة القدّاس المعروفة بقدّاس الرسل ܩܘܪܒܐ ܕܫܠܝܚܐ * وكفى هذا القدّاس شرفاً انهُ اقدم القداديس المعروفة اليوم وناشيء عن السُنن الرُسلية . ذلك لانهُ في غاية البساطة وخالٍ من الالفاظ اليونانية الدخيلة ومعلوم الأُصول بحيث انّ اجزاءهُ الاصلية هي التي تميّزهُ عن الفرعية * ثالثًا : اليهما يُنسب ترتيب الطقوس البيعيّة كلّها في جوهرها وبوجه العموم * لانّ الرسل لم يعلّموا الأُمم الايمان والآداب فقط بل رتّبوا كلّ الخِدم والأسرار غير المنفصلة عن الايمان والآداب * ولا يخفى انّ هذه الاسرار تقتضي في صورتها بعض الصلوات الاستعدادية لتكميلها وبهذا المعنى يُعتبر الطقس *

الفصل السادس

في احوال الكنيسة الشرقيّة في مبادئها نظراً الى عوائدها وتهذيبها وسياستها

قد كانت الكنيسة المشرقية تتدبّر مع الوثنيّين الذين يطلبون الدخول في حضيرتها بهذا وهو انها لم تكن تضمّهم الى حضنها الّا بعد الاختبار والفحص البليغ . فكانت تمرّنهم في الفضائل وتعلّمهم اصول الديانة مدّة من الزمان . وكانوا يُدعون طالبين وسامعين . ولم تكن تُجيز لهم ان يحضروا الاسرار في المجتمعات البيعيّة الّا ليسمعوا كلام الله من اسفار العهد القديم والجديد . ولما يدنو أوان تكميل الأسرار فكانت تُصرفهم عنها . ومن ذلك نفهم معنى تلك العبارات الموجودة في القدّاس . ܡܢ ܕܠܐ ܥܡܝܕ ܠܗ ܡܫܡܫܢܐ ܕܝܢܐ

ܢܦܘܩ . ܡܢ ܕܠܐ ܡܩܒܠ ܠܗ ܪܘܫܡܐ ܕܚܝܐ ܢܦܘܩ . ܡܢ ܕܠܐ ܢܣܒ ܠܗ ܢܦܘܩ . ܘܠܗ ܡܫܡܫܢܐ ܦܬܚܘ ܬܪܥܐ *

وكان يجتمع النصارى للصلوة والعبادة في الكنائس او في بيوت روسائهم وشرفائهم وكانت عبادتهم خالية من الأُبّهة والرونق الخارجيّ الذي يُرى اليوم * فانّ الكنيسة لم ترتّب هذه الاحتفالات الخارجيّة المختصّة اليوم بتوزيع الاسرار والعبادة والصلوة ولم تُهيّء زيّاً مخصوصاً الكهنة الّا بعد ان نالت الحريّة وانتشرت واستفحل امرها *

امّا موضوع صلواتها وعبادتها فكان اكثرهُ مقصوراً على تلاوة العهد القديم والجديد وتلاوة المزامير وترانيمها . ومن هنا بدأ استعمال الصلوات القانونيّة . فانّ هذه الصلوات ازدادت بتمادي الزمان تحسّناً باضافة اجزاء كثيرة أُخذت عن فم آباء الكنيسة وتصنيفاتهم . ثم تكمّلت شيئاً فشيئاً حتى صارت على ما نراها عليه اليوم . كما سيتبيّن لنا ذلك في محلّهِ *

وكان للكنيسة قوانين لتهذيب اولادها الروحيّ ومن المشهور في تقاليد البيعة العموميّة انّ الرسل الأطهار قد سنّوا قوانين كثيرة في ذا الشأن . خاصّة في مجمع اورشليم الاوّل ولو انّ كتاب اعمال الرسل لا يُشير الى ذلك * لاننا نعلم انّ اشياء كثيرة هي من الرسم الالهي وليست مكتوبة في الاسفار المقدّسة بل اذاعها الرسل انفسهم ووصلت الينا بالتقليد . من ذلك الكتاب المعروف بقوانين الرسل * فهذا الكتاب ليس هو من تأليف الرسل بعينهم . بل انما نُسب اليهم من بعدُ بمئتي سنة . ومن حيث انهُ موافقٌ لوصايا الرسل ورسومهم التي سنّوها في الكنيسة وسالم من الغلط فقد قبلتهُ الكنيسة بمثابة مجموعةٍ تحوي ما

كان قد تسلَّمهُ آباؤنا الأوّلون من الرسل بطريقة التقليد *

هذا وانّ المشارقة يتّفقون على ذلك ويقبلون هذا التقليد ويعظّمونهُ غاية التعظيم وكفانا بيانًا شهادة عبديشوع الصوباوي الذي يقرّر عن لسانهم في قائمة المؤلّفين انّ هذهِ القوانين قد جمعها اقليميس الروماني . ويُقرّون انّ بعضها هو من الرسم الالهي بلا خلاف . وبعضها تهذيبيٌّ فرضهُ الرسل ولا يجوز تغييرهُ . كترتيب القدّاس ورسم الطقوس والعبادات والأصوام * ونجد في كتاب صلواتهم القانونيّة المعروف بالكنز (ܓܙܐ) الخاصّ بالأعياد والتذكارات شهادةً صريحةً تؤيّد هذهِ المقالة *

وامّا عن الولاية الروحيّة فنقول انّ المشرق قد كان خاضعًا لاسقف انطاكية . ولذلك نرى في اخبار هذا التاريخ انّ اساقفة المدائن كانوا يقصدون انطاكية لاقتبال السيامة منهُ الى ان أُبيح لهم ان يُسيم بعضهم بعضًا دفعًا لأهوال الاسفار المهلكة على ذلك العهد * امّا النصارى القاطنون في اقاصي المشرق فكانوا يؤدّون الطاعة لاساقفة المدائن المؤيدين منهُ . وكان اساقفة المدائن يتقدّمون على كل اساقفة المشارقة ليس فقط تشريفًا لقاعدة المملكة التي أُقيم فيها هذا الكرسيّ بل ايضًا لانّهم خلفاء مار ماري الرسول . ولم يكونوا يُظهرون هذا التقدّم في مبادىء الكنيسة الاّ نادرًا * الاّ انّهم كانوا يُعتبرون منذ بدء الامر بمثابة روساء اساقفة فارس . ثم في نحو زمان المجمع النيقاوي نالوا بإنعام فطاركة انطاكية لقب الجاثليق اي الجامع . فحازوا نوعًا من الاستقلال وازدادت ولايتهم اتساعًا حتى اصبحوا بسلطانهم قابضين على ازمّة الكنيسة المشرقيّة باسرها *

الفصل السابع

في الدول التي كانت مستولية على المشرق في بدء النصرانية واخبار المدائن

إنّ اعظم الدول التي كانت سائدة على المشرق في بدء النصرانية دولة الفرثيين التي اسّسها قبل المسيح بنحو ٢٥٦ أرشاق الذي حارب انطيوخس آخر ملوك السلوقيّين المالكين قبل هذا العهد في سوريّة واعماق المشرق واستولى على هذهِ البلاد . وكان الفرثيّون سكّانَ فرثيا التي يدعوها العرب بلاد الجبل او العراق العجميّ الواقع شرقيّ بلاد مادي *

وكان في المشرق دولتان أُخريان صغيرتان الواحدة في الرها . والثانية في حدياب وبلاد آثور التي تُدعى اليوم كردستان * وكانت دولة الرها قد بدأت فيها سنة ١٨٠ يونانيّة او هي سنة ١٣١ قبل الميلاد واستمرّت ٣٤٨ سنة وملوكها يُعرفون بالأباجرة * وكان ابجر الملك الذي آمن على يد مار ادّي يسعى في نشر الديانة في دولتهِ ويعضد النصارى ويحبهم ويذبّ عنهم * وقد ذكر الشيخ يوسف السمعاني ملخّص اخبار ملوك الفرثيّين والأباجرة الذين ملكوا في عهد انتشار النصرانيّة في هذهِ البلاد * (طالع س ٢ : ٣ زجه ٢٨ - ٤١)

امّا مملكة حدياب فكانت قد نشأت في نحو الزمان الذي قامت فيهِ دولة الرها . وكان الملك عليها في بدء انتشار النصرانيّة عزات . ورُوي انهُ كان قد اعتنق الديانة اليهوديّة . والأصحّ انّهُ كان قد تنصّر * وكان لهُ امٌّ نصرانيّة تُدعى هيلانة ذات تقوى وسخاء * ولمّا اشتدّت المجاعة في اورشليم سنة ٤٦ للميلاد امرت بارسال غلّاتٍ كثيرة من مصر لمساعدة البائسين من النصارى واليهود *

ولا يخفى ان المدن الفرثيّة او الآراميّة التي يرد ذكرها في تواريخ المشارقة ولاسيما في طفس رسامة فطاركتهم هي سليق وقطسفون وتسمّى ايضاً المدائن . وفيها كان قد بنى كسرى انوشروان ايوانه الشهير * وكانت بقرب بابل مدينتان كبيرتان على أمدٍ يسير والدجلة ينساب بينهما . الاولى تسمّى كوخي من الجهة الشرقيّة والأُخرى ماحوزا التي ذهب مار افرام الملفان في شرحهِ على (ص ١٠: ١١) من سفر الخليقة انها كلاّنا نفسها . فبنى سلوق انطيوخس احد قوّاد الاسكندر ذي القرنين الذي ملك هذهِ البلاد على آثار كوخي نفسها سليق التي دعاها باسمهِ . ثم بنى بعد ذلك احد ملوك الفرثيّين من الناحية الغربيّة قطسفون في محلّ ماحوزا التي كانت تسمّى ايضاً الكرخ * فقطسفون هي ماحوزا او الكرخ او على مقربةٍ منها . كما انّ سليق هي كوخي القديمة نفسها * ونقرأ في طفس اسياميذ المشارقة انّ الفطريرك بعد ان يكون قد أُختير في سليق يجب ان يُسام في الكرخ وهي ماحوزا او قطسفون التي دُعيت اسفانير ايضاً . وكل هذهِ المدن المختلفة تُدعى المدائن * (طالع س ٢ : ٢ وجه ٦٢٢ - ٦٢٥)

وفي ظهور النصرانية كان افراهاط مالكاً في قطسفون وهي الكبرى . وكان يملك ايضاً في سليق ارطبان ولعلّهما كانا من سلالة واحدة *

وإنما سُمّيت المدائن بالجمع لانها كانت مُدناً كثيرة قال ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان «ان هذا الموضع كان مسكن الملوك من الاكاسرة الساسانية وغيرهم . فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسهِ مدينة الى جنب التي قبلها وسمّاها باسمهِ . فأوّلها المدينة العتيقة التي بناها زاب الملك ثمّ مدينة الاسكندر ثمّ قطسفون من مدائنها ثم اسفانبر ثمّ مدينة يقال لها رومية فسميت المدائن

بذلك .... وانما سمّتها العرب المدائن لانها سبع مدائن بين كل مدينة الى الاخرى مسافة قريبة او بعيدة »*

الباب الثاني

في اخبار المشارقة الى زمان جلوس فافا الجاثليق (٨٩ - ٢٤٧ م)

الفصل الاول

في توفيق زمان جلوس جثالقة المدائن من مار ماري الى زمان فافا

إنّ التواريخ البيعيّة لا تحوي الا شيئاً نزراً عن بلاد الكنيسة المشرقية في الأجيال الاولى . وذلك لانّ مملكة الفرثيّين كانت منقلبة في الجهل ومتأخرة في التمدّن والعمران فلم يقم فيها من يودع في بطون الصحائف احوالها واخبارها . ولم يتصدّ احد المؤرّخين الى تدوين اخبار المشارقة الاّ في القرون المتوسّطة . وقد اخذوا هذهِ الاخبار عن التواترات الشائعة في عهدهم او عن ينابيع غير موثوقة . فاختلفوا فيما بينهم في ذا الشان ولاسيّما في تعيين الأزمنة التي جلس فيها جثالقة المدائن على كرسيهم . امّا كيف نوفّقُ زمان جلوس جثالقة المدائن في الاجيال الثلاثة الاولى؟ فعلى الرأي الاصحّ انّ اسباباً حريّة بالقبول لا يسعنا سردها حملتنا على ان نصوّب الراي الآتي بيانهُ المبني على التدقيق . وهذهِ خلاصة ما اتّفق عليهِ المحقّقون :

	سنة
مار ماري اسّس كرسي المدائن وجلس عليهِ سنة ٢٤ للميلاد وتوفي سنة	٨٢ م
ثمّ خلا الكرسيّ بعدهُ سبع سنين	٧
فيكون قد خلفهُ ابريس سنة	٨٩ م

	سنة
	٠٨٩ م
وجلس ابريس ١٦ سنة وتوفي	٠١٦
وخلا الكرسي بعدهُ ٢٢ سنة	٠٢٢
وخلفهُ ابراهيم سنة	١٢٧ م
وجلس ابراهيم ٢٢ سنة وتوفي	٠٢٢
وخلا الكرسي بعدهُ ٩ سنين	٠٠٩
وخلفهُ يعقوب سنة	١٥٨ م
وجلس يعقوب ١٨ سنة	٠١٨
وخلا الكرسي ٤ سنين	٠٠٤
وخلفهُ احادابوي	١٨٠ م
وجلس احادابوي ٤٠ سنة وتوفي	٠٤٠
وخلا الكرسي سنةً من بعدهِ	٠٠١
وخلفهُ شحلوفا	٢٢١ م
وجلس شحلوفا ٢٢ سنة وتوفي	٠٢٢
وخلا الكرسي بعدهُ ٣ سنين	٠٠٣
وجلس فافا سنة	٢٤٧ م
ودبّر فافا الكرسي ٦٧ سنة ومرض	٠٦٧
وناب عنهُ في مرضهِ مار شمعون برصبّاعي نحو ١٢ سنة	٠١٢
ثمّ خلفهُ مار شمعون الجاثليق سنة	٢٢٦ م

الفصل الثاني

في إمامة ابريس الاسقف

جلس على كرسي المدائن بعد موت مار ماري ابريس الذي معناهُ في الفارسية الذراع او العضد . وكان على روايةٍ من قرابة مار يوسف الخطّيب وجلس بعد ان خلا الكرسي سبع سنين * امّا قصّة اختيار ابريس فروى صليبا المؤرّخ انّ ماري الرسول قد اعلن قبل موتهِ انّ خليفتهُ في اورشليم فليُطلَب من هناك * فلما ذهب الرجال ليأتوا بهِ من اورشليم ولم يعلموا من هو المطلوب . امر شمعون بن قليوفا خليفة يعقوب الرسول في كرسي اورشليم ان تقام الصلوة ثلاثة ايام * فأوحى اليهِ الربّ انّ من يدخل الكنيسة اوّلاً يوم الاحد وقت الصلوة صباحًا هو المختار . فاذا بابريس قد دخل في الوقت المعيَّن فأخذهُ شمعون وثقّفهُ واسامهُ اسقفًا وارسلهُ الى المدائن *

امّا راي ابن العبري في ذا الشان فهو انّ ابريس كان ارسلهُ معلّمهُ ماري ليزور الاخوة في انطاكية فتوفّي ماري في تلك الأثناء * فكتب المشارقة الى انطاكية يطلبون اسقفًا . فأُسيم ابريس * ويظهر انّ هذا الرأي هو الأصحّ لانّ المشرق كانَ كان خاضعًا لكنيسة انطاكية *

وكان ابريس دمِث الاخلاق لا يغضب ولا يوبّخ احدًا الّا ويبكي . ودبّر شعبهُ بغيرةٍ عظيمة وسعى في هداية الوثنيّين الى الايمان الحقّ * واجرى المجوس على النصارى في عهدهِ جورًا عظيماً فانّهُ سنة ٩٠ للميلاد أُضرم كسرى ملك الفرثيّين نار الاضطهاد على النصارى واذاقهم امرّ العذابات * فتكلّل منهم

خلق كثير لم تصل الى يدنا اسماؤهم . وهذا هو الاضطهاد الاول * ودام الى زمان ابراهام الجاثليق الآتي ذكرهُ * (طالع ما : ص : عب ٢ : ١٩)

وجلس ابريس على كرسيهِ ست عشرة سنة وتوفي سنة ١٠٥ للميلاد * وفرغ كرسي المدائن ٢٢ سنة وهذا مما يثبت اضطرام الاضطهاد وتماديهِ على يد كسرى ملك الفرثيين * (طالع السمعاني في شان اخبار المشارقة المخصوصة بالقرن الاول ٢ : ٢ وجه ٢٨ – ٤٠)

الفصل الثالث

في اخبار الكنيسة المشرقية على عهد ابراهيم الكشكري

خلف ابريس في كرسي المدائن ابراهيم الكشكري الاول بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المدائن . وجلس سنة ١٢٧ م * وانما لُقب بالكشكري لان مسقط رأسهِ كان في كشكر . فهذا أُختير وأرسل الى انطاكية ليقتبل الاسيامية * وسعى في تدبير شعبهِ وانقاذهِ من الاضطهادات التي كانت ملمّة بهم منذ عهد سالفهِ ابريس . وكان موصوفاً بالقداسة وبعمل المعجزات تأييداً للحقيقة النصرانية وتقوية لايمان تُباعها وذا شفقةٍ على الخطاة والفقراء *

حتى انهُ استطاع بقداستهِ ان يخمد نار الاضطهاد عن النصارى . وذلك ان ابن كسرى ملك الفرثيين كان قد ابتُلي بداءٍ أعجز نُطُس الاطباء . فذُكر لهُ أمر ابراهيم وما لهُ من الآيات والقداسة * فاستدعاهُ حالاً . ولما دخل عليهِ رآهُ الملك حزيناً . فسألهُ عن السبب فأعلمهُ ابراهيم أمر الأذايا التي يقاسيها بنو شعبهِ * فوعدهُ الملك بازالتها عنهم إن هو شفى ابنهُ * فوضع ابراهيم يدهُ على

المريض وشفاهُ لساعتهِ . فزال الاضطهاد بذلك وتنصّر جمٌّ غفير من المجوس * وجلس ابراهيم الكشكري على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة وتوفي سنة ١٢٦ للميلاد . وخلا الكرسيّ بعدهُ تسع سنين * طالع : ما : ص : عب ٢ : ٢١)

الفصل الرابع

في الاضطهاد الثاني الذي اثارهُ طرايانس ملك الروم على المشارقة

اثار طرايانس ملك الروم الاضطهاد على نصارى الكنيسة الشرقية في زحفتهِ على مملكة الفرثيين الذين كانوا قد تعدّوا حدودهم واستولوا على نصيبين وما يليها فناوأهم وقصد الرها والمدائن ودخلها عنوةً سنة ١٠٥ وخرّب جانباً منها * وكان طرايانس يبغض النصارى وهو الذي ارسل اغناطيوس النوراني اسقف انطاكية الى رومية ليُعرَض للوحوش * فكان اينما اجتاز يجور على النصارى بعذابات شتّى ويقتلهم . وهذا هو الاضطهاد الثاني على المشارقة * واشتهر من الشهداء في هذا الاضطهاد برسميا تلميذ مار ادّي الرسول وخليفة مار أجّي على كرسي الرها * وكان برسميا قد هدى كثيرين من الوثنيين الى الايمان . منهم شربيل الشهير عظيم كهنة الأصنام في الرها واختهُ باريا * فلما حلّ طرايانس وقائدهُ لوجيوس عِقالَ الجور عن النصارى الأبرياء كان برسميا يحرّضهم على احتمال العذابات فتكلّل منهم خلقٌ كثير في الرها وسائر الجهات المشرقية ومنهم شربيل واختهُ المار ذكرها * واستحق برسميا هو نفسهُ جزاءً لأتعابهِ اكليل الاعتراف * (طالع ش م مجلد ١ وجه ٤٢ – ٦٨)

ويمتاز ماراغناطيوس في انهُ اليهِ يُنسب ترتيب تلاوة المزامير والصلوات

القانونيّة في الخورس على صفّين متقابلَين يجاوب الواحد الآخر على نحوٍ ما رأى الملائكة في الرؤيا يرتّلون في السماء ويسبّحون الله * وبدأت هذهِ العادة اوّلاً في كنيسة انطاكية ثم انتشرت الى المشرق ثمّ دخلت كنائس المغرب . ولهذا القديس اعتبار عظيم لدى المشارقة والمغاربة السريان * (طالع ترجمتهُ في سي ٢ : ١٩٩)

واشتهر ايضاً في هذا الاضطهاد بالمدائن ابراهيم الكشكريّ المارّ ذكرهُ الذي كان قد تعزّى اذ رأى انطفاء الاضطهاد الاوّل . ثم نغّصتهُ الهموم بسبب النكبات التي ألمّت بشعبهِ في هذهِ الغائلة . وكان لا يكلّ من تحريضهم على احتمال العذابات للظفر باكليل الشهادة * (طالع س ٢ : ٢ وجه ٤٠ - ٧٢)

الفصل الخامس

في رئاسة يعقوب الجاثليق على كرسي المدائن

فرغ كرسيّ المدائن تسع سنين بعد موت ابراهيم . امّا سبب فروغ هذا الكرسي في الاجيال الاولى فهو بُعدُهُ عن انطاكية التي كان خاضعاً لها . ثمّ خوف النصارى من الاضطهادات التي كانت تلمّ بهم وبالخصوص الانقلابات التي جرت في مملكة الفرثيّين في زحفة طرايانس ومحاربتهِ اياها *

وتمّ امر هذهِ المحاربة على هذا المنوال كان طرايانس بعد ان فرغ من امر الفرثيّين قد ترك ادريانس مع جيوشهِ نائباً عنهُ ليدبّر احوال هذهِ البلاد * وكان قد خلع كسرى ملكها وملّك مكانهُ فارطاماسباط . واذ كان راجعاً الى ايطاليا هلك في طريقهِ * فطرد الفرثيّون فارطاماسباط واعادوا ملكهم كسرى فأعطي النصارى الراحة التي كانوا قد نالوها بشفاعة ابراهيم الكشكريّ *

واختير بعد هذا الاضطراب على كرسي المدائن يعقوب بن ابراهيم ومن اوصاف يعقوب ما ذكرهُ صليبا القسّيس قال: «كان نيّر المنظر ليّن الأخلاق اصلهُ من آل يوسف خطّيب مريم العذراء . فاجتمع على اختيارهِ جميع من لهُ الاختيار فامتنع من ان يُسام ... فلم يُعنَ ... وسُلِّمت اليهِ درجات الكهنوت كلّها في وقتٍ واحد . فأحسن سيرتهُ وتدبيرهُ * وواظب على الصوم والصلوة دائمًا . وكان لا يُسيم اسقفاً الاّ مَن يشابههُ ويماثلهُ في الطهارة والقداسة بعد ان يصوّمهُ سنةً كاملة . وان كان ممّن يقدر على الصوم دائمًا الزمهُ بذلك ، فحسُنت احوال البيعة في ايامهِ . وكان اذا جلس بين اساقفتهِ ازهر كالشمس بين الكواكب » اه * ودبّر كرسيّهُ ثماني عشرة سنة وتوفّي سنة ١٧٦ للميلاد * (طالع ما : ص : عب ٢ : ٢١)

واشتهر من المغاربة في المشرق في نحو هذا الزمان الرجال القدّيسون الذين هربوا من سوريّة خوفاً من الاضطهاد الذي امر بهِ ادريانس قيصر رومية من سنة ١١٧ الى ١٣٨ ، ومنهم طوفربطس الاسقف الذي أُعطي تدبير كرسي كرخ سلوخ وهي كركوك باذن مطران شهرقرد *

الفصل السادس

في تفسيح فطرك انطاكية في ان يُسام مطران المدائن على يد اساقفة المشرق . وفي جلوس احادابوي

فرغ كرسي المدائن بعد موت يعقوب اربع سنين * وكان سبب ذلك انّ يعقوب الجاثليق كان قد اوصى قبل موتهِ ان يُرسل اثنان من تلاميذهِ وهما

قاميشوع واحادابوي الى انطاكية ليُسام احدهما في مكانهِ * فبعد ما استناح قصدا انطاكية فوجد الاعداء طريقاً الى السعاية بهما الى عامل الروم. فقيل لهُ انهما من جواسيس الفرس. فأمر بان يُصلب قاميشوع هو وفطريرك انطاكية على باب الكنيسة عُريانَين. امّا احادابوي فهرب الى اورشليم وأُسيم ثمّه. وعاد الى المدائن * (طالع ما: ص: عب ٢: ٢٢)

وسَنّ المغاربة اعني فطريرك انطاكية واساقفتهُ في شان كنيسة المشارقة ان يجمع اساقفة اقليم المشرق بعد موت مطران المدائن وينتخبوا شخصاً جديراً ويسيموهُ بمقتضى طقسهم وذلك احترازاً من الغوائل التي كانت تصيبهم في هذهِ الاسفار الطويلة * ويستند المشارقة لاثبات هذا الامتياز التنفسيي على رسالةٍ انتهم من المغاربة نعني بهم فطريرك انطاكية واساقفتهُ *

ولكن هذهِ الرسالة ليست حاصلة على كل شروط الصحّة لانهُ وان كان ايمّة المشارقة ولاسيما الصوباوي [1] وعمرو الطيرهاني يتكلمون عن هذهِ الرسالة. الّا انّ قواعد التنقيد تنفي صحتها * وذلك لانهُ يُروى فيها اوّلاً انّ المغاربة قد منحوا المشارقة فيها وبهذه الفرصة نفسها لقب جاثليق وفطريرك لصاحب كرسي المدائن * ثانياً انهم منحوهُ الاستقلال من كرسي انطاكية * والحال انّ ذلك بعيدُ التصديق. لانّ لقب الجاثليق انما قد مُنح لصاحب المدائن في عهد المجمع النيقاوي. امّا تسمية او لقب الفطريرك فلم يُعرف الّا بعد القرن السادس * هذا وانّ صاحب

(١) قال الصوباوي في قائمة المؤلّفين ما ترجمتهُ « وفي ايامهِ (يعني احادابوي) كتبت رسالة المغاربة التي بها خوّلوا الفطريركية لهذا كرسي المشرق وانفذت بتوفير على يد اغابيط اسقف عيلم » اه *

كرسي المدائن كان متعلقاً دائماً بفطريرك انطاكية ولم يخلع لهُ الطاعة الّا بعد ان نزع الى النسطرة *

ولنا ان نحكم في هذه المسالة بانّ هذه الرسالة مشبوهة بسبب الزيادات التي أُضيفت اليها. وكانت الغاية في ذلك ان يبنوا على هذه الرسالة اصل فطريركيتهم وقيامها وتثبيتها وانّ استقلالية جاثليق المدائن عن فطريرك انطاكية من بعد انحيازهِ الى البدعة النسطورية كان مستنداً على الامتياز الذي منحهُ اياهُ الآباء المغاربة * امّا ما يجب ان يُعتبر صحيحاً في هذه الرسالة فهو انّ المغاربة قد حرّروا صاحب المدائن من الإتيان الى انطاكية لاقتبال السياميذ لا غير دفعاً لاخطار الطريق * ولذلك يرتّل المشارقة ܘܪܫܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ ܡܥܪ̈ܒܝܐ ܢܒܪܟ ܠܩܬܘܠܝܩܐ ܡܕܢܚܝܐ * (طالع س ٢: ١ فصل ٥١)

امّا خلاصة ترجمة احادابوي فهي انّ احادابوي لفظة سريانية معناها اخو ابيهِ لانهُ كان اشبه الناس بأبيهِ * وكانت اورشليم مسقط راسهِ واتى المدائن وتتلمذ ليعقوب سالفهِ. وعاد بعد اقتبالهِ السياميذ سنة ١٨٠ م الى المدائن ودبّر كرسيهُ بحكمةٍ وفطنة بليغتين * وكان قد انقطعت الاضطهادات عن النصارى فنالوا الحريّة والاطمئنان في عهدهِ. وعاش الى شيخوخة كاملة. وبعد ان جلس ٤٠ سنة توفّي على الراي الاصحّ سنة ٢٢٠ م *

وينسب الصوباوي لاحاد آبوي في قائمة المؤلّفين رسالةً الى بابا المغرب. ولا يخفى انّ المشرقيّين يطلقون هذهِ التسمية على اسقف روميّة وتسمية بابا المشرق على اسقف اسكندريّة * (طالع س مجلّد ١ وجه ١٥ وخاصّةً ٢: ٢ وجه ٢٨-٤٠ في شان اخبار المشارقة المخصوصة بالقرن الثاني)

الفصل السابع

في ترجمة شحلوفا جاثليق المشارقة واخبار ايامهِ

اوّل من عُقِدت لهُ الجثلقة في المدائن شحلوفا الذي جلس سنة ٢٢١ بعد ان فرغ كرسي المدائن سنةً . وذلك بناءً على الرخصة التي نالها المشارقة من المغاربة * وكان شحلوفا من اهل كشكر عالمًا خطيبًا متعاهدًا للمساكين والمدارس مجرّبًا للامور * واستظهر في الجدال على اليهود والمجوس وافحمهم . وكان فاضلاً محبًا للفقراء حليمًا فدبّر كرسيهُ أحسن تدبير وشاد كنائس كثيرة في عدّة اماكن * (طالع ما : ص : عب ٢ : ٢٥-٢٧)

واشهر الحوادث التي جرت في ايامهِ هو انقراض دولة الفرثيين . وظهور دولة الفرس الثانية المعروفة بالساسانية * ونشأت دولة الفرس على يد اردشير الذي كان عاملاً لارطبان آخر ملوك الفرثيين على فارس * وكان اردشير عظيم الهمة . فحدّثتهُ نفسهُ ان يستبدّ بالحكم * فلما برز ارطبان لمقاتلتهِ . تأخَّرت عساكرهُ ففرّ هاربًا . فلحق اردشير ارطبان وفتك بهِ وقتلهُ . فاستولى على كل البلاد التي كانت خاضعة للفرثيين وبُويع بالمُلك وكان ذلك سنة ٢٢٧ * ولمّا استفحل امرهُ افتتح دولتي الرها وحذياب ايضًا ففرضهما في هذه السنة نفسها . وسُمّيت هذه الدولة الساسانية نسبةً الى اردشيرا و هوارتحشستا بن بابك المعروف بساسان . ويُقال لملوكها بكناية مطلقة الاكاسرة *

وجلس شحلوفا على كرسي المدائن ثلاثًا وعشرين سنة وتوفّي سنة ٢٤٤ وخلا الكرسي بعدهُ ثلاث سنين *

الفصل الثامن

في بدعة برديصان واخبارهِ

كان برديصان رجلاً سريانيًا من الرها وُلد سنة ١٥٤ للميلاد . واشتهر في عهد ابجر الرجل القدّيس ابن معنى الذي ملك من سنة ١٧٩ الى ٢١٤ م * وكان برديصان في اوّل امرهِ رجلاً صالحًا مُعتبرًا وصَديقًا لابجر الملك المشار اليهِ ومشاركهُ في العلوم * والّف كتبًا كثيرة ردًّا على مراطنة اهل زمانهِ فافحمهم . الاّ انهُ لمّا كان قد تربّى على مذهب والنتينوس المُلحد سقط في غواياتٍ كثيرة جعلتهُ ممقوتًا . وتبعهُ في الحادهِ ايضًا ابنهُ هرمونيوس *

واخصّ اضاليل برديصان انهُ اشرك بالله وزعم بوجود الهين آله الخير وآله الشرّ . وانكر قيامة الاموات وحقيقة جسد المسيح . وقال انّ جسد المسيح لم يكن ارضيًا بل سمويًا * ثمّ إنّ برديصان وابنهُ هرمونيوس فلكي يجتذبا قلوب الناس الى اضاليلهما الّفا قصائد وتسبيحات كثيرة بهذا المعنى افرغا فيها فصاحتهما وبلاغتهما . فكان الشعب يتداولها ويمتصّ منها الضلال . فاغوت كثيرين بطلاوتها من دون ان يشعروا بسمّها * الاّ انّ الله سبحانهُ اقام في ذلك الزمان لتدارك هذا الامر مار افرام الملفان فانهُ الّف هو ايضًا لتبطيل هذه التعاليم مداريش كثيرة . وعلّمها الشعب فصاروا يرتّلونها في البيعة * وقد قام بلا شك على برديصان علماء كثيرون من هذه البلاد ليدحضوا اضاليلهُ . ويذكر منهم الصوباوي ارا الذي الّف لهذه الغاية كتابًا نفيسًا ويظهر انّ شيعة برديصان قد انطفأت في نحو القرن السادس للميلاد * (طالع عب ١ وجه ٤٥)

الباب الثالث

في اخبار كنيسة المشارقة في زمان فافا الجاثليق (٢٤٧-٣١٦)

الفصل الاوّل

في اختيار فافا على كرسي المدائن والبلبلة التي نشأت بسببهِ

بعد شحلوفا أُختير على كرسي المدائن فافا . وروى ماري المؤرّخ انّ الرئاسة عُقدت لهُ بغير رضاء جماعة الآباء . وذلك بعد ان فرغ الكرسي ثلاث سنين . وكان ذلك سنة ٢٤٧ * وكان فافا شابًّا من سواد العراق عالمًا باللغتين الفارسيّة والسريانيّة . واسامهُ داود مطران ميشان او هي البصرة *

وفي عهد فافا نشأ انشقاقٌ عظيم في المشرق وكان سببهُ انّ فافا كان يُقيم اسقفين اسقفين على كرسي واحد خلافًا لعادة الكنيسة . وكان يُسيء الى الاساقفة متغاضيًا عن القيام بواجبات وظيفتهِ . فتبلبل نظام البيعة فنصحهُ الاساقفة فلم ينتصح * فاجتمع الاساقفة وعقدوا مجمعًا في المدائن لمعاتبة فافا وتوبيخهِ . فلم ينجع كلامهم فيهِ بل اجابهم بجسارة * فغضب مار ميلس اسقف السوس وتهدّدهُ بالعقوبة السمويّة . وللوقت اعترى فافا الفالج وجفّ نصف جسمهِ . وجرى ذلك سنة ٣١٦ * فارعوى فافا بعد هذه النائبة . واحتمل بصبرٍ اوجاع مرضهِ اثنتي عشرة سنة * وفوّض تدبير كرسيهِ الى شمعون برصبّاعي الذي كان اركدياقونهُ الى ان توفّي سنة ٣٢٦ * (طالع عب ٢ : ٢٧ : ما : ص : اخ : ١)

واشتهر بالمشرق من الآباء الذين اجتمعوا لمعاتبة فافا داود مطران ميشان الذي فارق كرسيهُ ومضى الى الهند وتلمذ بها خلقًا كثيرًا . وحَذَيهب

مطران جنديسابور . وعبديشوع اسقف كشكر . ويوحنا اسقف ميشان . واندراوس اسقف دير مخراق . وابراهيم اسقف تَسْتر . وميلاس الرازي اسقف السوس * (طالع اخ : ١) * واشتهر ايضًا في ايّام فافا من العلماء افراهاط الفارسي الشهير بالحكيم . وعُرِف نحو سنة ٣٢٠ م * ويذكر لهُ الصوباوي في قائمتهِ عن المؤلّفين فصل ٦٠ مُجلَّدَين مشتملين على ميامر او مقالات ادبيّة بترتيب ابجديّ * (طالع س ٣ : ١ فصل ٦٠)

الفصل الثاني

في الاضطهاد الثالث والرابع الذي ثار على المشارقة بأمر ملوك الروم

كان ملوك الروم يثيرون الاضطهادات على نصارى مملكتهم وكانت اضطهاداتهم تصل الى هذه البلاد الشرقيّة في فرصة الحروب التي كانت تنشب بين مملكتي الفرس والروم * فانّ ملوك الروم في استيلائهم على هذه البلاد كانوا يأمرون بانّ الاضطهادات التي كانوا يجرونها في مملكتهم على نصارى المغرب تجري بعينها على نصارى المشرق . من ذلك الاضطهادان المعروفان بالثالث والرابع * فالاضطهاد الثالث أَمر بهِ داقيوس الملك وذلك سنة ٢٥٠ م فهذا أَمر الولاة بالتفتيش على النصارى فآذوهم وقتلوا منهم جماعةً وافرة *

واشتهر من شهداء المشرق في هذا الاضطهاد فوليكرون اسقف بابل وفرميان واعليا وكاروزتيل الكهنة ولوقا وموسى الشمامسين * واشتهر ايضًا من المشارقة الذين تكلّلوا في هذا الاضطهاد بروميّة عبدون وسينون . وكانا من اشراف الفرس . فهذان دعتهما فضيلتهما الى زيارة المعترفين في الحبوس بقصد

تسليمهم فأُخذا اسيرين الى رومية وعُرضا للوحوش الضارية فلم تؤذهما واحتسب الوثنيون ذلك سحرًا فقُتلا بالسيف * (طالع ش م مجلد ١ وجه ٧٤ - ٨٠)

واما الاضطهاد الرابع فكان عن امر ديوقلطيانوس ملك الروم الذي انتصر على نرسيس ملك الفرس واسرهُ سنة ٣٠٢ م والزمهُ ان يتخلى لهُ عن خمس ولايات كبرى من بلاد ما بين النهرين على سبيل المهادنة * فلما تولى امرها اجرى التفتيش على النصارى الذين كانوا قاطنين فيها * واستشهد بسبب ذلك كثيرون لا يُحصى عددهم . منهم شمعون . وغوريا . وشامونا * (طالع ثمه وجه ١٠٠ - ١٠٢) واغابيوس وامين في الرها * وتكللت في نصيبين سنة ٣٠٤ البتول فبرونية التي نذرت بتوليتها لله وكانت مواظبة على خدمة الهيكل والاختلاء للصلوة والعبادة * (طالع ثمه وجه ١١٢ - ١٤٢) * وكانت البتولات يُعرفن حينئذ بينات العهد ܒܢ̈ܬ ܩܝܡܐ *

الفصل الثالث

في بدعة ماني الملحد وإفحام مار ارخلاوس اياهُ

ولد ماني في السوس احدى مدن فارس سنة ٢٤٠ م وكان اسمهُ قوربيقوس . وكان في الاصل مجوسيًا * ولما كانت لهُ سبع سنين أُخذ اسيرًا . فابتاعتهُ امرأة غنية وتبنتهُ وسعت في تهذيبهِ بالعلوم ورحلت بهِ الى بابل وتربى على مذهب زَرَدُشت الفارسيّ القائل بالهين اله الخير وهو هرمز واله الشر وهو اهريمان . وبعد موت مربيتهِ قصد السوس بلدتهُ وتنصر * فصيرهُ اسقف الاهواز قسيسًا وجادل الوثنيين واليهود والمجوس وجميع من خالف النصرانية .

وكان جسورًا محبًا للرفعة فحدثتهُ نفسهُ ان يأتي ببدعةٍ جديدةٍ يشتهر اسمهُ بها . ولكنهُ غوي بضلالاتٍ شتى حتى طردتهُ الكنيسة من حضنها * (طالع اخ ١ : عب ١ : ٦٠) * اما اخص غوايات ماني فهي انهُ اي ماني اشرك بالله اذ قال بالهين ازليين غير مخلوقين احدهما اله الخير . والآخر اله الشر . وادعى انهُ هو الفارقليط الذي وعد بهِ المسيح تلاميذهُ . وجحد قيامة الموتى وقال بتناسخ الارواح وتشبث بالسحر . واتخذ لهُ اثني عشر تلميذًا على مثال المسيح . فزادوا على خرافاتهِ اضاليل كثيرة نشروها في بلاد المشرق والهند ومصر *

الا ان الله تلافى بعنايتهِ هذا الخلل اذ اقام في هذه الاثناء لنصر الديانة ولردع ماني ارخلاوس مطران كشكر الواقعة ما بين النهرين . وكان ارخلاوس قد اشتهر بالقداسة والعلم والغيرة على حفظ وديعة الايمان وخلاص الانفس وبشفاعتهِ نجّى من الموت جماعةً من النصارى كانوا مختفين في المغاور خوفًا من العساكر التي كانت تتعقبهم * فهذا القديس لما علم بغوايات ماني احضرهُ امام جماعة البلد ليجادلهُ وكان ذلك سنة ٢٧٧ م فخرج ماني مخذولًا مُفحمًا . وفرّ هاربًا الى احدى المدن القريبة * فلحق بإثرهِ ولم يكف عنهُ حتى اخزاهُ * وقد ترك لنا مار ارخلاوس خلاصة البراهين التي افحمهُ بها * (طالع السمعاني ٢ : ٢ وجه ٤٢ - ٤٧ في اخبار القرن الثالث : ش م مجلد ١ وجه ٨٠ - ٩٦)

الفصل الرابع

في انتشار الطريقة الرهبانية في بلاد المشارقة

اعلم انهُ لم يكن في المشرق رهبانية مرتبة في القرون الثلاثة الاولى .

وذلك لسبب اهوال الزمان * وانما كان بين النصارى من الرجال والنساء قوم قانتون لله دأبهم الانقطاع عن امور العالم والانعكاف على الصوم والصلوة والنسك والاختلاء في الصوامع . الاّ انهم لم يكونوا يجتمعون في مكانٍ واحد ولم ينقطعوا في الاديرة * فالذي انشأ الطريقة الرهبانيّة اولاً كان مار انطونيوس الكبير المعروف بأبي الرهبان . فهذا زهد عن العالم وانقطع الى صعيد مصر سنة ٣٠٥ م واشتهر بالقداسة والطريقة الانفرادية فانضوى اليهِ كثيرون وتتلمذوا له * وازهر في مصر ايضاً مار فاخوم تلميذ فلامون الناسك الذي يُنسب اليهِ انشاء الرهبنة مضبوطة بقوانين الهيئة الاشتراكيّة . وحذا حَذوهُ هيلاريون بنشر هذهِ الطريقة في فلسطين وبلاد الشام فكثر عدد الرهبان واضطرّوا الى بناء الاديرة *

ونشر الطريقة الرهبانيّة في بلاد المشارقة . مار اوجين ويُعرف عند العامّة بآبون اعني ابانا على سبيل النيافة(1) * (طالع ما . ص . سي : ٢ وجه ٢٧٦) وكان منشأهُ في جزيرة من بحر الروم تُدعى قلوسما بقرب مصر وكان غوّاصاً في البحر . وكان يوزّع جميع ما كان يجدهُ فيهِ من اللآلئ على الفقراء * فتتلمذ لمار فاخوم وبإلهام الهي اتى المشرق نحو سنة ٣٣٠ م لينشر الرهبانيّة فيهِ . وسكن في جبلٍ قريب من ماردين ونصيبين يدعى جبل الإزل المعروف اليوم بجبل

(1) + قبل ان ينشر مار اوجين الطريقة الرهبانيّة في بلادنا الشرقيّة كان يوجد فيها اديرة كبيرة للرهبان والراهبات (طالع كتاب سيرة اشهر شهداء المشرق : المجلد الاوّل : المقدّمة : وجه د . وكتاب جنّة المؤلّفين [illegible] العدد ٩) * تنبيه : اعلم انهُ كلما تقدّم راس الحاشية علامة الصليب فهي تشير الى انّ الحاشية ليست من كلام المؤلّف بل من كلام فاحص الكتاب ومصحّحهِ .

الطور وبنى فيهِ ديرًا كبيرًا . واجتمع اليهِ الناس اذ رأوا المعجزات التي كان يجترحها وتتلمذوا لهُ * (طالع اخ : ١٠)

وساعد مار اوجين على انتشار الرهبانية في المشرق رفقاؤهُ الثمانية والعشرون الذين صحبوهُ من مصر وسوريّة . ثمّ تلاميذهُ المشارقة الذين اقتفوا آثارهُ في هذه الطريقة وبلغ عددهم نحو السبعين راهبًا * فهولاء تفرّقوا الى بلاد الجزيرة وفارس وبنوا الاديرة وكانوا اينما ذهبوا يعلّمون الامم طريق الخلاص . فارتفع بسعيهم شأن النصرانية * ومن اشهر رفقاء مار اوجين كان مار ميخائيل . ويوحنا واخا الاخوان . ويونان . وشليطا . ومار يارث . ومار ملكي . ومار دانيال . ومار شري . ومار حزقيال المصريّ . وكان من اشهر تلاميذ مار يعقوب اسقف نصيبين . وافرام الملفان . ومار متى المعروف بالشيخ ومار ميخا النوهدري . ويوحنا عامل نصيبين . وغيرهم *

الفصل الخامس

في الاديرة التي بُنيت في نواحي المشرق

انّ اشهر الاديرة التي تشيّدت في المشرق هي الاديرة المعروفة باسم هولاء الرهبان الأوّلين الذين مرّ ذكرهم الآن *

وقد وصف خبر مار اوجين ودير مار ماري في ترجمة قافا قائلاً : « وفي ايامهِ كان مار اوجين صلواتهُ معنا ووافى نصيبين وسكن في جبل الإزل وابرأ اولاد عامل نصيبين من امراض شديدة فاعتمد هو واهل بيتهِ . وتنبأ على ما سيكون من آريوس في البيعة وعلى مجمع الثلثمائة والثمانية عشر . وطاف بلاد

قردي وبازبدي ونصيبين وتلمذ الناس بها وشاخ وتفرّق تلاميذهُ وبنى عُمرًا واستناح ودُفن في عُمرهِ » اه * (طالع ش م مجلّد ٢ وهو تحت الطبع)

ووصف دير مار ميخائيل ياقوت الحموي في معجم البلدان قائلاً : « هو بأعلى الموصل على ميلٍ منها مُشرفٌ على دجلة ذو كرومٍ ونُزَهٍ حسنة قال الخالديّ :

بمار ميخائيلَ ان حاولتما طلبي   فانتما تجداني ثمَّ مطروحا
يا صاحبيَّ هو العمرُ الذي جُمِعَت   فيهِ المُنى فاغدُوَا بالدير او روحا

وفي مار يوحنا وديرهِ قال ماري في ترجمة بريعشمين الجاثليق « وفي هذهِ الايام ظهر مار يوحنا صاحب عُمر بازبدي وكان يَدَع كوخهُ ويطوف القرى ويُنصّر الناس وبنى عُمرًا كان قديمًا بيتًا للأصنام * وكان الرهبان اذا خرجوا بسبب الماء ترجمهم الشياطين فاخرجوا تابوت القدّيس وتركوهُ على العين وزال ذلك وردّوهُ ودفنوهُ في بيت الشهداء » * (طالع اخ : ١)

وحكى ماري عن دير مار احّا اخي مار يوحنّا المارّ ذكرهُ قال : « احّا حصل ببازبدي وبنى ديرًا كبيرًا . وكان رهبان هذا العمر يستقون الماء بالزرنوق وهو أصغر من الدالية ويتأذون وبحيل احّا القدّيس وبصلاة ايشوعسبران الراهب (الذي اتى من دير الإزل) نبع لهم عين ماء من تحت المذبح واستغنوا عن التعب وسُمّي عُمر الزرنوق » اه * قال ياقوت الحموي : « دير الزرنوق في جبل مُطلّ على دجلة بينهُ وبين جزيرة ابن عُمَر فرسخان وهو معمور الى الآن وهو ذو بساتين وخمر كثير .. والى جانبهِ دير آخر يُعرف بالعُمر الصغير كثير الرهبان والمتنزهات » اه * (طالع اخ : ١)

ونقرأ شيئًا كثيرًا من اخبار مار يونان وديرهِ في سيرة القدّيسين

والشهداء (مجلّد ١ وجه ٤٦٦) من ذلك انهُ كان من عشيرة قسطنطين الملك وكان ابوهُ من اهل ديوان الأعيان الرومانيين فتتلمذ يونان لمار اوجين * قال ماري « وكان عارفًا بالطبّ والفلسفة واطّرح العالم وتزهّد ولزم الصلوة والصوم . وورد العراق واقام بالأنبار زمانًا واجتمع اليهِ رهبان . وعبد المسيح الحيريّ بنى عمرهُ الذي هو الآن فيهِ . ونقلهُ اليهِ مار عبدا الحيريّ . ولما مات عبد المسيح دُفن في العمر في الهيكل يسار المذبح » * قال ياقوت : « ويقال لهُ عمر مَرْ يونان بالأنبار على الفرات وهو كبير وعليهِ سور محكم والجامع ملاصقهُ » * (طالع اخ : ١ : ش م مجلد ٢) . وبنى مار شليطا ديرهُ بقرب بازبدي . قال ماري : « قصد شليطا بازبدي وتلمذ المجاورين لهذا الموضع وكسر صنمًا كانوا يعبدونهُ وبنى مكانهُ ديرًا » وكان مصريًا وبنى ثلاث بيع من نفقاتهِ ثمَّ تتلمذ للأب فاخوم واتى بازبدي صحبة مار اوجين . واجترح معجزاتٍ كثيرة * (طالع ثمه) . ومار يارث كان من الاسكندرية وتبع مار اوجين معلّمهُ الى دير الإزل * ثمَّ قصد ارض باعربايا وتلمذ اهل قرية شفني الجاهلية وبنى فيها ديرهُ الذي ذكرهُ ايشوعياب الحزّي في رسالاتهِ * (طالع ثمه)

ومار ملكي كان ابن اخت مار اوجين . وخرج سرًّا من بيت ابيهِ وبلغ الى دير خالهِ في جبل الازل وتتلمذ لهُ . ثمَّ قصد قرية قريبة من نصيبين تُدعى اركح وبنى فيها ديرهُ * (طالع ش م مجلد ٢ : سي ٥ وجه ٤٢١) *

وقد وُصفت لنا ترجمة مار دانيال الطبيب في سيرة الشهداء والقدّيسين (مجلد ٣ وجه ٤٨١) وملخّصها : كان مار دانيال من مصر وتتلمذ للأب فاخوم الشهير ثمَّ واتى المشرق برفقة مار اوجين وسكن في مغارة قريبة من نهر معلثايا

في ارض نوهدرا . وابرأ ابنة عامل تلك الناحية فتنصَّر ووهب لهُ ارضاً وسيعة . وبنى مار دانيال في تلحش بيعة وديرًا كبيرًا * (طالع ثمَّه)

امَّا مار شري فكان من رفقاء مار اوجين الثمانية والعشرين . وبعد ان قضى زمانًا صحبة معلّمهِ بالنسك في جبل الإزْل القريب من نصيبين قصد جبل دارا وبنى ثمَّه ديرًا ووسَّعهُ مار سبريشوع مطران نصيبين * (طالع يشو وجه ٢)

ولنرَ الآن شيئًا من ترجمة مار متى وابن بنى ديرهُ . فنقول : كان متى قد تتلمذ لمار اوجين وسكن اولاً بقرب آمد . ثمَّ اتى وسكن في جبلٍ قريبٍ من نينوى يُعرف الآن بجبل مقلوب او كوختا * وهو الذي سعى باعجوبة باهرة بتنصير بهنام وسارة ابني سنحاريب ملك نينوى اللَّذين ظفرا اخيرًا باكليل الشهادة . وبنى مار متي ديرهُ فوق جبل كوختا وكثُر الرهبان فيهِ حتي بلغوا الالوف ولذلك سُمِّي بجبل الفاف * (طالع سي ٢ وجه ٤٠٠ : ش م مجلد ١ وجه ٢٩١ – ٢٠٥)

وقد وصف لنا شيئًا من محاسن هذا الدير وخواصّهِ ياقوت الحَمَوي في معجم البلدان قال : هو « بشرقيّ الموصل على جبل شامخ يقال لهُ جبل متى من استشرفهُ نظر الى رستاق نينوى والمَرج . وهو حَسن البناء واكثر بيوتهِ منقورة في الصخرة * وفيهِ نحو مائة راهب لا ياكلون الطعام الاَّ جميعًا في بيت الشتاء وبيت الصيف . وهما منقوران في صخرة كلّ بيتٍ منهما يسعُ جميع الرهبان . وفي كل بيتٍ عشرون مائدة منقورة من الصخر .. واذا جلس رجل في صحن هذا الدير نظر الى مدينة الموصل وبينهما سبعة فراسخ ووُجد على حائط دهليزهِ مكتوبًا :

يا ديرَ متى سقت أطلالَكَ الدِيَمُ ... وانهلَّ فيكَ على سكّانِكَ الرِهَمُ
فما شفى غُلّتي ماءٌ على ظماءٍ ... كما شفى حرَّ قلبي ماؤكَ الشَبِمُ

ونقول في مار ميخا انهُ كان من ارض نوهدرا . القريبة من معلثايا وتتلمذ لمار اوجين واشتهر بالقداسة والآيات التي كان يجترحها . وبالهام الهيّ قدم الى القوش وطن ناحوم النبيّ الواقعة في آثور وبنى ديرهُ فيها . واقام المدارس لتهذيب الصبيان ووقف لها الأوقاف * (طالع سي ٢ وجه ٥١٢ : ش م مجلد ٢)

وقد اخبرنا ماري المؤرّخ في ترجمة بربعشمين عن يوحنّا عامل نصيبين الذي تزهّد في مغارةٍ بقرب قرية كمول قال : « وفي هذهِ الأيام بُني عُمر كمول بالجزيرة وسببهُ انّ بعض خواصّ شابور كان قد تقلّد نصيبين * فلمّا رأى العجائب والنور الذي ظهر من السماء عند قتل شهدست صار يمنع شابور من قتل النصارى واطلق منهم خلقًا ووُشي بهِ الى شابور ولم يصدّق . وكان يسأل الله إغاثتهُ . وترك مملكتهُ ومضى الى الراهب مار اوجين وتعمّد . وسُمّي يوحنّا فطلبهُ شابور فلم يجدهُ * وحصل في مغارةٍ بقرب قرية كمول . وظهرت على يدهِ مُعجزاتٌ ومات ودفن في مغارتهِ . ووافى من بعدهِ الراهب اوكاما تلميذ مار ابراهام وبنى في الموضع عُمرًا » اه *

واعلم انهُ قد حُفظت الرهبانيّة في المشرق بعد موت مار اوجين وتلاميذهِ . ولم تزل متقدّمةً على قدم النجاح مزدانة بالفضائل فانّ جمًّا وافرًا زهدوا في العالم وعاشوا عيشةً نسكيّةً اقتداء بهم . منهم مار غريغور الفارسي الذي صار رئيسًا لدير الإزل وكتب قوانين حسنةً في الطريقة الرهبانيّة * ومار فثيون الشهيد ومار يوحنا الكشكريّ الذي تنسّك في دير عين دِقْلا في جبل اوروك من ناحية باجرمي وغيرهم كثيرون *

الفصل السادس

في سيرة الرهبان والخِدَم التي ادّوها للديانة

انّ سيرة الرهبان كانت متوقّفة على الارتقاء الى الكمال المسيحيّ فكان دأبهم للبلوغ الى هذا الكمال استعمال هذه الوسائط الاربع وهي: الاختلاء للتأمّل والشغل بالأيدي والصوم والصلوة * وعدا ما ذُكر قد كان يهمّهم ايضاً تدريب القريب والسعي معهُ في خلاص النفس . فانهم كانوا اذا الزمتهم المحبّة المسيحيّة يتركون الانفراد ليعكفوا على الحيوة العمليّة لفائدة القريب وتقدّم الديانة وخدمة الانسانية *

ومن اخصّ الخدم والفوائد التي اتى بها الرهبان هو اوّلاً : انهم هم الذين تفرّقوا في البلدان وبشّروا بالايمان وانتشرت على يدهم الديانة النصرانية * ويسوغ القول انهُ بعد انقطاع نسل الرسل من العالم اقام الله لمعاونة الاساقفة هؤلاء الرهبان ليقوموا مقامهم في هذه الرسالة السامية * ثانياً : انهم هم الذين كانوا اكثر ممن سواهم يبذلون الهمّة في استئصال الرذائل وتثقيف الشعب المسيحيّ في الفضائل والكمال * فكانوا يرشدون الناس بالعمل والمثل الصالح وبسيرتهم البريئة من كل عيب اكثر مما في الوعظ والكلام . فعلى يدهم نمت الفضائل في قلب المسيحيين وازهرت الكنيسة بمناقب كثير من القدّيسين والقدّيسات *

ثالثاً : انّ الرهبان هم الذين حفظوا لنا العلوم الدينيّة والدنيويّة ما بين القلاقل التي ازعجت العالم وخلّفوا لنا معارف الاوّلين واوصلوا الينا تآليفهم وآثارهم وزادوها رونقاً وكمالاً بالعيشة الاختلائية التي كانت تعينهم على مواصلة درس العلوم واتقانها * ومن ثمّ نرى انهُ منهم برز افضل الملافنة الذين زيّنوا الكنيسة

والمنابر العلميّة وشرحوا لنا بكل تفصيلٍ اسرار الديانة واصولها وآدابها وشرائعها وكتبها الالهيّة * رابعاً : انّ الكنيسة كانت منهم تختار غالباً الاساقفة لتدبير الابرشيّات في العالم . ذلك لتميّزهم بالعلم والفضيلة والغيرة على خلاص النفوس والحذاقة في سياسة الشعوب على منهاج الاستقامة *

الفصل السابع

في التئام المجمع النيقاويّ وقوانينهِ العربيّة

التأم المجمع النيقاويّ لردع آريوس المُلحد قسّيس الاسكندريّة الذي كان يزعم انّ المسيح ليس متساوياً في الجوهر مع الآب * والتأم فيهِ ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً بسعي البابا سلوستر وقسطنطين الملك الكبير وجرى ذلك سنة ٣٢٥ م . وادخلوا في قانون الرسل كلمة الهوموسيون اليونانيّة المشيرة الى العقيدة الصحيحة التي حدّدوها اي انّ المسيح متساوٍ مع الآب في الجوهر *

وكان حاضراً من المشارقة في هذا المجمع اساقفة كثيرون . منهم يوحنا مطران فارس الذي أمضى اعمال المجمع باسمهِ وباسم كنيسة فارس وكنائس الهند التي كان يسوسها بمثابة جزءٍ من اقاليم جاثليق المشرق . ومنهم مار يعقوب مطران نصيبين . ويقال انّ مار افرام تلميذهُ ايضاً كان برفقتهِ . الاّ انّ ذلك ليس مؤكّداً . وحضر ايضاً شهدُست الذي اختير بعد ذلك جاثليقاً وذلك بالنيابة عن فافا الجاثليق . ويُروى ايضاً انّ مار شمعون برصبّاعي خليفة فافا كان حاضراً مع شهدُست *

وقد اتّفق رأيُ العلماء في انّ المجمع النيقاويّ ما خلا العقيدة بمساواة

المسيح للآب في الجوهر قد سنّ قوانين أُخرى تهذيبية . الّا انهم قد اختلفوا في عددها * فان الغربيّين يدّعون انها عشرون لاغير . اما المشرقيون فيزعمون انها تبلغ السبعين قانونًا بل اكثر * وسُمّيت عربيّة لانها كُتبت عن المصاحف العربيّة اوّلًا ثمّ نُقلت الى اللاتينيّة لكنّها لم تزل موجودة عند الأُمّة السريانيّة وخصوصًا عند المشارقة في اصلها السرياني الذي اتى بهِ ماروثا مترجمًا عن اليوناني كما سنرى *

ولنا ان نحكم في هذا الخلاف انّ هذهِ القوانين العربيّة تُنسَب بلا ريب الى قوانين مجمع سرديقا الذي يُعتبر كتتمّة المجمع النيقاويّ * ومن حيث انّ الاحبار الرومانيّين والمجامع العموميّة والخصوصيّة والآباء القدّيسين قد اوردوها في آثارهم بمثابة قوانين مقبولة في الكنيسة فلا رَيب في انها ذات اعتبارٍ عظيم واسنادٍ صحيح . والّا لأنكروا قوّة إسنادها وصحّتها او لارتابوا فيها * وعليهِ فيجب الحكم بانّ القوانين العشرين الاولى هي من تحديد المجمع النيقاويّ اما الباقية فصادرة عن مجمع سرديقا *

أمّا رأي الآباء المشارقة في ذا الشان فهو انها من تحديد المجمع النيقاويّ. ولذلك هم يعتبرونها غاية الاعتبار ويجعلونها جزءًا من مجموعات فقههم البيعيّ * وقد اتّفقوا على انّ آباء المشرق المارّ ذكرهم الذين حضروا المجمع النيقاويّ قد جلبوا هذهِ القوانين الى المشرق واجروها فيهِ * ويقرّر ذلك ايمّة النساطرة كإيليا الدمشقيّ وعبدالله بن الطيّب . والصوباوي الذي يروي في قائمة المؤلّفين ق ٥٧ عن ماروثا مطران ميافارقين «انهُ جلَب قوانين الثلثمائة والثمانية عشر» * ويوافقهم فقهاء اليعاقبة وفي مقدّمتهم ابن العبريّ. فانهُ في تاريخهِ البيعيّ يؤكّد انّ ماروثا إذ

اتى سفيرًا الى يزدجرد ملك الفُرس من قِبل ملك الروم سنّ للمشارقة في فرصة التئام مجمع المدائن على عهد مار اسحق الجاثليق قوانين عجيبة وعلمهم كلّ ترتيب حميد *

وخلاصة ذلك انّ النتيجة التي يسوغ لنا ان نلخّصها من هذهِ القوانين وان لم تكن نيقاويّة وصحيحة الأصل في بعض اجزائها هي انّ هذهِ القوانين لمّا كانت ذات اعتبار وشان عند المشارقة . لا بل جزءًا من فقههم البيعيّ ودستورًا لقوانينهم التي يُرجع اليها في العمل ساغ لنا بكلّ سهولة ان نقرّفهم بالاثم الفظيع الذي أتوا بهِ بانفصالهم عن مركز الرئاسة وخلعهم رِبقة الطاعة لحبر روميّة الذي تشهد لرئاستهِ الجامعة هذهِ القوانين نفسها اذ تدعوهُ زعيم كلّ الفطاركة وخليفة المسيح على كلّ الكنيسة الذي لهُ السلطان المطلق على جميع رؤساء النصرانيّة *

الفصل الثامن

في نجاح الكنيسة المشرقيّة وسياستها وعوائدها في الاجيال الاولى

اذا سألت عن ماذا كان اصل المسيحيّين الاوّلين في هذهِ البلاد ؟ قلنا انّ السواد الاعظم منهم كانوا مجوسًا يعبدون النار وكانت المجوسيّة يومئذٍ الديانة الرسميّة في المملكة الفارسيّة * وكان القسم الآخر يهودًا كانوا قد استوطنوا هذهِ البلاد منذ سَبْيِهم الى بابل . ولمّا اشرق عليهم نور الديانة المسيحيّة هجروا المجوسيّة واليهوديّة واعتنقوا النصرانيّة *

فالاسباب التي ساعدت الديانة النصرانيّة على الانتشار خصوصًا في هذهِ البلاد كثيرة . وأخصّها ثلاثة . اوّلًا : السيرة العجيبة التي كان يسلكها الرسل وتلاميذهم

الذين خلفوهم في المناداة بايمان المسيح وارشاد الشعوب الى طريق الحق بنوع يفوق طور الطبيعة البشرية* ثانيًا : الآيات والكرامات الالهيّة التي كانوا يجترحونها لتاييد رسالتهم وصدق الديانة التي ينادون بها. ثالثًا: العذابات التي كانوا يحتملونها بصبرٍ وتجلُّدٍ من الملوك والمجوس واليهود حتى الموت * وكان هذا كلُّهُ المحرّكَ القويّ لاعتناق غير المؤمنين الديانة المسيحيّة التي تشهد بصحّتها هذه الأَدِلّة الساطعة التي لا يستطيع ان ياتي بها الاّ من كان مؤيّدًا بقوّة الهيّة *

فهكذا انتشرت الديانة النصرانيّة في المشرق حتى انّها في نحو اواخر الجيل الرابع امتدّت من بحر الروم اي سوريّة وفلسطين وبلاد العرب غربًا الى اقصى تركستان واذربيجان وآثور وفارس شرقًا . ومن ارمنيّة و بلاد قوقاس وبلاد ما بين النهرين شمالاً الى بلاد العرب وفرثيًا والعراق العربيّ وبلاد الهند جنوبًا*

ولعلّ سائلاً يسأل هل كان اختلافٌ في الكنيسة في عقائدها وآدابها وعوائدها ورسومها في القرون الاولى من النصرانيّة ؟ . فنقول انّهُ : نظرًا الى العقائد والآداب الغير القابلة التغيير لم يصر اختلاف في الكنيسة لانّها واحدة ومُنشئها واحد . وانّما زادت هذهِ العقائد والآداب ايضاحًا ليس في موضوعها بل في فهمها بحسب تقدُّم العلوم الالهيّة في الكنيسة * فالاختلاف بين ازماننا وازمان القرون الاولى قد دخل في العوائد والترتيبات التي ليست امورًا جوهريّة كالأُولى إذ يجوز لا بل يجب تبديلها وتعديلها بحسب احوال كلّ زمان بأمر الكنيسة التي لذلك أُعطيت سلطان الربط والحلّ اي لتسوس الشعوب وتسنّ لهم الشرائع التهذيبيّة الموافقة لحالهم الحاضرة *

هذا وقد قلنا آنفًا انّ الرسل قد سنّوا قوانين مختلفة تختصّ بالتهذيب

البيعيّ . فمن ذلك : انهُ لا يجلس الاّ اسقفٌ واحد على كرسيّ الابرشية سواءٌ كان هذا الكرسي اسقفيًا او مطرانيًا او جاثاليقيًا او فطريركيًا * وهذه السُنّة محفوظةٌ الى الآن في الكنيسة الغربيّة . امّا في المشرق فقد بطلت هذه العادة الجميلة بعد دخول الهرطقات اليهِ وتكثّر الشيَع المتحزّبة لها * فصارت كل شيعة تقيم لها اساقفةً مخصوصين حتى كثُر في البلدة الواحدة عدد الاساقفة بحسب عدد الطوائف المختلفة على ما سنرى *

وكان يتولّى هذه البلاد المشرقية كلّها فطريرك انطاكية . وكان سلطانهُ يمتدّ حيث امتدّت النصرانية في المشرق كلّهِ . ومع ذلك فكان للولايات والاقاليم الكبرى في المشرق رؤساء اساقفة وجثالقة يتولّون ادارتها الروحيّة وهم تحت طاعتهِ * من ذلك جاثليق المدائن الذي كان يرعى من الكنيسة السريانية هذا الاقليم الكبير الواقع تحت حكم الدولة الفارسيةَ . فانهُ كان هو المعتني بسياسة هذه البلاد والمقيم رؤساء الاساقفة والاساقفة للمدن الكبرى * وهكذا اي بمجرى الطبيعة عظمت الرئاسة لدى جاثليق المدائن حتى صار هو وحدهُ يتولّى امر كل النصارى القاطنين في الدولة الفارسيّة كلّها وبلاد الهند المتّصلة بحدودها *

ولنا ان نصف هنا النظام العجيب الذي كان في كنائس المشرق ونعلّقها بالحبر الروماني زعيم الكنيسة الجامعة . فنقول : انّ الكنيسة السريانيّة شرقيّة كانت ام غربيّة كانت كما مرّ الكلام خاضعةً في السياسة الروحية نهائيًا الى اسقف انطاكية الذي ما نال هذا السلطان العظيم الاّ لانّ كرسيّهُ كان من الكراسي الرسليّة وكان قد شادهُ مار بطرس زعيم الرسل قبل رحيلهِ الى رومية * وكان لكلّ مدينةٍ واحيانًا لكلّ قريةٍ كبيرة في المشرق اسقف يدبّرها متعلّق بجاثليق المدائن.

وكان اسقف انطاكية مثل بقية الاساقفة يؤدّي الطاعة والخضوع للحبر الروماني خليفة بطرس * وكان الفطريرك الروماني يُظهر سلطانهُ المطلق على كل الكنيسة كما كانت تقتضي احوال الزمان وإن لم يكن يستعملهُ الاّ نادرًا لاجل صعوبة الازمنة . وكفاك شاهدًا ما جرى لبقتور البابا مع اساقفة آسيا في امر تعييد الفصح يوم الاحد الواقع بعد عيد اليهود * هذا وانّ الاحبار الرومانيين كانوا يترأسون المجامع امّا بنفسهم واما بشخص نوابهم . ولم تكن تُقبل احكامها وقوانينها في الكنيسة الاّ بعد مصادقتهم عليها * وبناء على السلطان الذي كان لاساقفة الكراسي الرسلية على جميع اساقفة البلاد المجاورة لها كان يُعَدُّ الحبر الروماني اسقف الاسكندرية اوّلاً ثمّ اسقف انطاكية . ثمّ اسقف اورشليم * وسُمّي هؤلاء في مرور الزمان فطاركة اي آباء الآباء لانهم هم الذين كانوا يتولّون نَصْب رؤساء الاساقفة اي المطارين للكراسي المتعلّقة بهم بمعاونة بقيّة رؤساء الاساقفة المجاورين * وعليهِ فالنظام في المشرق كان قائمًا في انّ الاساقفة كانوا متعلّقين برؤساء الأساقفة وهؤلاء بجاثليق المدائن . وهذا بفطريرك انطاكية الذي كان هو وكلّ اساقفتهِ ورؤساء اساقفتهِ خاضعين للحبر الروماني *

وكانت تستعمل كنائس المشرق في القرون الاولى طقس الكنيسة الانطاكيّة التي هي منبع كلّ كنائس المشرق وطقوسها . وكانت هذهِ الكنائس بطقوسها كواحدةٍ اذ لا تختلف احداها عن اخواتها نظرًا الى جوهريّات الطقس* ولذلك نرى طقوس طوائف المشرق المختلفة في زماننا الحاضر اي طقوس الكلدان والسريان والموارنة متشابهة فيما بينها لانها صادرة من ينبوع واحد اي طقس الكنيسة الانطاكيّة . وامّا في الامور الفرعيّة فقد اختلفت الطقوس

منذ القرون الاولى بموجب الاصول التي تسلّمتها من الرسل وعليها بنت كلّ فطريركيّةٍ او كلّ مطرانيةٍ كبيرة طقسها * ولا يخفى ان هذهِ الطقوس لم تتكوّن كلّها في زمان واحد بل قد تكمّلت شيئًا فشيئًا بتمادي الزمان . فانّ طقوس المشارقة مثلاً التي تسلموها من رسلهم القدّيسين توما وادّي وماري قد تكمّلت في القرن الخامس والسابع على يد اسحق الجاثليق ومار آبا الكبير وايشوعياب الحزّي* وكذلك طقوس السريان اليعاقبة فانّ ابائهم قد كمّلوها في ازمنةٍ مختلفة وسنقف على تفصيل ذلك في محلّهِ *

وكانت هذه الطقوس قبل تكميلها في القرون التابعة ساذجةً بسيطة خالية من الرونق الخارجي والزيادات العرضيّة . فلم تكن تحوي سوى الجوهريّات والرسوم الاوّليّة التي تقوم منها الطقوس كما هو شأن كلّ شيءٍ ينشأ حديثًا *

الباب الرابع

في تواريخ المشارقة الى زمان انقضاء الاضطهاد الاربعيني (٣١٦ - ٣٨٠)

الفصل الاوّل

في إمامة مار شمعون برصبّاعي والاضطهادات التي اثارها شابور الملك على المشارقة

انّ مار شمعون المعروف ببرصبّاعي اي ابن الصبّاغين كان من مدينة السوس في فارس واتى المدائن وتثقّف في العلوم والفضائل واستحقّ ان يكون اركدياقونًا لفافا سالفهِ * وأُقيمَ نائبًا عنهُ في حال مرضهِ اي من سنة ٣١٦ . فبرع في السياسة البيعيّة بالخبرة التي ظفر بها في خلال سنين طويلة ثمّ

خلف فافا في كرسي المدائن بعد موتهِ وكان ذلك سنة ٣٢٨ *

ولم يكن نصارى المشرق مستريحين من الاضطهادات التي اصابت اهل مملكة الروم في القرون الثلاثة الاولى فانّ ملوك الفرس وملوك الروم انفسهم في امتداد حكمهم الى هذه البلاد كثيرًا ما اذاقوهم العذابات كما مرّ الكلام عن الاضطهادات الاولى الاربعة * الاّ ان هذه الاضطهادات لم تكن عموميّة وقاسية كالاضطهادات التي ثارت على نصارى مملكة الروم * ولم تدم الحال اخيرًا على هذه الصورة بل انقلبت . فانّهُ بعد ان نال نصارى المملكة الروميّة السلام والراحة بتنصّر قسطنطين الملك . تنغّصت كنائس المشارقة بالاضطهادات العموميّة التي احتملتها من ملوك الفرس *

واوّل من نشّم بهذه الاضطهادات في مملكة فارس شابور الاوّل الملقّب بذي الاكتاف وكان قسطنطين الملك قد بعث اليهِ برسالةٍ فيها يوصي بالنصارى الذين تحت سلطان شابور اذ بلغهُ خبر الجور الذي كانوا يكابدونهُ منهُ * ولم تُصب مع ذلك هذه الوصية الغرض لعدم مبالاة شابور يومئذٍ بملوك الروم إذ كان يضمر في نفسهِ العداوة لهم وقد اظهرها اخيرًا باعلان الزحف على بلاد الروم * ومن اخصّ اسباب هذا الاضطهاد هو انّ الديانة النصرانيّة كانت قد ملأت الجانب الاكبر من مملكتهِ . واقتبلها أُناسٌ شرفاء حتى من اهل بلاطهِ . ورفضوا عبادة النار التي كانت الديانة الرسميّة للمملكة * ومن اخصّها ايضًا بغض الفرس للروم اعدائهم في السياسة اذ اصبحت النصرانية ديانتهم الرسميّة * هذا وانّ اليهود انفسهم حرّشوا شابور على النصارى ليبردّوا فيهم غليلهم * فأثار شابور في مدّة ملكهِ اربعة اضطهادات قاسية . الاوّل في السنة التاسعة لملكهِ .

وهو الاضطهاد الخامس على المشارقة. والثاني في الثامنة عشرة لملكهِ وهو السادس. والثالث في الثلاثين ولم يتقدح نارهُ تمامًا الاّ في الحادية والثلاثين وهو السابع *

امّا الاضطهاد الخامس فثار على نصارى المشرق في سنة ٣١٩ وفيها ابرز شابور امرًا عامًّا بقتل النصارى ان لم يرتدّوا عن ايمانهم . واعظم الشهداء الذين تكلّلوا فيهِ سلطان ماهدوخت واخواها آذرفروا ومهرنرسا . وقد كتب قصتهم جبرائيل الشهرزوري . وقد طبعها الاب بيجان في المجلد الثاني من كتاب سيرة الشهداء . وكان هؤلاء القدّيسون الشهداء ابناء ملك في ارض درساس في ناحية باجرمي اسمهُ بولار . واقتبلوا الايمان المسيحي على يد مار عبدا القدّيس اسقف حَرْبَتْ جلال . ولمّا بلغ ذلك شابور الملك استشاط غضبًا وامر بقتلهم . فقتلوا بحدّ السيف * (طالع ش م مجلّد ١ : ١٤٢ - ١٦١)

والاضطهاد السادس كان في سنة ٣٢٨ وكان اشدّ من الخامس . فضيّق على النصارى بجبايات ثقيلة وهُدمت الكنائس وأُحرقت الأديرة . وصار الولاة يجبرون النصارى على التمجّس . وممن اشتهر في هذا الاضطهاد زيبنا ولعازر وماروث ونرساي وايليا ومهري وحبيب وسابا وشيمبيتي ويونان وبركيشوع . وقد كتب جهادهما اشعيا بن حدابو من خيالة الملك وكان معاينًا وهو مطبوع في المجلد الثاني من كتاب سيرة القدّيسين والشهداء طبعة الأب بيجان * (طالع ثمّة وجه ١٦١ - ١٦٩) وتكلّل ايضًا فيهِ مار معنا اسقف كرخ سلوخ والعذارى تقلا ودانانق وطاطون ومامًا وامزكيه وأَنا * (طالع ثمّة وجه ١٧٠-١٧١) وفي سنة ٣٣٢ تكلّل دادو وكان رئيس الجيش في بلاد مادي . وكوبرلاه بن شابور الملك واختهُ قازو الاذان اعتنقا الديانة النصرانيّة على يد دادو الشهيد * (طالع ثمّة وجه ١٧١ - ١٨٩) وفي

سنة ٢٤٠ تكلّل مار شابور اسقف بيت نيقاطور واسحق اسقف كرخ سلوخ . واما مار شابور فامر بهِ الملك فضُرب ضرباً شديدًا قاسيًا على فيهِ حتى انّ جميع اسنانهِ قُلعت . ثم كُبّل بالحديد وأُودع سجنًا ضيقًا ومات فيهِ من شدّة الضربات . واما مار اسحق فرُجم بالحجارة * (طالع ثمه وجه ١٨٩ - ١٩٢)

واما الاضطهاد السابع فكان الأطول والأقسى ودام اربعين سنة اي الى موت شابور ولهذا يُدعى الاضطهاد الاربعيني . وكان بدؤهُ في سنة ٣٤١ وثقّل شابور على النصارى بالجزية وتأدية ضعف الضرائب المفروضة في شرائع المملكة . وفتح على النصارى ابواب الظلم واقترح انواعًا مختلفة لابادتهم *

واشتهر في هذا الاضطهاد لمقاومة شابور شمعون برصبّاعي الجاثليق . فانّ شابور كان قد الزمهُ بان يجمع هو بنفسهِ من النصارى هذه الأتاوى المضاعفة . ولمّا كان ذلك من اكبر المظالم لوجهين مختلفين . كتب اليهِ شمعون رسالةً قويةَ المتنة يبيّن لهُ فيها ان ذلك ليس من وظيفتهِ وانّ النصارى لا يلتزمون بسبب هذه الحيثيّة ان يؤدّوا لهُ ضعف الضرائب * ثمّ قال لهُ ان كنتَ بهذه الحجّة تريد ان تضطهدني فانا في يدك فعذّب واجلد واذبح واقتل . فاني لا ارهب من الموت حبًا برعيّتي التي من اجلها تقلّدتُ المنصب وأُوكل اليّ امر الاهتمام بخيرها وخلاصها . فهنيئًا لي لو استطعتُ ان اقتدي بسيّدي يسوع المسيح الذي بذل نفسهُ عن خرافهِ . اما شعبي فانهُ مستعدّ ليؤثر على هذه الحيوة الفانية الموت الذي يُنيلهُ الخلاص الأبدي * وكان من هذا الجواب المملوّ حماسة انّ شابور اغتاظ فاصدر امرًا بأن يُقتل كلّ رؤساء الدين المسيحيّ وتُخرّب بيوت القدس . وتُضبط كلّ المعابد المخصّصة لهُ * ثمّ اردف فقال : واما شمعون المتجاسر فليُؤتَ

بهِ اليّ مقيدًا ليدافع عن نفسهِ * فقُتل في هذه المذبحة عدد وافر من النصارى حتى انّ عدد الشهداء الذين تكلّلوا في هذه الأثناء تجاوز حدّ الاحصاء . وكفاك شاهدًا انّ ماري المؤرّخ يؤكد لنا انّ شابور قتل في باجرمي وكرخ سلوخ فقط مئة وستين الفًا وفي آثور واربل وبلاد الجزيرة ثلاثين الفًا فتأمّل *

الفصل الثاني

في خبر انتصار مار شمعون الجاثليق ورفقائهِ المعترفين

كان من امر مار شمعون الجاثليق انهُ لما قيّد بالأغلال أُخذ هو واثنان من كهنتهِ وهما حنانيا وعبدهيكلُ الى مدينة ليدن عاصمة بلاد الأهواز حيث كان الملك . فأمرهُ شابور بالسجود لآلهتهِ وصار يتملّقهُ تارةً ويتوعّدهُ اخرى فقال لهُ : اسجد للشمس الالهِ الاعظم فتخلص . ولا يجرّنك جنونك الى السجود لالهٍ عُلّق على خشبة العار * فاجابهُ شمعون انّ الهي هذا الذي تستخفّ بهِ هو بارىء كل الكائنات وهو الذي انكسفت الشمس الهك ساعة موتهِ حزنًا عليهِ لكنهُ قام بعد ثلاثة ايام وصعد ممجّدًا الى السماء بقدرتهِ غير المتناهية وسيأتي ليدينك ويعاقبك عقابًا صارمًا ان لم تتّعظ * فلما عجز شابور عن مقابلتهِ بالكلام امر فأُلقي القدّيس في السجن *

وارعوى في هذه الاثناء على يد مار شمعون كوهشتزد مربّي شابور . وكان ذا جاهٍ في قصرهِ وكان قد آمن بالمسيح ثم ارتدّ خوفًا من خسارة وظيفتهِ لدى شابور * فلمّا رأى مار شمعون مكبّلاً بالسلاسل على باب القصر حرّكتهُ النعمة الالهيّة الى التوبة فخرّ امام مار شمعون وحيّاهُ . فحوّل وجههُ عنهُ . فأحسّ

كوهشتزد بقوّة هذا التوبيخ وعاد الى بيتهِ ولبس الحِداد إشارةً الى تندّمهِ واكتئابهِ. فلمّا شعر بهِ شابور انفطر قلبهُ حزنًا وصار يتململهُ . ولمّا لم يستفد سوى التعب امر بقطع رأسهِ وكان ذلك يوم خميس الفصح *

وقضى مارشمعون زمانهُ بالحبس في الصلوة والعبادة والتلهّف الى الاستشهاد. ولاسيما بعد ان سمع باستشهاد كوهشتزد فانّهُ كان يتضرّع الى الله قائلاً : يا رب هَب لي ان انقض شوكة الموت لألحق بهذا التائب الذي احسدُ حظّهُ لانّهُ سبقني الى الحيوة * وكان قد وافى يوم خميس الفصح فاضطرم حبًّا بسيّدهِ الذي رسم في مثل هذا اليوم سرّ محبّتهِ العظيمة . فقرّب القدّاس في السجن وهو حامل جسد الرب بيمينهِ وكان الكاس في شمال قسيسهِ حنانيا * والّف حينئذٍ تلك الترنيمة اللطيفة ܟܡܐ ܕܡܬܕܡܪ ܘܕܚܝܠ التي تُشِفُّ عن اعتقاد النصارى الأولين بحضور المسيح في سرّ القربان * (طالع اخ : ١: ص: ما : عب٢ : ٢٢) *

امّا شابور فاستدعى اليهِ شمعون القدّيس ثانيةً . وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الذي فيهِ تتذكّر الكنيسة آلام المسيح . وأفرغ قُصارى مجهودهِ ليستميلهُ الى الكفر بدين المسيح * ولمّا لم يستفد سوى الخيبوبة أَمر بقطع رأسهِ ورأس كلّ رفقائهِ الذين كانوا في السجن . وكانوا زهاء مئة رجل كان قد أَتى بهم شابور من جهات مختلفة ومنهم خمسة اساقفة وكثيرٌ من الكهنة ومن سائر طغمات الاقليروس * ولا يسعنا هنا ان نصف الفرح الذي شمل المعترفين لدى سماعهم بحكم الموت بينما كان شمعون يشجّعهم بكلامهِ المؤثّر ويقوّي عزمهم على الشهادة من اجل ايمان المسيح فانّهم لمّا عرض الوالي عليهم أَمْرَ الملك صرخوا كلّهم بصوت واحد : انّنا مسيحيّون فافعل بنا ما شئتَ * وهكذا بين

هذا الهتاف امضى الجلّادون سيوفهم بالمعترفين امام القدّيس قاصدين إرهابهُ بهذا المنظر المؤلم . لكنّهُ لم يزدد الّا ثباتًا . وشرع هو يحرّض المعترفين قائلاً : لا تخافوا يا اولادي انّ المسيح ربكم قد بذل نفسهُ عنكم . فاذا شاركتموهُ في الآلام فسوف تشاركونهُ ايضًا في السعادة والغبطة وكان من خطابهِ حينئذٍ العونيث الذي ترتّلهُ الكنيسة الكلدانيّة في قدّاس الاحد الجديد : [illegible] * (طالع ش م مجلّد ١ وجه ١٩٣-٢٢٤)

وفي يوم السبت الذي عقب جمعة الآلام تكلّل مار فوسي وكان هذا القدّيس من ارباب المناصب وكان يخفي النصرانية في قلبهِ فاتّفق انهُ شهد هذه المذبحة فرأى حنّانيا القسّيس مرتعدًا فأخذ يشجّعهُ قائلاً : لا تخف يا حنانيا غمّض عينيك فانّ ضربة السيف تنقضي في لحظة فاستدعاهُ شابور وعاتبهُ . فاقرّ فوسي بانهُ مسيحيٌّ فأمر بقطع لسانهِ وسلخ جلدهِ ثمّ بقطع راسهِ * (طالع ش م مجلد ١ وجه ٢٢٤- ٢٤٧) وفي احد القيامة تكلّلت ابنتهُ مرتا وكانت من بنات العهد * (طالع ثمّه وجه ٢٤٧ - ٢٥٢) وجرت مذبحة عظيمة في بلاد الاهواز الى الاحد الجديد حتى انّ عدد الشهداء لم يكن يكادُ يحصى * (طالع ثمّه وجه ٢٥٢ - ٢٥٦)

الفصل الثالث

في مناقب مار شمعون وتآليفهِ وآثارهِ

تعتبر الكنيسة المشرقيّة مار شمعون الجاثليق من افضل آبائها وقدّيسيها الذين تفتخر بهم وذلك لسموّ قداستهِ ومناقبهِ . وعليهِ فبكلّ صواب نتّخذهُ من اعظم محاميها واوليائها الكرام . لانهُ هو اقدم الآباء الذين ادرجت تآليفهم بعد تآليف

الرسل في صلواتها القانونيّة * وممّا يغلب الظنّ فيهِ انّ مار شمعون قد خلّف لنا شيئاً كثيراً من التصانيف وقد استعملتهُ الكنيسة السريانيّة الشرقيّة . وربّما الغربيّة ايضاً في صلواتها القانونيّة . الّا انّ الزمان لم يحفظهُ لنا . ولعلّ كثيراً من صلوات كنيستنا هو من تآليفهِ ولو لم يُعرف بتحقيق انهُ مؤلّفها . امّا المعروفة اليوم باسمهِ فهي بعض عونيثات اي قصائد روحيّة . من ذلك ܠܟܘ ܡܪܐ ܕܟܠܐ ܡܘܕܝܢܢ و ܬܘܕܝܬܐ ܣܘܓܝܐܐ و ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܡܪܢ ܕܦܪܩܬܢ وايضاً الترنيمتان المارّ ذكرهما اي ܕܩܝܡܬܐ ܕܡܪܢܝܬܐ ܘܕܝܘܡܐ ܕܟܠ ܚܕܒܫܒܐ ومن مؤلّفاتهِ ايضاً رسائل روحيّة ذكرها الصوباوي في قائمة المؤلّفين ولنحس الطالع لم تصل الى يدنا * (طالع س ٣ : ١ وجه ٥١)

ويُذكر من مآثر هذا القدّيس انهُ اوّل من ادخل في الكنيسة المشرقيّة ترتيب تلاوة الصلوات القانونيّة بصفّين متقابلين . وكان قد اخذ هذا النظام عن مار اغناطيوس اسقف انطاكية * وعلى اسم مار شمعون كنائس كثيرة بُنيت في المشرق منها في ليدن حيث تكلّل . ومنها ايضاً في المدائن . وجرت العادة ان يزورها فطاركة المشارقة بعد سياميذهم * وقد ذكر ياقوت الحمويّ ديراً باسم صبّاعي قال « وهو في شرقيّ تكريت مقابل لها مُشرف على دجلة وهو نزهٌ مليح عامر » اه *

ولشهيدنا هذا الجليل عيد تحتفلهُ الكنيسة السريانيّة في الجمعة الاولى بعد القيامة محوّلاً اليها من جمعة الآلام التي فيها تكلّل ويُعرف بعيد المعترفين * امّا الداعي لهذه التسمية فهو انّ هذا اليوم قد كان بدءاً مخصّصاً لتذكار هذا القدّيس ثمّ جُعل بعد ذلك عامّاً لكلّ المعترفين اي الشهداء الذين تكلّلوا

في كل الأزمان اعترافاً بالايمان * (طالع سي مجلد ٢ وجه ١٢٨ – ٢٠٧) وجلس مار شمعون الجاثليق على كرسي المدائن ١٣ سنة وكان تكليلهُ سنة ٣٤١ *

الفصل الرابع

في جلوس شهدُسْت على كرسيّ المدائن واستشهادهِ

اعلم انهُ بعد موت مار شمعون برصبّاعي لم يجسر احد على الجلوس على كرسيّ المدائن خوفاً من الاضطهاد . فلبث الكرسيّ فارغاً نحو ثلاثة اشهر حتى دفعت الغيرة شهدُسْت فقدّم نفسهُ لخدمة الشعب المسيحيّ * وكان شهدُسْت اركدياقون سالفهِ مار شمعون وابن اختهِ . وُولد في السوس مدينة فارس . واختير ورُسم خفية في بيت احد المؤمنين في سابق لانّ شابور كان قد هدم كلّ البيَع * ومن مناقب شهدُسْت انهُ كان شيخاً طاهراً ذا غيرةٍ على خلاص رعيّتهِ ممتلئاً من روح الله . وكان يعتني في سياسة شعبهِ ويرسم الأساقفة سرّاً خوفاً من تشتّت شمل المؤمنين * وذُكر عنهُ انهُ قبل ان يقتبل اكاليل الشهادة رأى في حلمهِ كأنّ سلّماً رأسها في السماء وعليها مار شمعون وهو ينادیهِ قائلاً : « اصعد اليّ ولا تخف فقد رقيتها انا امس وانت سترقاها بعدي » وهكذا كان * فانهُ وُشي بهِ الى شابور فأمر بالقبض عليهِ وعلى مئة وثمانين شخصاً فأُتي بهم الى ليدن حيث كان شابور . وأُلقوا في السجن ولبثوا فيهِ نحو خمسة اشهر يقاسون امرّ العذابات * (طالع ما . ص . عب ٢ : ٢٧ اخ : ١)

وفي خلال هذه الأشهر أُوقف المعترفون امام عمّال شابور ثلاث مرّات ليستميلوهم الى الكفر . وفي الآخر أُحضروا امام الملك فسعى بجذبهم الى رأيهِ بالوعد

والوعيد . فلم يرَ منهم سوى الثبات في ايمانهم . فأمر بان يُقتلوا عن آخرهم . في كرخ ليدن * وتكلّل مار شاهدوست سنة ٣٤٢ * (طالع ش م وجه ٢٦٨-٢٧١)

الفصل الخامس

في ذكر اعظم الشهداء الذين تكلّلوا في هذه الاثناء

من اعظم الشهداء الذين تكلّلوا بعد مار شمعون برصبّاعي مار ميلس القدّيس اسقف السوس * وملخّص ترجمتهِ وخبر استشهادهِ انهُ نشأ في ارض رازيق في بلاد الفرس وكان من بيوت الأشراف * واقتبل الايمان المسيحي وقصد عيلم وهدى كثيرًا من الناس . ثمّ اختير اسقفًا على مدينة السوس لما شوهد فيهِ من آثار القداسة . فلم يزدد الاّ غيرةً على خلاص النفوس واستئصال آثار المجوسيّة . ثمّ حجّ الى القدس الشريف وعرّج على مصر ليزور رهبان الصعيد . ثمّ عاد الى المشرق وتلمذ لمار اوجين وتعرّف في نصيبين بمار يعقوب اسقفها حين كان يبني بيعتها . ونزل الى المدائن وازال البلبلة التي كان قد احدثها فافا الجاثليق * ولما عاد الى كرسيهِ سمع الوالي بصيت أعمالهِ العجيبة فأحضرهُ وتلميذيهِ ابورسيم وسيناي وأمرهم ان يسجدوا للشمس * فانتهرهُ ميلس وتهدّده بالعقاب الالهي على ظلمهِ . فغضب الوالي وضرب بسيفهِ كتف القدّيس ثمّ عقبهُ اخوهُ ايضًا فضرب جنبهُ بخنجرهِ . فاشرف المعترف على الموت وتنبّأ عليهما قائلاً : من حيث انكما كليكما تعدّيتما على الغريب ظلمًا فغدًا في مثل هذا الوقت يسفك احدكما دم الآخر فتلحسهُ الكلاب وتمّ ذلك سنة ٣٤١ * (طالع سي ٢ : ٢٦٠ : اخ)

ولم يخلّف لنا مار ميلس شيئًا من التصانيف الاّ انّ الصّوباويّ يذكر لهُ في قائمة المؤلّفين رسائل وميامر في موادّ شتّى لم تصل الى يدنا * (طالع س ٢ : ١ وجه ٥١) وأمّا ما كان من أمر ابورسيم وسيناي فانهُ حُكم عليهما بالرجم * (طالع ش م وجه ٢٦٠ – ٢٦٨)

ومن أشهر مَن تكلّل في السنة الاولى من الاضطهاد القديسة تربو اخت مار شمعون برصبّاعي واختها وخادمتها البتولات * (طالع ش م وجه ٢٥٦ – ٢٦٠) وفي السنة الثالثة تكلّل برشبيا رئيس الدير مع رفقائهِ الرهبان العشرة . وفي السنة الرابعة تكلّل دانيال الكاهن ووردة الراهبة ويوحنا اسقف اربل ويعقوب قسّيسهُ ونرساي اسقف شهرقرد ويوسف تلميذهُ وفي السنة الخامسة ابرهام اسقف اربيل والمئة والعشرون شهيدًا بقرب المدائن . وكان منهم تسع عذارى وكان الباقون كهنة وشمامسة واقليروسيّين لبثوا في الحبس نحو ستة اشهر يقاسون أمرّ العذابات ثمّ قُتلوا بحدّ السيف . وفي السنة السادسة تكلّل حنانيا في اربل * (طالع ترجمة هولاء جميعًا في ش م وجه ٢٧٢ – ٢٨٢)

الفصل السادس

في جلوس بربعشمين الجاثليق على كرسي المدائن واستشهادهِ واخبار سائر الشهداء الذين تكلّلوا الى السنة الخامسة عشرة من الاضطهاد

خلف شهدُست في كرسي المدائن بربعشمين اي ذو الاربعة الاسماء وكان ذلك سنة ٣٤٢ للميلاد * وقد وصف لنا المؤرّخون الشرقيّون ترجمتهُ وهاك خلاصتها : كان بربعشمين ابن اخت مار شمعون برصبّاعي . وكان من باجرمي .

وتثقف منذ نعومة اظفاره في العلم والفضيلة فاصبح رجلاً تقياً متزهّداً عن العالم. فرُسم أوّلاً اسقفاً ثمّ اختير جاثليقاً في المدائن خفيةً في بيت احد المومنين * (طالع ما. ص. عب ٢ : ٢٩. اخ : ١) واخذ بعد ذلك يسعى في القيام بمهامّ وظيفتهِ على احسن منوال. فكان يرسم الاساقفة وينظر في تدبير شعبهِ خفيةً * واذ كان البيعيون حينئذٍ يتميّزون عن عامة الناس بثيابهم الخاصّة وزيّهم وهو زيّ الرهبان الانطونيّين وكان يُقبَض عليهم ويُقتلون أمر بربعشمين بان يلبسوا الثياب البيض خوفاً من فتك شابور بالبيعة *

فطار صيت بربعشمين الى الملك فأمر بالقبض عليهِ وأُتي بهِ الى ليدن عاصمة الأهوازيّين مع ستة عشر رفيقاً من كهنة وبيعيّين. فأُذيقوا امرّ العذابات * ولمّا خاب الأمل من جذبهم الى رأيهِ. أمر بقطع رؤوسهم. وكان ذلك سنة ٣٤٧ * (طالع ش م وجه ٢٨٢ - ٢٩٠) ومن أشهر مَن تكلّل في السنة السابعة فصاعدًا من الاضطهاد يعقوب الكاهن. ومريم اختهُ من بنات العهد. وكذا تقلا ورفيقاتها الأربع من بنات العهد ايضاً * (طالع ثمّه) امّا في السنين التابعة فكان شابور قد انشغل عن الاضطهاد بمحاربة الروم * الاّ انهُ في نحو السنة الخامسة عشرة من الاضطهاد الموافقة لسنة ٣٥٦ أخذ يجدّد أوامر الجور. فجاد كثيرٌ من الشهداء بنفوسهم اعترافاً بالايمان. ومن اشهرهم بَرْحذبشبّا الشمّاس في بيعة اربل وايثالاها رئيس احبار شربيل الآلهة أربيل وحبصه خادمهُ * (طالع ش م وجه ٣٠٦ - ٣١١)

الفصل السابع

في ترجمة مار يعقوب النصيبينيّ

ممّن اشتهر بين آباء الكنيسة المشرقيّة في اواسط الجيل الرابع مار يعقوب اسقف نصيبين احدى مدن ما بين النهرين التي كانت حدّاً لمملكتي الروم والفُرس * وقد وصف لنا ملخَّص ترجمتهِ المؤرّخون الشرقيّون فقالوا: مار يعقوب ولد في نصيبين. ومنذ نعومة اظفارهِ سار في طريق الفضيلة وأجاد فيها وتتلمذ لمار اوجين وسكن في مغارةٍ قريبة. وكان ينزل كلّ سنةٍ من مغارتهِ ليتلمذ الناس كما روى زوزومينوس. وشاع صيت قداستهِ فاختير اسقفاً على نصيبين *

وكانت حياتهُ بعد ان رُسم اسقفاً شبيهةً بالطريقة الرهبانيّة. فانهُ لم يكن ينقّص شيئاً من حياتهِ القشفيّة. بل زاد عليها ما تفرضهُ عليهِ هذه الوظيفة الجديدة من الخِدم الخيريّة لشعبهِ. فزجر وعلّم وثقّف وفتح مدارس للصبيان. وأقام معلّماً عليها تلميذهُ افرام الشماس الشهير * وكانت غيرتهُ على مجد الله عظيمة جدّاً وتشهد لها رسالتهُ الجميلة التي بعث بها الى اساقفة المدائن في فرصة البلبلة التي نشأت فيها بسبب فافا جاثليقها الذي قترسوهُ وفيها يحرّضهم على المحبّة والاتّفاق. ومن مآثرهِ ايضاً الكنيسة الفاخرة التي بناها في نصيبين *

وعُرف مار يعقوب في مملكة الروم في فرصتين مختلفتين. اي لمّا حضر المجمع النيقاوي. وحين تدشين بيعة القيامة التي بناها قسطنطين الملك في اورشليم * فانّ مار يعقوب كان قد أُستدعي مع بقيّة الاساقفة ليحضر هذا

الاحتفال . فدعاهُ المؤرخون الغربيّون فخر اساقفة الفرس وجهبذًا فريدًا في معرفة الكتب الالهيّة * وجاد الله على يعقوب النصيبيني بانوار سماويّة وهبة روح النبوّة واجتراح العجائب . من ذلك انّ الله انزل العقاب بآربوس الملحد بصلواتهِ وصلوات اسكندر اسقف قسطنطينيّة . وانّهُ بشفاعتهِ خلّص الله نصيبين مرّتين من هجمات الفرس . (طالع ترجمة هذا القدّيس في ش م المجلّد الثاني . سي ٤ : ٢٦٢) * وكانت نصيبين يومئذٍ تحت حكم الدولة الروميّة . ولذلك كان النصارى فيها مستريحين وخالصين من الاضطهاد ولكنّها من بعد موت مار يعقوب وقعت في يد الفرس . فرحل جماعةٌ منهم الى الرها وكان من جملتهم مار افرام واولوغ اسقفها *

ولا يُعلم هل خلّف لنا مار يعقوب شيئًا من التصانيف ام لا . الّا انهُ من المؤكّد انّ هذا القدّيس كان من اشهر علماء عصره وكفاهُ فخرًا انّهُ كان معلّم مار افرام الملفان ولا بدّ انّهُ خلّف لنا تصانيف كثيرة بيعيّة في السريانيّة لغة هذه البلاد * الّا انّهُ لسوء الحظّ لم يصل الى يدنا شيء يُعرف بتاكيد انّهُ من تصانيفهِ . لان تقادم الاجيال قد محا ذكرها وتمييزها * امّا ما نُشر بالارمنيّة والسريانيّة باسم مار يعقوب النصيبينيّ فقد تاكّد لدى المحقّقين انّهُ من تآليف افراهاط الفارسيّ او يعقوب السروجيّ * (طالع السمعاني مجلّد ١ وجه ١٧ - ٢٤)

وتوفّي مار يعقوب سنة ٣٣٨ وقُبر في نصيبين في الكنيسة التي بناها بعد ذلك احد ملوك الروم على قبرهِ . ولعلّها الكنيسة التي بناها هو في حياتهِ . ثم جُدّدت بعد موتهِ والى الآن نشاهد آثار قبرهِ * وكانت الكنيسة منذ زمان طويل بيد المشارقة الكلدان الّا انّهُ قد ضبطها منهم حديثًا اليعاقبة بقوّة الحكّام .

ويُروى انّ جسد مار يعقوب قد نقلهُ مار اولوغ الى الرها بعد ان وقعت نصيبين بيد الفرس . وخلف مار يعقوب في كرسيّ نصيبين وَلَغش ܘܠܓܫ الى سنة ٣٦١ كما روى التاريخ الرهاوي *

الفصل الثامن

في ترجمة مار بهنام وسارة اختهِ الشهيدين

كان مار بهنام واختهُ سارة ابني سنحاريب مالك آثور . وكان العمّال العظام على الولايات الكُبرى يُدعون في ذلك العهد ملوكًا ولو كانوا خاضعين لملوك الفرس * وقد اخبرنا كيف جرى تنصّر بهنام واختهِ سارة المؤرّخون السريان قالوا : خرج بهنام ذات يوم للصيد وطارد صيدًا ولم يتمكّن من تأثرهِ حتى صار الليل فنام الى لحف جبل قريب من نينوى * فظهر لهُ ملاك في الحلم . وامرهُ ان يرقى الجبل ويتتلمذ لمتّى الشيخ الناسك . فقام وصعد الجبل واقتبل العماذ وكانت اختهُ سارة مضروبةً بالبرص . فاتى بها الى الشيخ متّى وطلب اليهِ ان يُبرئها لكي تتاكّد لديهِ صحّة الديانة النصرانيّة . فصلّى الشيخ ملبيًا وانبع ماء وعمّذ سارة فبرئت من برصها *

ولكنّ سنحاريب تلقّى هذا الخبر عن ابنيهِ بغضب ودعاهما الى الاشتراك بعبادة الجمهور . فخرج بهنام باختهِ ورفقائهِ الى مار متّى يطلب بركتهُ . فانفذ سنحاريب سيّافًا ليأتي برؤوسهم فقتلهم عن آخرهم * وتخلّى عن بهنام وسارة . الّا انّهما سألاهُ ان يضرب عنقيهما . فاجاب الى ذلك . ونالا اكليل الشهادة سنة ٣٥٢ * وامّا ما جرى من سنحاريب . فانّ الله عاقبهُ بمرض شديد حتى ارعوى وتنصّر

على يدي مار متى الشيخ فشفاهُ من مرضهِ . وهو الذي بني الدير المعروف اليوم بدير مار بهنام في نينوى ووضع جثمان الشهداء فيهِ * (طالع سي ٢ : ٢٩٧ . ش م مجلد ١ وجه ٢٩١ - ٣٠٦)

الفصل التاسع

في ملخص اخبار الشهداء الذين تكللوا في السنين الأُخرى من الاضطهاد الاربعيني

لم يكن يكفُّ شابور عن اضطهاد النصارى وان انشغل عنهُ احيانًا في اوان حروبهِ وتعاطي مصالح الدولة . فكان في كلّ مدّة يصدر الأمر بقتل المسيحيّين ولم يكن للعمّال في بلادهِ همٌّ سوى التفتيش عليهم واقتراح انواع العذابات لقهرهم . فكان يُقتل منهم في كلّ سنةٍ عددٌ لا يُحصى وكلّما زاد فيهم قتلاً زادوا باضعاف ذلك عددًا وبسالةً ونجابةً *

ومن اشهر الشهداء الذين تكلّلوا في السنة التاسعة عشرة من الاضطهاد الاربعيني قرداغ امير اربيل وقد وصف لنا ملخّص ترجمتهِ المؤرّخون السريان قالوا : كان قرداغ من سلالة الملوك . وكان حريصًا على المجوسيّة ومقدامًا في الحرب * ونصبهُ شابور الملك عاملاً على اربيل . فبنى قلعةً على تلٍّ يُدعى ملقي واقام فيها * وكان في احد الجبال القريبة من اربيل راهبٌ قدّيس يُدعى عبديشوع فتقدّم الى قرداغ واقنعهُ بصحّة الديانة النصرانيّة وعمّدهُ . الّا انّهُ لم يكن يجسر على المجاهرة بها * واذ كان قرداغ يومًا مشغولاً في المباحث الدينيّة مع ذلك الراهب هجم على دار إمارتهِ الأعداء فسلبوا وسبوا خلقًا كثيرًا وكان من جملتهم ابو قرداغ وامرأتهُ وحاشيتهُ * فنذر ان يجاهر بديانتهِ اذا رجع

ظافرًا من محاربة اعدائهِ فآتاهُ الله النصر . فدكّ معابد النار وأقام مكانها الكنائس فغضب شابور وقبض عليهِ . فلم يلتفت الشهيد الى وعدهِ ووعيدهِ . وبعد ان أذاقهُ عذاباتٍ شديدة مدّة سبعة اشهر أمر برجمهِ على باب قلعتهِ . وكان ذلك سنة ٣٥٩ للميلاد * وشُيّد في محل رجمهِ ديرٌ عظيم على اسمهِ . ولمار قرداغ في طقس المشارقة تذكار موقعهُ في جمعة الأحد السابع من القَيظ * (طالع ترجمة هؤلاء الشهداء في ش م مجلد ١ وجه ٢١١ - ٢٥٦ . سي ٢ : ٤٤٣ . اخ : ١) واشتهر من الشهداء في السنة الثالثة والعشرين من الاضطهاد الأسرى الذين اسرهم الفرس في استيلائهم على بازبدي المعروفة اليوم بجزيرة ابن عُمَر. وكان عددهم ينيّف على التسعة الآلاف من الرجال والنساء والصبيان. ومنهم كان هليودورس اسقف بازبدي ودَوسا ومارياب الكاهنان * وكان قد مرض هليودورس في الطريق فرسم مكانهُ دَوسا اسقفًا . وتكلّل هؤلاء الأَسرى في بلاد الفرس التي نُفوا اليها . امّا دَوسا ومارياب فقُتلا بحدّ السيف في قافتا القرية القريبة من جبل ماسبدان * (طالع ش م ثمّه . سي ٢٠٢ - ٢٩٦) واشتهر في السنة الثانية والثلاثين يعقوب القسيس وازاد الشماس * (طالع ش م ثمّه) وممّن تكلّل في السنة الثالثة والثلاثين الشهداء الاربعون . وكان منهم عبدا وعبديشوع اسقفا ولاية كشكر وستة عشر كاهنًا وتسعة شامسة وستة رهبان وسبع من العذارى * وتكلّل في هذهِ السنة ايضًا بِذما رئيس ديرٍ بجانب بيت لافاط وطنهِ مع تلاميذهِ السبعة وآدونا الكشكريّ مطران عيلَم الذي بنى ديرًا في بلاد قردو * ومن اشهر الشهداء الذين تكللوا في السنة الاخيرة من الاضطهاد الاربعيني* عَقبشما اسقف بلد حونيتا من قرية فَقعا . ويوسف الكاهن من قرية بيتكانوبا

وابثالاها شماس كنيسة بيت نوهدرا * وكان قد قُبض عليهم سنة ٣٧٧ فلبثوا ثلاث سنين يعانون امرّ العذابات . ثمّ قطع راسهم سنة ٣٨٠ * (طالع ترجمتهم في ش م مجلد ١ وجه ٣٥٧-٣٩١ . سي ٣ : ٣٣٥ - ٣٩٦)

الباب الخامس

في تواريخ المشارقة بعد زوال الاضطهاد الى موت يابالاها جاثليق المدائن (٣٨٠ - ٤٣٠)

الفصل الاوّل

في امامة تومرصا واخبار ايّامهِ

بعد ان هلك شابور الملك سنة ٣٨٠ استراحت الكنيسة المشرقيّة من الاضطهاد فانّ اردشير وشابور الثالث الملكَين لاشتغالهما بالقلاقل والفتن الداخلية لم يتصدّيا لاضطهاد النصارى * فافتكر النصارى بعد هذهِ الحرّيّة في ان يقيموا جاثليقاً لكرسيّ المدائن الذي فرغ بعد تكلّل بربعشمين نحو اربعين سنة . فاختاروا تومرصا. وكان ذلك سنة ٣٨٩ * هذا ولنا في فراغ كرسي المدائن بعد بربعشمين وقبل تومرصا نظر وهو انهُ من القريب الى الصواب ان نفترض انّ جاثليقاً آخر لم يعرفهُ المؤرخون المشارقة جلس على كرسي المدائن بين بربعشمين وتومرصا فانّ فوسيبوس اسقف قسطنطينية يذكر انّ احد اساقفة سلبق واسمهُ بيسوس كان هو ومارونا اسقف ميافرقين بين مَن حضر مجمع انطاكيّة المنعقد سنة ٣٨٣ * (طالع حاشية ١ على عب ٣ وجه ٤٣)

امّا تومرصا ويسمّيهِ ابن العبري تمّوزا . فكان من بلاد كشكر واشتهر بالعلم والفضيلة والزهد وسعى في اصلاح الاضرار التي احدثها الاضطهاد في الكنيسة بشان التهذيب وقاسى اتعاباً شتّى من المجوس بسبب غيرتهِ على الديانة النصرانية ونجاحها * ورسم الاساقفة للكراسي الفارغة وبنى ورمّ الكنائس التي كان قد خرّبها المجوس . وطاف البلاد للبشارة بالانجيل وتعليم حقائقهِ . ولم ياذن بالدخول في الرهبنة الاّ للشيوخ لتناقص المومنين بالاضطهادات * وجلس تومرصا على كرسيّ المدائن ثماني سنين وتوفّي سنة ٣٩٧ * (طالع اخ : ا . ما . ص . عب ٣ : ٤١)

الفصل الثاني

في هرب المعترفين الروم الى بلاد الفرس والأديرة التي اسّسوها فيها

كان سبب هرب المعترفين الروم الى بلاد الفرس انّ والنس ملك الروم الذي خلف يوبنيان التقيّ قد والى الآريوسيين واضطهد ذوي المعتقد الصحيح . وآذاهم واساء السيرة فيهم . فالتزموا ان يهاجروا الى بلاد الفرس حباً للراحة والسلام والانعكاف على عبادة الله . وسكنوا دير ريشا الواقع في ناحية المرج من بلاد آثور . وكان هولاء المعترفون رجالاً فاضلين بالقداسة والعلوم احتملوا اضطهاداتٍ كثيرة من اعداء الديانة * وكان بينهم سبعة اساقفة ومن اجلّهم يوحنا المطران . وكان قدومهم الى بلاد الفرس نحو سنة ٣٨٨ للميلاد بعد خمود نار اضطهادات شابور الملك * (طالع توما المرجي . والسمعاني ٣ : ٣ وجه ٨٦٨) ونفع هولاء المعترفون بلاد المشرق في امورٍ كثيرة . منها البشارة بالانجيل

وهداية المجوس وزرع بذار الحقائق المسيحية وتأييد الديانة بالمعجزات التي كانوا يصنعونها . واسّسوا الأديرة الكثيرة للاختلاء والعبادة *

اما الاديرة التي اسّسها الاساقفة السبعة فهي :

(١) دير ريشا بقرب ناحية المرج وسكن فيهِ اولاً الاساقفة السبعة قبل ان يتفرّقوا *

(٢) دير نيرب برزي في جوار قرية قوب الكائنة في الزيبار . وبناهُ يوحنا زعيم هولاء الاساقفة *

(٣) دير افرام في الموضع المعروف بالوادي العميق وهو غير افرام الملفان *

(٤) دير حنانيشوع في جوار قرية حطارا *

(٥) دير مار ايثالاها فوق قرية لالش *

(٦) دير مار يشوع رحما الشهير بدير البطمة *

(٧) دير مار حبيس في جوار قرية حنس *

ومن الاديرة التي تنسب الى هولاء الاساقفة القدّيسين او الى تلاميذهم .

(١) دير ادّي القدّيس بقرب راما *

(٢) دير الطوباوي غريغور بقرب قرية بريلي *

(٣) دير مار اسحق بقرب قرية حربي *

(٤) دير آبا بجوار قرية ساطي *

(٥) دير مار ابراهام بقرب قرية ساطي نفسها *

(٦) دير مار اجّي في نيربا بجوار الزاب *

الفصل الثالث

في ترجمة الاسكندر رئيس الرهبان واخبار مار عبدا وتلميذيهِ عبديشوع ويابالاها والأديرة التي اقاموها على الفرات وفي بابل وبلاد العرب .

روى توما المرجيّ انّ الاسكندر كان رئيس الرهبان المعروفين بالسُهّر او غير النائمين . وعاش بالزهد سنين طويلة وهدى كثيرين الى الايمان ومنهم رابولا الذي صار اسقفاً على الرها . وبنى ديراً على نهر الفرات * وتمتاز قوانين رهبانيّتهِ في انهُ قسم رهبانهُ الذين كانوا من الروم واللاتين والسريان الى ستّة اقسام وعيّن لكلّ قسمٍ زماناً يقوم بالتراتيل الروحيّة الالهية . فاذا قضى قسمٌ زمانهُ تبعهُ القسم الآخر وهكذا بالتتابع لكي تبقى الصلوة بذلك دائمة ليلاً ونهاراً *

وممن اشتهر في عهد تومرصا الجاثليق بالقداسة ونشر الرهبانية مار عبدا وتلميذاهُ عبديشوع ويابالاها وكان ذلك في نحو السنة ٣٨٥ . ثم مار يوحنا الكشكري . ومار غريغور فانّ هولاء هم الذين نشروا الرهبانيّة في بابل وبلاد العرب وما بين النهرين كما ترى الآن من ملخّص تراجمهم * (طالع أخ : ١ . ١٠ . ص)

كان مار عبدا من اهل دورقُني وتربّى في اسكول بلدهِ وتمهّر ورُسم قسّاً ونصّر خلقاً كثيراً من المجوس * وبنى ثلاثة اديرة الاوّل دير قني القرية التي كانت فيها مقبرة الجثالقة بقرب كوخي . واضاف اليهِ اسكولاً جامعاً . وتمهّر فيهِ اجّي ويابالاها الجاثليقان * والثاني دير صليبا بقرب الغُلّ وهي القرية التي على نهر صرصر . وكان بعد قتل النصارى قد ظهر في هذهِ القرية صليبٌ بهيئة شجرة فسُمّي هذا الدير دير الصليب * والثالث دير باكسايا وفي السريانية ܕܝܪ ܟܣܝܐ

وهي بلدة اسقفية في هوفركيّة المدائن متّصلة ببادرايا واحيانًا بكشكر ايضًا *

وعبديشوع كان من بلد ميشان من قرية يقال لها ارقلونا . وتمهّر في اسكول مار عبدا الذي اضافهُ الى ديرهِ بدورقوني ثمّ رُسم قسًّا * وبنى ديرًا في ميشان وديرًا في الحيرة . وتلمذ اهل متوث وميشان واتّصل خبرهُ بتومرصا الجاثليق فجعلهُ اسقفًا على دير مخراق . وتاذى منهم فخلّف عصاهُ ومغفرهُ عندهم وخرج في الليل الى جزيرةٍ في اليمامة والبحرين وعمّد اهلها وبني فيها ايضًا ديرًا . ثمّ عاد الى ديره في ميشان فتوفيَ هناك *

امّا باباذاها فانهُ تمهّر في اسكول مار عبدا وكان معاصرًا لمار اسكندر رئيس الرهبان السهر. وخلف مار عبدا في رئاسة الدير بعد مار احّي . وكان مار عبدا ارسلهُ الى دسقرة ابيشوم الواقعة بقرب مار حزقيال النبيّ ليتلمذ اهلها * ولمّا اتمّ هذه الرسالة اختار الانفراد فبنى ديرًا على شاطىء الدجلة . واجتمع اليهِ الاخوة وقسمهم ثلاث فرق وكلّ فرقة كانت تتلو الصلوات في الزمان المعيّن لها . وتتبعها الفرقة الثانية ثم الثالثة تشبّهًا بالملائكة الذين لا ينقطعون عن التسبيح لله . وكانت فرقتان منها تلازمان خدمة المرضى والغرباء وتدبير مصالح الدير * (طالع س ٢ : ٢ وجه ٨٦٩ - ٨٧١)

وكان يوحنا الكشكريّ من ناحية كشكر في بلاد بابل ولذلك يُعرف بالكشكريّ . وبعد ان تمهّر في العلوم قصد دير كشكر الذي أصلحهُ ورمّهُ بعد ذلك مار جاني تلميذ مار ابراهام مصلح الرهبنة في بلاد المشرق * واشتهر يوحنا بالمعجزات والقداسة . وخدم زمانًا المذبح في عين دقلا التي في جبل اوروك من بلاد باجرمي * (طالع اي عدد ١٠)

امّا غريغور فكان فارسيًّا وقصد الرها وقرأ العلوم على موسى ملفانها . ثمّ اتى جبل الإزل وانقطع للعبادة والّف كتابًا في الطريقة الرهبانيّة * وبعد ان اشتهر في القداسة قضى نحبهُ في دير الإزل ودُفن ثمّه * (طالع ثمّه ١٢)

واشتهر في اواسط القرن الرابع مار ابراهيم القيدوني الحبيس . وقيدون قرية بقرب الرها . وتوفي في ١٤ ك ١ سنة ٣٦٦ وعاش نحو ٧٠ سنة بعد ان صرف خمسين سنة في حيوة نسكيّة . وقد خلّف لنا ترجمة في السريانيّة مار افرام الملفان(١) وما قد رواهُ في الحاشية عنهُ يتفق كلّ الاتفاق مع هذه ترجمته * (طالع س ١ : ٢٩٦)

الفصل الرابع

في ترجمة مار افرام الملفان

إنّ من نبغ في العلم والقداسة في النصف الثاني من القرن الرابع بين آباء الكنيسة السريانيّة مار افرام الملفان العظيم المعروف بالسرياني وانّما لُقِّب بالسريانيّ لانهُ كان آراميًّا لغةً ووطنًا وجنسًا والآراميون إن مشارقة وان مغاربة كانوا وقتئذٍ يُدعون كلّهم سريانًا وعليهِ فلا يسوغ لاحدى الطائفتين الكلدانيّة والسريانيّة بالمعنى الحاضر ان تدّعي بهِ دون الأُخرى * (طالع وجه ٢٧ وما يتبع) امّا ترجمة مار افرام فهاك ملخّصها : كان ابوهُ كاهنًا للاصنام في نصيبين وكانت امّهُ نصرانيّة من الرها فعلّمتهُ اصول الديانة النصرانيّة . فطردهُ ابوهُ من بيتهِ * فلجأ الى مار يعقوب اسقف نصيبين فربّاهُ هذا وثقّفهُ في العلوم والفضيلة وعمّدهُ في السنة الثامنة والعشرين من سنّهِ . واقامهُ معلّمًا في مدارسهِ

(١) ونشرها يوسف لامي المستشرق في بروكسل سنة ١٨٩١ عن اربع نسخ مخطوطة *

وبعد موت مار يعقوب معلّمهِ ووقوع نصيبين في يد الفُرس رحل الى الرها سنة ٣٦٢. وزهد في الدنيا وسكن في مغارة في احد الجبال وتتلمذ لهُ كثيرٌ من الرهبان * وكان يقضي افرام زمانهُ بالتقشّفات والصلوات والتأمّلات المستطيلة وبتآليف الكتب الجليلة التي يكلّ اللسان عن وصف بلاغتها وسموّ معانيها * وكانت غيرتهُ على خلاص القريب تلجئهُ في الغالب الى ترك صومعتهِ والدخول الى المدينة لتعليم المؤمنين ومحاربة الهراطقة(١) *

فكان اذن لا يفتر من التعليم والارشاد * وحدثت في الرها مجاعة كبيرة فشرع يحرّض الاغنياء ليساعدوا الفقراء ونال منهم مقدارًا وافرًا من الصدقات فوزّعها على الفقراء * ومن اوصافهِ انهُ أخزى الهراطقة وبالاخصّ تُبّاع برديصان وابنهِ هرمونيوس وكانت الهرطقات قد فشت في الرها . فشرع يصنّف القصائد البديعة لدحضها * وكان برديصان وابنهُ هرمونيوس قد الّفا اغاني شتّى ووضعاها في السن الاحداث فكانوا يترنّمون بها فيسري سمّها الى قلوبهم * فاتّخذ افرام هذه

(١) لا صحة لما قيل عن مار افرام انهُ سافر الى مصر واقام فيها ثماني سنين . ثم ذهب الى قيصرية فزار مار باسيليوس . لانّ مار افرام انتقل من نصيبين بعد نهاية سنة ٣٦٢ وتوفي سنة ٣٧٣ . فان كان سفرهُ الى مصر صحيحًا فينتج انهُ لم يمكث في الرها الا سنتين لا غير . الامر الذي ليس من المحتمل . كذلك ليس صحيحًا ما قيل في قصتهِ عن الهونيين انهم في زمانهِ حملوا على الرها ونهبوا وقتلوا . فانّ خروج الهونيين على ما بين النهرين كان في سنة ٣٩٦ اي في السنة الثالثة والعشرين من وفاة مار افرام . وكذلك غلط ايضًا ما جاء في القصة انهُ في زمان مار افرام اتى والنس الملك مدينة الرها ونفى اسقفها برسا وان القديس كتب ميمرًا عن هذا الاضطهاد . فانّ نفي برسا كان في شهر ايلول سنة ٣٧٣ اي ثلاثة اشهر بعد وفاة مار افرام . وغير ذلك (طالع مقدّمة المجلّد الثاني من سيرة اشهر شهداء المشرق الذي هو تحت الطبع) *

الطريقة بعينها والّف اناشيد موزونة تليق بالترتيل وعلّمها للصبيان والعذارى فكانوا يترنّمون بها في المحافل والكنائس وانطبعت حقائقها في اذهان العامّة . وبذلك تنقّت الرها من الضلال * (طالع سي ٣ : ٦٢١ . اخ : ١٠ س : ٢٤ - ١٦٤)

ولمّا علم افرام بوقت منيّتهِ جمع اليهِ تلاميذهُ الرهبان وسائر معارفهِ من الاقليروس والنُسّاك المجاورين وشرع يوصّيهم وصيّتهُ الاخيرة الشهيرة المفعمة من عواطف التواضع والايمان والفقر * وهي طويلة ومن اجلّ ما جاء فيها قولهُ « انا افرام اموت واكتب هذه الوصيّة لتبقى ذكرًا لكلّ احد * الويل لي انّ حياتي قد دنت الى الزوال . قد قضى الاجير سنتهُ . الويل لك يا افرام من يوم الدين اذا وقفت قدّام منبر ابن الله * بحياتكم يا تلاميذي لا تقبروني تحت المذبح ولا في الهيكل اني خاطئ فلا يغبطني احد . ولا يضع احد في جنازتي خزًّا ولا ثوبًا فاخرًا بل اقبروني بقميصي وقباعتي لانّي مملوءٌ من الخطايا وقد عاهدتُ الهي ان أُدفن في مقبرة الغرباء لاني غريب مثلهم . زوّدوني بالصلوات والمزامير والقرابين واذا انقضى اليوم الثالث فاذكروني يا اخوتي لانّ الاموات ينتفعون من القرابين التي يصنعها الاحياء . وتوفّي افرام سنة ٣٧٣ للميلاد * (طالع ترجمة هذا القدّيس في المجلّد ٢ من ش م) *

واذا ساغ لنا ان نقول كلمة في مؤلّفات مار افرام قلنا انّ تآليفهُ عجيبة وتحوي كلّ معنى من المعاني الدينيّة والادبيّة * وكفى مار افرام شرفًا مؤبّدًا انّ الكنيسة السريانيّة شرقيّة كانت او غربيّة قد استعملت قصائدهُ في طقس عبادتها اذ كان بعد حيًّا * ومن اعجب الوصف في ملفاننا انّ ملافنة الكنيسة قد انفرد كلّ منهم في باب من المسائل الدينيّة . امّا مار افرام فقد جمعها كلّها

واكثر تآليفهِ منظومة نظماً بديعاً * ومما اشتهر بهِ ملفاننا انهُ مع ما في تآليفهِ من العذوبة والدقّة كان يحصر معاني كثيرة في اقوالٍ قليلة . ولذلك فهو بكلّ حقّ يُلقَّب بنبي السريان وشمسهم وعامود البيعة وكنارة الروح القدس * ومؤلّفات مار افرام لا تُستقصى فانهُ مع ما بذلهُ اولو الهمّة من البحث على تصانيفهِ لتُنشر بين ايدي العلماء والعامّة بقي الى الآن كثير منها لم يمكن اكتشافهُ * والصوباوي يعدّ لنا في قائمة المؤلّفين ما كان يعرفهُ على عهدهِ لا غير . ويذكر لهُ ما خلا شرح الاسفار المقدّسة كتباً ورسائل في امانة البيعة . وميامر . وخطباً منظومة ومداريش . وتسبحاتٍ . وتراتيل مختصّة بالموتى . وتآليف مرتّبة على الحروف الابجديّة . وجدالاً مع اليهود . ودحضاً لماني وبرديصان ومرقيون وهوفاطوس . وردّاً على نفاق بوليانُس[١] ومن أجلّ تآليف هذا الملفان الميامر في يوسف الصدّيق التي طبعها طبعةً ثانيةً الاب بيجان سنة ١٨٩١ * (طالع السمعاني ٢ : ١ ووجه ٦٦ ومجلّد ١ ووجه ٢٤ - ١٦٤)

الفصل الخامس

في الاضطهاد الثاني الذي اثارهُ بهرام ملك الفُرس . وفي مروءة قيّوما الجاثليق

لم تنل كنيسة المشارقة الراحة بعد موت شابور فانّ المجوس كانوا

(١) † مع هذا يوجد ميامر كثيرة من تاليفات نرساي واسحق الكبير وغيرهما قد اسندت غلطاً الى مار افرام . فمنها الميمر الذي بدؤهُ : [illegible] . فهو من تاليفات مار نرساي وقد دخل في طقس الموارنة باسم مار افرام (طالع [illegible] العدد ٢٠ Feldmann, Syr. Wechsellieder von Narses, Leipzig, 1896; A. Duval, Litt. Syr. p. 24, 347).

يؤذون النصارى بعد زوال الاضطهاد الاربعيني ايضاً بين برهةٍ واخرى ولو بدون امرٍ رسميّ * واصدر امرًا رسميًّا بعد ذلك باضطهادهم الملك بهرام الرابع الذي جلس على كرسي المملكة سنة ٢٨٩ م فمات خلقٌ كثير بين العذابات * واشتهر في هذا الاضطهاد بختيشوع شمّاس تومرصا الجاثليق ومعاونهُ في رمّ الكنائس واصلاح خرباتها *

وخلف تومرصا في كرسي المدائن قيّوما الجثاليق . وكان كرسي المدائن قد بقي فارغاً ثلاث سنين بعد موت تومرصا . ولم يجسر احد على ان يتولاّهُ خوفاً من الاضطهاد الذي كان اثارهُ بهرام الملك * وكان على هذا العهد رجلٌ اسمهُ قيّوما ذو قداسةٍ فاضلة * فاخذتهُ النخوة على بيت الله وقدم نفسهُ ضحيّةً عن رعيّة المسيح . فادهشت هذهِ مروءة قيّوما كلّ الشعب فاختاروهُ راعياً لهم ورُسم سنة ٢٩٥ * (طالع ما. ص) وكان قيّوما تقيّاً وذا غيرةٍ عظيمةٍ على خلاص شعبهِ . الاّ انهُ كان شيخاً نحيف الجسم ومع ذلك فلم يكن يكلّ عن تدبير رعيّتهِ بين الشدائد التي كانت تقاسيها في زمان الاضطهاد ويحثّهم على احتمالها بصبرٍ وتسلية *

ولم يزل الاضطهاد عن النصارى المشارقة الاّ سنة ٤٠٠ بعد ان دام احدى عشرة سنة وهي السنة التي فيها هلك بهرام ملك الفرس وخلفهُ يزدجرد *

الفصل السادس

في تنازل قيّوما الجاثليق وفي المجمع المدائني الاوّل ومناقب اسحٰق خليفتهِ

تنازل قيّوما الجاثليق عن درجتهِ بعد اربع سنين . وسبب ذلك انهُ كان شيخاً غير قادر على القيام باعباء منصبهِ . فعقد مجمعاً في المدائن حضر

فيهِ مار ماروثا ولفيف اساقفتهِ . وهذا هو المجمع الاوّل الذي عُقد في المدائن *
واكّد قيوما لاباءِ هذا المجمع انهُ لولا غيرتهُ على رعيةِ المسيح في زمان الاضطهاد لمّا
قبِل على نفسهِ هذهِ الخدمة المُتعبة . أمّا الآن فمن حيث ان الله قد أولى كنيستهُ
الأمن والراحة فعليهم ان يختاروا غيرهُ يكون جديرًا بتدبير شعبهِ * امّا الاساقفة
فألحّوا عند ذلك على قيوما بان يبقى في رئاستهِ . ولمّا أصرّ على رأيهِ سلّموا الامر
اليهِ وسألوهُ ان يختار لهم رجلاً كفوًا لذلك بشرط ان يكون كالابن الخاضع
لأمر ابيهِ * فاختار قيوما في مقامهِ اسحق وكان من قرابة تومرصا سالفهِ . ورسمهُ بمحضر
الاساقفة في المدائن سنة ٣٩٩ م * وانفرد قيوما بعد ذلك في قلايتهِ وقضى أيامهُ
بالعبادة حتى استأثر الله بهِ سنة ٤٠٢ * وقد وصف لنا المؤرخون الشرقيون مناقب
اسحق الجاثليق قالوا : انهُ كان رجلاً طاهرًا ذا غيرة فائقة على تهذيب شعبهِ .
فأقام المدارس للشبان وسعى في تعليمهم اصول النصرانيّة . وكان لا يكلّ من
الوعظ والارشاد والحثّ على الصبر في الشدائد التي كانت تصيب النصارى
من المجوس * وهمّ في رمّ الكنائس التي كانت قد خربت في الاضطهاد الاربعيني
من ذلك بيعة مار دانيال في بابل . وسعى في تحسين حال الاقليروس .
واختار رجالاً مستحقين للكهنوت والاسقفية فتحسّنت احوال كنائس اهل المشرق .
واكرمهُ الله بعمل العجائب * (طالع . اخ ا . ما . ص . عب ٢ : ٤٧)

واشتهر في نحو هذا الزمان من اساقفة المشرق اولوغ اسقف الرها
الذي صادق على رسالة دامسوس البابا الشهيرة الى الشرقيين . وفروطاجانيس
وبينس اسقف حرّان . وابراهيم اسقف بطنان . ومارا اسقف آمد الذي حضر
المجمع القسطنطيني الاوّل * (طالع س ٢ : ٢ وجه ٦٠)

الفصل السابع

في اخبار الاضطهاد الذي اثارهُ يزدجرد الاوّل وشهداء اهل الكرخ

انّ يزدجرد الاوّل مسك بيدهِ ازمّة مملكة فارس سنة ٤٠٠ وتوفي
سنة ٤٢١ . وكان طاغيًا باغيًا . واثار على النصارى اضطهادًا شديدًا . لكن
نار سيئاتهِ لم تقدح الاّ في السنة الثامنة لجلوسهِ . وقتل اوّلاً ابنتهُ ثمّ كثيرًا من
وزرائهِ . وانطلق الى بلد طاشول واخضعهُ . ولمّا كان هناك ابعد جميع النصارى
من عسكرهِ لظنّهِ انهم سبب انكساراتهِ . ثمّ عند رجوعهِ اشتدّ الشدّة على
النصارى وقتل منهم جماعةً لا يستقصى عددهم . وجعل المذبحة في كرخ سلوخ
او هي كركوك . ويعرف هذا الاضطهاد بالتاسع *

هذا وقد وصف لنا اخبار كنيسة الكرخ صاحب سير الشهداء
والقديسين (مجلد ٢ : ٥٠٧) وهذا ملخصها : لا يخفى ان مدينة الكرخ هي من
ناحية باجرمي بناها انطيوخس سلوقس احد قوّاد الاسكندر ذي القرنين الذي
ملك هو وذريتهُ هذهِ البلاد قبل ظهور الدولة الفرثيّة * واهتدت على يد
مار ادّي وماري . واضحت كحقلٍ مزهرٍ بالايمان . وباذن مطران شهرقرد
تولّى امرها طوقريطس الرجل الالهيّ وبنى لها كنيسة . ثمّ خلفهُ عبديشوع ثمّ
خلفاؤهُ الاساقفة الواحد بعد الآخر الى زمان معنّى اسقفها الشهيد الذي قُتل مرجومًا
في اضطهاد شابور . وخلفهُ مار اسحق ذو السلالة الشريفة الذي قُتل هو ايضًا
مرجومًا . وقام بعدهُ مار يوحنا الذي امضى المجمع النيقاوي برفقة يوحنا الآخر
مطران فارس الشهير في رواية جلاسيوس القوزيقي كما مرّ الكلام . ثمّ خلفهُ

عقبالاها الذي تكلّل في اضطهاد بهرام كما مرّ ذكرهُ . وقام بعدهُ برحذبشبا الشهيد ومار اخسنايا ومار شابور براز * وقد اشتهر كلّ من هؤلاء الاساقفة بالقداسة والغيرة على نجاح الديانة بنوعٍ يفوق كلّ حدّ . ومن اعظمهم مار يوحنان البطل المجاهد الذي تكلّل هو وكثيرون من ابرشيّتهِ في هذا الاضطهاد *

ومن اخبار هؤلاء الابطال انهّ لمّا فتح يزدجرد الاوّل ابواب الظلم على رعيّتهِ النصارى كتب الى طهمزجرد مدبر المجوسيّة وعامل نصيبين ان يصحب معهُ عمّال ارزون واربيل وباجرمي ويقصدوا الكرخ ليُقنعوا اهلها بالكفر بدينهم * ولمّا تفرّق الشُرَط في كلّ النواحي نهبوا اموال النصارى واتوا بجمهورٍ وافرٍ من الأساقفة والقسوس والشمامسة ووجوه المؤمنين ليسجدوا للنار او يُقتلوا في الكرخ . وأُتي بمار يوحنا اسقفها معهم * ولمّا رأى طهمزجرد ثبات المعترفين أَمر بتعذيب عددٍ وافر منهم عذاباتٍ هائلة ارهاباً لغيرهم ثمّ بقتلهم . واشتهر في هذه المذبحة الاولى ببسالةٍ لا مثيل لها مار اسحق بن هرمزجرد احد افاضل الكرخ . وتكلّل مشعولاً بالنار * وممّن تكلّل ايضاً في هذه المذبحة مار يوحنا اسقف الكرخ ورفقاؤهُ القسوس ذاديشوع وشوحاليشوع وبختيشوع وكثيرٌ من اجلاء المدينة وبعد ان عُذِّبوا بانواعٍ مختلفة أُحرقوا بالنار . وكان ذلك يوم الجمعة في ٢٤ آب من سنة ٤٤٧ * وقد مثّل المورّخون خبر الشهداء الذين تكلّلوا في المذبحات التابعة تمثيلاً يفتّت الأَكباد قالوا : انهُ قُتل في اليوم التابع من اهل الكرخ ثلاثة آلاف نفر . وفي يوم الاحد أَتي الشُرط بعددٍ وافر من النصارى الذين في النواحي المجاورة تتقدّمهُ اساقفة إربل ونوهدرا ومعلثايا وشهرقرد ولاشوم وماحوزا وخربة جلال ودارا فقُتلوا عن آخرهم هم واقليروسهم

واجلاء ابرشيّاتهم . وبلغ عددهم نحو عشرة الاف رجل . وبلغ عدد الشهداء على يد طهمزجرد نحو اثني عشر الفاً *

وقد تبيّنت نعمة الله الفائقة قوّة الطبيعة في هذا الحادث الآتي وهو: انّ امرأةً مسكينة اسمها شيرين كانت تخبز على تنّورٍ فحين سمعت المؤمنين يُقتلون لاجل المسيح تركت خبزها وخرجت مسرعةً ومعها ولداها الصغيران الواحد على كتفها والاخر كانت ماسكةً ايّاهُ بيدها . فصادفت طهمزجرد فقبضت على لجام فرسهِ ليدلها على محلّ الاستشهاد . فمنعها طهمزجرد * ولما لم تُصغِ الى مشورتهِ أَمر بقتلها وقتل ابنها الاكبر . فوقع الاصغر على أُمّهِ واخيهِ وشرع يمسح وجههُ بدمائهما . فاراد طهمزجرد ان يفرقهُ عنهما وصار يتملّقهُ بالمواعيد الكاذبة فلم يزل ملتصقاً بهما . فغضب عليهِ وامر بقتلهِ مثلهما * وفي فرصة هذهِ البسالة التي اظهرتها هذهِ الشهيدة فتح الله عيني القاضي طهمزجرد ليقتبل الايمان واكليل الشهادة معاً . وذلك انهّ رأى سُلّماً مركوزةً في الارض وفي اعلاها الرب جالساً وواضعاً على راس كلّ من الشهداء اكليلاً . فاستنار عقلهُ وجاهر بالنصرانيّة * فأَمر يزدجرد بتعذيبهِ فعُذِّب وصُلب أخيرًا منكّس الراس في ٢٥ ايلول * (طالع ش م مجلّد ٢)

هذا ولنا ادلّة محتملة تفضي بنا الى القول انّ هذهِ الشهيدة شيرين هي مَرت مسكنتا بعينها المبنيّة على اسمها بيعة الكلدان الكاتدرائيّة في الموصل * منها اننّا نحتفل تذكار مَرْت مسكنتا في ٢٥ ايلول وهو اليوم الذي فيهِ تكلّلت الشهيدة شيرين وفيهِ ايضاً اهتدى وتكلّل القاضي طهمزجرد * ومنها انّ شيرين الشهيدة تُلقَّب في اعمال استشهادها بالمرأة المسكينة وهي كُنية مَرت مسكنتا بعينها * ولا يخفى على المطالع انّ هذهِ مسكنتا هي غير الشهيدة مسكنتا التي عاشت بعد

زمان النسطرة. ولها ذكرٌ في الحُذْرا القديم في الجلسة الثانية من صلوات تذكار تهنئة العذراء الواقع اليوم ثاني يوم الميلاد * واما الاضطهاد فزال عن النصارى بواسطة مار ماروثا الذي ارسلهُ ارقاديوس ملك الروم الى يزدجرد واوصاهُ بالنصارى. ففرّج عنهم الشدّة *

الفصل الثامن

في مجمع سليق الثاني الذي عقدهُ اسحٰق الجاثليق

اشتهر اسحٰق الجاثليق على غيرهِ بعقدهِ في المدائن مجمعًا دعا اليهِ اساقفته لسنّ بعض قوانين تهذيبية لكنائسهِ ويُعرف بالمجمع الثاني * وقد وصف لنا ملخّص اخبار هذا المجمع واعمالهِ ماري وصليبا القسّيس وصاحب الاخبار البيعية قالوا: التأم المجمع يوم عيد الميلاد سنة ٤١٠ وكان عدد الآباء اربعين اسقفًا ومنهم مار ماروثا اسقف ميافارقين الذي بُعث سفيرًا الى يزدجرد بعثهُ ثاودوسيوس الملك * وتصدّر اسحٰق جاثليق المدائن في المجمع. فسُنّ فيهِ باتّفاق الجميع عشرون قانونًا لتدبير البيعة كما مسّت الحاجة. وأُمروا بالعمل بها في كل كنائس المشرق. ثمّ عرض ماروثا على الآباء قوانين المجمع النيقاويّ التي اتى بها الى المشرق فصادقوا عليها. وتجد اسماء آباء هذا المجمع وقوانينهم في مجموعة مار ايليا الاوّل الفطريرك. ويوجد منها نسخةٌ في مكتبة دير مار يعقوب الحبيس القريب من سعرت * (طالع مجموعة الصوباوي ٩:٢ و٥. ومجموعة الدمشقي العربيّة. والسمعاني ٢: ١ وجه ٢٦٣)

ورتّب هذا المجمع ايضًا شان الصلوات الفرضية فكان هو اوّل مَن مدّ يدهُ على الصلوات القانونيّة التي نتلوها الكنيسة الشرقيّة أخذًا عن ترتيب رسلها

الاوّلين. ونظمها بنظام جديد * فانها كانت من قبلُ مشتّتةً وكان اكثرها مقتطفًا من المزامير. فأضاف اليها المجمع شيئًا كثيرًا من تآليف بعض الآباء القدّيسين كمار شمعون برصبّاعي ومار افرام الملفان وغيرهما وادخل فيها التراتيل التي صنّفها مار ماروثا في الشهداء. وفرض استعمال هذا الترتيب على جميع كنائس المشارقة فأتت الصلوات القانونيّة مرتّبةً على هذهِ الصفة. الى ان تكمّلت على يد يشوعياب الحزّي الفطريرك في القرن السابع كما سنرى *

واشتهر مار ماروثا في هذهِ السفارة الثانية الى يزدجرد بشفائهِ ابن يزدجرد او يزدجرد نفسهِ من مرضٍ شديد. فأعزّهُ الملك * فحسدهُ المجوس فجاؤوا برجلٍ مدهونٍ جسمهُ بالزيت وادخلوهُ الى النار وصار الرجل يكلّم يزدجرد من بين لهبات النار موبّخًا اباهُ على محبّتهِ للنصارى. فارتاع يزدجرد. ولما حضر ماروثا كشف لهُ الحيلة وازدادت منزلتهُ لديهِ وقتل أئمّة النار. وابطل التعدّي على النصارى * (طالع اخ: ١. ما . ص)

وجلس مار اسحٰق الجاثليق على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة. وتوفّي سنة ٤١١ ودُفن في مقبرة الجثالقة بدير قُني * (طالع س ثمّ)

الفصل التاسع

في جلوس مار احّي على كرسي المدائن واخبار إمامتهِ

بعد موت مار اسحٰق أُقيم احّي على كرسيّ المدائن وكان ذلك سنة ٤١١ برضاء يزدجرد الملك ومشورة ماروثا واساقفة المشارقة * وكان احّي تلميذًا لعبدا مؤسّس دير قُني. وخلفهُ في رئاسة هذا الدير. وكان سديد الرأي *

ولبث بعد ان جلس على كرسي المدائن على نُسكهِ الاوّل . فمال اليهِ يزدجرد واحبّهُ * وتبين حذق احّي في التدبير في السفارة التي أُنفذَ بها يزدجرد الى فارس ليحسم الخلاف الذي وقع بينهُ وبين بيهور ابن اخيهِ شابور الملك سالفهِ. فقضى احّي هذه الرسالة على احسن ما يُرام من الفطنة * وحصل منها على فائدة تُذكر هي انهُ طاف بلاد فارس كلّها واجرى البحث عن شهدائها الذين هراقوا دماءهم في الاضطهاد الاربعيني وكتب سيرتهم واخبار تكليلهم *

وترك لنا ايضًا ترجمة مار عبدا معلّمهِ * الّا انّ غوائل الزمان وصروفهُ قد ذهبت بهذا الكنز العظيم ولعلّهُ اختلط بتاليف مار ماروثا فانهُ هو ايضًا كتب لنا بقلمهِ تراجم الشهداء . وعليهِ فيحتمل انهُ بسبب هذا الامتزاج لم تعُد تتميّز بعضها من بعض * وجلس احّي على كرسي المدائن اربع سنين . وتوفّي سنة ٤١٥ ودفن بالمدائن * (طالع اخ : ١ . ما . ص . س ٢ : ١ وجه ٢٦٨ . عب ٢ : ٥١ - ٥٢)

الفصل العاشر

في جلوس يابالاها على كرسي المدائن واخبار إمامتهِ

خلف احّي الجاثليق في كرسي المدائن مار يابالاها وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة جثالقة الكلدان . وكان مار يابالاها قد تتلمذ لمار عبدا كما مرّ الكلام . وبنى ديرًا على شاطىء الدجلة . واشتهر بالقداسة وصنع العجائب فاختارهُ الاباء والمؤمنون * وكان يزدجرد عارفًا بهِ فأمر بتصييرهِ جاثليقًا فرُسم سنة ٤١٥ م ولمّا استولى على كرسيّهِ شرع يهتمّ بتدبير شؤون شعبهِ ورمّ الكنائس *

وارتفع شان يابالاها عند يزدجرد الملك . وذلك انّ ابن يزدجرد كان قد تخبّطهُ الشيطان . فابرأهُ يابالاها وماروثا بصلواتهما * وكان ماروثا وآقاق مطران آمد قد أتيا بسفارةٍ الى يزدجرد من قِبل ثاودوسيوس ملك الروم . ثمّ انّ يزدجرد لمّا اراد مكافاة ثاودوسيوس اختار يابالاها وبعثهُ اليهِ برسالةٍ وجهّزهُ بهدايا ثمينةٍ وكاتب عمّالهُ في اكرامهِ وخدمتهِ في طريقهِ * واقتبل ثاودوسيوس الملك يابالاها بكلّ التفاتٍ وترحيب . وبعد ان ادّى يابالاها الرسالة الى ثاودوسيوس عرّفهُ بسلامة البيعة واهلها في بلاد الفُرس من اختلاف المقالات * فخلع عليهِ مالاً وافرًا ودفع اليهِ هدايا سنيّة ليزدجرد * أمّا المال الذي قبلهُ من ثاودوسيوس فصرفهُ لمّا عاد الى كرسيّهِ في اعمال البرّ وبنى بهِ بيعًا كثيرة وجدّد كنيسة المدائن * (طالع اخ : ١ . ما . ص . س ٢ : ١ وجه ٢٧٠ . عب ٢ : ٥٢)

الفصل الحادي عشر

في المجمع المدائني الثالث الذي عقدهُ يابالاها الجاثليق

انّ يابالاها بعد استتباب الراحة للنصارى فكّر ان يعقد مجمعًا للنظر في المحافظة على التهذيب البيعيّ . وهذا المجمع هو الثالث الذي عُقد في المدائن * وهاك ملخّص اخبار هذا المجمع واعمالهِ : عُقد هذا المجمع سنة ٤٢٠ م وحضرهُ كثير من الاساقفة ورؤساء الاساقفة الخاضعين لجاثليق المشارقة . وكان حاضرًا فيهِ ايضًا ماروثا وآقاق اللذان كانا قد قدما المدائن بسفارةٍ الى يزدجرد من قِبل ثاودوسيوس ملك الروم ثمّ هوسي اسقف نصيبين * وحدّد آباء المجمع القوانين التي تصلح لتدبير البيعة والمومنين . وصادقوا على ما رسم الآباء الغربيّون الذين

اجتمعوا بنينوية . وما رسم اسحق الجاثليق . وامروا ان لا يُنتهك شيء منها . وان يقدّم جميع المشارقة الطاعة للأب المعظّم الجالس على كرسي سليق وقطسفون * (تمه) وقد حفظت لنا غوائل الزمان قوانين هذا المجمع فانّك تجدها مضافة الى قوانين مجمع اسحق المار ذكرهُ في مجموعة الصوباوي وقد تُرجمت على يد ابي الفرج عبد الله بن الطيّب البغدادي وعلى يد ايليا الدمشقي وتجدها في عداد مجامع المشارقة في المجموعة السريانية الكبيرة لايليا الاول الجاثليق * (طالع ايضاً س ٢ : ١ وجه ٢٧٠-٢٧٦)

وجلس يابالاها الجاثليق على كرسي المدائن خمس سنين وتوفي سنة ٤٢٠ ودُفن بمقبرة الجثالقة بدير قُني *

الفصل الثاني عشر

في الاضطهاد العاشر الذي اثارهُ يزدجرد على المشارقة

كان يزدجرد منذ سنة ٤٠٩ يعامل النصارى المشارقة معاملةً حُبيّة . فانهُ كان قد منحهم الحرية ومال اليهم لا اقتناعاً بصحة ديانتهم بل بسبب الآيات التي كان ماروثا ويابالاها يصنعانها والتوصيات التي كانت تأتيهِ بالمسيحيين من ملك الروم وتعجّبهِ من صبرهم وخلوص عبوديتهم وطاعتهم * الّا انهُ كان اذا وجد عليهم حجّةً او عثرةً ينسى كلّ فضلهم . ويشرع في تأذيتهم واضطهادهم * وامّا سبب الاضطهاد الذي اثارهُ عليهم اخيراً فهو انّ قسّيساً يقال لهُ هوشع كان قد هدم في مدينة الاهواز بيت نارٍ مجاوراً للبيعة . وكان النصارى يتأذون من قيّمهِ * فغلظ ذلك على يزدجرد وأمر بهدم البيَع . واعاد الأوامر القديمة

بالاضطهاد وجرى ذلك سنة ٤٢١ م * وهذا الاضطهاد هو العاشر عدداً وأوّل من وقع فيهِ غنيمةً لمخالب يزدجرد هوشع نفسهُ مُسبّب هذا الهيجان وعبدا اسقفهُ . واسحق القسّيس وافرام الكاتب وفافا الشمّاس وداذوق ودورثان وغيرهم . وممن اشتهر ايضاً في هذا الاضطهاد برساي الراهب وطاطاق وهرمزد وغيرهم * (طالع ش م المجلد الثاني) الّا انّ نار الاضطهاد لم يطل اشتعالها بل خمدت في تلك السنة عينها وكان ذلك بتشفّع اسحق عامل ارمنيّة الذي ادخل الأرمن في طاعة يزدجرد . وحصّل الراحة لعموم النصارى * ومات يزدجرد في تلك السنة عينها *

الفصل الثالث عشر

في ترجمة مار ماروثا الميّافارقيني وخبر اعمالهِ الشهيرة

من اعظم الآباء الذين اشتهروا في نهاية القرن الرابع بالاعمال الشريفة التي اتوا بها لخير الكنيسة المشرقيّة كان ماروثا مطران ميّافارقين القريبة من آمد واحدى مدن ما بين النهرين وهو غير ماروثا اليعقوبي الذي أُقيم مفريانا على تكريت سنة ٦٢٩ . وكانت ميّافارقين خاضعةً يومئذٍ للملكيّة الروميّة . وتُعرف ايضاً بمدينة الشهداء لكثرة الذخائر التي أُودعتها بيعها * وكان ماروثا ابن والي القطر المجاور لميّافارقين . وروى ياقوت الحمويّ انّ ماروثا هو بنى ميّافارقين نفسها وحصّنها بالأسوار وشاد فيها البيَع الفاخرة * وتجمّل منذ نعومة اظفاره بالفضائل وتمهّر بالعلوم البيعيّة والطبّ وكان ذا غيرةٍ على الديانة . فرُسم اسقفاً على ميّافارقين * وللمار يوحنا فم الذهب رسالة اليهِ تُشف عن اعتبارهِ وصداقتهِ لهُ وعن مآثرهِ في خبر الكنيسة *

واشتهر ماروثا في هذه البلاد المشرقية خاصةً لمّا أُرسل سفيراً من قبل ملك الروم . وقام بهذه السفارة ثلاث مرات * ففي الأُولى اتى من قِبل ارفاديوس الملك وشفى يزدجرد الملك من مرضٍ عضّال وحضر مجمع المدائن الاوّل الذي فيهِ استعفى قيوما من منصبهِ سنة ٤٠١ * وفي الثانية اتى من قِبل ثاودسيوس الملك لإبرام عقد الصلح بين الدولتين الروميّة والفارسيّة وحضر مجمع اسحق المدائني الثاني سنة ٤١٠ . وسعى بابطال الأمر بالاضطهاد . وشفى يزدجرد من مرض الصرع * وفي الثالثة اتى من قِبل ثادوسيوس ايضاً لرفع الخلاف الواقع في السياسة بين المملكتين . وشفى ابن يزدجرد من جنيّةٍ كانت تعذّبهُ . فعلا شانهُ ونال من يزدجرد كفّ الاضطهاد الذي كان يُثيرهُ على النصارى مرّةً بعد اخرى . وحضر المجمع المدائنيّ الثالث الذي عقدهُ يابالاها سنة ٤٢٠ *

واخصّ افضال مار ماروثا على كنيسة المشارقة اربعة . الاوّل : انهُ بسعيهِ عُقدت مجامع المدائن الثلاثة الأُولى . التي فيها ضُبطت قوانين التهذيب البيعيّ . والثاني : انهُ طاف بلاد فارس وكتب لنا قصص الشهداء الذين تكلّلوا في اضطهادات شابور ويزدجرد . والثالث : انهُ نقل الى اللغة السريانيّة تاريخ المجمع النيقاوي وقوانينهُ التي لم يكن المشارقة يعرفونها على صحّتها او كانت نادرة وغير كاملة عندهم . وذلك إجابةً الى سؤال اسحق الجاثليق . وقد استكتب هو ايضاً شيئاً كثيراً من تآليف المشارقة وآثارهم وقوانينهم وقد حفظها لنا الروم في صحفهم * والرابع : تآليفهُ الدينية التي ادخلتها الكنيسة السريانيّة في صلواتها القانونيّة فانها من افضل ما استفادت منهُ . لاسيّما الاغاني التسبيحيّة التي ألّفها اكراماً للشهداء ولا تزال تترنّم بها صباحاً ومساءً الكنيسة الشرقيّة حتى اليوم *

هذا وقد ذكر المؤرّخون ايضاً عن مار ماروثا اخباراً كثيرة . من ذلك ما ذكرهُ عنهُ فوتيوس في مكتبتهِ وهو انهُ حضر مجمع انطاكية لحرم بدعة المصلّين * وروى عنهُ ايضاً عمرو وماري النسطوريان انهُ حضر مجمع قسطنطينيّة الذي فيهِ حُرمت بدعة مقدونيوس الذي أنكر الوهيّة الروح القدس . وكان ذلك على عهد ثاودوسيوس الكبير سنة ٣٦٠ م *

امّا التآليف التي تركها لنا مار ماروثا فالمعروف منها ما يعدّهُ لنا الصوباوي في قائمة المؤلّفين . فانهُ يقول فيها انّ ماروثا استقف ميّافارقين الطبيب الماهر ألّف كتاب قصص الشهداء والتراتيل والالحان التي قالها فيهم . وانهُ نقل ايضاً قوانين الثلثماية والثمانية عشر . وكتب كلّ تاريخ هذا المجمع النيقاويّ المقدّس . وقد ضلّ الشيخ السمعاني اذ نسب الى هذا ماروثا القدّيس النافور او القدّاس وتفسير الانجيل اللذين هما من تاليف ماروثا التكريتي المفريان اليعقوبيّ اذ لم يميّز بينهما . مع انّ اختلاف الزمان والمكان والاعمال التي اشتهر فيها كلّ منهما اوضح من ان يبيَّن * (طالع س ٣ : ١ وجه ٧٢) وتوفّي مار ماروثا سنة ٤٢١ م * (طالع السمعاني ٢ : ٢ وجه ٤٧ - ٦٠ في شان اخبار القرن الرابع)

الباب السادس

في اخبار المشارقة الى زمان ظهور النسطرة وانتشارها بينهم (٤٢٠ - ٤٨٤)

الفصل الاوّل

في البلبلة التي احدثها معنى اسقف اردشير وقرابُخت اسقف كازارون في كنيسة المدائن

كان سبب البلبلة التي ألمّت بكرسي المدائن بعد موت يابالاها الجاثليق

انّ معنى اسقف اردشير عاصمة فارس القديمة استولى بالحيلة على كرسي المدائن الجاثليقي رغماً عن رضاء الاباء * وكان معنى قد قرأ العلوم في مدرسة الرها على عهد رابولا اسقفها . وكان اشهر رجال عصرهِ علماً واعظمهم دهاء وهو الذي نقل تفاسير ثيودور الى السريانيّة ونال لذلك صيتاً عظيماً لدى الفرس . وكان يرتاح الى الوظائف العليا * فتقدّم الى يزدجرد ووزرائهِ وسألهم ان يقيموهُ جاثليقاً على كرسي المدائن . فألزم الملك الآباء برسامتهِ وكان ذلك سنة ٤٢٠ * امّا ماروثا وآقاق وهوسي المارّ ذكرهم و بعض الاساقفة المشارقة فلم يقبلوهُ بل أزعجوهُ واسقطوهُ مستعينين عليهِ بيزدجرد * فاتّفق وكان ذلك بتدبير ربّاني انّ يزدجرد سخط على معنى في هذهِ السنة عينها . فنفاهُ الى بلدهِ واخذ العهد على الاساقفة ان يرفضوا رئاسته في ايّ كرسيٍّ كان * وكان السبب في ذلك انّ يزدجرد اغتاظ من نرسي احد قسوس معنى لانهُ اجابهُ انّ الملك مسلّط في مملكتهِ على اخذ الخراج والجزية وقتال الأعداء لا ان يطالب رعيّتهُ بالانتقال عن دينهم * وحاماهُ معنى في هذهِ القضيّة . فأمر يزدجرد بتخزيق ثياب معنى ونفيهِ . وان يُضرب عُنق القسّيس ان هو اقام على النصرانيّة فاستشهد نرسي في سليق وقطسفون كما نقرأ خبر تكايلهِ في (سي ٤ : ١٧٠) * وامّا ما كان من معنى فانهُ لمّا عاد الى فارس اتّصل بيزدجرد أنهُ يدبّر رعيّتهُ ثمّه . فانكر عليهِ ذلك وامر بحبسهِ فتشفّع فيهِ الاساقفة فأطلقهُ واباح لهُ ان يُدبّر كرسيّهُ الأردشيري فقط *

(طالع اخ : ١ . ما . ص . س ٢ : ١ وجه ٢٧٦ - ٢٧٨ . عب ٢ : ٥٢ - ٥٧)

ولم يتولَّ امر كرسي المدائن في هذهِ الاثناء احدٌ . لكنهُ من بعد ان فرغ زماناً حدث ان قرابخت اسقف كازارون حدّثتهُ نفسهُ ان يستولي عليهِ مكراً *

فتقدّم الى جور بن يزدجرد صاحب جيش بهرام الملك خليفة يزدجرد يطلب مساعدتهُ فساعدهُ واجبر الآباء على اختيارهِ جاثليقاً وكان ذلك سنة ٤٢١ * فلم يقبلهُ الآباء بل أسقطوهُ . فأُبتليت البيعة بداهية عُظمى . فاستعان الآباء والشعب ببهرام الملك على إبعادهِ فلبّى طلبهم ونفاهُ الى كرسيّهِ في بحر تلك السنة . ولذلك لا يعتبر المشارقة معنى وقرابخت شرعيّين في الجثلقة بل مُسقطين *

(طالع اخ : ١ . ما . ص)

ولم يقُم على كرسيّ المدائن بعد قرابخت احدٌ . على ان الآباء ارادوا ان يختاروا شخصاً مكانهُ ولكن داهمتهم زوبعة الاضطهاد الذي اثارهُ بهرام . فلبث الكرسي فارغاً نحو تسع سنين كما سوف نرى * (طالع س ٢ : ٤٠٢ و٢ : ١ : ٢٧٧)

الفصل الثاني

في الامر الذي اصدرهُ بهرام باضطهاد النصارى واستشهاد مار هرمزد ومار يعقوب المقطّع

ان نار الاضطهاد التي اضرمها يزدجرد لم تنطفىء بموتهِ لكنّها خبت زماناً حتى اثارها بهرام في تلك السنة عينها اي سنة ٤٢١ بسعي المجوس الذين اوغروا صدرهُ على النصارى بغضةً لدولة الروم النصرانية . ويُدعى هذا الاضطهاد الحادي عشر * وتكلّل في هذا الاضطهاد مار فيروز البيلافاطيّ ومار يعقوب الكاتب ومار بنيامين الشماس . وسوبن سيد العبيد الذي أُلزم حطّاً لشأنهِ بان يخدم اخبث عبيدهِ . ومهر شابور وجيهُ الدولة . فهذا سُجن في جُبٍّ مظلم بدون اكلٍ ولا شرب مدّة تنيف على الشهرين . ولما فُتح الجبّ بعد هذه المدّة وُجد ساجداً يصلي

ثمّ أسلم روحهُ وختم شهادتهُ على تلك الحال *(طالع ش م مجلد ٢. اخ: ١. ما. ص)

وكان من اشرف الشهداء الذين قُتلوا في هذا الاضطهاد مار هرمزد ومار يعقوب المقطّع * وهذا ملخّص تكليلهما. كان مار هرمزد عاملاً في إحدى الولايات الفارسية. فسألهُ بهرام ان يكفر بدينهِ فأجابهُ هرمزد بجوابٍ افحمهُ * فتلظّى بهرام حنقًا عليهِ وخلعهُ من منصبهِ. والزمهُ ان يرعى جمال جيوشهِ في البراري. ولبث كذلك اسير عوامل الحرّ والبرد زمانًا طويلاً محتملاً هذهِ العذابات بصبرٍ وتسليم. ثمّ استدعاهُ بهرام وزاد في ملاطفتهِ. وناولهُ ثوبًا فاخرًا دلالةً على اكرامهِ لهُ واستجلابًا لهُ الى المجوسيّة * اما هرمزد فخزّق الثوب وردّهُ اليهِ قائلاً: ان الدين لا يُباع بهدايا هذا العالم الزائل * فازداد بهرام غضبًا وأمر بقتلهِ * (طالع اخ: ١. ما. ص)

اما مار يعقوب فكان من لافاط عاصمة فارس. ومال اليهِ يزدجرد الملك لنجابتهِ. ورقّاهُ الى اعلى المناصب. وحملهُ على ان يكفر بالنصرانيّة * فانخدع يعقوب وسجد للنار خوفًا من خسارة منصبهِ. فشقّ ذلك على امّهِ وزوجتهِ. فكتبتا اليهِ رسالةً توبّخانهِ بها توبيخًا صارمًا. ومن بعض ما ذكرتا فيها قولهما لهُ «انّ الملك الذي حملك حبّك الزائد لهُ على ان تكفر بالملك السرمدي انّما هو انسان زائل كسائر الناس وها انهُ قد مات وانتن واصبح ماكلاً للدود ومع كلّ قوّتهِ لا تصل يدهُ الى ان ينشل احدًا من العذاب الدائم. فتُب وارجع عن غيّك والاّ فأنت تحت عقاب يد الله القادرة ونحن لا نعرفك» * فلمّا قرأ مار يعقوب هذهِ الرسالة انتبه الى الجريرة التي اتاها. وتاب وانقطع لعبادة الله فلمّا بلغ ذلك بهرام استدعاهُ وشرع يعنّفهُ على نكران الجميل الذي

صنعهُ معهُ يزدجرد ابوهُ * فلم يعبأ يعقوب بوعدهِ ولا بوعيدهِ بل شرع يفنّد كلّ احتجاجاتهِ. فتلظّى بهرام بنار الغضب وطلب الى فقهاء دولتهِ ان يقترحوا عذابًا اليمًا يستحقّهُ يعقوب. فأشار عليهِ احدهم ان يميتهُ بتقطيع كلّ اعضاء جسدهِ واحدًا فواحدًا وفي الآخر يحزّ راسهُ * فأعجب الملك هذا الراي وامر باجرائهِ * فاقتبل يعقوب هذا النوع من العذاب بكلّ فرح وتهليل. ولم يكن يُبدي مع شدّة هذهِ العذابات كلمةً تشير الى التشكّي. بل كان يسبّح الله ويقدّم كلّ عضوٍ يُقطع قربانًا لله وكفّارةً عن جريرتهِ. الى ان حُزّ راسهُ واسلم روحهُ * وكان ذلك يوم الجمعة في ٢٧ تشرين الثاني من سنة ٤٢١ *(طالع سي ٢: ٥٢٩. ما. ص. اخ: ١. ش م مجلّد ٢)

ولم تخبُ نار هذا الاضطهاد الاّ زمانًا وذلك لاشتغال بهرام بالحرب مع دولة الروم سنة ٤٢٢ * فانتصر الروم عليهِ وكان من شروط الصلح الذي عقدوهُ معهُ ان يكفّ عن اضطهاد النصارى الذين في مملكتهِ *

الفصل الثالث

في اختيار داديشوع الجاثليق واخبار إمامتهِ

بعد ان خبت نار الاضطهاد اختير على كرسي المدائن داديشوع اي حبيب يسوع. وذلك سنة ٤٢٠ بعد ان فرغ الكرسي نحو تسع سنين * وسعى باختيار داديشوع شموئيل اسقف طوس وكان بهرام الملك يحبّهُ لانّهُ حفظ بحسن تدبيرهِ حدود بلاد خراسان من تطرّق الأعداء *

ومن مناقب داديشوع انهُ كان رجلاً طاهرًا حازمًا حريصًا على خير

المؤمنين. وهمّ قبل كلّ شيء بإصلاح احوال الكنائس ورمّ الاديرة والبيع. وحرم الاساقفة الذين كانوا قد تواطأوا على اختيار فرابخت الزوريّ وطرد غيرهم من كراسيهم لغير ذلك من الجرائم * فحنق عليهِ هؤلاء الاساقفة وسعوا بهِ لدى بهرام الملك فأمر ان يُلقى داديشوع في الحبس وان يُضرب بالسياط * الاّ انّ سفير ثاودوسيوس الملك الذي اتى المدائن لختم عهد الصلح بين الدولتين تشفّع الى الملك فيهِ فأُطلق * فاغتاظ داديشوع من هذا التصرُّف واستقال من منصبهِ وقصد دير ܣܦܝܢܬܐ اي السفينة في جبل قردو او جودي الذي (بحسب رواية العامّة) وقفت عليهِ سفينة نوح ليقضي بقيّة ايّامهِ بالعبادة * ولكن لم يرضَ بذلك الاساقفة والمومنون بل الحّوا عليهِ ان يعود الى كرسيهِ. فلبّى الى طلبهم وغفر لكلّ من اساء اليهِ * امّا الاساقفة المتمرّدون ولاسيّما المرسومون خلافاً للقوانين البيعيّة فأُثبت عليهم الحرم * (طالع ما. ص. اخ: ١. عب ٢: ٥٩)

الفصل الرابع

في ملخّص اخبار المجمع الذي عقدهُ داديشوع واخبار ايّامهِ الاخيرة

بعد ان عاد داديشوع من دير السفينة الى كرسيهِ وجّه فكرهُ الى التهذيبات البيعيّة فعزم على ان يعقد مجمعاً في المدائن ففعل فكان ذلك خامس المجامع المدائنيّة * وقد وصف لنا المؤرّخون المشارقة ملخّص اعمال هذا المجمع بما معناهُ: التأم الاساقفة سنة ٤٢٢ م وبلغ عددهم خمسة وعشرين. وكان منهم هوشاع مطران نصيبين واغابيط اسقف عيلَم * امّا خلاصة اعمال هذ المجمع وقوانينهِ فهي ان يعتبر الاساقفةُ الجاثليق بمثابة رئيسهم وان لا يجسر احد المرؤوسين على ان

يعقد على رئيسهِ جمعيّات يثلبهُ او يُشاغبهُ فيها * قال الصوباوي في مجموعتهِ « لا يسوغ للتلاميذ ان يتكابروا على معلّمهم او يكونوا قضاةً عليهِ... فانهُ كما انّ الله واحدٌ كذلك يجب ان يكون موزّعُ كنزهِ واحدًا وهو شمعون بن يونا المسمّى بطرس الذي قيل لهُ وانا أُعطيك مفاتيح ملكوت السماء ثمّ على هذهِ الصخرة ابني بيعتي... * على انّ موهبة الكهنوت وان كانت قد مُنحت لكلّ الرسل الاّ انّ الرئاسة هي واحدة وهي الابوّة الروحيّة التي لا تُنسب الى الجميع لكنّها كما استقرّ بالحقيقة في الهٍ واحد كذلك هي في ربّ بيتٍ واحد الذي اؤتمن ليكون راساً ومدبّرًا لاخوتهِ » اه *

فاذا ساغ لنا ان نحكم في صحّة قوانين هذا المجمع قلنا: انّ بعض قوانينهِ قد تحرّفت وتصرّف بها النساطرة بعد ذلك طبقًا لآرائهم في ما يخصّ انفصالهم عن شركة الكنيسة الجامعة وإقامتهم فطريركيّة مستقلّةً في شخص جاثليقهم * امّا الاسباب الموجبة الارتياب في صحّة هذهِ القوانين فهي اوّلاً: انّ هذهِ القوانين تسمّي جاثليق المدائن فطريركًا. مع انّ هذهِ التسمية غريبة حينئذٍ اي حين التئام هذا المجمع * ثانياً: انّ هذا المجمع حتم ان يكون الحكم على فطرك (جاثليق) المشرق قدّام المسيح لا غير. والحال انّ المشارقة كانوا يومئذٍ خاضعين لاسقف انطاكيّة الذي سُمّيَ بعد ذلك فطريركًا ولم يخلعوا عنهم الطاعة لهُ الاّ بعد اعتناقهم البدعة النسطوريّة * ثالثًا: ان كان الحكم على فطرك المشرق يجري قدّام المسيح كما قال مار ايليا الاوّل صاحب مجموعة هذهِ القوانين فكيف يتفق ذلك مع قانون المجمع النيقاويّ الذي يعتبرهُ المشارقة غاية الاعتبار والذي يُعلن كما كتب ابو الطيّب البغداديّ في مجموعتهِ قائلاً « قانون البيعة بأمر

بأن يطيع الأدنى الأعلى وتنتهي الطاعة من الكلّ الى فطرك روميّة · فهو القائم مقام شمعون الصفا » * فلا مراء اذن في القول امّا انّ المشارقة بذلك يناقضون انفسهم او يتحتّم عليهم ان يُقرّوا بان بعض قوانين هذا المجمع محرّفة * (طالع س ٢ : ١ وجه ٢١٤)

وتدبّر داديشوع في هذا المجمع مع الاساقفة العصاة بفتحهِ لهم باب التوبة . أمّا مَن لم يرعوِ منهم فأثبت عليهِ الحرم *

وبعد ان جلس داديشوع على كرسي المدائن خمسًا وثلاثين سنة توفّي سنة ٤٦٥ وقُبر في مدفن الجثالقة بدير قُني * (طالع ما . ص . عب ٢ : ٥٩)

هذا وقد ترك لنا داديشوع شيئًا من التآليف . فانّ الصوباوي ينسب اليهِ في قائمتهِ شرح اسفار دانيال والملوك وابن سيراخ في ثلاثة مجلّدات . إلّا انّها لم تصل الى يدنا * (طالع س ثمّه) وانقضّ على الكنيسة الجامعة في عهد داديشوع داهيتان هائلتان اعني بدعة نسطور القائلة باقنومين في المسيح وظهرت سنة ٤٣١ * وبدعة اوطيخي القائلة بطبيعة واحدة فيهِ تعالى ونشأت سنة ٤٥١ كما سنرى *

الفصل الخامس

في ملخّص ترجمة مار فثيون وخبر استشهادهِ

وُلد فثيون في قرية تُدعى دوين من اعمال ديناهور من عائلةٍ شريفة · وكان جدّهُ مهريار وجيهًا في علماء المجوس . وخلّف ابنَين وهما دَدكوشناسب ويزدين * فألهم الله يزدين ان يقتبل المعموديّة . فاعتمد ودخل ديرًا وصار ينمو في الفضيلة . ثمّ سعى بهداية اخيهِ ددكوشناسب فعمّذ هو ايضًا ودُعي في العماد

داديشوع وهو ابو مار فثيون * وكان فثيون محبًّا للفضيلة مائلًا اليها فاخذهُ يزدين الى صومعتهِ . وثقّفهُ في حقائق الايمان والفضيلة حتى تمهّر فيها . فدعاهُ الله الى المناداة بالانجيل في بلاد فارس فقصد ارض بلشافر هو وعمّهُ يزدين فأفلحا ثمّه وكرّمهما الله باجتراح العجائب . وهديا كثيرًا من المجوس الى الايمان . ولبث فثيون برفقة عمّهِ يزدين الى ان توفّي * ومن بعد وفاتهِ رُسم فثيون كاهنًا فواصل سعيهُ في نشر الايمان . وقصد ميشان وارض مسبذان وبلاد مادي ونادى فيها بالانجيل فانضمّ الى الايمان جمٌّ غفير وبنى لهم كنائس كثيرة *

وكان في مقدّمة مَن اهتدوا على يد مار فثيون آدورهرمزد عامل بلشافر وابنتهُ آناهيد * وذلك انّ آناهيد كان قد اعتراها الروح النجس فشفاها مار فثيون بصلواتهِ . وحرّضها على اقتبال الايمان والمعموديّة فآمنت فتطاول آدورهرمزد ابوها على مار فثيون فضربهُ الله ضربةً اليمة . فانتبه آدورهرمزد الى جريرتهِ . فأرشدهُ مار فثيون وعمّدهُ وشفاهُ من علّتهِ * فلما بلغ مسامع آدورفرزجرْد والي الكورة خبر تنصُّر آدورهرمزد أمر بقتلهِ في ٢٥ نيسان سنة ٤٤٩ * امّا آناهيد ابنتهُ فترهّبت على يد مار فثيون فشعر بها آذورفرزجرد فسعى بصدّها عن الايمان المسيحيّ . فلم يتزعزع ايمانها وتكلّلت هي ايضًا على يدهِ في اليوم الثامن عشر من حزيران تلك السنة *

هذا واذ سمع آدورفرزجرد بخبر الاعمال الجليلة التي كان يُبديها مار فثيون لنجاح الديانة وتقهقر المجوسيّة أمر باحضارهِ في الحال وصار يعدهُ ويتوعّدهُ فلم يستفد من وعدٍ ولا من وعيدٍ شيئًا الّا التعب * فأمر بان تُقطع اعضاؤهُ في ايّام معدودات فقُطعت في يومٍ أُذناهُ وفي يومٍ يداهُ وفي آخر ذراعاهُ

وفي غيرهِ ساقاهُ ثمَّ فخذاهُ وسائر اعضائهِ . وقُطع في اليوم السادس رأسهُ . وكان ذلك في بلشافر بيوم الاربعاء في ال ٢٥ من تشرين الاوَّل من السنة ٤٤٧م * (طالع ش م مجلد ٢) وهو اليوم الذي فيهِ تحتفل الكنيسة السريانيَّة تذكارهُ شرقًا وغربًا * وبُني على اسمهِ كنائس كثيرة ومنها كنيستهُ في الموصل وآمد * (طالع سي ٢ وجه ٥٥٩ - ٦٠٤)

الفصل السادس

في مشاهير الآباء والعلماء الذين ظهروا في نحو هذا العهد

في الربع الاوَّل من القرن الخامس اشتهر من آباء الكنيسة السريانيَّة آقاق اسقف آمد[1]. ورابولا اسقف الرها * فاشتهر آقاق بحضورهِ المجمع المدائنيّ الثالث وكان ذلك سنة ٤٢٠ . ثمَّ بالعمل البطليّ الشهير الذي ابداهُ وهو انَّ احد عشر الفًا من عساكر الفرس كانوا قد وقعوا اسرى في ايدي الروم فأراد آقاق انقاذهم من الاسر . ولمَّا لم يكن بيدهِ مالٌ كافٍ . كسر الأواني القدسيَّة وباعها وافتداهم بأثمانها * فدهش ملكُ الفرس من مروءَتهِ . وتمنَّى ان يراهُ * ولآقاق رسالةٌ شرحها ماري الفارسيّ كما روى الصوباويّ *

امَّا رابولا فاختير اسقفًا لكرسي الرها سنة ٤١٢ اعتبارًا لقداستهِ وغيرتهِ على الديانة فسعى في تنجح المدرسة الكبيرة التي أُقيمت في الرها لطلبة الفُرس

(1) ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان عن مدينة آمد قال انها من بناء الرومانيين القدماء . وكانت عرضة لغزوات الفرس * وروى ديونيسيوس المؤرّخ اليعقوبي انَّ قسطنطين الملك الكبير او ابنهُ قد اصلحها وكبَّرها وحوَّطها بالأسوار سنة ٣٤٩ م ويعرف من اساقفتها شمعون الذي حضر المجمع النيقاويّ *

المترشحين للكهنوت وعلى روايةٍ انها هي المدرسة التي اقامها مار افرام بعد رحيلهِ من نصيبين فأزهرت في عهدهِ حتى بلغت أوج الكمال * وطرد منها الطلبة الفارسيين الذين حاموا عن نسطور وضلالهِ كما سوف نرى . وحامى جهدهُ عن دعوة مار قيرلُّس . فكان لا يكلّ من شرح الحقائق الالهيَّة لشعبهِ . وكان يجمع اولاد الوثنيين الذين كانوا يتعلَّمون في مدارسهِ ليشرح لهم اصول الديانة النصرانيَّة رغبةً في استنارتهم * ولهُ رسالةٌ في الايمان الى مار قيرلُّس . ويمدح ابن العبريّ في كتابهِ «الهدايات» قوانينهُ التي سنَّها في مجمعهِ الرهاوي * (طالع سي ٤ : ٢٩٦-٤٦٩)

واشتهر من العلماء في هذا العهد تلاميذ المدرسة الرهاويَّة المارّ ذكرها . ومنهم ماري الفارسيّ . وميخا الملفان . وايهيبا الرهاويّ *

امَّا ماري فوُلد في اردشير واقيم اسقفًا عليها نحو سنة ٤٢١ . واليهِ وجَّه ايهيبا الرهاويّ رسالتهُ في شان مدافعتهِ عن نسطور * ويذكر الصوباويّ لماري تفسيرًا لسفر دانيال وشرحًا لرسائل آقاق اسقف آمد . وكتابًا ضدَّ مجوس نصيبين * (طالع س ٢ : ١ وجه ١٧١)

وكان ميخا الملفان احد الطلبة الفارسيين الذين طُردوا من مدرسة الرها . ثمَّ رُقّي الى اسقفيَّة لاشوم احدى مدن باجرمي * ومن تآليفهِ التي ينسبها الصوباوي اليهِ ميمر عن قنطروفيس . وميمر آخر عن مار سبريشوع اسقف لاشوم وتفسير سفر الملوك وعلل الجلسات الخمس * (طالع س ٢ : ١ وجه ١٧٠)

امَّا ايهيبا فانَّهُ كان رهاويًّا . وساس ابرشيَّة الرها بعد موت رابولا من سنة ٤٣٥ الى سنة ٤٥٧ وحامى عن النسطوريَّة كثيرًا * وعليهِ فالنساطرة يلقّبونهُ بالمفسّر . ومن تآليفهِ تفسير الامثال وتراجيم ومداريش وجدال ضدَّ الهراطقة . وساعد

كوماي وفروبا معلّمي مدرسة الرها على استخراج كتب تيودور اسقف مصّيصة وارسطو الفيلسوف من اللغة اليونانيّة الى السريانيّة * (طالع س ٢ : ١ وجه ٧٠)

الفصل السابع

في اختيار بابوي الجاثليق واخبار إمامتهِ ومكايد برصوما النصيبيني

اعلم انهُ جلس على كرسيّ المدائن بعد موت داديشوع بابوي الجاثليق * وكان بابوي في اصلهِ وثنيًا من قريةٍ تُعرف بالتلّ على نهر صرصر . فاستنار بالايمان المسيحي واقتبل العماد وتثقّف بالعلوم فعلا شأنهُ حتى اختير جاثليقًا . وكان ذلك سنة ٤٥٧ للميلاد في عهد فيروز ملك الفرس الذي استوى على تخت المملكة سنة ٤٥٩ . فاظهر فيروز المودّة لبابوي في بدء الامر . الّا انهُ بعد ذلك تغيّر عليهِ قلبهُ فاذاقهُ اذايا كثيرة. اما السبب الذي حمل فيروز على اضطهاد بابوي الجاثليق فهو انّ برصوما مطران نصيبين كان قد اخترق الشرائع الادابيّة والبيعيّة انقيادًا لأميالهِ واهوائهِ الرديّة الفاحشة فانهُ اباح الزّواج للاساقفة . وصار هو بنفسهِ قدوةً لهم باتخاذهِ ماموية الراهبة زوجة لهُ . وجدّ في نشر البدعة النسطوريّة بين المشارقة . فحرمهُ بابوي * فاتّقد برصوما غضبًا عليهِ . ووجد اسبابًا للسعاية بهِ لدى الملك . فاقنعهُ بانهُ عدوّ الدولة ومعاضدٌ للروم . وكان فيروز يركن الى كلام برصوما ويحبّهُ . فوقع في الخديعة . وشرع يضطهد بابوي . ونخ برصوما سلطانًا لقهر من يقاوم رأيهُ كما سنرى * (طالع ما . ص . عب : ٥٩)

الفصل الثامن

في المجمع الذي عقدهُ بابوي الجاثليق لحرم برصوما وبدء اضطهاد برصوما للبيعة

إنّ بابوي الجاثليق محاماةً عن الايمان القويم وحفظًا للتهذيب البيعي اراد ان يتلافى الامر قبل ان تزداد البدعة النسطوريّة بأسًا وتستفحل النزاعات الباطنيّة في كنيستهِ المشرقيّة . فعقد مجمعًا في المدائن للنظر في أمر برصوما وقهر تمرّدهِ . وهذا هو المجمع المدائنيّ السادس * وهذا ملخّص اخبار هذا المجمع واعمالهِ : كان برصوما قد اخلّ بالايمان والاداب . والتهذيب البيعيّ * فلما حضر الاساقفةُ المجمع استقبحوا فعلهُ وحرموهُ لسببين . الاوّل : لانهُ كان متمسكًا بالبدعة النسطوريّة وساعيًا في نشرها واضطهاد من لا يركن اليها * والثاني : لانهُ اجاز الزواج للاساقفة والكهنة خلافًا للعادة القديمة. ففتح بذلك سبيل الفساد في الكنيسة*

ولم يرعوِ برصوما بعد ذلك ولا انقاد لأمر المجمع بل ازداد غضبًا وجسارةً . وعقد جمعيّةً في سليق حكم فيها مع اعوانهِ الاساقفة بجواز الزواج للكهنة والرهبان * ولم يقف عند هذا الجنون بل استمال فيروز الملك الى اضطهاد النصارى رافضي المذهب النسطوريّ بقولهِ لهُ : انّ الروم اعداء مملكتك يبغضون تعاليم نسطور . فان انت دفعتَ اليّ جنودًا صيّرتُ كلّ نصارى مملكتك تابعين لتعاليمهِ . فتحصل هذه الفائدة وهي انّ الروم يبتدئون حينئذٍ يبغضونهم . فاذا بغضهم الروم قابلوهم هم ايضًا بالبغضة وبذلك يزيد انعطافهم اليك * فنال برصوما بغيتهُ بذلك . فانّ فيروز عهد اليهِ الامر باجراء تدابيرهِ . فشرع يضطهد بابوي ومستقيمي الايمان والآداب * (طالع عب ٢ من وجه ٥٩)

الفصل التاسع

في اثارة برصوما الاضطهاد على مستقيمي الايمان

اجرى برصوما الامر الذي ناله من فيروز بقساوةٍ لا مثيل لها. وملأ هذه الناحية المشرقيّة بسوء طريقتهِ حَيفًا * وشرع يدور في باجرمي ونوهدرا ويقتل بالسيف كلّ من لا يطاوعهُ على رايهِ. فكان عدد القتلى من هذه الناحية فقط ما ينيف على سبعة آلاف وسبعمائة رجل * ثمّ قصد اربل فهرب مطرانها من امام وجههِ ثمّ صعد الى نينوى فقتل تسعين كاهنًا كانوا في دير بيزونيتا وخلقًا لا يحصى عددهم من القرى المجاورة ثمّ اراد اخيرًا ان يفتك ايضًا بالتكارتة والأرمن فتهدّدوهُ بالموت فعدل عنهم *

وكان من الذين اشتهروا في من أمسوا غنيمةً لاضطهاد برصوما برسهدا اسقف نينوى مع اثني عشر راهبًا من دير مار متّى المعروف بالفاف. فانّهُ اوثقهم وبعث بهم الى نصيبين وحبسهم في بيت رجل يهوديّ * ولمّا راى هذا اليهوديّ ثبات هؤلاء المعترفين آمن وتنصّر وسعى بعد تكلّلهم بنقل اجسادهم من نصيبين الى دير بيزونيتا * وامتدّ الاضطهاد الى عموم نصارى المملكة ايضًا إذ إنّ اعمال هذا الظلم الذي اتاهُ برصوما اضحت فرصةً وسببًا للمجوس ليثيروا الاضطهاد على عموم النصارى في كلّ مكان وبدون تمييز * فسُلبت فيهِ الأواني القدسيّة وقُتل عبيد الله بحدّ السيف وأُذيقوا عذاباتٍ هائلة. وأُجبروا على جمع الحطب لايقاد النار في هياكل المجوس وعلى السجود للشمس. ولم تخبُ نار هذا الاضطهاد حتى وقع عهد الصلح بين فيروز الملك ولاون ملك الروم * ولكن فيروز لم يلبث

ان عاد الى اضطهاد النصارى من جديد وذلك بعد ان انتصر على الهونيّين فانتفخ عُجبًا وامر بهدم البيع والاديرة. من ذلك دير مار عبدا. وفي يوم واحدٍ قُتل من النصارى الذين كانوا قد اخذوا في الهزيمة نحو ثلثمائة شخص * وهذا هو الاضطهاد الثاني عشر * (طالع عب ٢: ٥٩-٧٨. س ٢: ٤٠٢ و ٢: ١ وجه ٢٩٤)

الفصل العاشر

في استشهاد بابوي الجاثليق واخبارهِ الاخيرة

اشتهر في الذين قُتلوا في هذا الاضطهاد الثاني عشر بابوي الجاثليق * وكان الداعي الى قتلهِ أنّ برصوما مطران نصيبين الفاحش لمّا عثا في هذه البلاد الفارسيّة مُفسدًا وسعى في نشر البدعة النسطوريّة خارقًا حرمة شرائع الآداب والتهذيب وفاتحًا ابواب التعدّي في وجه من يقاومهُ. انتهى خبر مظالمهِ الى مسامع لاون ملك الروم والاساقفة المغاربة فكتب هؤلاء الى بابوي الجاثليق يوبّخونهُ على تقصيرهِ في تاديب برصوما اسقفهِ. فأجابهم سنة ٤٨٥ انهُ غير قادر على ردع برصوما. لانّ فيروز الملك يعاونهُ على اضطهاد اهل الايمان. ثمّ اضاف الى قولهِ العبارة التي قالها بنو حنانيا في بختنصر الملك وهي أنّ الله اسلمنا الى يد مملكة فاجرة * فوقعت رسالة بابوي بيد برصوما الذي أُقيم عاملًا على نصيبين من قِبل فيروز ملك الفرس ليراقب حركات الروم. فأوصلها الى الملك واوغر صدرهُ على بابوي وافهمهُ انهُ جاسوس يكاتب الروم * فاحضر فيروز الملك بابوي وانكر عليهِ تصرّفهُ وامرهُ ان يسجد للنار فأبى بابوي فحكم الملك بان يُجلد ويُصلب خارج المدينة من خنصرهِ ففُعل بهِ بحسب امر الملك. ثمّ أُخذ جسدهُ

ودُفن في الحيرة وجرى ذلك سنة ٤٨١ * (طالع عب ثمَّه . اخ ٢ : ١ . ١٠ . ص . والسمعاني في شان تواريخ القرن الخامس ٢ : ٢ وجه ٦٠)

الفصل الحادي عشر

في اشهر آباء الكنيسة السريانيَّة على هذا العهد

اشتهر في هذا العصر كثير من الآباء والمعلّمين السريان منهم اسحق الشيخ وهو غير اسحق القسّيس الانطاكي المعروف بالكبير . وبالاي . وزينوب . وعبشميا . وغريغوريوس الأنبا . ومار اسحق الكبير . وقزما القسّيس . ومار شمعون العمودي . ويشوع العمودي . ومار يعقوب اسقف سروج . وجيورجيوس تلميذهُ *

وكان اسحق الشيخ من اخصّ تلاميذ مار افرام الملفان وكان من الرها . وفي عهد ارقاديوس الملك قصد روميَّة ليشاهد الكابيتول الذي كان مفتوحاً اوانئذٍ وعرّج على بزنطية في عودهِ الى الرها حيث رُسم قسيساً * (طالع رسالة يعقوب الرهاوي الى يوحنا الراهب) وينسب اليهِ من التآليف بعض الميامر وتراجيم * (طالع السمعاني مجلّد ١ وجه ١٦٥)

وكان بالاي بن آبا من الشعراء المجيدين الفاضلين الذين اخذوا عن مار افرام . وهو صاحب الوزن الشعريّ ذي الخمس حركات . لانّ اكثر نظمهِ كان موزوناً بهِ * وفي كتاب نظم السريان المسمى ܡܫܘܚܬܐ (البسيطة ولاسيما في آخر صلاة الليل كثير من شعرهِ ممّا مطلعهُ ܫܒܘܩ ܠܚܛܗ̈ܝܢ ܚܘܒܝܢ ܠܢ ܒܗܘܢ ܕܒܥܝܢ . هذا وقد فُقد من شعرهِ كثيرٌ * (طالع ثمَّه وجه ١٦٦)

وكان زينوب ايضاً من تلاميذ مار افرام . واياهُ مدح في وصيتهِ الاخيرة .

وكان من الجزيرة الزبديَّة ثم صار شماساً في الرها . وذكر الصوباوي تصانيفهُ . ومنها كتاب ضدّ مرقيون وضدّ بفوليوس . ورسائل الى ابسيدورس ولوقيلوس وابرام وايّوب * (طالع ثمَّه ١٦٨)

اما عبشميا وهو ابن اخت مار افرام الملفان فنشأ في نحو اواخر القرن الرابع وكان قسّيساً في الرها * ولهُ مداريش وميامر في هجوم الهونيّين على الولايات الروميَّة والنوائب التي اصابتها * (طالع ثمَّه ١٦٩)

واماّ غريغوريوس الأنبا فترك لنا من المصنَّفات كتاباً ادبياً في حياة الرهبان النسكيَّة وثلاث رسائل وكان من بلاد فارس . وقصد جزيرة قبرس وصار ثمَّه رئيساً على الرهبان * ولايخفى ان اللغة السريانيَّة كانت في حيز الاستعمال في هذهِ الجزيرة . وانقسم السريان فيها بعد انشقاق المشرق الى ثلاث طوائف وهم الموارنة واليعاقبة والنساطرة كما يتحقّق ذلك من اعمال المجمع الفاورنتينيّ الذي عُقد في عهد اوجانيوس الرابع * (طالع ثمَّه ١٧٠)

واماّ مار اسحق ويعرف عند المؤرّخين بالكبير تعظيماً لشأنهِ بسبب التآليف الكثيرة النفيسة التي خلّفها لنا في موادّ شتّى فأصلهُ من الرها ومولدهُ ومنشأهُ في انطاكيَّة . وهو غير مار اسحق النينويّ واسحق الشيخ تلميذ مار افرام المارّ ذكرهُ * فهذا صار قسيساً في انطاكيَّة ورئيساً على دير جبولا ܓܒܘܠܐ احدى مدن فينيقيَّة . وقرأ العلم على المعلّم زينوب المارّ ذكرهُ . وكان شاعراً مطبوعاً . ومن شعرهِ ستون ميمراً مشحونةٌ بالحكم والتعاليم الالهيَّة التي يعتمد عليها الرهبان والواعظون * ولهُ مقالات ضدّ نسطور واوطيخي . ورثاء في انطاكيَّة التي خربت باهتزاز الارض سنة ٤٥٧ . وتوفي سنة ٤٥٩ * (طالع ثمَّه ٢٠٧ - ٢٢٤) هذا وقد

حُسب يومًا مستقيم الايمان الّا انّ الاب بيجان لمّا بيّن وجوب تمييز شخصَين بهذا الاسم حكم انهُ كان من القائلين بالطبيعة الواحدة واثبت ذلك من ميمرهِ الذي الّفهُ بعد المجمع الخلقيدونيّ بزمان كثير في الببغاء التي رآها في انطاكيّة تتلو في كلمات قدّوس يا من صُلب لاجلنا كما علّمها صاحبها . وعليهِ فقد ضلّ يعقوب الرهاويّ المذكور الذي زعم اعتمادًا على رواية ميخائيل الكبير انّ اسحٰق كان اوّلاً مونوفيسنيًا ثمّ خضع لاحكام المجمع الخلقيدوني في عهد نونا استقف الرها *

وكان قزما قسّيسًا سريانيًا جنسًا ونشأ في فاتير احدى قرى قليسيريا وخلّف لنا ترجمة مار شمعون العموديّ الذي كان معاصرًا لهُ * ولهُ ايضًا رسالة كتبها اليهِ * (طالع ثمّة وجه ٢٢٥)

امّا ترجمة مار شمعون العمودي فهاك خلاصتها : وُلد مارشمعون في صيص قريةٍ من كورة النقوفليّين ܢܝܩܘܦܘܠܝܣ في بلاد العرب الشماليّة وهجر بيت ابيهِ وترهّب في دير اوسيبونا القريب من تلعد * ثمّ خرج من هذا الدير ووصل الى حدود تلّ النساء ܬܠܢܫܐ وصام اربعين يومًا في دير ماري بن برعتون * وبعد ان اقتبل القربان من يد باس القريادوط (اي الزائر) الرهاوي توغّل في الصحراء فلقي صخرًا وجدهُ بقرب تلّ النساء فاستمرّ فوقهُ يعبد الله حتى ختم ايّام حياتهِ في ٢ ايلول سنة ٤٥٩ * ولذلك عُرف بالعمودي . واجترح معجزات كثيرة يطول وصفها * ولمار شمعون العمودي اربع رسائل في اللّغة السريانيّة . الاولى الى ثيودوسيوس الصغير . والثانية والثالثة الى المجمع الخلقيدونيّ . والرابعة الى اودوقية * (طالع ثمّة وجه ٢٢٥ - ٢٥٢ . سي ٤ : ٥٠٧ - ٦٥٠ (١))

(١) † اني رايت رسالتين لهُ احداهما الى لاون الملك والاخرى الى يعقوب استقف كفرا .

وامّا يشوع العموديّ فكان اصلهُ من الرها واقتبل الطريقة الرهبانيّة في دير زوقنين القريب من آمد * ومن تآليفهِ تاريخ في حرب الفُرس مع الروم على عهد قباد الملك * (طالع ثمّة وجه ٢٦٠ - ٢٨٣)

امّا يعقوب السروجي ويُلقّب بالملفان نيافةً فهاك ملخّص ترجمتهِ . وُلد في فرطم مدينةٍ على الفرات في ناحية سروج . وتعيّن خورفسقفًا في هورا بلد في تلك الناحية . وفيها كتب رسائل تسليةٍ الى نصارى نجران وسكّان الرها الذين كان يتهدّدهم الفرس . ثمّ اختير اسقفًا على سروج وبطنان مدينتي الجزيرة سنة ٥١٩ وكان عمرهُ ٦٨ سنةً وتوفّي سنة ٥٢١ * فهذا كان قد حامى عنهُ السمعاني * (طالع س ١ : ٢٨٣ - ٣٤٠) وقرّر انهُ كان مستقيم الايمان . امّا الآن فقد اتّضح للمحقّقين من رسالتهِ التي كتبها الى رهبان دير مار باسُس انهُ كان من الدّ اعداء النساطرة وواحد الاساقفة الذين رسموا يوحنّا استقف تلّا المونوفيسيتي القحّ في عهد يوسطين ملك الروم . ولانهُ كان منصبًّا على الدرس غير مختلطٍ باصحاب المنازعات الدينيّة لم ينفَ كما نُفيَ اساقفة القائلين بالطبيعة الواحدة من سنة ٥١٨ فصاعدًا بامر يوسطين الملك * وتآليفهُ كلّها فلسفيّة ودينيّة في التوحيد والتثليث وغير ذلك من اسرار الديانة * وتجدر بالذكر ميامرهُ الشعريّة وعددها ينيّف على الثمانمئة والستين ميمرًا وكلّها مع صعوبة مادّتها قريبة المأخذ سهلة التناول وكذا ايضًا تآليفهُ النثريّة ومنها تفسير الكتاب المقدّس كلّهِ . ولله تفسيرهُ فانهُ اجاد فيهِ وفاق . وليعقوب

ومنها بيان انّ شمعون العموديّ كان عدوّ المجمع الخلقيدوني . وهاتان الرسالتان موجودتان في مكتبة سعرد الكلدانيّة . ولست ادري هل انهما حقيقيّة لهُ ام غلطًا نسبتا اليهِ . فانّ شمعون العموديّ كان اميًّا . فلا بدّ انهُ كان يملي رسائلهُ على واحد من تلاميذهِ *

ايضاً نافوران او قدّاسان بدء الاوّل ܐܰܠܳܗܳܐ ܐܰܒܳܐ ܗܘ ܕܒܫܡܝܐ . والثاني ܡܫܝܚܐ ܕܟܠ . ورتبةٌ للعماذ يستعملها الموارنة[1] ورسائل ومواعظ شتى * (طالع ثمّه وجه ٢٨٢-٢٤٠)

واماّ عن مصنّفات جيورجيوس تلميذ يعقوب السروجيّ . وهو غير جيورجيس التكريتيّ وجيورجيس اسقف العرب . فلم تذكر لنا التواريخ غير تقريظٍ قالهُ في معلّمهِ * (طالع ثمّه ٢٤٠)

الباب السابع

في اصل البدعة النسطوريّة واسبابها ومبادئها وتقدّمها في هذهِ البلاد

الفصل الاوّل

في اخبار نسطور والثورة التي احدثها في القسطنطينيّة

كان نسطور من جرمانيقية احدى مدن سورية المسماة الآن مرعش . وترهّب في دير قريب من انطاكيّة ورُسم كاهناً . وتظاهر بالنسك والتواضع . وأبان غيرةً في المحاماة عن الايمان . فاختير اسقفاً على القسطنطينيّة * وحدث في ذلك العهد ثورة عظيمة في القسطنطينيّة ثارها المؤمنون غيرةً على الايمان . وكان ذلك انّ انسطاسيوس القسّيس الذي اصحبهُ نسطور معهُ من انطاكيّة قام يعظ يوماً . فأخذ يعلّمُ بتلقين نسطور انهُ لا يجوز ان تسمّى مريم العذراء والدة الله *

(١) انّ السريان المشارقة وهم الكلدان يستعملون في العماذ طقس الرسل . ويستعمل السريان اليعاقبة طقس مار يعقوب الرسول وساويرا الانطاكي وفيلوكسينس اسقف منبج . والموارنة طقس مار بطرس ومار باسيليوس الكبير ويعقوب السروجي ومار يعقوب الرهاوي *

وكان نسطور قد اخذ هذا الزعم عن ثيودور اسقف مصيصة معلّمهِ . فغضب شعب القسطنطينيّة وتهافتوا على نسطور طالبين اليهِ ان يردع كاهنهُ فلم يبالِ بهم نسطور بل رقي هو ايضاً الى المنبر وشرع يحامي عن تلك القضيّة * فهاج الشعب وماجوا وثاروا على نسطور وتهدّدوهُ بالعصيان عليهِ ان هو اصرّ على هذا التعليم فلم يكترث لهياجهم بل استعان بالحكّام واجرى على الكهنة والشعب المؤمن اضطهادات واهانات يطول شرحها *

الاّ انّ الربّ تدارك الشعب بعنايتهِ واقام مار قيرلّس اسقف الاسكندريّة نصيراً ومدافعاً عن الايمان . فهذا كتب رسالةً الى اساقفة مصر وكهنتها ورهبانها تأييداً للحقّ . ورسالةً أُخرى الى نسطور فيها ينصحهُ ان يكفّ عن رأيهِ . فلم ينكفف بل اصرّ على رأيهِ . وانفصل كثيرٌ من كهنتهِ وشعبهِ عن شركتهِ فاذاهم وطرحهم في السجن * ثمّ انفذ اليهِ مار قيرلس رسالةً أُخرى . فلم يُرد نسطور ان يستفيد منها شيئاً * واذ راى قيرلّس انّ نسطور بعد كلّ هذهِ الوسائل لم ينتفع شيئاً كتب مقالاتٍ طويلةً بعث بها الى ثاودوسيوس الملك في شأن الايمان القويم واطلع مار قلسطينس الحبر الرومانيّ على حقيقة المسألة * وهكذا ايضاً فعل نسطور فانهُ ارسل الى البابا رسالاتهِ في شأن تعليمهِ التجديفيّ * وبعد ان وقف مار قلسطينس على الخطر المتغلّبة فيهِ كنيسة القسطنطينيّة عقد مجمعاً في رومية في شهر آب من سنة ٤٣٠ وفيهِ حرم تعليم نسطور . وامر بحطّهِ بعد اشهار الحكم عليهِ بعشرة ايام ان لم يرعوِ . وبان يكون مار قيرلّس هو الساعي في تنفيذ هذا الحكم *

فأتمّ قيرلّس هذهِ المأموريّة بكل اجتهاد . وذلك انهُ عقد مجمعاً من

اساقفتهِ . وقرّ الرأي ان يُنفذ الى نسطور على يد اربعة اساقفة رسالة الحبر الروماني ورسالة مجمعيّة منهم تشتمل على صورة الايمان والاثني عشر حرماً الشهيرة المضادّة لقضايا نسطور * واثبت مار قيرلّس حقيقة الايمان الكاثوليكي بحكمة عجيبة . فكان من جملة ما كتب في رسائلهِ قولهُ : « ان كان ربنا يسوع المسيح الهاً وكانت العذراء امّهُ فهي اذًا امّ الله . وهذا هو الايمان الذي علّمناهُ الرسل وهو تعليم آبائنا * ولا يُفهم بذلك انّ طبيعة الكلمة او اللاهوت أخذ بداءتهُ من مريم العذراء . بل انّ فيها قد تصوّر الجسد المقدّس وتنفّس بنفسٍ ناطقة . وبهِ اتّحد الكلمة اتحادًا اقنوميًّا . ومن ثمّ يقال الكلمة صار جسدًا » *

الفصل الثاني

في تحديد مجمع افسس والحوادث التي جرت بعد ذلك

انّ مار قلسطينس البابا وثاودوسيوس ملك الروم هما اوّل من سعى في عقد مجمع افسس لحسم النزاع وتقويض الضلال وقد وصف لنا المؤرّخون البيعيّون اخبار التئام هذا المجمع وهاك ملخّصها : كان مار قلسطينس البابا قد قلّد الرئاسة على المجمع لمار قيرلّس بالنيابة عنهُ . وارسل ايضاً ارقاديوس وبرقتوس الاسقفين وفيلبس الكاهن لينوبوا عنهُ * فافتُتح المجمع في ٢٢ حزيران من سنة ٤٣١ في كنيسة مريم العذراء وكانت اعظم كنيسةٍ في افسس وحضرهُ نحو مائتي اسقف * وكان قد عهد ثاودوسيوس الملك من قبلهِ الى الكونت قنديديانوس وقاية المجمع من البلبلة . وكان هذا صديقاً لنسطور * فدُعي نسطور رسميًّا الى الحضور . فأبى واحتجّ بغياب صديقهِ يوحنا فطريرك انطاكيّة واساقفتهِ الذين كان تأخّرهم مقصودًا *

فعاد آباء المجمع يدعون نسطور المرّة بعد الاخرى الى المجمع ولمّا لم يحضر فحصوا في الجلسة الاولى تعليمهُ في مؤلّفاتهِ * وتليت اوّلاً رسالة قيرلّس الى نسطور ثمّ تُلي الجواب عليها فهتفوا عندها بصوتٍ واحد : من لا يحرم نسطور فليكن محروماً . ثم قرأوا رسالة البابا قلسطينس الى نسطور . واتوا بآياتٍ كثيرة من الكتب المقدّسة والآباء تأييدًا للايمان القويم . وقابلوها مع تعاليم نسطور . فرأوها مضادّة لهُ وحتموا ان في المسيح الرب اقنوماً واحدًا وانّ مريم العذراء هي أمّ الله ثمّ حكموا اخيرًا بحطّ نسطور عن درجتهِ واشهروا هذا الحكم عليهِ في النهار التابع وعلّقوهُ في الاماكن الشهيرة من افسس *

امّا يوحنا الانطاكي فلمّا علم بعد وصولهِ واساقفتهُ الى افسس بما جرى شقّ عليهِ ذلك . وعقد مجمعاً آخر في افسس حضرهُ اربعون اسقفاً وسُمّي المجمع اللصّي . وبلغت بهم الجسارة الى ان يحرموا قيرلّس وممنون اسقف افسس وبقية آباء المجمع * واستاء قنديديانوس من هذه الحوادث وخاصّةً لمّا علم انّ آباء المجمع كتبوا الى الملك ليُطلعوهُ على ما رتّبوا فحجز على المراكب والطرق لئلا تبلغ رسائلهم الى الملك * امّا رسائل اعدائهم فوصلت اليهِ . فغضب الملك على الآباء المستقيمي الراي . وامرهم ان لا ينصرفوا عن مكانهم * امّا آباء المجمع فلكي يُطلعوا الملك على الدسيسة تمكّنوا من ان يرسلوا اليهِ صورة اعمال المجمع داخل قصبة مع رجلٍ بزي شحّاذ فقير . فأيقن عند ذلك بمكر المشاقّين . واطلق سَراح ممنون وقيرلّس اللذين كان قد حبسهما بإقناعهم تخميدًا للاضطراب . ونفى نسطور الى ديرهِ ثمّ الى مصر وهناك دوّد لسانهُ الذي جدّف على والدة الله ومات بذلك شرّ ميتةٍ *

وامّا يوحنا الانطاكي واساقفتهُ فكانوا قد توهّموا في البداءة انّ قيرلّس ظلم نسطور وانهُ وقع في ضلال ابولينارس لكنّهم لما تبرّأ قيرلّس من هذهِ التهمة تصالحوا معهُ وصدّقوا اعمال مجمع افسس واضحوا من اكبر الحامين عنهُ *

اما اشياع نسطور فلما رأوا راس بدعتهم محروماً ومنفياً عمدوا الى كتب ثيودور اسقف مصّيصة وديودور اسقف طرسوس فنشروها . ونقلها الى السريانية تلاميذ الرها الفرس وحاموا عنها نصاراهم . فطردهم رابولا من مدرسة الرها * واشتهر بينهم ايهيبا . فهذا اذ كان قسيساً ولم يكن بعدُ قد خلف رابولا على كرسيّ الرها . كان قد الّف رسالةً دفاعاً عن نسطور فعُرفت هذهِ التآليف بالفصول الثلاثة . وكان من أمر اصحابها انّ ثيودور وايهيبا اعترفا بعدئذٍ في المجمع الخلقيدونيّ بالايمان الذي قررهُ مجمع افسس وحرما نسطور فردّا الى كرسيهما . وامّا ثاودور فكان قد توفي * ولمّا كانت هذهِ الفصول الثلاثة ملومةً من حيث المعتقد رفضها مستقيمو الايمان . ثم حُرمت بعدئذٍ في المجمع الخامس القسطنطينيّ سنة ٥٥٢ من دون ان يُحرم اصحابها * ولذلك فالنساطرة يعتبرون ثيودور وديودور ونسطور من اشهر ايمّة شيعتهم *

الفصل الثالث

في الاسباب التي ساعدت البدعة النسطورية على الانتشار في المشرق

قد كان الذين حاموا عن نسطور في بلاد الروم في اسوإِ حالٍ . فانهم سيموا الخسفَ وأُزعجوا ايّ ازعاجٍ فحُرّمت عليهم قراءة كتب نسطور وثيودور ووقع التفتيش عنها * وكان ثاودوسيوس ملك الروم من اقوى الحامين

عن الايمان فأمر ان يسمّى الحامون عن نسطور سيمونيّين لا مسيحيّين . وهكذا استؤصلت شأفةُ النساطرة من بلاد الروم في أقرب آنٍ * هذا وقد كان يُعَدّ دخول بدعة نسطور بلاد المشرق امرًا غريباً لولا انّ اسباباً بعيدةً وقريبةً عرضت فساعدت على ذلك . فالبعيدة هيّأت المشارقة لاقتبال هذه البدعة والقريبة حملتهم بتاثيرها على اقتبالها فعلاً *

اما الأسباب البعيدة فكثيرة : منها أوّلاً ان المشارقة واساقفتهم لمّا كانوا خاضعين ليوحنّا الأنطاكي دعتهم الحال الى ان يتبعوا رأيهُ في موالاة نسطور * ثانياً ان طلبة الرها الفرس لمّا طردهم رابولا لانّهم تبعوا تعليم نسطور واستخرجوا كتب ثيودور وديودور المارّ ذكرهما من اللغة اليونانيّة الى السريانيّة وبثّوها في بلاد آثور وفارس . كانوا قد استولوا حينئذٍ على أشرف اسقفيّات هذه الديار وتولّوا رئاسة المدارس فدسّوا بين جماعاتهم هذا السم . وكان من اشهرهم معنى مطران اردشير . وبرصوما مطران نصيبين . ونرسي الملفان * ثالثاً انّ ايهيبا قبل ان يستولي على كرسي الرها كان قد نهج هو ايضاً السبيل الى الشقاق والضلال برسالتهِ التي كتبها قبل ان يرعوي الى مارا سلَفِ معنى المارّ ذكرهُ ونشرها بين المشارقة فاغواهم بتنديداتٍ كاذبة بحقّ الايمان وقيرلّس *

وامّا الاسباب القريبة فكان من أقواها برصوما مطران نصيبين فهذا استعمل حيلاً شتّى لتنفيذ رأيهِ بالسلطان الذي أُعطي له من فيروز الملك إذ بيّن لهُ ان النصارى لا يُخلِصون طاعتهم وخضوعهم ان لبثوا مصرّين على بغضتهم لنسطور الذي يكرههُ الروم * لذلك تمكّن بالسلطان الذي أُعطي

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

له من اجبار كثير من النصارى بالاضطهاد والحبس والإغرام والقتل على اقتبال البدعة النسطورية * ثمّ انّ الحرّية التي أباحها برصوما في مجامعهِ اللّصبة للاساقفة والرهبان في ان يتزوّجوا سهّلت له اجتذاب الكثيرين الى رايهِ وكسر شوكة المستقيمي الايمان. وعليهِ فخبث برصوما الذي كان يموّه الحوادث خلافًا للحقيقة وللأغراض السياسيّة والعِداء المتبادل بين المملكتين الفارسيّة والروميّة. ذلك كان من أقوى العوامل لإتمام مآربهِ * ويسوغ لنا ايضًا ان نضيف الى ما سبق من الاسباب الفاعلة نفور نرسي العلاّمة الفريد وغيره من المعلمين الذين بتعليمهم وميامرهم المفعمة بالمعاني السامية المبتكرة والمرصّعة بعقود البلاغة لم يفرقوا بين الطبيعة والاقنوم فصاروا سببًا لعدم التمييز بين عقيدة اليعاقبة والعقيدة الكاثوليكيّة *

الباب الثامن

في تواريخ المشارقة من عهد آقاق الجاثليق الى ان دخلت النسطرة رسميًّا هذه البلاد (٤٨٤ - ٤٩٦)

الفصل الاوّل

في اختيار آقاق واخبار إمامتهِ واعمال برصوما الاخيرة

خلف بابوي الشهيد الجاثليق في كرسي المدائن آقاق (وهو غير آقاق مطران آمد الذي حضر مع ماروثا الميّافارقيني مجمع يابالاها المدائني) وكان من قرابة بابوي سالفهِ. ودرس في الرها. وصار يعضد بابوي ويقاوم

برصوما ولما وقع الخلاف بين بابوي وبرصوما استدعاهُ نسيبهُ بابوي سنة ٤٦٥ ليدرّس في مدرسة المدائن. وكان من مشاهير العلماء وافاضلهم فاختير جاثليقًا سنة ٤٨٤ *

واشتهر آقاق بمجادلتهِ الفرس. فافحمهم وشقّ عليهم ذلك فحبسوهُ زمانًا * ثم انهُ قاوم آراء برصوما الفاسدة فتهدّدهُ برصوما هو واساقفتهُ فتصرّف معهم بفطنةٍ ورصانةٍ ووافق برصوما في اشياء * فتّهمهُ المغاربة الذين في القسطنطينيّة بالميل الى بدعة نسطور لاشتراكهِ في اعمال برصوما الذي اضطهد النصارى وسنّ القوانين الفحشائيّة. فاعتذر اليهم فلم يقبلوا اعتذارهُ ولا قبلوهُ في شركتهم حتى اخذوا العهد عليهِ بان يحرم برصوما اذا ما رجع الى كرسيهِ *

وفي هذا العهد اي في سنة ٤٨٨ عقد برصوما لتأييد آرائهِ القبيحة ثلاث جمعيّات أُخرى. الاولى في لافاط عاصمة الأهوازيين والثانية في المدائن والثالثة في باعدري القريبة من الفوش. وتصدّر فيها برصوما نفسهُ وقرّر فيها بالاتفاق مع اعوانهِ الاساقفة. اوّلاً: انّ في المسيح اقنومين. ثانيًا: انهُ يجوز الزواج للاساقفة والرهبان الذين لا يقدرون ان يضبطوا نفوسهم. ثالثًا: منْع الرهبان من التطواف في المدن والقرى ومن توزيع الاسرار بدون اذن الاسقف المحلّيّ *

الاّ انّ الله لم يترك برصوما وفيروز الجائرين بدون عقاب. فانهُ تعالى اهلكهما في سنةٍ واحدة. فانّ فيروز وقع اسيرًا في ايدي الهونيين الذين حاربهم ففتك بنفسهِ. واما برصوما فقتلتهُ راهبات دير عابدين بمفاتيح قلاليهنّ

انتقاماً منهُ لانهُ قصد انتهاك نذورهنّ بعرض التزوّج عليهنّ . وكان ذلك بين سنة ٤٩٢ وسنة ٤٩٥ * ولبرصوما تآليف ذكرها الصوباوي وهي تعزيات وتراجيم ومداريش . ولهُ قداس وخطب تعليميّة ورسائل * (طالع س ٢ : ١ وجه ٦٩ - ٧١)

الفصل الثاني

في المجمع الذي عقدهُ آقاق الجاثليق واخبار حياتهِ الاخيرة وسيرة بعض الرهبان الشهيرين

نوى آقاق الجاثليق دفعاً للبلبلات التي ألمّت بكنائسهِ ان يعقد مجمعاً ليسنّ فيهِ القوانين الملائمة لقطع الانشقاق واصلاح فساد السيرة فعقدهُ في المدائن سنة ٤٨٨ وكان ذلك المجمع السابع المدائني * وهاك ملخّصهُ : اجتمع آقاق بأساقفتهِ في نهاية سنة ٤٨٦ فحرموا برصوما اوّلاً لأنهُ سعى بقتل بابويه الجاثليق وكثيرٍ من الأبرياء . وثانياً لانهُ أباح الزواج المحرَّم . وثالثاً لأنهُ أتهم آقاق الذي برّأ ساحة نفسهِ في المجمع بادلّة لا ردّ عليها * وحدّد آقاق في هذا المجمع ايضاً وجوب التمسّك بالايمان القويم والقوانين التي سنّها الآباء في المغرب والمشرق . وحرم القائلين ان الوهيّة المسيح قابلة التألّم والذين لا يعترفون بان المسيح بعد اتّحاد الكلمة كان لهُ جوهران الهيّ وانسانيّ * (طالع س ٢ : ٦ . ٤)

أمّا كيف كانت أمانة آقاق . فهذا أمر واقع تحت الجدال . وابن العبري والمؤرّخون النساطرة متفقون على ان آقاق كان نسطورياً . وانهُ

تصالح مع برصوما في المجمع الذي عقدهُ * الّا ان المدقّقين يبرّئون ساحة آقاق من هذه التهمة . لانهُ كان مقاوماً لبرصوما في زمان جثلقتهِ كما في عهد بابوي في هذا المجمع الذي حرمهُ فيهِ * فمن ثَمَّ يُنتج ان برصوما هلك محروماً ولم يتصالح مع آقاق . والّا لمّا ابطل بابي خليفة آقاق في مجمعهِ الحروم التي كانت بين بابوي وبرصوما وآقاق كما سوف نرى . على انّ هذا الحادث يُبيّن ان آقاق لم يرفع عن برصوما الحرم قبل موتهِ ومنهُ يُنتج ان برصوما لم يتب ولم يتصالح مع آقاق * ولآقاق اعمال خيريّة وخاصّةً مع البائسين فانهُ في عهدهِ كان قد زاد فساد السيرة . وكان الفاحشون يلقون اطفالهم في المزابل والطرق . فانشأ آقاق اماكن خيريّة لتربية الأطفال . ووقف لها الأوقاف . وخلّف لنا كثيراً من التصانيف منها رسالةً يدحض فيها دعوة برصوما الفاحش . وكتابٌ يدحض فيهِ القول بطبيعةٍ او جوهر واحد في المسيح . وميامر كثيرة في الصوم والنسك والتقوى الّا انّ هذه التصانيف التي يذكرها الصوباوي لم تصل الى يدنا * وجلس آقاق نحو احدى عشرة سنة . وتوفي على الراي الأصحّ سنة ٤٩٦ ودُفن في المدائن *

واشتهر في هذا العصر بين الرهبان الارثذكسيّين الذين عاشوا قبل ولوج النسطرة هذه البلاد مار ساوا . وبرحذبشبا القردوي . وبنيامين الآراميّ* وهاك خلاصة ترجمة مار ساوا كما كتبها صاحب سيرة الشهداء والقدّيسين السريانيّة : وُلد ساوا في قرية تُدعى باجلاّيا بقرب نهر الترمار من ارض بلشفار. وكان ابوهُ مجوسيّاً فتنصّر . ثمّ من بعد موتهِ اخذ ساوا ميراثهُ من ابيهِ ففرّقهُ على المساكين . ومضى ترهّب زاهداً في الدنيا ونشط لدرس العلوم الالهيّة . ثمّ قصد

مدينةً من ارض راذان فنصّر سكانها بالآيات التي كانت تجري على يدهِ وكسّر اصنامهم * ثمّ قدم اليهِ مار ميخا اسقف لاشوم فرسمهُ كاهنًا فشرع يكرز وينادي بالانجيل في البلاد المجاورة . فآمن على يدهِ كثيرون وشاد لهم الكنائس والاديرة . وتوفي سنة ٤٨٨ * (طالع ش م مجلد ٢) ولهذا القديس شهرة عظيمة في بلاد آثور وفارس . وبُني على اسمهِ كنائس كثيرة منها كنيسة في بيدارو . واخرى في قوجانس وهي اليوم كرسي فطاركة النساطرة المعروفين بالشمعونيّين * (طالع سي ٢ : ٦٢٥) . امّا برحذبشبّا القردوي وبنيامين الآرامي فاشتهرا خصوصًا بمقاومة النسطرة في ابّان ولوجها هذه البلاد وبنيا دير عين قنّا في قردو * (طالع س ٢ : ٢ وجه ٨٧١)

الفصل الثالث

في سلسلة اساقفة الرها

قد وصف سلسلة اساقفة الرها ميخائيل الكبير فطريرك اليعاقبة في تواريخهِ . وقد وصفها منذ سنة ٢١٢ فقط مؤرّخ كاثليكي مجهول الاسم عاش في اواسط القرن السادس واقتبس اخبار اعمالهم واسماءهم والسنين التي عاشوا فيها من خزانة البيعة الرهاوية . وقد ادرجها السمعاني في مكتبتهِ الشرقية . وتكلّم عن بعضهم ايضًا ابن العبري وهذه اسماؤهم : ادّى الرسول . وأجي او أحِي . وفالوط . وعبسلاما . وبرسميا . وتبريديث . وبوزني . وشالولا . وعبدا . وجوربا . وعبدا . وإبزني . واوشتاسف . وعقي . وقونا . وبرسميا (قبل سنة ١١٢) . وادّى . واوشتاسف (قبل سنة ١٧٧) . وعقي (قبل سنة ٢٢٢) . وقونا

وتوفي سنة ٢١٣ . وخلف قونا شعاد الى سنة ٣٢٣ . وجلس اثيالاها سنة ٣٢٤ . وتوفي سنة ٣٤٦ . ثم ابراهيم وتوفي سنة ٣٦١ . ثم خلفهُ مار برسا الذي نُقل من كرسي حران الى الرها في هذه السنة . وتوفي في النفي في شباط من سنة ٣٧٨ . وقام سنة ٣٧٩ اولوغ الذي امضى رسالة مار دمسوس البابا وتوفي يوم جمعة الآلام سنة ٣٨٧ . وفيها خلفهُ قورا وتوفي في ٢٢ تموز من سنة ٣٩٦ . وجلس فيها سيلوان وتوفي في ١٧ ايلول من سنة ٣٩٩ . واختير في ٢٣ تشرين الاول منها فاقودا وتوفي في آب من سنة ٤٠٩ . وخلفهُ فيها ديوجنس وتوفي سنة ٤١٢ * وقام بعدهُ رابولا المار ذكرهُ سنة ٤١٢ وتوفي في ٨ آب من سنة ٤٢٥ ، وخلفهُ فيها ايهيبا ونونا وقورا *

اما ايهيبا فهو صاحب الرسالة التي بعثها الى ماري اسقف اردشير محاماةً عن نسطور . ولذلك نُفي من كرسيهِ في كانون الثاني من سنة ٤٤٨ بامر ثاودوسيوس الملك * الا انهُ لما تبرّأ من نسطور وحرمهُ في المجمع الخلقيدوني أُعيد الى كرسيهِ سنة ٤٥١ ولبث يسوسهُ حتى توفي في ٢٨ تشرين الاول من سنة ٤٥٧ * وقام نونا يسوس كرسي الرها في زمان نفي ايهيبا وذلك في ٢١ تموز من سنة ٤٤٨ ولمّا أُعيد ايهيبا الى كرسيهِ انعزل عنهُ * وبعد ان توفي ايهيبا عاد نونا يسوس كرسيّهُ الى ان توفي سنة ٤٧١ * ولهُ رسالةٌ مجهيّةٌ الى لاون الملك في شان المجمع الخلقيدوني امضاها اساقفة هوفركيتهِ الرهاوية * واما ملخّص ترجمة قورا فهو انّ هذا خلف نونا سنة ٤٧١ نفسها . وقاوم البدعة النسطورية وطرد ثانيةً من مدرسة الرها الطلبة الفُرس المشارقة الذين كان قد اعادهم ايهيبا بعد ان طردهم اوّل مرّة رابولا . ودكّ هذه المدرسة من اساساتها بامر

زينون الملك وبنى في محلها كنيسة على اسم العذراء والدة الله سنة ٤٨٩ ٠ وتوفي قورا في ٦ حزيران من سنة ٤٩٨ *

الفصل الرابع

في ترجمة نرسي واليشاع الملفانين

كان نرسي نابغة ذلك الزمان ويلقبهُ مؤرخوهُ بكنّارة الروح القدس ولسان المشرق لما اتى بهِ في تآليفهِ من سموّ المعاني الآخذة بمجامع القلب ٠ ووُلد في قرية من معلتايا يقال لها عين الدُلبا ٠ من اعمال نوهدرا ٠ وقرا العلوم في مدرسة الرها ورُسم كاهناً ٠ وعلّم فيها نحو عشرين سنة * ثم طُرد في جملة رفقائهِ بامر رابولا اسقفها واتى نصيبين ٠ وعلّم فيها نحو خمسين سنة أُخرى (1) واجتمع اليهِ اكثر من الف تلميذ ٠ وملأ صيت نرسي الخافقين * وقاوم نرسي برصوما بسبب إباحتهِ الفاحشة ٠ فنفاهُ هذا من مدرستهِ ٠ ثم تندم فاعادهُ اليها ٠ ولا يُعاب نرسي الّا في محاماتهِ عن البدعة النسطورية ٠ وتوفي نرسي نحو سنة ٥٠٢ * (طالع اثخ ٢ : ١٧ ٠ ما ٠ ص ٠ عب ٢ : ٦٤)

اما في شان مؤلفات نرسي فنقول انها سامية المعاني وكثيرة جدًّا ٠ الّا

(1) ان ابن العبري يقول ان نرسي علم في مدرسة نصيبين خمسين سنة ٠ وكتاب الاخبار العالمية والبيعية يقول انهُ علم اربعين سنة ٠ واما برحذبشبا اسقف حلوان ففي المقالة التي وضعها في سبب وضع الجلسات في المدارس (ܥܠܬܐ ܕܣܝܡ ܡܘܬܒ̈ܐ ܕܐܣܟܘܠܐ) يقول انهُ علم خمسًا واربعين سنة ٠ وقولهُ هو الاصح ٠ لانهُ كان من تلاميذ حنانا الذي عاش في نهاية الجيل السادس *

انهُ فُقد أغلبها وحُرق جانبٌ كبير منها لما طُرد من الرها ٠ ولنرسي ثلثمائة وستة وستون ميمرًا على عدد ايام السنة في اخصّ اسرار الديانة ولم يبقَ منها اليوم الّا القليل * اما ما كان معروفًا من تآليفهِ على عهد الصوباوي فمن ذلك تفسير اغلب اسفار العهد القديم والجديد ٠ واثنا عشر مجلدًا تحتوي على ميامر لايام السنة ورتبة القداس ٠ وشرحٌ عليها وعلى رتبة العماذ ٠ وتعزيات وتراجيم ونسبحات وكاروزوتات ٠ وتحريضات ٠ وكتاب في فساد الآداب * (طالع س ٢ : ا وجه ٦٥)

وهو الذي ابتكر الوزن الشعريّ ذا الاثني عشرة حركة كما ان بالاي هو صاحب الوزن الخماسي ٠ وافرام صاحب السباعي *

امّا اليشاع الملفان فكان واحدًا من تلامذة الرها الذين طردهم رابولا وصار معلّمًا في مدرسة نصيبين مدّةً ٠ وترك لنا من التآليف تفاسير رسائل بولس الرسول كلها ٠ وتفسير اسفار ايوب وايشوع برنون والقضاة والملوك * ومن اشهر تآليفهِ كتاب بيّن فيهِ صحّة الديانة النصرانية نشرهُ بحسب امر قباد ملك الفُرس وذلك ان هذا الملك كان قد امر اهل كلّ دينٍ ومقالة كانوا في مملكتهِ ان يشرحوا اعتقادهم في كتابٍ ويعرضوهُ عليهِ * فكتب اليشاع كتابًا بهذا الشان وكتابهُ يشتمل على ثماني وثلاثين مقالة تكلّم فيها على الجوهر الالهي وسرّ التثليث وخَلق الملائكة وهبوط الشيطان وخلقة الايام الستة ومجيء المسيح فاستحسنهُ قباد وفضّلهُ على جميع ما حضرهُ من المقالات *

الفصل الخامس

في الشعوب والاقوام التي كانت خاضعة للكنيسة الشرقيّة قبل النسطرة

قبل دخول النسطرة هذه البلاد كانت شعوب الكنيسة السريانيّة طرًّا خاضعةً لفطريرك انطاكية . ولم يكن فرق فيما بينها سوى ان كنائس الناحية الغربيّة المؤلّفة من شعوب سوريّة كانت خاضعةً راسًا لاسقف انطاكية الذي دُعي بتتابع الزمان فطريركًا . وكان هو الذي يدبّر هذه الناحية ويرسم لها الأساقفة . وكانت هذه الناحية السريانيّة اذ ذاك دائنةً لدولة الروم * اما كنائس الناحية الشرقيّة فكانت هي ايضًا بدءًا متعلّقةً بفطريرك انطاكية الّا انها مع تمادي الزمان وبمجرى الطبيعة صارت تحت تدبير جاثليق المدائن الذي كان يقبل الرسامة من اساقفتهِ . فكان هو ينصب الابرشيّات ويعيّن لها الرعاة الجديرين بسياستها . وكانت هذه الناحية السريانية الشرقية يومئذٍ دائنة لدولة الفُرس *

ففي بداءة الامر أُقيم لهذه الناحية الشرقيّة اسقفيتان اولاها في الرها واسّسها مار ادي . والثانية في المدائن واقامها مار ماري وكلتاهما واقعتان في بلاد الجزيرة * اما اسقفية الرها فأُخذت في الانحطاط ولبثت محصورةً في بلاد الجزيرة ثم تنزّعت ونجم عنها اسقفيتان أُخريان هما اسقفيتا آمد ونصيبين * اما اسقفية المدائن فامتدّت شيئًا فشيئًا واستولت على كلّ اقوام هذه الناحية الشرقيّة وشُرّف صاحبها بلقب الجاثليق

واعظم الشعوب الذين مدّت اليهم اسقفيّة المدائن سلطتها هم الآثوريّون

والعيلميون . والفُرس . والفرثيون . والماديون . والهرقانيون . والبقتريون . وبلاد العرب او ميشان *

فاقليم الاثوريين كان يُقسم الى ثلاثة اقسام الاول بلاد الزابين وهي المعروفة بالسريانية باسم ܚܕܝܐܒ . والثاني باجرمي وهي ناحية كركوك . والثالث حلح او حلوان وهي المعروفة اليوم بناحية سليمانية *

اما بلاد الزابين فكانت عاصمتها اربيل وكانت مملكة صغيرة في بدء النصرانية مشحونةً بالنصارى . ويدلّك على ذلك كثرة الشهداء الذين قُتلوا في اضطهاد شابور . ورقّى فافا الجاثليق اربيل الى المقام المطراني وكان لها كنائس اسقفيّة كثيرة متعلّقة بها * اما بلاد باجرمي فهذه ايضًا كثر فيها عدد النصارى حتى اقتضى الامر ان يقيم لها مار شمعون برصبّاعي مطرانيةً اوّلًا في شهرقرد . ثم في كرخ سلوخ اي كركوك حتى شملت هذه المطرانية كلتا المدينتين . وكان لها اسقفيّات كثيرة خاضعة لها * واشتهر عددٌ وافرٌ من الشهداء الاساقفة في هذا الاقليم . ومنهم نرسي اسقف شهرقرد . ويوحنا واسحق اسقفا الكرخ كما مرّ بك * واما حلوان عاصمة القسم الثالث من آثور فكانت آخر حدٍّ للعراق من جهة الشمال . ولم ترتقِ الى الشرف المطراني الّا على عهد مار يشوعياب الجدالي كما سيأتي الكلام * وكان لها من الاسقفيات التابعة لها اسقفيتا دينور وهمذان مدينتي فرثيا او العراق العجمي ويُسمّيهِ العرب بلاد الجبل *

وعن اقليم العيلميّين نقول انهُ سُمّي باسم عيلم بن سام ويُسمّى سكانهُ في السريانية ܥܝܠܡܝ̈ܐ . ܘܗܘܙܝ̈ܐ . ܘܫܘܫܢܝ̈ܐ . ܘܫܘܫܬܪܝ̈ܐ . وكانت

لافاط من مدنهِ الشهيرة . فمنه رقى فافا الجاثليق كرسيّها الى الشرف المطرانيّ . وحازت المقام الاوّل بين المطرانيّات . ومطرانها صار لهُ حقٌ ان يرسم هو الجاثليق اذا كان حاضرًا لانهُ على يد اغابيط مطران عيلم بعث المغاربة رسائلهم في عهد آحاد ابوي التي اباحوا فيها ان يرسم جاثليق المدائن من اساقفتهِ بدليل قول الصوباويّ ܘܡܛܪܢܘܬ ܒܝܬ ܠܦܛ ܕܡܬܩܪܝܐ ܓܢܕܝ ܫܒܘܪ . وسُمّيت لافاط مع تمادي الزمان جنديسابور اي مدينة شابور *

امّا فارس فكانت احد اقاليم الدولة الفارسية . وازهرت فيها النصرانية ونمت سريعاً حتى ان مدينة اردشير عاصمتها حازت الشرف المطرانيّ في اواخر الجيل الثاني . ثم لقبَ المقدَّم الذي كان يوازي مقام مطران المدائن نفسهِ * واراد مقدَّم فارس ان يستقلّ عن جاثليق المدائن وجرى بينهما منازعات طويلة حتى آل الامر أخيرًا بالمقدَّم الى الخضوع لكرسيّ المدائن كما سنرى ذلك في ترجمة جيورجيس الجاثليق * وكانت ولايتهُ ممتدّة الى بلاد القطاريّين . ومرو . وكرمان . والهند . وقبل ان يوحنّا مطران فارس أمضى المجمع النيقاويّ باسمهِ وباسم اساقفة الهند * وكان في جزيرة سيلان او سرنديب نحو سنة ٥٢٥ نصارى خاضعون لهذا المطران . وكان هذا يُنفذ اليهم قسوسًا وافلبرسيّين كما روى قزما السائح . وفي القرون المتوسّطة اقام عليها اسقفًا خاضعاً لهُ على ان الدمشقي يذكر اسقف مرمديت التي هي سرنديب نفسها *

واما بلاد مادي وهي التي تبوّأها ماداي بن يافث فتُسمّى اليوم اذربيجان وهي واقعة في شمال بلاد آثور * واما فرثيا فهي البلاد التي تُدعى اليوم عراق العجم وبلاد الجبل ومنها أُخذ لقب الدولة الفرثيّة . وموقعها في شمال خليج

الفرس * وكان الفرثيّون والماديّون اوّل من عرف الدين المسيحي من هذه البلاد لانهم سمعوا الرسل في اورشليم يتكلّمون بالسن مختلفة . ثم ان مار متى ومار توما الرسولين ومار ماري ومار اجّي تلميذي مار ادّي الرسول قد نادوا فيما بينهم بالانجيل وسعى جثالقة المدائن بنجاح النصرانيّة بينهم *

واماّ اقليم هرقانيا فهو الذي يدعوهُ اليوم العرب طبرستان وجيلان وجرجيان وموقعهُ في شمال بحر قزوين * واما باقطرايا فتُعرف بما وراء النهر وخراسان . وهي من حدود هرقانيا شمالاً * وقد بشّر مار توما ومار اجي الهرقانيّين والباقطريّين بالايمان المسيحيّ وكانت مشحونةً بالنصارى في عهد شابور الملك . واقام يابالاها الجاثليق في بدء القرن الخامس لمرو احدى مدن ما وراء النهر مطرانيةً كما يشهد الصوباويّ *

وعن اخبار الديانة المسيحية في بلاد العرب نقول : ان النصرانية عُرِفت اولاً في بلاد العرب على يد المجوس . وبشّرهم الرسل اندراوس وتوما ومتى فاهتدى كثير من ملوك اليمن على يدهم * اما تنصّر اهل نجران فكان على يد رجل اسمهُ حنان النجراني فهذا كان قد قصد الحيرة وألِف النصارى واعتمد ولما عاد الى نجران وطنهِ عرّف اهلهُ وبني وطنهِ بدين النصارى فتنصّروا بمساعدة اهل الايمان * الاّ ان النصرانية كانت قد تنوّت ونجحت بعد بشارة الرسل في الحيرة قاعدة الملوك المعروفين بالمناذرة بسعي جثالقة المدائن * وممّا يدلّك على كثرة النصارى في الحيرة وما يليها في العراق تنصّر بعض المناذرة . ومنهم النعمان الاعور السائح المعروف بابي الخورنق والسّدير . فهذا زهد في الدنيا وترك المُلك ولبس المسح هو وواحد من الحكماء كان قد سعى بتنصيره . فاتّفقا

كلاهما على العبادة والسياحة حتى ماتا * والنعمان الثاني الذي تنصّر على يد عدي بن يزيد . فتزهد وانقطع عن الدنيا سنة ٤٦٩ * ومن اشهر المناذرة المتنصّرين كان النعمان الرابع المعروف بابي قابوس كما سيأتي الكلام عنهُ *

(طالع السمعاني في شان اخبار هذه الاقاليم والبلاد ٢ : ٢ وجه ٤١٤ - ٤٢٢)

الفصل السادس

في الاختصاصات والعوائد التي يمتاز بها المشارقة الكلدان

ان اختصاصات المشارقة الكلدان على نوعين مدنيّة ودينيّة * فالمدنية هي :

اولاً : ان الله خلق آدم الانسان الاول واقامهُ في الفردوس الذي كان موقعهُ في احدى النواحي المشرقية الخاضعة لبيعة السريان المشارقة *

ثانياً : ان اللغة التي كلّم بها الله ادم في الفردوس الارضي كانت على المذهب الاكثر احتمالاً اللغة السريانية وهي الارامية او الكلدانية كما قرّر ائمة هذه الامة واوّلهم مار افرام الملفان *

ثالثاً : ان اعظم الممالك الاولى التي سادت على الارض نشأت من هذه البلاد وفيها *

رابعاً : ان اسباب التمدن وفنون الآداب مثل استنباط الكتابة والاقلام والتصوير والنقش والآلات الموسيقية والحربية كانت قد اختُرِعت في الاجيال الاولى من العالم في هذه الاقاليم المشرقية كما يُعلم من الاثار التي ظهرت فيها في الاجيال الاخيرة *

خامساً : ان آباء الجنس البشري قبل الطوفان وبعده كانوا قاطنين

هذه الاقطار قبل انتشارهم في العالم *

اما الاختصاصات الدينية فهي :

اولاً : ان المشارقة عرفوا المسيح وسجدوا لهُ وقرّبوا لهُ الهدايا قبل كل الشعوب بالمجوس الذين كانوا من المشرق . وهم الذين نادوا باسمهِ وولادتهِ وديانتهِ قبل كل مكان عدا بلاد اليهودية *

ثانياً : ان اللغة التي كان يتكلّم بها المسيح ومريم العذراء والرسل هي الكلدانية وكانت اللغة الدارجة في سورية وفلسطين لان اليهود تعلّموها من اهل بابل في عهد السبي البابلي مع فرقٍ زهيد وفيها كتب مار متى انجيلهُ *

ثالثاً : ان العهد القديم والعهد الجديد قد تُرجما من النصّ الاصلي الى هذه اللغة منذ بدء الكنيسة على يد مار ادي ومار ماري رسولي المشرق او على يد تلاميذهما الأوّلين *

رابعاً : ان طقس القداس الذي يستعملهُ المشارقة المنسوب الى رسوليهم مار ادي ومار ماري هو من اقدم الطقوس البيعية * وهو معروف الاصول والحدود من دون ان يتداخلهُ في نصهِ امتزاج او تغيير او زيادة او نقصان كما جرى على بقية الطقوس * اما الصلوات الابتدائية والنهائية التي أُضيفت عليهِ مع تمادي الزمان الى عهد يشوعياب الحزّي البطريرك فهي معلومة ومميّزة عنهُ . وهي التي يُستعان بها لتكميل القداسين الاخرين اللذين يستعملها المشارقة انفسهم في ايام ومواسم مخصوصة المعروفين بالقداس الثاني والثالث *

خامساً : انهم يقيمون الصلوات القانونية والقداس في اللغة السريانية اي الكلدانية في اي مكان وُجِدوا ولا يستعملون قطعاً لغةً اجنبية *

سادساً : ان المشارقة النساطرة لا يزالون حتى الآن يستعملون التناول تحت شكلي الخبز والخمر وكانت هذه العادة قديمةً موجودة في مبادىء الكنيسة كلّها . ولو ان الكلدان المتكثلكين تركوا موخّراً هذه العادة *

سابعاً : من عادتهم ان يجعلوا المشرق القبلة التي تُوجَّه الصلوات نحوها . وهذه العادة قديمة ومحفوظة الى يومنا عند النصارى ولاسيما الشرقيين الذين يوجّهون نحو تلك القبلة محراب كنائسهم * وكانت هذه العادة جارية في القرون الاولى لدى الغربيين ايضاً كما شهد ترتليانس واوغسطينوس وغيرهما والذين اتّفقوا على انها من رسوم الرسل * واسباب ذلك كثيرة . منها :

اوّلاً : لانّ في ذلك اشارةً الى انتظار المسيح في مجيئهِ الثاني من المشرق فانهُ يُقرأ في متى ٢٤ : ٢٧ كما انّ البرق يخرج من المشرق ويتجه الى المغرب هكذا يكون مجيء ابن الانسان *

ثانياً : لانّ في ذلك ايضاً دليلاً على ظهور نجم المجوس في المشرق وبهِ اهتدوا الى يسوع الطفل *

ثالثًا لانّ ذلك رمزٌ الى كمال الشريعة الجديدة التي اخرجتنا من ظلمة الشريعة الموسويّة الى نور الانجيل . واخيراً لانّ في هذا اشارةً الى رفع عقولنا الى السعادة السماوية المرموز اليها بالفردوس الارضي الذي خلقهُ الله في المشرق

فانّ هذه الاسباب وغيرها ملائمةٌ للمقام ولا تخرج عن حدود الحقيقة *

الحقبة الثانية

في تواريخ الكنيسة السريانية بعد الانشقاقات التي نشأت فيها بدخول البدعتين النسطورية واليعقوبية هذه البلاد حتى بدء الاهتداءات الى حظيرة الكنيسة الجامعة (٤٩٨ - ١٢٢٦)

الباب الاوّل

في اخبار الكنيسة السريانيّة المشرقيّة منذ دخول النسطرة الى زمان مار آبا (٤٩٨ - ٥٤٠)

الفصل الاوّل

في خلع الكنيسة السريانيّة المشرقيّة الطاعة لبطريرك انطاكية واقامة الرئاسة العُظمى في شخص جاثليق المدائن

قبل الشروع في ما نحن بصددهِ علينا ان نبيّن للطالع كيف سُمّي السريان المشارقة نساطرة مع انهم لم يعرفوا نسطور . فنقول : ان المشارقة لم يقع عليهم هذا الاسم الّا لانهم تبعوا بدعة نسطور واقتفوا آثار تعليمهِ لا غير . والظاهر انهُ تعلّق بهم رغماً عنهم لانهم اي النساطرة يمقتون هذا الاسم ويؤثرون عليهِ تسمية السريان المشارقة ومع ذلك فقد كان امراً طبيعيًا ان يلتحق بهم هذا الاسم لانهم تبعوا ضلال نسطور * فلنعد الآن الى كلامنا فنقول :

ان اسقف المدائن قد نال بالتدريج لقب رئيس اساقفة او مطران ثمّ سمي جاثليقاً واخيراً فطريركاً الى هذا اليوم . ومعلوم ان لقب رئيس

اساقفة اي مطران قد نالهُ قبل المجمع النيقاوي على عهد آحاد ابوي لما اذن له المغاربة ان ينصب هو اساقفة ويرسمهم للأبرشيّات التي أُقيمت في مملكة الفرس * واما لقب جاثليق فنالهُ في المجمع النيقاوي او على الأقل بعد هذا المجمع بزمان يسير . لان كلّ الآثار الشرقية التي وصلت الى يدنا بعد هذا المجمع في شان كرسي المدائن تشير الى نوعٍ من التقدّم الذي احرزهُ باذن المجمع النيقاويّ اي الآباء المغاربة ولاسيما فطاركة انطاكية * والحال ان هذا التقدّم لا يمكن ان يكون مقصورًا على نصب الاساقفة ووضع اليد عليهم فقط لان هذا الحق كان قد حازهُ صاحب كرسيّ المدائن وهو مطران قبل المجمع النيقاويّ على عهد آحاد ابوي *ومن ثمّ نرى ان تسمية جاثليق توجد منسوبة في الآثار السريانية بعد المجمع النيقاوي الى اسحق ويابالاها وداديشوع وآقاق اساقفة المدائن وربما قبل هذا المجمع ايضًا لان مار شمعون برصبّاعي في القصص السريانية الصحيحة المنسوبة الى مار ماروثا يُدعى ܩܬܘܠܝܩܐ *

ولكن لما استقلّ المشارقة من فطريركية انطاكية سمّوا جاثليقهم فطريركًا . وذلك انهم لما احتجّوا باطلًا ان كنيسة انطاكية وكل كنائس المغرب قد ضلّت في الايمان بجرمها نسطور وتعليمهُ الصحيح من دون ان تفحص حقيقة المسألة . استقلّوا من فطريركيّة انطاكية التي كانوا متعلّقين بها . واستنادًا على مبدإ الوحدة الرئاسيّة وهو ان الأدنى يجب ان يطيع الأعلى اقاموا جاثليقهم المدائني فطريركًا بسلطانهم الخاصّ وسلّموا اليهِ كل الحقوق الفطريركية المتعلّقة بالرئاسة العليا * وعليهِ نرى أخذًا عن الآثار القديمة أن إمام المدائن دُعيَ تارةً اسقفًا . واحيانًا رئيس اساقفة او مطرانًا ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ . وطورًا

جاثليقًا . وأُخرى فطريركًا *

هذا ولا يخفى ان كرسيّ إمام المشارقة سواء كان في القرون السالفة او التابعة لم يكن في مركز واحد بل انتقل بتمادي الزمان الى مراكز مختلفة . فقد أقامهُ أوّلًا في المدائن اي ساليق وقطسفون . ثم في بغداد التي دُعيت ايضًا بابل الجديدة . وذلك بعد ان بناها المنصور سنة ١٤٠ للهجرة اي ٧٦٢ م * ثم في عهد سولاقا وخليفتيهِ عبديشوع ويابالاها والفطاركة اليوسفيّين جُعِلَ كرسيهم في آمد . وجعلهُ الفطاركة النساطرة المعروفون بالإيليّويّين مقامهم في مبادىء القرن السادس عشر تارةً في الموصل . وطورًا في دير مار احا ويوحنّان القريب من بازبدي او هي الجزيرة العُمريّة . واحيانًا في دير الربّان هرمزد . ثم ان شمعون دنحا وخلفاءهُ المعروفين بالشمعونيّين جلسوا مدّة في سعرد ثم تحوّلوا الى أورمي . واخيرًا اقرّوا كرسيهم في قوجانس القريبة من جولمرك الى يومنا الحاضر *

واما عن الالقاب التي اتخذها ايمةُ المشارقة لنفوسهم في الآثار الرسمية فنقول بالعموم : انهم اخذوها في الغالب من اسماء المدن التي اقرّوا فيها كرسيهم . ومن ثمّ عُرفوا اوّلًا بلقب جاثليق المدائن او سليق وقطسفون ثم انتموا الى الموصل وآمد . وتسمّوا ايضًا باسم خدّام كرسي مار ادّي ومار ماري . او كرسي المشرق . او الكلدان . او المشارقة * الّا ان اللقب الأعمّ والاشهر كان لقب فطريرك بابل . وتداول ذلك بعد بناء بغداد المعروفة ببابل الجديدة . وهذا هو اللقب الذي يستعملهُ الى اليوم الفطاركة الكلدان الكاثوليكيّون *

(طالع س ٢ : ٢ وجه ٦١٥ - ٦٢٨)

الفصل الثاني

في انتخاب الفطريرك الجديد وما يتعلّق بذلك لدى النساطرة

كثيرةٌ هي المراسيم والقوانين التي سنّها مار آبا الكبير لانتخاب الفطريرك الجديد . اما زبدتها فهي ان نظارة الكرسي من بعد موت الفطريرك تتعيّن لاسقف كشكر اذا كان حاضرًا والّا فلاسقف الزوابية . والّا فللمتقدّم من اساقفة الاقليم الفطريركي بالتتابع * فهذا ناطور الكرسيّ يأتي في الحال الى المدائن مع اساقفة الاقليم الفطريركي ويبعث يستدعي المطارنة السبعة المتقدّمين اصحاب الانتخاب . وهم رعاة كراسي جنديسابور ونصيبين والبصرة واربل والموصل وباجرمي وهي كرخ سلوخ او كركوك وحلوان وسائر المطارين * ويُحضِر كلٌّ من المطارين معهُ ثلثة اساقفة على الاقلّ في الزمان المعيَّن اي بعد ثلاثة اشهر لوفاة الفطريرك * اما مَن استعفى من المطارين من الحضور فيجب عليهِ ان يوجّه الى المجمع رسالةً ممضاةً بخطّ يدهِ تتضمّن المصادقة على الانتخاب الذي يجريهِ الحاضرون في المجمع * ويتولّى ادارة المجمع مطران جنديسابور اذا كان حاضرًا والّا فالمطران الاكثر تقدّمًا واستحقاقًا * ثم يجري الانتخاب برضى المدينتين سليق وقطسفون اما بالصوت الحيّ او بالاقتراع *

امّا من بعد خراب المدائن فكان الانتخاب يجري في بغداد على ما أمر طقس النساطرة الذي تقدّم بعد مار آبا قبريانس مطران نصيبين وجبرائيل مطران البصرة . وقد سُنّ ذلك بعد نقل الكرسي الفطريركي الى بغداد . واوّل من اختير في بغداد طيماثاوس الأول . واما الكرسيّ الرسيّ فبقي في المدائن

حيث كان منذ القديم يُرقّى المختار الى المنصب الفطريركي * (طالع با ٩ لك ٢ : ١٠٩٤ و١١٢٩) .

وكان من بعد الانتخاب يؤخذ المنتخَب الى كنيسة كوخي وهناك يرسمهُ مطران جنديسابور اذا كان . والّا فالمطران الأكثر تقدّمًا . ويُعيّن في طقس السياميذ لكلّ من المطارنة والاساقفة وظيفةٌ يمارسها * وبعد نهاية السياميذ يُذهَب بالفطريرك الى دير قُني المنسوب الى مار ماري السليح . ثم الى دير مار جبرائيل المبني على شاطئ الدجلة قبالة الموصل ثمّ يُرجع بهِ بالقوارب والسفن فيقبلهُ في اليوم الاول الماحوزيّون بمزيد التوقير وبصفّ المآدب وفي الثاني الحيريّون . وفي الثالث رهبان دير مار فثيون الواقع على شاطئ الدجلة بقرب بغداد *

هكذا كان يجري انتخاب الفطريرك قبل خراب المدائن وانتقال الكرسي الفطريركي الى بغداد امّا من بعد ذلك فتعلّق بالانتخاب عدا ما ذُكر هذه الامور وهي : تغيير الاسم . وبراءة الملوك . وهداياهم . والحلل العاديّة . والبيعيّة * امّا تغيير الاسم فكان المراد بهِ ارتفاع المرشّح الى اسمى المناصب البيعيّة . وقد خالف هذا الاعتبار اليعاقبة الذين كانوا يعدّون تغيير الاسم بمثابة تحول راعي الكرسي الى كرسي آخر الامر الذي كان مُحرّمًا عندهم *

وكانت الغاية من براءة الملوك التي تُدعى في السريانية ܣܝܓܠܝܘܢ وتاويلها السجل او العهد او المنشور حماية الفطاركة واقوامهم من غوائل الأشرار واعفاءهم من الضرائب * واوّل من طلب البراءة من الخلفاء العباسيّين ماري بن طوبي سنة ٩٨٧ م . وكانت مقصورةً على ثلاثة امور . الاول

انهم بها يولّون الفطريرك على جميع النصارى القاطنين في مملكتهم نساطرةً كانوا ام يعاقبة ام روماً * والثاني انهم يضمنون عنهم كلّ ضرر او اذى يلحق بهم وبمروُسيهم * والثالث انهم يامرون النصارى باداء الطاعة لهم *

امّا الهدايا التي كان يمنحها الخلفاء للفطريرك الجديد فليست معيّنة فانّ كلّ خليفة كان يكرم المختار الجديد كما يريد وكانت اكراماتهم في الغالب من انواع الحلل والثياب الفاخرة * وكانوا ايضاً يامرون ان يُركّب المختار من سراياهم الى دارهِ الفطريركيّة محتفّاً بزمرةٍ من الأُمراء والفقهاء والجند *

وعن ثياب الفطاركة العاديّة نقول انها كانت من اللون الابيض وهو لون ثياب الاقليرُس طرًّا يومئذٍ . وكان ذلك في القرن الرابع زيّ الشعب قاطبةً على مقتضى الامر الذي اصدرهُ مار بربعشمين الجاثليق بان يتخذ الاقليروس زيّ العالميين لكيلا يتميّزوا منهم في زمان الاضطهاد كما مرّ الكلام . امّا لون ثياب الاقليرس القديم فالأَرجح انهُ كان الاسود *

وكانت الحلل البيعية اوانئذٍ غير مفروق بعضها من بعض وان كانت درجات الاقليرس ووظائفهم مختلفة فكان للجميع حلّة واحدة وتسمّى ܡܥܦܪܬܐ كما شهد جيورجيس مطران اربل في شرح الخِدَم البيعيّة . امّا ما كان مخصوصاً بالاساقفة فهو القضيب الرعائي ܫܒܛܐ . والبيرون ܒܝܪܘܢܐ وهو عصابة تغطّي الراس . وكان يُتخذ من الوان مختلفةٍ تبلغ الخمسة عشر لوناً كما يشهد عمرو الطيرهاني * واما استعمال الصليب الصدري والتاج فقد دخل اقتداءً باللاتين في نحو اواسط القرن التاسع عشر

الفصل الثالث

في اتّساع ولاية فطريرك النساطرة وسلطانهِ على المطارنة والأَساقفة

انّ اتّساع ولاية فطريرك النساطرة يُعرف من اوصاف مقامهِ الأَربعة . فانهُ كان اسقف المدائن . ثم اضحى مطران بابل وآثور . ثم نال مقام الجاثليق على الكلدان والفرس . واخيرًا ارتقى الى الدرجة الفطريركية * فولايتهُ بما انهُ فطريرك قد اتّسعت جدًّا جدًّا حتى استغرقت كلّ البلاد التي كان يقطن فيها النساطرة من اقطار قبرس ومصر وسورية وفلسطين غربًا الى بلاد تركستان والجزيرة ومادي وآثور وفارس شرقًا . ومن بلاد العرب وفرثيا والعراق والهند والصين جنوبًا الى ارمنية وكرجستان شمالاً *

وامّا من حيث كونهِ جاثليقًا على بلاد الكلدان والفرس فقد كان يسود اساقفة وروُساء اساقفة الأَقاليم الممتدّة من حدود بلاد ما بين النهرين الى الهند والصين كما سيتّضح ذلك من عدد المطارين الذين كانوا خاضعين لسلطانهِ *

واما سلطانهُ اذا أُعتبر بصفة مطران بابل وآثور فهو انهُ كان لهُ اقليم خصوصي يستبدّ بهِ يُعرف بالهوفركيّة العظمى واقليم الجاثليق واقليم الفطريرك . وكان يخضع لهُ نحو ثلاثين اسقفًا يسوسون الكراسي المختلفة الواقعة في هوفركيتهِ * وكان بعض هذه الكراسي يومًا يلوذ بمطران باجرمي وبعضها بمطران نصيبين وغيرها بمطران اربل او حزّة والموصل . فاستحلّها الفطاركة بتمادي الزمان واضافوها الى اقليمهم * وسبب ذلك هو ان الفطريرك لما كان يسكن احيانًا في بغداد وتارةً في الدير الأَعلى القريب من الموصل وحينًا في أَلقوش او في محالّ اخرى لزم

طبعاً ان يخصّص لهوفركيته بعض القرى او المدن القريبة من مركز اقامته . كالحديثة مثلاً وسنجار ومعلثايا . ولذلك ترى ان هذه مدن هوفركيته او قراها بعيدة الواحدة عن الاخرى نسبةً الى ابتعاد مراكز اقامته عنها او قربها *

وهذه هي الكراسي الاسقفية التي كانت خاضعة لهوفركية الفطريرك ١ كشكر ٢ الزاب او الزوابية ٣ الحيرة ٤ الكوفة ٥ واسط ٦ الانبار وهيت ٧ نيفار ٨ طيرهان ٩ عكبرا ١٠ السن ١١ القصر ١٢ الراذان ١٣ باداريا ١٤ البوازيج ١٥ عبدامي ١٦ داسان ١٧ كمولا ١٨ نهروان ١٩ نهر الدير ٢٠ النيل ٢١ تلاوبربلا ٢٢ النعمانية ٢٣ سنجار ٢٤ الرقة ٢٥ حفتونا ٢٦ بادارون ٢٧ معلثايا وحنيثا ٢٨ الحديثة ٢٩ بلد ٣٠ ثمانون *

واما سلطانه فاذا أُعتبر بما انهُ اسقف المدائن فكان يتولى راساً تدبير المدينتين سليق وقطسفون . ولما نُقل كرسيهُ الى بغداد والموصل صارت هتان المدينتان خاضعتين لسلطانه . وكذلك قل عن سلطان الفطاركة اليوسفيين والشمعونيين . فان اولئك اقرّوا كرسيهم في آمد . وهولاء في اورمي ثم في قوجانس . فاخضعوا هذه المدن لسلطانهم وعرّوها من الحقوق المطرانية او الاسقفية * واما الحقوق الاساسية التي تفرّد بها فطاركة المشرق فهي اولاً تاسيس الكنائس المطرانية او الاسقفية * ثانياً تكميل الاساقفة في المقام المطراني * ثالثاً تحويلهم من كرسي الى آخر وعزلهم * رابعاً المناداة باسم الفطريرك في كل الكنائس * خامساً العمل بمقتضى اسلوب الطقوس البيعية التي يسنها هو ويرتبها * وسادساً اعفاء بعض الكنائس او الاديرة من ولاية وتسلط المطارنة او الاساقفة *

اما ما يوجب عزل الاساقفة لدى النساطرة فكانت الجرائم العظيمة التي يرتكبونها من مثل المروق من الايمان ببدعةٍ او ضلال او إثارة الفتنة وغير ذلك من الجرائم . وهكذا فعل داديشوع مع بعض الاساقفة لما طردهم لسبب الانشقاق الذي انشأوهُ في كنيسته مع قرابخت الدخيل *

وكانت المناداة باسم الفطريرك في جميع الكنائس والعمل بمقتضى اسلوب الطقوس البيعية التي يرتبها هو من اخص الادلة على الاعتراف برئاسته السامية على الكنائس الخاضعة له . كما امر القانون ١٣ من مجمع اسحق وهذا نصهُ « ان الصلوات تجري على نحو ما تجري عليه بيعة سليق والشمامسة يكرزون بحسب ما يُكرز فيها » *

واما اعفاء بعض الكنائس والاديرة من سلطة المطارين والاساقفة فيراد بهِ ادخال هذه الكنائس والاديرة تحت ولاية الفطريرك راساً . وكان ذلك دليلاً على انعطاف الفطريرك والتفاته اليها . ولهذا السبب ينادى فيها باسمه فقط * (طالع س ٢ : ٢ وجه ٦٢١ - ٦٤٣) *

الفصل الرابع

في انتخاب بابي الجاثليق وفي مجمعه واخبار امانته
وفي ترجمة شمعون البارشي

بعد وفاة آفاق فرغ كرسي المدائن سنة لاضطراب الدولة الفارسية والنزاع الداخلي فيما بين المشارقة لسبب تغلب النسطرة . ثم لما استتبت الراحة في المملكة وبطل النزاع اختير بابي خلفاً لآقاق وهو اول جاثليق نسطوري جلس

على كرسيّ المدائن . وكان الساعي في اختياره موسى النصراني منجّمُ الملك زماشف . فهذا استأذن الملك بتصيير بابي الذي كان من قرابتهِ جاثليقاً . فأذن لهُ وجرى اختيارهُ سنة ٤٩٧ * ويُعرف بابي بابن هرمز . وكان من اهل المدائن وكاتباً لمرزبان بلد البارميين . وكان كبير السنّ ولهُ امراة واولاد . واختارهُ الاساقفة وامتنع عليهم فلم يفارقوهُ حتى اساموهُ * وكانت معاملة زماشف الملك لهُ حسنةً . فانهُ كان يأنس بهِ ويستحسن أجوبتهُ عن المسائل الدينية * وفي غضون القلاقل التي ازعجت المشرق بسبب النسطرة عقد بابي مجمعهُ وهاك اشهر اعمالهِ : عُقد المجمع سنة ٤٩٧ لتدبير البيعة وحضرهُ اثنان وثلاثون ابًا ومنهم البشاع الملفان المار ذكرهُ الذي اسامهُ بابي خليفة لبرصوما على كرسي نصيبين * امّا اخصّ اعمال هذا المجمع فهي انهم اولاً اثبتوا اذن برصوما بالزواج للاساقفة والكهنة والرهبان . ثانياً ابطلوا المكاتبات والحروم التي كانت بين برصوما وبابوي واقاق . ثالثاً امروا بتقديم الطاعة للجاثليق الجالس على كرسي سليق . رابعاً امروا ان يجتمع الاباء في كلّ اربع سنين الى الجاثليق في تشرين الثاني للنظر في امور البيعة وما يحتاج اليهِ في مصالحها بدل الاجتماع كل سنتين كما كانت العادة اولاً جارية * (طالع س ٢ : ١ وجه ٢٩٥ - ٤٢١)

وعُضدت شرائع برصوما الدنسة بامر زماشف الملك . وذلك ان قباد الملك كان قد حامى عن مذهب زرادشت القائل بابتذال النساء للرجال . فخلعهُ وزراء الدولة واقاموا زماشف . فكان جلّ مقصود زماشف ان يُبطل ذلك المذهب . وكانت شرائع برصوما القائلة بصحّة زواج البيعيين

الذين لا يضبطون اهواءهم ملائمةً لغايتهِ *

وفي عهد بابي انقرض اسم مستقيمي الايمان من هذه البلاد ودخلت النسطرة اليها دخولاً رسمياً * فانهُ لما كان الجاثليق الذي استبدّ بالرياسة العليا نسطورياً . فكان لا يسيم مطراناً واسقفاً الاّ من نحلتهِ وكذا المطارنة والاساقفة لا يتخذون الخدّام البيعيين الأدنين الاّ من مذهبهم * وفي زمان وجيز لم يبقَ من الكاثوليك سوى نفرٍ يسير . ثمّ تبعوا مذهب اليعاقبة او الروم على ما سنرى *

وعُرف عيد السعانين في المشرق اوّلاً في نصيبين على عهد بابي الجاثليق . ثم انتشر استعمالهُ الى اقطار المشرق * وجلس بابي خمس سنوات وتوفي سنة ٥٠٢ ودُفن في المدائن *

واشتهر في زمان بابي الجاثليق شمعون المعروف بالبارشي لانهُ كان اسقف بارشم (ܒܝܬ ܐܪܫܡ) . وكانت بارشم قرية قريبة من سليق . وقال السمعاني ان شمعون هذا كان مستقيم الايمان . لكن من الرسالة التي كتبها في بدعة نسطور وانتشارها يبان انهُ سنة ٤٨٦ انفصل من النساطرة وتبع القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح . واقتبل هنتيكون زينون الملك . وشارك في الدين انسطاس الملك واخسنايا وغيرهما . واخذ يطوف بلاد مادي وفارس وما بين النهرين مشجّعاً النساطرة على رذل البدعة النسطورية والتمسّك بمذهب القائلين بالطبيعة الواحدة . وعضدهُ قباد ملك الفُرس في هذا الشان . ويقول عنهُ ابن العبري انهُ ردّ كثيراً من وجوه المجوس الى النصرانية * وكان شمعون عالمًا وقد اشتهر علمهُ على هذا العهد حتى انهُ لُقّب بالفيلسوف

الفارسي ܕܘܟܪܢܐ ܕܩܕܝܫܐ * ومن جملة تآليفهِ نافورة او قداس في السريانية مطلعُها ܐܠܗܐ ܗܘ ܫܒܝܚ ܕܟܠ ܘܫܘܒܚܐ ، ورسالة في بدعة نسطور واسباب انتشارها والشرور التي اتى بها برصوما . ورسالة اخرى في الحرب التي نشبت بين الحبش والعرب الحميريين وتنصّر الحبش واستشهاد الحميريين. وعاش الى سنة ٥٢٢ وتوفي في القسطنطينية . وكان قد قصدها لزيارة تيودورة الملكة . ولذلك نرى اليعاقبة ولاسيما يوحنا مطران اسيّا الذي كتب ترجمتهُ (في تواريخ الشرقيّين الطوباويّين) يثنون عليهِ ويجعلونهُ من نحلتهم . لانهُ اقتبل هنتيكون زينون ساكتاً عن المجمع الخلقيدوني وشارك اناستاس الملك واخسنايا وقيرس الرهاوي في الدين . ووالى تيودورة الملكة (طالع دو وجه ٢٦٠) *

الفصل الخامس

في استشهاد نصارى العرب الحميريّين وتنصّر الحبش

انّ الحميريّين هم السبائيّون او سكّان اليمن وهي بلاد العرب السعيدة. وكانوا قد انضووا الى راية الايمان على يد مار برثلما الرسول . ثمّ وقعوا في ضلال الاريوسيّين الّا انهم رذلوهُ بعد ذلك ولبثوا مستقيمي الايمان *

وهاك سبب استشهاد الحميريّين . كان الحميريّون يدينون لملوك الحبشة ويؤدّون لهم الجزية . فكان لملوك الحبشة حقٌّ في اقامة ملك على الحميريّين * فلما مات ملك الحميريّين لم يتأنَّ لاسبان ملك الحبشة في فصل الشتاء ان يعبر البحر الاحمر ويقدم الى الحميريّين لانتخاب ملكٍ عليهم *

وكان اليهود ذوي نفوذ وبأس ما بين الحميريّين فانتهزوا هذه الفرصة من تأخّر السبآن ونادوا برجل يدعى ذا نوّاس ملكًا عليهم . ففتك في النصارى واضطهدهم بقساوة لا مثيل لها * وممّن اشتهر في هذا الاضطهاد الحارث القدّيس امير نجران . فانّ ذا نواس لمّا استفحل امرهُ سار الى نجران وافتتحها بمكيدة قبيحة . وقبض على الحارث وامرأتهِ واولادهِ واماتهم تحت العذابات القاسية . وسلب الكنائس وحوّلها الى مجامع لليهود * وكان عددُ الحميريّين الذين تكلّلوا بالاستشهاد يفوق الثلثمائة والاربعين وكان ذلك سنة ٤٢٤ وهؤلاء الشهداء هم اصحاب الأخدود الذين ذكرهم مؤرخوا العرب واثنى عليهم القرآن ايضاً * (طالع ش م مجلّد ٢)

وجرى تنصّر الحبش في غضون هذا الاضطهاد . وهاك كيف تمّ ذلك : كان السبآن ملكهم قد نذر بان يتنصّر ان اتاهُ الله الغلبة على ذي نواس * فلما تمّ لهُ ذلك انجز نذرهُ واعتمد هو ومملكتهُ ولكن الحبش كانت قد دخلت اليهم النصرانيّة قبل ذلك بسعي اساقفة الاسكندرية *

ولنا ان نذكر هُنا نخبةً من رواية ياقوت الحمويّ في شان النصرانية وشهدائها في نجران . قال اولاً ان اهل نجران اطبقوا على اتباع دين عيسى لما راوا المعجزة التي اجترحها فيمون . (وكان هذا قد سقط لهم من ملك التبعيّة . وابتاعهُ عبد الله بن تامر الذي كان رجلاً من اشراف نجران) . فان الله ارسل بصلوات فيمون ريحًا فجعفت النخلة التي كانوا يعبدونها من اصلها * ثم اردف وقال : « واما عبد الله بن تامر فكان يجلس الى فيمون كلّ يوم ويسمع منهُ شرائع النصرانية حتى فقُه فيها وظهرت على يدهِ الخوارق

والمعجزات ودان الكل بدينهِ * فسار اليهم ذو نواس بجنودهِ واستدعى راسهم عبد الله بن تامر فاحذره وقال لهُ : افسدت على اهل بلدي وخالفت ديني ودين آبائي * ثم امر بهِ فقُتل وعرض على اهل نجران القتل فلم يزدهم الّا جماحًا » * ولاريب ان هذا عبد الله بن تامر هو الحارث ابو نجران المار ذكرهُ الآن * ثم شرع ياقوت الحموي يصف قساوة ذي نواس اليهودي في اضطهاد نصارى نجران . فقال : « فخدّد لهم الاخاديد واوقد لهم نارًا ثم امتحنهم فجعل يقول للرجل والمرأة . إمّا ان تترك دينك واما ان نقذفك في النار . فيقول : ما انا تارك ديني لشيء فيُقذف فيها فيحرق * فنبتت امراة ومعها صبيّ رضيع عمرهُ سبعة اشهر فجزعت وتهيّبت . فاحترقت . وقتل وحرق ذو نواس حتى اهلك منهم في ما قال ابن اسحق عشرين الفًا او يزيدون » انتهى *

الفصل السادس

في جلوس شيلا الجاثليق واخبار إمامتهِ

جلس على كرسي المدائن بعد بابي الجاثليق شيلا وهو اسم سرياني معناهُ المسؤول . وكان شيلا من اهل المدائن وارخدياقون بابي سالفهِ . وكان متزوّجًا ولهُ بنتٌ . وكانت زوجتهُ بنت البشاع الذي اقامهُ في ساعة موتهِ خليفةً لهُ . ورُسم نحو سنة ٥٠٥ م * وكان عالمًا . الا انهُ كان شديد الحب للدراهم وامور العالم . وفيهِ عُجبٌ . فاختبطت امور البيعة على عهدهِ * وممّن اخذ على نفسهِ امر تنبيهِ شيلا ومعاتبتهِ على افعالهِ ماري الملفان الفاحالي .

فلم يقبل منهُ بل حرمهُ . وذلك لأن بوزق اسقف هرمزد اردشير (مدينة في الاهواز) الذي ابرأ قباد الملك وابنهُ كان يعضد شيلا الجاثليق *

وكان المشارقة على عهد شيلا حاصلين على الراحة ولاسيما في عهد قباد الملك . لان بوزق كان عزيزًا لديهِ وكان قد شفى ابنتهُ من علّةٍ عضالة كما مرّ . فكان قباد يكرم شيلا ونصارى مملكتهِ لاجل بوزق وينظر اليهم بعين الالتفات . ولذلك تمكّن شيلا من نشر النصرانية على المذهب النسطوري *

ولكن لم يبقَ المشارقة زمانًا طويلاً راتعين في بحبوحة الراحة والهناء على عهد شيلا . فانهم قاسوا اذيّاتٍ واضطهادات شديدة في مدّة الحروب التي انتشبت نحو سنة ٥٠٤ بين الدولتين الفارسيّة والروميّة . وفيها فتح قباد آمد وقتل منها ما ينيف على ثمانين الف * وفي هذه الاثناء كان المجوس يلزمون النصارى على الكفر بدينهم . واستشهد ايضًا من الروم عددٌ لا يحصى * واخصّ الاسباب التي فتحت ابواب هذا الجور على النصارى وخاصةً في هذه البلاد هي الشقاقات الداخليّة التي ثارت بسبب اختلافات المعتقد بين احزاب النصارى اعني النساطرة واليعاقبة والملكيين او الخلقيدونيين . فانهم بسوء تصرّفهم وبغضهم بعضهم لبعض صاروا من اكبر الدواعي لتحريش المجوس والعمّال في البلاد للتنكيل بالنصرانية *

ويُقال انهُ في ايام إمامة شيلا جُعلت كراسي هرات وسمرقند والصين الاسقفية مطرانيةً على يدهِ او على راي غيرهم على يد مار احي الجاثليق * ثم انهُ قاوم اصحاب الطبيعة الواحدة الذين انتشروا في المشرق بسعي يعقوب البراذعي كما سوف نرى . وكان قد مال الى قولهِ اهالي تكريت وباجرمي والحصاصة .

ومما ساعد على نشر ضلالهم هو ان يوسطس الملك نفى كل الاساقفة القائلين بالطبيعة الواحدة الذين في مملكة الروم سنة ٥١٨ فهاجروا الى بلاد الكلدان التي كانت خاضعة لمملكة الفرس ووافوا الى الحيرة. فناظرهم شيلا وسعى بطردهم. وكان اليعاقبة قد جذبوا الى مذهبهم بعض ملوك الحيرة الذين صاروا يدينون تارةً بالنسطورية وتارةً باليعقوبية * وكان لبلاد العرب اسقفيتان . الاولى عقولا وهي الكوفة . والثانية اسقفية التغالبة في السنّ . وكان كرسيها في الحيرة حيث كان مقام ملوك العرب المناذرة * وجلس شيلا ثماني عشرة سنةً وتوفي نحو سنة ٥٢٢ م *

الفصل السابع

في الشقاق الذي احدثهُ اليشاع ونرسي في المدائن لتنازعهما الجثلقة

جرى بعد موت شيلا من البلبلة في المدائن ما يقصر اللسان عن وصفهِ . كان شيلا قد اوصى بالإمامة لاليشاع عمّهِ اي ابي زوجتهِ فلما توفي آثر بعض الآباء ولاسيما بوزق اسقف الاهواز الذي كان مقرّبًا عند الملك اختيار نرسي . فثارت نزاعات شديدة بسبب ذلك بين حزبي اليشاع ونرسي * وكانت نتيجة هذه المشاجرات أنْ قرّ راي الحزبين على جعل بوزق المشار اليهِ حَكَماً بينهما فاتّفق مع بعض الآباء على إقامة نرسي * ثمّ صعد بوزق الى حلوان ليستأذن قباد الملك في ذلك فانتهز حزب اليشاع الفرصة في غيابهِ واستعان بيبردي متطبّب الملك وعزم على رسامة اليشاع * وتغلّب حزب

نرسي ودخل بيعة المدائن وفيها رسم نرسي (من حيث انّها كرسي مار ماري فهي وحدها مخصّصة برسامة الجاثليق كما سنّت القوانين) . وكان الراسم كوشي اسقف نصيبين . وجرى ذلك يوم الجمعة السابقة احد السعانين من سنة ٥٢٢ * امّا الحزب الآخر فاجتمع في بيعة اسفانير وعقد لاليشاع الجثلقة ورسمهُ داود مطران مرو وجماعةٌ من الاساقفة * وفي هذه الاثناء كان بعض الآباء قد اجمعوا عن معاونة الحزب الواحد على الآخر ولبثوا حزبًا ثالثًا منفردًا . ومنهم يعقوب مطران جنديسابور *

ولذلك امتدّ هذا الانشقاق . فانهُ لمّا قام رئيسان على طائفة واحدة صار كلٌّ منهما يدّعي الإمامة لنفسهِ . وشرع نرسي واليشاع برسم كلٌّ منهما اساقفةً على البلاد من حزبهِ . فجرى من الخصومات والتخليط ما لم يجرِ مثلهُ في زمان آخر وقام في كلّ بيعة مذبحان . وتحوّلت الصلوة الى فتن وعداوة وتجديف في الكنائس * ونال اليشاع براءةً من قباد الملك بها يستعرفهُ رئيسًا على النصارى فاستظهر على نرسي والقاهُ في السجن . الاّ ان هذا تملّص بعد قليل * وكان اهل كشكر من اقوى مقاومي اليشاع فدبّروا على اختلاس البراءة الملكيّة منهُ . فاخفق في مساعيهِ * وفي هذه الغضون قضى نرسي نحبهُ ولبث هذا الانشقاق عاملاً نحو خمس عشرة سنة * (طالع اخ ٢ : ٥٧ . ما . ص . عب ٢ : ٧١ - ٧٩)

ولم يصفُ الجو لاليشاع بعد موت ندّهِ . فانّ الآباء قطعاً لأسباب النزاع اجمعوا على خلع اليشاع من منصبهِ واختيار بولس الجاثليق في سنة ٥٢٩ نفسها * (طالع س ٢ : ٤٠٩)

الفصل الثامن

في جلوس بولس الجاثليق على كرسي المدائن واخبار ايامهِ

بعد عزل اليشاع أُختير بولس الجاثليق . وهذا كان ارخذياقون بوزق المار ذكرهُ وخلفهُ في كرسيهِ بعد موتهِ * اما ارتقاء بولس الى عرش المدائن فجرى على هذه الصورة وهي انّ بولس كان قد تلقى يوماً انوشروان بن قباد ملك الفرس وهو منصرف من فارس في السنة الثالثة من ملكهِ . وكان الحرّ شديداً . فاسرع بولس الى نقل المياه على الدواب وارواهُ هو وعسكرهُ . فتعجب كسرى من تيقظهِ وصار يُكرمهُ ويُقرّبهُ اليهِ * فلما قُثِرس اليشاع كما سلف الكلام تقدّم كسرى الى الآباء ليختاروا بولس فعُقِدت لهُ الجثلقة *

وعامل بولس الجاثليق اليشاع المقثرس خلافاً لوعدهِ . فانهُ كان قد عهد على نفسهِ مع سائر الاساقفة ان لا يعضد اليشاع الّا انهُ لمّا ارتقى الى كرسي المدائن صار يميل اليهِ ونكث عهدهُ * ولم يستقم لبولس الامر فانهُ قضى نحبهُ بعد شهرين في سنة ٥٣٩ او سنة ٥٤٠ يوم السعانين *

وفي عهد بولس اشتهر القسيس سركيس الراسعيني (راس العين من مدن ما بين النهرين في شمال دير الزور) وكانت لهُ اليد البيضاء في علم الطبّ والفلسفة واللغتين اليونانية والسريانية . وهو ذائع الذكر عند النساطرة والقائلين بالطبيعة الواحدة . وفي سنة ٥٢٥ قصد انطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية ومات سنة ٥٢٦ في هذه المدينة الاخيرة . ولهُ مقالات لاهوتية وفلسفيّة وفلكيّة وطبيّة استخرج اكثرها من اللغة اليونانية الى السريانية *

الباب الثاني

في اخبار المشارقة من عهد مار ابا الجاثليق الى زمان ايشوعياب الارزني (٥٤٠ - ٥٨٠)

الفصل الاول

في جلوس مار ابا على كرسي المدائن والمجمع الذي عقدهُ لإصلاح فاسد امور البيعة

أُختير بعد موت بولس على كرسي المدائن باتفاق الآراء مار ابا[1] الجاثليق المعروف بالكبير ايضاً تعظيماً لهُ . ورُسم في بيعة كوخي او المدائن سنة ٥٤٠ م * ومار ابا هو الاول بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المشارقة * وهاك ملخص ترجمة ابا قبل ان رُسم جاثليقاً : كان ابا مجوسياً من قرية تُقابل قصبة حالا من اعمال الرادان . وكان كاتباً لمرزبان البارميين * وتنصّر على يد يوسف الملقب بوسى واقتبل المعمودية على يد برسهدا صاحب دير اللجّة . ثم رحل الى نصيبين ودرس في مكتبها الشهير اللغة السريانية وتمهّر في العلوم وأُقيم معلماً فيها * وقصد الرها واتّصل بتوما الرهاوي وتعلّم منهُ اللغة اليونانية ثم رحلا كلاهما الى بلاد اليهودية ثم الى مصر ودخلا الاسكندرية . وجمعا كُتب ثاودور المفشقان ونقلاها الى السريانية . ثمّ مضيا الى القسطنطينية

(1) ان كلمة مار السريانية لا تشير دائماً الى قداسة الاشخاص الملقّبين هم بها . بل تعني احياناً علوّ منزلتهم وسيادتهم . ولذلك يلقب بها ايضاً الاشخاص الذين ارتقوا الى اعلى المناصب البيعية والعلمية كالبطاركة والاساقفة والرهبان ايضاً *

بين سنة ٥٢٥ وسنة ٥٣٢ * وانتهى خبرهما الى يوسطس الملك فطالبهما بجرم ديودور وثيودور ونسطور فلم يفعلا وهربا ورجعا الى نصيبين. وتقلّد ابا التعليم والتفسير في مكتب نصيبين وانتصب على تأليف الكتب. وهدى الى الايمان ثاوفيلا احد الرجال الاجلاء الذي كان قد سقط في غواية المجوسية *

وكانت الامور البيعية بعد موت بولس مضطربة ولم تكن قد استقامت بعدُ من الاضطراب الذي وقع في ايام نرسي واليشاع. فاجتمع الروساء وجميع من في خدمة الملك كسرى من النصارى على اختيار ابا للفضل المشهور عنه *

وبعد ان استقام لابا الامر شمّر عن ساعد الهمّة لتدبير بيعته. وعقد مجمعاً في سنة ٥٤٤ ليسنّ فيه قوانين تهذيبية ويصلح فاسد امورها ويزيل ما كان قد جرى من التخليط فيها بسبب شقاق نرسي واليشاع. وسنّ اربعين قانوناً. وهي التي نجدها محفوظة عند جامعي القوانين ولاسيما لدى عبديشوع الصوباوي وايليا الدمشقي * اما اهمّ الابواب التي تدور عليها هذه القوانين فهي الآتية: اولاً انه ابطل ما كان قد فعله من تقدّمه من حصول اسقفين في كل بلد. واقرّ الأقدم في الوظيفة والارشد والاكثر صلاحاً. اما الآخر فيبقى في درجة القسيسية فاذا ابان استقامة تصرّفه كان يمكنه ان يخلف نده في الاسقفية * ثانياً جدّد القوانين التي سُنّت في زمن بعد زمن ببلد الروم والمشرق والرها وزاد ما وجب زيادته فيها * ثالثاً منع العادة الدخيلة التي احدثها برصوما الفاحش وفيروز الملك اللذان الزما الآباء على التزوّج. وامر ان لا يُسام فطريرك او اسقف متزوّج * (طالع لك ١١١٧ و ١١٣٢ با ٨)

وكان مار ابا لا يفتر من الاعتناء بامور البيعة وله رسائل كثيرة

مخصوصة بتدبيرها ولاسيما في انتخاب الاساقفة ورؤساء الاساقفة وقداسة سيرة الاكليريكيين والرهبان على العموم ومنع السيمونية وضرورة الطاعة للروساء. وله ايضاً رسالة في قداسة الرعية المسيحية وموانعها وشروطها * (طالع اخ ٢: ٦٥ . وما . ص . عب ٢ : ٨٩ - ٩١)

الفصل الثاني

في اضطهاد انوشروان والمجوس لمار ابا وارعيته المشارقة
وفي تآليف مار ابا

كانت معاملة انوشروان للنصارى سليمة حسنة. فانه كان حكيماً موصوفاً بالعدل والانصاف * وبعد ان اختير مار ابا جاثليقاً وصعد اليه ليقدّم له فرائض الخضوع والتوقير نال منه التفاتاً مخصوصاً * وكان انوشروان يحبه ويقرّبه اليه لما كان له من حسن المناقب وخفّة الروح. ولذلك فماري وصليبا وابن العبري وصاحب الاخبار البيعية يذكرون له في ترجمته نوادر ولطائف ومسائل شتى كان يلقيها على انوشروان والمجوس * (طالع اخبار ٢: ٧٨ - ٨٧)

الا انّ انوشروان لم يستمرّ سائراً مع النصارى هذه السيرة المحمودة. فانّ قلبه بعد ذلك تغيّر عليهم فصار يؤذيهم ولاسيما في زمان الحروب التي كانت تنشب بين المملكتين الرومية والفارسية *

امّا الاسباب التي حملت انوشروان والمجوس على اضطهاد مار ابا فهي كثيرة. منها انه لما خرج كسرى لمحاربة الروم اراد ان يرافقه مار ابا. فامتنع مار ابا عن ذلك لكيلا يشاهد سفك الدماء. ولكن إغراء المجوس عليه

كان الداعي الاقرب لاضطهاده * وسعوا بهِ لدى الملك لخمسة اسباب . اولها لانهُ كان مجوسياً وتنصّر . والثاني لانهُ منع النصارى من التزوّج باكثر من واحدة . والثالث لتغيير احكام قضاتهم وتفرّدهِ بالنظر في امورهم دون غيره . والرابع لانهُ كان يجادل المجوس ويفحمهم وينصّرهم . والخامس لمناظرة انوشروان لمار ابا * (طالع ابن العبري ٢ : ٩٢-٩٥)

وانتهى امر هذه الوشاية على اقبح نوعٍ . فانهُ لما حرّض المجوس انوشروان على التنكيل بهِ مكّنهم من اذيتهِ فحبسوهُ سبع سنين في قريةٍ واقعة في وسط جبال أذربيجان . وهو مع هذا لا يدع النظر في امور رعيّتهِ ولم يكتفِ بذلك بل كان يكاتب الذين في سائر البلدان مرشداً اياهم الى ما يجب عمله لتصطلح احوالهم * وفي إبّان حبسهِ رتّب قوانين المزامير وقسّمها على المنوال الذي نجدهُ اليوم في فرض الصلوات القانونية في طقس المشارقة * هذا وان المجوس لم يعملوا على اضطهاد مار ابا فقط بل نالوا من الملك ان يُصدر امراً بقتل جماعةٍ من الاساقفة وصلبهم وقتل طائفةٍ من النصارى لاجل اسباب وتمحّجات واهية * ومن اشهر الذين وقعوا غنيمةً لاضطهاد انوشروان مار جريغور ܓܘܫܢܣܦ رئيس العساكر الفارسية . ومار يزدفنه تر ٢٤٧ و ٢٩٤ *

وفي سنة ٥٥١ امر انوشروان مار ابا يوماً ان يمضي الى الاهواز وجنديسابور ونحوهما ليجبي الاموال من النصارى ويرشدهم الى الطاعة للملك . ووعده ان يكفّ عن هدم البيع وقتل النصارى * ففعل مار ابا وحمل لهُ الاموال الجليلة فرضي عنهُ انوشروان واطلق لهُ الحرّية التامة *

اما تآليف مار ابا فهي التي يذكرها الصوباوي . اي انهُ ترجم العهد

القديم من اللغة اليونانيّة الى السريانيّة . ولهُ تفاسير على اغلب اسفار العهد القديم والعهد الجديد . ولهُ خطب وتراجم . وقوانين في المزامير . ورسائل سنهدوسيّة لترتيب امور البيعة . وقوانين تدبيريّة . وشرائع بيعيّة * ونقل مار ابا من اليونانيّة الى السريانيّة قدّاسي ثيودور ونسطور المعروفين بالثاني والثالث اللذين يستعملهما المشارقة * وعمرو المؤرّخ روى انّ مار ابا الّف كتاب التعزية وميامر كثيرة ورتّب الطقوس البيعيّة ولاسيما المختصّة بتوزيع سرّي العماد والسياميذ ونظّم تلاوة الصلوات القانونيّة * (طالع س ٢ : ١ وجه ٧٥)

وجلس مار ابا اثنتي عشرة سنة وبعض اشهر . وقاسى اضطهادات كثيرة حتى ان النساطرة ينزلونهُ منزلة الشهيد . فانهُ بسبب هذه الاذايا اصابهُ مرض معِديّ توفي فيهِ بعد ايام قليلة . وذلك سنة ٥٥٢ واوصى ان يُدفن في الحيرة *

الفصل الثالث

في اخبار مار ابراهام مصلح الرهبانيّة بين النساطرة

قام في ذلك العهد مار ابراهام الكشكريّ فاصلح الرهبانيّة بين النساطرة بعد ان فسدت طرائقها على يد برصوما مطران نصيبين وغيرهِ . وكما ان مار ابا اعاد رونق العفافة الى الاقليروس العلماني بشرائعهِ التي خالف بها مراسيم برصوما الفاحش . كذلك قام على عهدهِ مار ابراهام لاصلاح آداب الرهبان *

وكان مار ابراهام من كشكر وعرف منذ سنة ٥٠٢ في عهد بابي الجاثليق . ودرس في مدرسة نصيبين الشهيرة برفقة ابراهام الآخر تلميذ نرسي الملفان . ثمّ قصد الحيرة وتلمذ بها جماعة من المجوس * ورحل الى مصر حيث

لبس الثوب الرهباني . ثم عاد الى بلاد آثور وصعد الى جبل الإزل القريب من نصيبين وسكن في مغارة كانت ليعقوب مطران نصيبين منفردًا عن الناس وهو يتقوّت بالحشائش التي في الجبل * وارتفع صيت فضائله واجتمع اليه نسّاك كثيرون وسكنوا الدير المعروف بالإزل الذي كان مار اوجين قد اوى فيه *

ولا يخفى ان الرهبانية في هذه البلاد كانت قد تلاشت بشرائع برصوما الفاحش خاصة . فان الاديرة التي بقيت يومئذٍ كانت عبارة عن مخادع للفساد . او على الاقل لم يكن قد بقي لرهبانها سوى زيّ النسّاك * فاعاد مار ابراهام رونق الرهبنة القديم . وامر بقصّ شعر الراس على هيئة اكليل . ورسم لرهبان ديره القوانين ليسيروا بموجبها . وخالف بين زيّ الرهبان والمراطقة . وطكس الاعمار والقلالي *

واشتهر ايضاً مار ابراهام في البشارة بالانجيل وانارة الأمم . فانه قصد اولاً الحيرة ثم بلاد الشمال وهدى اهلها من عبادة الاصنام وبنى فيها البيع الكثيرة * وكتب كتباً في تدبير الرهبنة . من ذلك الاحد عشر قانوناً الشهيرة . وعاش الى ايام هرمز بن كسرى سنة ٥٨٦ فتوفي وله من العمر ٩٥ سنة *(طالع س٢ : ١ ف ٨٣ وثمه ٢ : ٢ وجه ٨٦ .... لو ٣٤ حاشية ٢ . ما . ص . اخ ٢ : ٤٠)

وخلف مار ابراهام في رئاسة دير الازل داديشوع البارهي ثم بابي الكبير ثم نرسي الكشكري وحبيب وغيرهم . وكتب داديشوع لإدارة هذا الدير ايضاً ثلاثة عشر قانوناً . وبابي خمسة وعشرين * فازهر بتقوى رهبانه وفاق كل الاديرة شهرةً . وخرج منه فطاركة ومطارنة ورهبان امتازوا بالعلم والفضيلة ولبث معموراً الى سنة ١٢٢٢ وخرب على يد المغول ثم التركمان *

الفصل الرابع

في اخبار يوسف الجاثليق ومجمعه وسبب إسقاطه

كان يوسف قد اتقن الطبّ في بلاد الروم . ثم عاد الى نصيبين واقام في ديرها بصفة راهب * وكان مبدأ سعادته ان كسرى انوشروان اعتلّ . فوُصف له يوسف فأحضره . وطبّبه يوسف فابراه . ولما توفي مار ابا امر كسرى بعقد الجثلقة له وكان ذلك سنة ٥٥٢ *

وتصرّف يوسف في تدبير الجثلقة تصرّفاً حسناً . فانه ابان غيرة عظيمة لخير طائفته ودبّر امورها في السنين الثلاث الاولى على غاية ما يرام من الاستقامة * وفي سنة ٥٥٤ عقد مجمعاً للنظر في اصلاح احوال الطائفة فسنّ ثلاثة وعشرين قانوناً تدور على سياسة البيعة واصلاح احوالها . وأُثبتت اعمال مار ابا . وقبل تحديدها اجتمع آباء هذا المجمع على ثلاثة اقانيم ووحدانية الجوهر والاتحاد البنوي مع بقاء الجوهرين والاقنومين * (طالع س ٢ : ١ وجه ٤٢٢ و ٢ : ٤١٢)

ولم يبقَ يوسف ثابتاً على صلاحه وحسن تصرّفه . فانه تغيّر وشرع يسيء في تدبيره وقبل الرشوة اي السيمونية لمنح الكهنوت وعزل بعض الاساقفة ونصب مكانهم الذين يبرطلون . وازدرى بالرؤساء واجرى اشياء كثيرة تخالف البيعة والنصرانية * واعتضد يوسف بالمرزبان الكبير الذي كان ذا جاهٍ عند الملك . فساعده على طرد الاساقفة والمطارنة عن كراسيهم وحبسهم . وكان من جملتهم شمعون اسقف الانبار المعروف بالتقوى * ووثب يوسف

على بعض القسوس وربطهم بالمعالف كالبهائم . واتى بغير ذلك من المنكرات التي يطول شرحها *

فارسل الاساقفة ينصحونهُ فلم ينتصح . فاجتمع الآباء والمؤمنون وانفذوا اليهِ ثلاثة اشخاص من قبلهم يخاطبونهُ في الحضور اليهم ليدافع عن نفسهِ . وكان يزيد في الاستخفاف بهم المرَّة بعد الأُخرى * فلمَّا تزايدت قباحتهُ خلعوهُ عن منصبهِ . واسقطوهُ من سائر درجات الكهنوت * وكان كسرى انوشروان قد تغيَّر ايضاً قلبهُ على يوسف لاسباب شتَّى اوجبت النفور منهُ والغيظ عليهِ . فاجتمع الآباء ووجوه المؤمنين بموسى الطبيب النصيبيني ودخلوا على كسرى والتمسوا منهُ ان يعزل يوسف عن تدبير النصارى فاجاب الى طلبهم وجرى إسقاطهُ بعد خمس عشرة سنة من جلوسهِ اعني سنة ٥٦٧ م * واختير خليفةً ليوسف بعد عزلهِ حزقيال اسقف الزوابي وكان كسرى يميل اليهِ . الّا انَّ جماعة من المؤمنين امتنعوا عن قبولهِ تعصباً ليوسف . فلمَّا وقعت المشاجرة امر كسرى ان لا يُنصب لهم جاثليق الى ان يجمع سائر النصارى على عزل يوسف * واستمرَّ الأمر كذلك ثلاث سنين الى ان مات يوسف ودُفن في الانبار . وفي هذه المدَّة التي فرغ فيها الكرسي كان يدبّر البيعة ماري اسقف كشكر وناطور الكرسي * (طالع اخ : ٢ : ٩٢ وما . ص . عب ٢ : ٩٥ - ٩٧)

هذا وان بعض المؤرخين ينسبون الى يوسف تاريخ سلفائهِ الجثالقة . وفيهِ حاول ان يثبت بمَثل فافا انَّ نفاريه كان غير شرعي . فانهُ اخترع رسالةً باسم مار يعقوب [illegible] آباء المجمع الذين اسقطوا فافا

لكي يستنتج انَّ الجاثليق لا يمكن اسقاطهُ من قِبَل اساقفة المشرق * وعليهِ يظن بعضهم انَّ الرسالة المجمعيَّة التي روى صليبا المؤرّخ انهُ فيها نخ المغاربة على عهد احاد ابوي جثالقة المدائن الاستقلاليَّة من الفطريركيَّة الانطاكيَّة هي من تأليف هذا يوسف المسقَط * (طالع عب . س : ٣٨)

الفصل الخامس

في اخبار رئاسة حزقيال الجاثليق ومجمعهِ الذي عقدهُ . وفي بدعة المصلّين . والوبا الذي اصاب بلاد آثور

ان حزقيال كان تلميذاً لمار ابا الجاثليق ثم رقي الى اسقفية الزوابي . وكان انوشروان يميل اليهِ لانهُ انفذهُ الى البحر واليمامة ليجمع لهُ المحار الكريمة فنجح في رسالتهِ * وبعد موت يوسف المسقَط صادق الآباء على انتخاب حزقيال وعقدوا لهُ الفطركة سنة ٥٧٠ * ودبَّر البيعة بحكمةٍ وفطنة . فانهُ رفع الشقاق الذي ثار في عهد يوسف المُسقَط . وصالح الكهنة والاساقفة الذين كانوا قد حُرموا معهم لمشاركتهم اياهُ في الشقاق * وشرَّف انوشروان حزقيال الجاثليق بدعوتهِ اياهُ الى مرافقتهِ في محاربة الروم * وكان ذلك يُعدُّ لدى ملوك الفرس بمثابة مكافأةٍ وتشريف لروساء النصارى الذين في حوزتهم . وهذه العادة قد جرت ايضاً مع غيرهِ من الجثالقة التابعين *

وقد تقدَّم الكلام على ما دخل البيعة من الشقاق والفساد في عهد يوسف المخلوع . فرغبةً في اصلاح احوال البيعة عقد حزقيال سنة ٥٧٦ مجمعهُ بحضور آباء طائفتهِ وسنَّ فيهِ تسعة وثلاثين قانوناً في ذلك الشان .

وجدّد لهم ذكر ايمان الرسل والآباء الغربيّين وسننهم كما كان الجثالقة يصنعون قبلُ . وحرم بدعة المصلّين ورتّب غير ذلك من القوانين لاصلاح البيعة وسياستها وتعلّق الرؤساء بعضهم ببعض وخضوعهم بعضهم لبعض * (طالع س ٢ : ١ وجه ٤٢٥ و٢ : ٤١٣ . ما . ص . عب ٢ : ٩٨ - ١٠٢ . اخ ٢ : ١١٣)

اما بدعة المصلّين فكانت قد ظهرت بعد انتشار الرهبنة ووصلت الى بلاد الجزيرة والكلدان منذ عهد مار افرام الذي ذكرها ودحضها في كتبهِ * وهي قائمة في انّ من يختلي بالصلوات العقليّة والتاملات يبلغ اوج الكمال والقداسة فيستغني عن الاعمال البرّية والتسابيح الخارجيّة واقتبال الأسرار . واختلقوا اقوالاً منافية للايمان من ذلك ان الخطية مطبوعة في الانسان وانّ فيهِ شيطاناً لا يُدفع بالمعموديّة بل بالصلوة *

واخصّ المآثر التي امتاز بها حزقيال الجاثليق هي انهُ رسم مدّة ثلاثة ايام صوم الباعوثة الذي يبتدىء يوم الاثنين السابق للصوم الخمسيني بثلاثة اسابيع * وكان سبب ذلك انهُ نشأ في زمان يوسف الجاثليق في بلاد الكلدان وآثور والفرس الوباء او الطاعون المعروف باسم الشرعوط . وكانت علامتهُ ان يظهر في كفّ الانسان ثلث نقط سود يسيل منها الدم . وكان حالما يبصرها المصاب ينفتح فمهُ ويسقط ميتاً . وصرف يوسف الجاثليق عنايتهُ الى دفن الموتى الذين كانوا يلقون في الطريق . ودام هذا الوباء اربع سنين * فقرّ راي اساقفة المشرق ولاسيما سبريشوع مطران باجرمي واسقف نينوى ان يقيموا التضرّعات الى الله لكي يردّ غضبهُ عنهم . وكان ذلك في زمان حزقيال . فنذروا ان يداوموا على ممارسة هذه التضرّعات كلّ سنة في

الايام الثلاثة المذكورة . فصادق حزقيال على هذا الراي اقتداء بصوم نينوى التي تابت بكرازة يونان النبي . وامر ان يؤلّف فرضٌ للصلوات والتضرّعات لتتلى في هذه الايام الثلاثة . وهي التي لا تزال تستعملها الكنيسة الشرقية الكلدانيّة الى يومنا هذا حتى عمّت ايضاً سائر الطوائف المجاورة من سريان وارمن *

الّا ان حزقيال لم يستمرّ مستقيماً في تصرّفهِ . فانّ قلبهُ تغيّر بعد سنين قليلة من جلوسهِ وحملهُ عجبهُ بنفسهِ ان يدعو الاساقفة عمياناً وقادة عميان . فابتلاهُ الله بالعمى ولبث اعمى سنتين الى ان توفي سنة ٥٨١ م . ثمّ *

الفصل السادس

في الرهبان الذين اشتهروا في نحو ذلك العهد وفي اخبار الموصل واصلها وتوسيع عمارتها ونطاقها

اشهر الرهبان الذين نبغوا في نحو ذلك الزمان هم دانيال المعروف بالحزين وهو الذي بنى ديراً ومدرسة في محلّ صعب يُسمّى باصلوي * وابراهام الذي تتلمذ لمار ابراهام الكبير وصار ملفاناً او معلماً في بيت سهدي مدرسة نصيبين * ومار يوحنا الذي درس في نصيبين وتنسّك في دير معرّا القريب من دير الإزل * وابراهيم النتفري نسبةً الى نتفرا ناحية من نواحي حزّة . وتتلمذ لابراهام الكبير المعروف بالكشكري وسعى معهُ باصلاح الرهبنة * وايوب الراهب الذي نبع مار ابراهام النتفري هو والبشاع وايشعيا رفيقاهُ . ولهُ دير يُعرف بعمر ايوب *

فابراهام النتفري درس العلوم منذ نعومة اظفارهِ . واقام في مغارة قريبة من وطنهِ النتفري منقطعاً للعبادة . ثم قصد مصراً وزار رهبانها . ثم عاد وسكن مغارتهُ الى ان توفي فيها * امَّا ابوب فوُلد في رواردشير. وكان ابوهُ بائع جواهر. فانفذهُ الى بلاد الروم ليتاجر بها . ولمَّا وصل نصيبين رأى سيرة الرهبان فرغب في الاقتداء بهم * وسمحت العناية الربانية ان يعتريهُ مرضٌ خطِر . فنذر ان يترهَّب إن نجا من مرضهِ . فلمَّا عوفي قصد ابراهام النتفريَّ وتتلمذ لهُ . وبنى مغارتهُ ديرًا * وترى ترجمة هذين الراهبين مفصَّلةً لدى السمعاني * (طالع ٢ : ١ وجه ١٩١ و ٤٣١ . اخ ٢ : ٨٨)

وممَّن فاق اولئك الرهبان شهرةً يشوعياب برقوصري . وهذا ولد في نينوى وتهذَّب منذ نعومة اظفارهِ في العلوم ثمَّ لبس اسكيم الرهبنة على يد ابوب الراهب المار ذكره * وحجَّ الى القدس الشريف وفي عودهِ نبغ في القداسة وعبر من نينوى الى الناحية الغربية من نهر الدجلة . وكان ثمَّ جنينة رائقة لم يكن حولها شيءٌ كثير من البنيان . فاختار هذا الموضع وبنى فيهِ ديرًا وهيكلاً . وانضوى اليهِ كثير من الرهبان * وذاك الهيكل هو عين الهيكل المعروف اليوم ببيعة مار يشوعياب برقوصري في الموصل وقد تغلَّب عليهِ اسم ماراشعيا * (طالع اخ ٢ : ١٢٠)

واعلم انهُ على عهد هذا يشوعياب لم تكن مدينة الموصل موجودةً على ما هي الآن في الكبر والاهمية . انما كانت قرية تُدعى الحصن العبري وفي السريانية ܚܨܢܐ ܥܒܪܝܐ وهي عين الناحية المعروفة اليوم لدى اهل الموصل بالقُلَيعات القريبة من محلة بيعة مار يشوعياب المذكور * وكذلك

لم تكن هذه المدينة معروفة باسم الموصل . فهذا الاسم قد وضعهُ العرب بعد ان استولوا على مملكة الفرس . وسمَّوها الموصل لانها الواصل بين الجزيرة والعراق وبين دجلة والفرات *

ويسوغ لنا هنا ان نصف اخبار الموصل في اصلها وتوسيع عمارتها ونطاقها : روى اهل الاثر ان الرهبان والناس تقاطروا الى الدير والهيكل اللذين شادهما مار يشوعياب بقرب الجُنينة المار ذكرها . وبعد ان ملك كسرى ابن هرمزد بنى حول هذه الجنينة دورًا كثيرة واسكنها الناس . وكانت تسمى في زمان الفرس نواردشير اي المدينة الحديثة * ولما ملكها العرب سمَّوها الموصل كما مرَّ وزادوا في عمارتها وتوسيع نطاقها في زمان بني اميَّة حتى اصبحت مدينةً عظيمة . ولما خربت نينوى في نحو القرن الثامن على يد العرب اخذت الموصل مقامها . ثم *

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان في كلمة الموصل . « ثم كان اوَّل من عظَّمها والحقها بالامصار العظام وجعل لها ديوانًا براسهِ ونصب عليها جسرًا ونصب طرقاتها وبنى عليها سورًا مروان بن محمد بن مروان بن الحكَم آخر ملوك بني امية المعروف بمروان الحمار والجعدي » انتهى *

الفصل السابع

في مشاهير المؤلفين الذين نبغوا في نحو ذلك الزمان

انَّ الذي ترك لنا وصف التصانيف التي خلَّفها لنا علماء المشارقة هو الصوباوي او هو عبديشوع مطران صوبا وهي نصيبين وارمنية . وقد ترك لنا

ذلك في مقالة جزيلة الفائدة تحتوي عدد كل الكتب البيعية واسماء مؤلفيها واورد فيها التآليف التي كانت معروفة على عهده ولو ان جور الزمان قد أتلف منها شيئاً كثيرًا. الآنَ الصوباوي لم يذكر دائمًا كل اولئك المؤلفين المشارقة بحسب ترتيب وقدم الزمان الذي عاش فيه الواحد بعد الآخر * اما نحن فقد رأينا ان نورد اسماء هولاء المؤلّفين بحسب ترتيب زمانهم ونذكر احسن التصانيف المنسوبة الى كلٍّ منهم. ومن اراد مزيد الفائدة فعليه ان يراجع المقالة السريانية المار ذكرها *

فممّن اشتهر بين المولّفين في نحو زمان مار ابا الجاثليق توما الرهاوي رفيق مار ابا. ومن جملة تآليفهِ خطب تعزيات مطولة وجدال ضد المرطقات وتفنيد علم التنجيم * وثيودور مطران مرو الذي ترك لنا ترجمة مار اوجين ورفقائهِ وتفسير المزامير وميامر كثيرة وغير ذلك من التآليف * وجبرائيل اخو ثيودور المذكور اسقف هرمزداشير وكان لهُ اكثر من ثلثمائة تاليف * وفيورا تلميذ مار ابا * وسركيس المعلم في مدرسة حزة * ودانيال الراس عيني الذي الّف مقالاتٍ ضد المرقيونيّين والمانويّين * والبشاع بن سوبن * وموسى اسقف الكرخ * وتلاميذ مار ابا المار ذكرهم * واكثر تصانيف هولاء العلماء تدور على شرح الكتب المقدسة * (طالع س ٢ : ١)

وممّن ازهر على عهد يوسف المسقَط بولس تلميذ مار ابا ومطران نصيبين ولهُ تفاسير في الكتب المقدّسة وجدال ضد كسرى ورسائل في موضوعات شتّى * (طالع ثمه ف ٦٥)

وابرهام ويوحنا بيث ربّان وكانا من تلاميذ نرساي الشهير ومن قرابته

وكلاهما الّفا تفاسير كثيرة في اكثر اسفار العهد القديم. ويوحنا ايضاً كتب ضد اليهود والمجوس والمراطقة. وميامر كثيرة وصلوات وتعزيات او خطباً تقال على الموتى. وكتاب اسئلة في العهد القديم والجديد وميمرًا في موت كسرى وميمرًا آخر في الوباء الذي صار بنصيبين * ويوسف الاهوازي وهو غير يوسف الحزّايا وهو اوّل من الّف كتاباً في النحو السريانيّ *

وممّن نبغ في العلوم على عهد حزقيال الجاثليق. حنانا الحزّي الذي تولّى رئاسة مدرسة نصيبين ومعلميتها. ورسم لها واحدًا وعشرين قانونًا. وكان لهُ نحو ثمانمائة تلميذ. وزعم بعض النساطرة ان سبريشوع الفطريرك حرم تآليفهُ لانهُ لم يتبّع في شرح الكتب المقدسة ثيودور المصيصي احد ملافنة المشارقة الثلاثة الاعظمين * وكان حنانا مستقيم العقيدة الخلقيدونيّة * ولحنانا تصانيف كثيرة ما خلا شرح الكتب المقدسة. منها شرح قانون الايمان النيقاوي والاسرار. ولهُ مقالاتٌ في علّة عيد السعانين وجمعة الذهب والباعوثة * وعُرف ايضاً في هذا العهد عدي بن زيد وكان عربياً جنساً من قبيلة العبادي في اطراف الحيرة وكان شاعرًا ظريفًا[1] * ومنهم بوذا الكاهن البرياذوطي او الزائر الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من اللغة الهندية الى السريانية. ولهُ مقالات في الايمان وضد المانويّين والمرقيونيّين * ومنهم ايضاً برقوسين الذي نقض علم المنجمين الكلدان * وابراهام بن قرداحي المعلّم في مدرسة نصيبين وكان معاصرًا لحنانا الحزّي ولهُ تراجيم وتعزيات وخطب شتّى. وابراهام النتفري وقد مرّ ذكرهُ ولهُ كتاب في الرهبنة وميامر كثيرة وصلوات *

(١) مجاني الادب : الجزء الرابع : ص : ٢٨٦-٢٨٧ والجزء الثالث : ص : ١٧-١٨ *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وابوب تلميذ الذي نقل الى الفارسية كتب معلمهِ وقوانين ابراهام الكشكري *
(طالع ثم و ٥٩ . و ١٢٥ . و ١٥١ و ١٦٨ و ١٥٢)

الفصل الثامن

في اشهر تلاميذ مار ابراهام الكبير

انّ تلاميذ مار ابراهام الكشكري مصلح الرهبنة في بلاد الشرق هم كثيرون . وبعد ان اخذوا عنهُ اصول الطريقة الرهبانية ومارسوها تحت ادارتهِ في دير الازل خرجوا منهُ وانتشروا في بلاد ماري وآثور وفارس والجزيرة والعراقين وبنوا فيها اديرة كثيرة * فتقاطر الرهبان اليها وصاروا هم ايضاً روساء اديرة جديدة *

ويمكننا ان نعتبر هؤلاء الرهبان الذين شادوا هذه الاديرة على ثلاثة انواع . فمنهم كانوا ابكار تلامذته ومنهم تتلمذوا لهُ في إزهار الرهبنة على يده . ومنهم في شيخوختهِ . وبعد ان توفي تفرقوا في البلاد وشادوا الاديرة على اسمهِ *

اما الذين كانوا ابكار تلامذتهِ فهم : ١ً جيورجيس . ونصب ديرين الاول في قرية بيرتا من ناحية المرج . والاخر في حذياب *

و٢ً الربان سهروي . وكان من نصيبين ونصب ديرًا في جبل قردو . وعُرف هذا الدير بدير سعيد *

و٣ً مار ابا . وسعى هو وتلاميذه ببناء دير كامولا . وشاد ايضاً كنيسة في محلّ يدعى بر طورا بقرب سنجار *

و٤ً الربان سبوخت . وبني ديرًا محاذيًا لدير برطورا *

و٥ً مار دانيال . وبنى ديرًا ومدرسة في جبل اوروك في المحلّ المعروف بباصلوي *

و٦ً مار شليطا . وبنى بيعًا كثيرة ونصب ديرًا في جبل حران . واجتمع اليهِ رهبان كثيرون *

ومن اخصّ تلامذة مار ابراهام في ازهار الرهبنة على يده ١ً مار جني . وبنى ديرًا في كشكر وطنهِ *

و٢ً الربان اوخاما . وشاد ديرًا في كامول احدى قرى ناحية قردو *

و٣ً مار يونان . وبنى هيكلاً كبيرًا وديرًا بقرب قرية حوطير *

و٤ً مار باركاولا . وحارب اليعاقبة . واتى كفرتوت وانضوى اليهِ الرهبان *

ومن الرهبان الذين تتلمذوا لمار ابراهام في شيخوختهِ هم ١ً مار يوسف . وشاد ديرًا عُرف بسمرونا في جبل افرايم من بلاد فلسطين حيث قضى نحبهُ *

و٢ً مار جيورجيس . المروزي . وولد في مرو واقام في قرية رزق يعبد الله فاجتمع اليهِ الرهبان وبنى لهم ثمّ ديرًا ومدرسة *

و٣ً الانبا شمعون . وكان من كشكر احدى مدن الاراميين . وانضوى اليهِ الرهبان فشاد لهم هيكلاً وديرًا في السنّ احدى مدن بلاد ما بين النهرين . وترأس زمانًا على دير مار غنيبا [illegible] الواقع في كرخ سلوخ *

و٤ً مار ابيملك . وكان من ناحية قردو . وعيّنهُ مار ايليا مطران نصيبين معلمًا في مدرسة بيت سهدى التي بناها الشماس اليشاع في نصيبين فبنى ابيملك ديرًا على بابها *

و٥ً مار سبريشوع . وكان من نينوى وبنى ديرًا في بانوهدرا وازهر هذا الدير على يد شوحا لماران وافنى ماران الراهبين اللذين اقاما فيهِ * (يشو

الباب الثالث

في تواريخ المشارقة النساطرة من زمان يشوعياب الارزني الى عهد جريغور الجاثليق (٥٨٢ - ٦٠٤)

الفصل الاول

في اختيار يشوعياب الارزني ومجمعهِ

بعد وفاة حزقيال الجاثليق وقع الخلف. فاختار بعضهم ايوب المعلم في مدرسة المدائن والأُخر انتخبوا يشوعياب اسقف ارزن * ولما وقعت المشاجرة بين كلا الحزبين رُفع الامر الى هرمزد بن انوشروان الملك فامر بنصب يشوعياب . وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة جثالقة النساطرة * وكان يشوعياب من اهل باعربايا . وقرأ في نصيبين على ابراهيم المفسّر وصار ايضاً معلماً فيها . ورقي الى اسقفية ارزن ولُقّب لذلك بالارزني * ومال اليهِ هرمزد لانهُ كان يكاتبهُ بأخبار جيوش الروم وحركاتها . ورُسم في المدائن سنة ٥٨٢ . واكتسب محبة كسرى والتفاتهُ *

وكانت معاملة هرمزد للنصارى حسنةً الى الغاية . ولما دخل اليهِ يشوعياب الجاثليق ومعهُ الاساقفة ليدعوا لهُ اكرمهم واعادهم الى كراسيهم * وكتب الى عمّالهِ بان يرجعوا الى راي الاساقفة في الاحكام وفي سائر الامور وألّا يعملوا شيئاً الّا بمشورتهم . فحمل ذلك المجوس الى الاغتياظ والنفور *

(طالع ما. ص. اخ ٢ : ١٢٤ . عب ٢ : ١٠٥)

ولما استتام الامر لايشوعياب عقد مجمعاً من اساقفتهِ وسنّ فيهِ

واحدًا وثلاثين قانونًا . ويلحق بها اجوبة يشوعياب الجاثليق على المسائل العشرين التي القاها عليهِ يعقوب اسقف دبرين (او هي جزيرة بقطرابا التي تُسمّى ايضاً في بعض المصاحف دادبانا) . وعُقد هذا المجمع سنة ٥٨٥ م *

(طالع س ٢ : ١ وجه ١٠٨ : و٢ : ٤١٥)

الفصل الثاني

في تنصّر النعمان ملك الحيرة

دخلت النصرانية في بلاد العرب على يد المجوس اولاً ثم نادى فيها الرسل . ودخل بعض الاساقفة الحبشة بلاد اليمن . فنمت النصرانية فيها * وسعى جثالقة المدائن بعد الرسل بنشر الانجيل في الحيرة التي كانت كرسي الملوك المعروفين بالمناذرة . وكانوا يومئذٍ عمّالاً للاكاسرة ملوك الفرس * وقد تنصّر بعض اولئك المناذرة ونخصّ منهم امرء القيس الذي تنصّر سنة ٢٨٨ . والنعمان الاول الذي زهد ولبس المسوح . والنعمان الثاني الذي زهد هو ايضاً بمشورة وزيرهِ عدي بن زيد نحو سنة ٤٦٩ . الّا ان من اشتهر منهم هو والنعمان الرابع الملقّب بابي قابوس * (طالع مجاني الادب ٢ وجه ٢٠٦ - ٢٠٨)

وإليك بيان تنصّر النعمان ابي قابوس : كان النعمان وثنيًا يعبد الكوكب المعروف بالزهرة ويذبح للاصنام . فولع بهِ الشيطان . وصرعهُ وعذّبهُ مدة ثلاث سنين * فاعتضد بكهنة الاصنام . فلم يقدروا على شفائهِ . فالتجأ الى شمعون بن جابر اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم وايشوعزخا الراهب فوهب لهُ الله العافية بصلواتهم وخرج منهُ الشيطان . فاعتمد هو ومقدموا

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

دولتهِ سنة ٥٩٤ وبنى في حاضرة مُلكهِ الكنائس العظيمة . ولما راى ابناهُ الحسن والمنذر النعمة التي انعم بها الله على ابيهما اعتمدا هما ايضاً بعدهُ بسنة مع كل اهل بيتهما * اما هند ومريم اختا النعمان فكانتا قد تنصّرتا قبل اخيهما وترهّبتا * (طالع اخ ٢ : ١٦٠ . ما . ص في ترجمة سبريشوع الجاثليق)

ولعلّ سائلاً يسأل على ايّ مذهب كان اهل الحيرة فنقول : انهُ ولو كان اليعاقبة قد دخلوا الحيرة في نحو ذلك الزمان واقاموا لهم كرسيًّا من مذهبهم . الاّ ان معظم الحيريّين كانوا على مذهب النساطرة الذين كان لهم اليد الطولى والنفوذ الاعظم وحق القِدم * فان النصرانية كانت قد انتشرت في الحيرة ونواحيها في الازمان الاولى على يد جثالقة المدائن الذين صاروا مع تمادي الزمان روساء النساطرة * ولاسيما اذا اعتبرنا ان شفاء نعمان ابي قابوس كان على يد روساء هذه الطائفة فبالطبع كان قد اعتنق هو وحاشيتهُ ومملكتهُ مذهبهم *

واشتهر النعمان ابو قابوس في انهُ كان قد بنى الغريّين وسمّى احدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس . وقيل ايضاً انّ اوّل سبب لتنصّر النعمان كان وفاء حنظلة الطائي النصراني وعدهُ * وفي ذلك حكاية طويلة في اخبار العرب دوّنها ابو الفرج الاصفهاني في كتابهِ المعروف بروايات الاغاني *

ولنأتِ الآن الى الكلام عن الديرين اللذين بنتهما هند الصُغرى وهند الكُبرى في الحيرة . فنقول : كانت هند الصُغرى أُخت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة . وسُميت الصُغرى لتمييزها من هند الكُبرى * وكان كسرى قد غضب على اخيها فنذرت ان تبني ديرًا وتسكنهُ إن ردّ الله اباها

الى الملك . فآتاها الله هذه النعمة وكمّلت نذرها * وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « دير هند الكُبرى هو بالحيرة ايضاً . وكان يوجد مكتوبًا في صدرهِ بَنَت هذه البيعة هندٌ بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وامّ الملك عمرو بن المنذر أَمَة المسيح وامّ عبدهِ وبنت عبيدهِ في مُلك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمان مار افريم الاسقف » انتهى *

امّا خاتمة النعمان فكانت انّ كسرى ابرويز قتلهُ سنة ٦٠٤ وقيل سقاهُ السمّ نكايةً بهِ لكونهِ نصرانيًا ولهذا يسمّيهِ النساطرة معترفاً . وقيل اغتالهُ لانهُ لم يزوّجهُ ابنتهُ . ولانهُ قتل عديًّا صديق ابرويز *

الفصل الثالث

في الخطوب الشهيرة التي جرت في ايّام يشوعياب الارزُني واخباره الاخيرة

انّ الخطوب التي جرت في ايام يشوعياب هي كثيرة . واشهرها هي اوّلاً دخول النساطرة بلاد سورية وجزيرة قبرس * وذلك انّ الروم في حروبهم مع الفرس كانوا يسبون جنود الاعداء ويسكنونهم في بلادهم . وكان الفرس يصنعون كذلك بالروم . كما تؤكّد لنا آثار القدماء وتواريخهم * من ذلك نعلم انّ الروم تحت قيادة موريقي غزوا الفرس وسبوا منهم زهاء سبعين الف نفس ومضوا بهم فاسكنوهم جزيرة قبرس كما روى ابن العبري في تاريخ الدول . وكان معظم الجنود والنصارى الذين حُملوا الى قبرس نساطرة * وكان اسقف قبرس النسطوري يراجع جاثليق المدائن ويدين لهُ وينال منهُ السيامة . وبقي الامر كذلك الى ان عاد طيماثاوس اسقفها هو وقومهُ الى حظيرة الكنيسة

في عهد اوجانيوس الرابع الذي سمّاهم كلدانًا *

ثانيًا : كان هرمزداد بن انوشروان قد غزا دارا وافتتحها واستولى على آمد وميافرقين ونواحيها وطرد الروم منها واسكن الفرس فيها * ومن هذه الحروب وغيرها التي شبّت بعد ذلك بين دولتي الروم والفرس كان اصل النساطرة في بلاد سورية وغربيّ ما بين النهرين. ومنها ايضًا كان اصل اليعاقبة الذين أُسروا الى بلاد ما بين النهرين وفارس وآثور من سورية وبلاد الروم * فانتهز روساء النساطرة هذه الفرصة واقاموا كراسي اسقفية في آمد وميافرقين ودمشق واورشليم وحلب وفي غيرها من المدن (١) اما قبل ذلك فلم يكن مباحًا للنساطرة ان يُظهروا انفسهم في بلاد الروم كما مرّ الكلام وذلك لمخالفتهم تحديد مجمع افسس *

ثالثًا : تمرّد بهرام رئيس الجيوش الفارسية على هرمزد الملك الذي القاهُ في السجن وسمل عينيهِ وسعى في تجليس ابنهِ ابرويز على تخت المملكة فبلغت

(١) قال ماري بن سليمان المؤرّخ النسطوري في ترجمة سبريشوع الجاثليق « وكانت المكاتبات بينهُ (موريقي) وبين الجاثليق متصلة .... وسالهُ (هذا) اطلاق مَن عندهُ مِن اسارى ارزن ونصيبين وغيرها ليكون ذلك سببًا لاطلاق من في اسر الفرس من الروم » انتهى . وروى ياقوت الحموي في كلمة ارجان من كتابهِ الشهير بمعجم البلدان ما نصهُ « وغزا (قباد ملك الفرس) الروم وافتتح من ديار بكر مدينتين ميافرقين وامد . وكانتا بايدي الروم . وامر وبني في ما بين حد فارس والاهواز مدينة وسماها ابرقباد وهي تدعى ارجّان واسكن فيها بني هتين المدينتين وكوّرها كورة » انتهى . ويستفاد من ذلك ان اصل النساطرة في بلاد سورية ومصر وجزيرة قبرس واصل اليعاقبة في بلاد الجزيرة وآثور وفارس كانا من اسر الروم للفرس واسر هولاء لاولئك في فرصة الحروب التي شبّت بين الدولتين *

القساوة بابرويز انهُ امر بعض اصحابهِ فدخلوا على ابيهِ هرمزد وهو في الحبس وخنقوهُ خوفًا من تغلّبهِ على الملك * ولكن لم يصفُ لهُ الجوّ فانّ بهرام قائدهُ تغلّب على الملك . فخرج ابرويز متنكرًا مستنجدًا موريقي على قائدهِ المتمرّد . فانجدهُ موريقي بجيشٍ جرار وظفر ابرويز ببهرام وعاد الى ملكهِ وتزوج بشيرين الارامية النصرانية واحسن الى النصارى وبنى لهم في عاصمة مملكتهِ هيكلين الواحد باسم السيدة مريم والآخر باسم مار سرجيس الشهيد * الّا ان الله انتقم بعد ذلك من سوء صنيعهِ لابيهِ بموت مفجع *

وكانت معاملة كسرى ابرويز لايشوعياب الجاثليق على غاية ما يُرام من المجاملة والتحاب . الّا انهُ تغيّر عليهِ بعدئذٍ لاسباب شتّى . منها أنّ يشوعياب لم يرافقهُ في سفرهِ الى بلاد الروم . ثم لانهُ لم يجيء الى ابرويز لما عرف بوجودهِ في مملكة الروم عند موريقي . واخيرًا لانهُ كان يدعو لبهرام الخارجي * ولذلك فلما عقد يشوعياب القُبَب الفاخرة على عادة ذلك الزمان لابرويز الداخل ظافرًا الى المدائن ووقف للسلام عليهِ عدل كسرى عن الدخول الى الاولى والثانية وبالكد استطاع الجاثليق ان يستميلهُ الى الدخول الى الثالثة. ولم يقبل كسرى اعتذارهُ الّا بعد مشقةٍ عظيمة . ولم يصفُ لهُ حتى توفي * (طالع اخ ٢ : ١٢٤ . ما : ص)

وقضى يشوعياب الارزني نحبهُ في الحيرة وكان قد قصدها هربًا من كسرى ولزيارة النعمان بن المنذر الذي كان قد تنصّر وطلب العماذ . ودُفن يشوعياب بكل ابّهة في وسط مذبح الدير الذي بنتهُ هند اخت النعمان . وكان ذلك سنة ٥٩٥ * ومن جملة تآليفهِ مجمعهُ واثنتان وعشرون مسألة في اسرار البيعة . ورسائل وجدال مع المراطقة * (طالع السمعاني ٢ : ١ وجه ١٠٨ - ١١١)

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الرابع

في اخبار رئاسة سبريشوع الاول الجاثليق

كان سبريشوع من اهل باجرمي من قريةٍ صغيرة تُعرف بفيروز اباد. ومنذ نعومة اظفارهِ لاحت على وجههِ سيماء النجابة والفضيلة وقصد مدرسة نصيبين للتمهر في العلوم ثم ترهّب في دير الازل واقام فيهِ خمس سنين ملازماً العبادة والزهد * ولما شاع فضلهُ اختارهُ يشوعياب الارزني اسقفاً على لاشوم او هي دقوقا * (طالع عب ٢ : ١٠٦ - ١٠٧)

وزعم مؤرخوهُ انهُ تم اختيارهُ جاثليقاً بالاتفاقية الآتي بيانها : سمع يوماً ابرويز بعد موت يشوعياب الارزني صوت النواقيس تدعو النصارى الى الكنائس للصلوة * فخطر على بالهِ ان ينتخب سبريشوع جاثليقاً . فاوعز الى وزيرهِ درجرد الملقب بطخريد وكان نصرانياً ان يجمع الآباء والمومنين لإقامة رئيس لهم * فلما صار الاجتماع وقع الخلف بينهم وصاروا فرقتين . وكان الملك يقف على امرهم بجواسيس . واخيرًا اختير خمسة من الآباء فعرضوا على الملك . فقال : « ما ارى بينهم سبريشوع اسقف لاشوم » . فاجابوا : « انهُ شيخ وضعيف البدن ومع ذلك فان امرتَ ايها الملك باحضارهِ احضرناهُ مكرّماً لبرسم » . فانفذ كسرى لإحضار سبريشوع فورد يوم الاثنين ثاني السعانين . فانزلهُ في قصر شيرين امرأتهِ المؤمنة ، ولم يدخل معهُ سوى طيماثاوس اسقف بابغش * فلما كان يوم خميس الفصح تقدّم الى طخريد ان يقيم سبريشوع في راس صف الآباء ويقول لهم : هذا هو الرئيس الذي اعطاكموهُ الله من السماء ورضيهُ لكم

الملك . فافعلوا بهِ سنتكم * ففعل . فقبّلوا الارض ودعوا للملك ومضوا بسبريشوع بالصلوة من الساعة الثانية الى البيعة الى دير الكرسي الذي بالمدائن وعُقدت لهُ الفطركة في وسط الاحتفالات الفاخرة الشائقة * وكان جلوسهُ على كرسي المدائن سنة ٥٩٦ *

ولما قصد سبريشوع بعد الرسامة باب ابرويز الملك ليرفع لهُ واجبات تشكرهِ استقبلهُ الملك بغاية ما يمكن من الاحتفاء والالتفات وانفذ اليهِ فرسهُ ليركبها ويتخلص من كثرة المزاحمين لهُ * ووصل بعد الجهد الى باب الملك في الساعة الثالثة من الليل . وكانت قد مُلئت دار شيرين الملكة بالمصابيح وخرج منها الخدم بالقيارم والشموع في ايديهم لاستقبالهِ * ولما دخل على الملك هنّاهُ الملك وقال للآباء : « لقد صحّ القول الذي في كتابكم ان الحجر الذي رذلهُ البناؤون هو صار راس الزاوية » * فدعا سبريشوع للملك وخرج متشكرًا *

الفصل الخامس

في ولاء ابرويز الملك للنصارى والمجمع الذي عقدهُ سبريشوع

اراد ابرويز معاملة النصارى في مملكتهِ بالولاء والالتفات فقال لسبريشوع : اني باذل قصاراي في اسعاد شعبك والمحاماة عنهم واريد ان يتموا على الدوام شعائر دينهم مجرّبة وان لا يتعدّى احد عليهم * ومهما عرض لك من مهمّ فانفذ صاحبك بسببهِ وصِرْ انت من غير استئذان فتكون اشغالك ومصالحك مقضيةً * واما التوصيات التي تزوّد بها الاساقفة عندما استأذنوهُ ليعود كلٌّ منهم الى كرسيهِ فهي على جانب عظيم من الولاء والتوقير.

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

ووعدهم قبل كلّ شيء بالخير وكتب الى عُمّالهِ في كلّ البلاد ان يؤدّوا لهم التوقير والالتفات ويستشيروهم في الاحكام العدليّة وفضّ المشاكل السياسيّة. ويحاموا عنهم في اتمام اوامرهم * وطلب منهم ان يفرزوا من بينهم رجلاً اديبًا عالمًا يكون نائبًا عند الجاثليق ليعاونهُ ويخفّف عنهُ في الحكم بين النصارى. فاختاروا مِلاس اسقف السنّ *

ولمّا استقام الامر لسبريشوع اراد اقتداء بسلفائهِ وقبل انصراف اساقفتهِ ان يعقد مجمعًا للنظر في احتياجات الطائفة الروحيّة. فعقدهُ في شهر ايّار ٥٩٦ * وملخص اعمال هذا المجمع هو انّ الاساقفة قبل كلّ شيء اثبتوا فيهِ حقيقة الايمان وقرّروا اعتقاد الثلثمائة والثمانية عشر نظرًا الى تثليث الاقانيم والوهيّة السيد المسيح وناسوتهِ وبيّنوا انّ كلا الجوهرين فيهِ بقيا خارجًا عن كلّ امتزاج وتشويش واختلاط. وانّ الجوهر الالهي لم يقبل الآلام * وحرموا بدعة المصلّين ومن خالف تفاسير ثيودور المفشقان * وقرّروا منع الرهبان من التجوّل خارجًا عن اديرتهم. ورسموا لهم قوانين تهذيبيّة لضبط فساد السيرة الذي سرى منذ عهد برصوما بين كهنة ورهبان هذهِ الطائفة * (طالع. اخ ٢: ٢٠٦. ما. ص: س ٢: ا وجه ٤٤١-٤٤٩. و٢: ٤١٥)

الفصل السادس

في مآثر جريغور مطران نصيبين والنزاع الذي جرى بينهُ وبين حنانا الملفان والنائبة التي حلّت بنصيبين

كان جريغور من كشكر. وصار الى مدرسة المدائن واقام فيها مدّة

وانتقل الى مدرسة نصيبين وتمهّر فيها بين يدي ابراهيم المفسّر. واتّصل خبرهُ بأهل حزّة فجعلوهُ مفسّرًا في بلدهم مدّة احدى عشرة سنة * ثمّ عاد الى وطنهِ ودعا الناس الى النصرانيّة ونصب مدرسة اجتمع فيها ثلثمائة نفس. ثمّ نصب في بعض قرى كشكر مدرسةً ثانيةً وسنّ على الطلبة ملازمة الصوم والصلوة * وكان يخرج في كل سنة وقت الصوم الكبير الى القرى المجاورة ليدعوا الناس الى الايمان. وعمّد خلقاً كثيرًا فكسّر الناس اصنامهم في ارض ميشان وكشكر. وهدموا بيوتها فبنى في موضعها البيع * ثمّ انهُ لمّا اتّصل خبرهُ بايشوعياب الجاثليق اجبرهُ وجعلهُ اسقفًا على كشكر * وكان كسرى ابرويز يومئذٍ يطلب شخصًا يثق بهِ ليكون مطرانًا لنصيبين التي كانت الحدّ بين المملكتين. فلمّا انتهى امر جريغور اليهِ نُقل بامرهِ الى هذه المطرانيّة *

امّا اسباب النزاع الذي ثار بين جريغور مطران نصيبين وحنانا الملفان فهي: انّ حنانا الحزّي تلميذ موسى كان قد علّم مدّة طويلة في مدرسة نصيبين الشهيرة. وكثر نظرهُ في كتب المخالفين لمذهب النساطرة. فاثبت المعتقد الصحيح. بل انهُ فسّر اشياء كثيرة خالف فيها ثيودوروس المفشقان * فانكر جريغور ذلك عليهِ. ووبّخهُ وحرمهُ هو وكتبهُ في مجمع نصيبين فاظهر الطاعة. الّا انهُ بعد ذلك استعان بجماعةٍ من اطباء كسرى ولاسيّما بجبرائيل السنجاري. وكان هؤلاء يبغضون جريغور لانهُ حرمهم * فثارت بواعث النزاع من جديد وكثرت الشكايات على جريغور * ومن تلاميذ حنانا الذين دافعوا عن الايمان الصحيح ضد النساطرة احا ومسكين العرباني واشعيا التاحلي الذي الّف في روايةٍ كتابًا بيانًا لصحة المعتقد

الكاثوليكي . فقام عليهِ بابي الكبير وغيرهُ من النساطرة وردّوا عليهِ *

فلما بلغ سبريشوع الجاثليق هذا النزاع لم يصادق على اعمال مجمع نصيبين الذي حرم كتب حنّانا الملفان بل مال الى حزب حنانا * فلما وقف جريغور على ما جرى خرج ونفض التراب عن خفّيهِ على باب نصيبين * فامرهُ كسرى بالمضي الى بلدهِ . فانفرد في موضع من البريّة بين نفّر وكشكر ملازماً الصوم والصلوة * وانذر قريةً يسجد اهلها للحيّات وعمّذهم وبنى لهم بيعةً وبنى ديرًا كبيرًا في موضعٍ يُعرف ببزّ الانهار كان بالقرب من نفّر بحدود بارسما * وتقاطر اليهِ الطلبة من كل صقع . وبعد ان هدى خلقاً كثيرًا الى النصرانية قضى نحبهُ في السنة الثانية والعشرين من ملك كسرى الموافقة لسنة ٦١٢ م . ودفن في دير بزّ الانهار . ولهُ تآليف كثيرة من ذلك تاريخ بيعيّ لم يصل الى يدنا *

والمّ بنصيبين نائبة عظمى فانّ وجوه نصيبين كانوا قد تمرّدوا على الوالي وقتلوهُ * فحاصرها عسكر كسرى ولم يتمكّن من فتحها . فتوسّط سبريشوع الجاثليق بامر الصلح وحلف كسرى بالأمان لاهل المدينة * فلما فتحوا الابواب . امر القائد الجيش فنهب وسبى وسفك الدماء (اخ ٢ وجه ٢٠٨-٢١٨) *

الفصل السابع

في اخبار سبريشوع الاخيرة وتغيّر كسرى ابرويز على النصارى

كانت معاملة الدولتين الروميّة والفارسية على عهد سبريشوع على غاية ما يمكن من المودّة والتحابّ * واتّصلت كتب ابرويز الى موريقي ملك الروم واوقفهُ على افضال سبريشوع . فاشتاق موريقي الى مشاهدتهِ . وارسل مُصوّرهُ لياخذ صورتهُ . فامتنع سبريشوع لشدّة تواضعهِ ولم يُجب الّا على مَضَضٍ ولكنهُ سأل موريقي لقاء ذلك ان يعتق مَن عندهُ من الأسرى في مملكتهِ ليكون ذلك باعثاً لاطلاق من في بلاد الفرس من اسرى الروم وان يُنفذ اليهِ قطعتين من عود الصليب الواحدة لهُ والاخرى لشيرين المؤمنة زوجة ابرويز الملك * وتوثّقت عُرى المودّة بين كسرى ابرويز وبين موريقي ملك الروم بأن وجّه موريقي من قبلهِ سفيرًا الى كسرى وسبريشوع دومتيان اسقف ملاطيا فاستقبلاهُ بكل ما يمكن من الالتفات والأُبّهة واكرما مثواهُ * واحبّ ابرويز ان يُنفذ هو ايضاً سفيرًا الى موريقي فاختير ميلاس اسقف السنّ وزُوّد بالهدايا اللائقة لموريقي *

ولكن لم تستمرّ الامور على هذه الحال فانّ الروم كانوا قد ثاروا على موريقي ملكهم وخلعوهُ وقتلوهُ هو واولادهُ وملّكوا عليهم رجلاً من الأوباش اسمهُ فوقا * فقصد كسرى الروم آخذًا بثار موريقي صديقهِ . وتغيّر على النصارى واضطهدهم في ابّهة الحروب مع الروم وامر بنهب الكنائس . واباد جماعة من الرؤساء . ومنهم ناثانائل اسقف سيرزور فانهُ صُلب بعد ان قيّد في الحبس ست سنين (ما . ص . س ٢ : ١٠ وجه ٤٤١-٤٤٩) *

وكان النصارى المشارقة على عهد سبريشوع الجاثليق مُعظمهم على مذهب النساطرة وكثير منهم على مذهب اليعاقبة * ولكن لم تخلُ هذه البلاد ايضاً من مستقيمي المعتقد الرافضين مذهب النساطرة واليعاقبة معاً . اوّلاً لانّ النساطرة كانوا يلومون حنانا لانهُ خالف تفاسير ثيودور ملفانهم وايمانه *

ثانياً لأنّ بابي الكبير رئيس دير الازل في الردّ على حنانا يُشير الى انهُ كان من القائلين باقنوم واحد * ثالثاً لانّ يشوعياب الحزّي لما يتكلّم عن حنانا لا يميّزهُ في المعتقد عن سهدونا · والحال ان هذا كان قاثوليقياً كما سنرى *

واما سبريشوع فانهُ لما خرج كسرى الى دارا طلباً بثار موريقي الزمهُ ان يرافقهُ في الحرب فمات سنة ٦٠٤ م في نصيبين * وكان قد اوصى ان يدفن في دير كان بناهُ في كرخ جدان من اعمال باجرمي واناف على الثمانين (اخ ٢ : ٢٠٢ تر ٢٨٨ - ٢٢٢) *

الفصل الثامن

في اشهر الرهبان والمولفين الذين اشتهروا على هذا العهد

ان اشهر الرهبان الذين ازهروا في هذا العصر في بلاد المشرق هم داديشوع · وبابي رئيس دير الازل · ويعقوب مؤسّس دير باعابا · وبابي النصيبيني · وايليا الحيري · وحنانيشوع ابن اخته · ويوحنا الأنحلي · وبرعيتا · والربان حابا · ويعقوب الحبيسيّ · وكيوركيس · وابراهام المادي *

كان داديشوع من جنس الاراميين ܒܝܬ ܐܪܡܝܐ ودرس الكتب القدسية في نصيبين ثم في اربل · وتتلمذ لمار ابراهام وانقطع للعبادة والنسك في احد جبال حزّة ثم خلف ابراهام الكبير في رئاسة دير الإزل *

وولد بابي في بيت عيناثا وهي قرية من اعمال بازبدي · وكان من ارباب النعم · وتفقّه في كُتُب الفرس · ثم قصد مدرسة نصيبين وتفرّغ للعلوم وصار معلماً فيها واتقن صناعة الطب · ثم صار الى دير الازل وتتلمذ لمار

ابراهام الكبير مصلح الرهبنة * واختير لرئاسة هذا الدير بعد داديشوع خليفة ابراهام المذكور · وجدّد بناءهُ · واهتدى على يده قومٌ من المجوس والمراطنة · واشتهر بالعلم بين النساطرة وكان متمسكاً غاية التمسّك بمذهبهِ النسطوري * وجادل بعنف حنانا الحزّي وحزبهُ · وهو الذي كتب تلك الرسالة الشهيرة لتقرير مذهبهِ وانفذها الى الآباء المجتمعين للمناضلة مع جبرائيل السنجاري · ودبّر الكرسي الفطريركي بصفة نائب في زمان خلوّهِ بعد جريغور الجاثليق كما سوف نرى * وبنى ديرًا في بازبدي وطنهِ واقام فيهِ المدارس ثم عاد الى دير الازل · ودبّره اربعاً وعشرين سنةً · وتوفي سنة ٦٢٧ م *

وُولد يعقوب في لاشوم من اعمال باجرمي · وكان ابواهُ في خدمة كسرى وسعى الاعداء بهما لديهِ فامر بنهب اموالهما · فهرب يعقوب الى ارض المرج · وصار معلّماً في مدرستهِ · ونقل خلقاً كثيرًا من عبادة الاصنام * واتى دير الازل وترهّب فيهِ زماناً على عهد داديشوع وبابي رئيسهِ * ولمّا خرج من دير الازل قصد قريةً من آثور قريبة الى العقر تدعى باعابا · فلحقهُ رهبان كثيرون من دير الازل · وبنى ثمّه ديرًا نحو سنة ٥٤٥ م وكثر عدد تلاميذهِ * وكان يعقوب صديقاً لسبريشوع اسقف لاشوم الذي اختير جاثليقاً (اخ ٢ : ١٥٢) *

وكان بابي النصيبيني من نصيبين من نسل الفرس الذين اسكنهم شابور فيها · ويُعرف ببابي الصغير ليتميّز من بابي الكبير رئيس دير الإزل · وكان مولعاً بملاهي العالم ثم تاب وتتلمذ لابراهام الكبير رئيس دير الازل * وبعد موت معلّمهِ قصد جبل حزّة وانعكف على النسك في مغارة قريبة من قرية اطى * ولمّا كثر تلاميذهُ عزم على ان يبني ديرًا بازاء دير الإزل الذي

كان قاطناً اوّلاً فيهِ وهذا كان السبب الاكبر لمخالفة بابي الكبير له . ورسم فيهِ قوانين معلّمهِ ابراهام ودبّر ديرهُ احدى وثلاثين سنة (اخ ٢ : ١٤٢) *

ومن اخبار ايليا الحيري انهُ كان من اهل الحيرة عربي الجنس . وبعد ان تمهّر في العلوم قصد دير الإزل وتتلمذ لابراهام رئيسهِ * ثمّ رحل الى الناحية الغربيّة من دجلة بقرب الحصن العبري الذي دُعي بعد الإسلام الموصل . وسكن زماناً في مغارة بقرب اجمة كان فيها سباع * ولمّا اجتمع الرهبان اليهِ بنى في هذا الموضع ديراً في ايّام هرمز بن كسرى * وهو نفس الدير الذي مع قطع النظر عن الآثار المندرسة التي تُرى الآن لم يبقَ منهُ بعد الترميمات المتوالية سوى الهيكل وبعض الابنية الجديدة * ويُعرف ايضاً ديرهُ بدير سعيد او بالدير المنقوش (اخبار ٢ : ١٣٢) * ووصف ياقوت الحموي هذا الدير على زمانهِ قائلاً في معجم البلدان « دير سعيد بغربي الموصل قريب من دجلة حَسَن البناء واسع الفناء وحولهُ قلالي كثيرة للرهبان وهي الى جانب تلّ يُقال له تلّ بادع يكتسي ايّام الربيع ظرائف الزهر » انتهى *

وكان حنانيشوع الراهب من اهل الحيرة وهو ابن اخت ايليا المار ذكرهُ * وكان يُدعى في العالم عمرو بن عمرو . وكان في خدمة النعمان ابن المنذر . وكان كسرى يحبّهُ لما كان عليهِ من الإقدام والتبصّر بالحروب * فزهد في العالم وتبع خالهُ مار ايليا وعاونهُ في بناء ديرهِ القريب من الموصل المار ذكرهُ * ورُزق عقلاً تامّاً . وحضر لمناظرة حنانا وجبرائيل السنجاري . ثمّ قصد ناحية داراباد وتلمذ خلقاً كثيراً . واجتمع اليهِ الرهبان وبنى لهم ديراً . وسُمّي دير عمرو باسمهِ . وتولّى هو إدارتهُ عشرين سنة (اخ ٢ : ٢٤٠) *

وبنى يوحنا الانحلي ديرهُ في انحل . وهي قرية من بلاد ارزن بجوار سعرد في موضع كان معبداً للاصنام * وكان بيد النساطرة ثمّ ضبطهُ اليعاقبة نحو سنة ١٨٥٧ م بالحيلة وبقوّة رؤساء الاكراد كما سيأتي الكلام . تمه ٢٤١ *

وكان برعيتا من اهل نينوى . وسمّي برعيتا لانّ امّهُ نذرتهُ لخدمة البيعة . ودرس في نصيبين وترهّب في دير الإزل . وكان بكر تلاميذ مار ابراهام * ولمّا تفرّق الرهبان منهُ قصد جبل المرج وبنى له فيهِ ديراً وهدى خلقاً من الاكراد * وتتلمذ له نحو اربعمائة راهب . ومنهم الانبا شمعون الذي بنى ديراً في السنّ على جبل قريب من الدجلة . وبوزاداق الذي بنى ديراً في ناحية قردو . وهرمزد الذي بنى ديراً في جبل باعدري . ويوحنا الفارسي الذي بنى دير جلالا في سفح جبل قردو . وكبوركيس الذي بنى ديراً في كرملس . تمه ١٢٤ *

وكان الربّان حابايا من اهل كشكر وتتلمذ لابراهام . وبنى عمراً في وطنهِ . وتولّى هو امرهُ ومات في شيخوخةٍ كاملة . تمه ١٤٢ *

ويعقوب الحبيسي كان من الذين تعلّموا الطريقة الرهبانيّة من رهبان قردو . ثمّ قصد مار حبيشا واشترك معهُ في بناء الدير * ويرد ذكر مار حبيشا لدى مار طوريس اسقف محوزا وارزن من اعمال باجرمي في الجزء الاوّل من كتابهِ في الطريقة الرهبانيّة * وبنى يعقوب الحبيسي ديرهُ في جوار سعرد وبقرب ارزن الروم . في قرية تعرف باسمهِ . وهو الآن بيد الكلدان . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في شان هذا الدير « وهو كبير جدّاً فيهِ مائة راهب في قلالٍ وحولهُ البساتين والكروم وهو في نهاية العمارة . ويُحمل خمرهُ الى ما حولهُ من البلدان والى جنبهِ نهر الروم » . تمه ١٦٢ *

NUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وبنى جيورجيس ديرهُ في الناحية المعروفة بباعوبرا الواقعة في شمال نهر الدجلة بقرب قرية تلكيف * وكان قد خرب بعد ان فرغ من الرهبان . ثم سعى بترميمهِ واصلاحهِ مار نقولاوس زيعا الفطريرك والسيد بلاشي القاصد الرسولي على ما بين النهرين ليكون مركزًا للطلبة الاقليروسيّين الكلدان . ثم سلّمهُ مار يوسف اودو لرهبان دير مار هرمزد *

وكان ابراهام ماديًّا ونصب ديرهُ في ناحية آثور او هي كردستان بقرب قرية باطنايا من اعمال الموصل * وبعد ان خرب لخلوّهِ من الرهبان سعى بتعميرهِ واصلاحهِ بعينهِ مار ايليا الثاني عشر الفطريرك *

ومن اشهر المؤلفين الذين ازهروا في عهد يشوعياب الارزني هما : داديشوع خليفة ابراهام في رئاسة دير الإزل ولهُ قوانين للرهبان (١) * وبابي النصيبيني المار الذكر ولهُ ميامر ورسائل وصلوات وكتب في الطريقة الرهبانية *

واما المؤلفون الذين اشتهروا في نحو زمان سبريشوع الجاثليق فاخصّهم :

١ً بابي رئيس دير الإزل المارّ ذكرهُ . وقيل انهُ الّف زهاء ثلاثة وثمانين كتابًا : منها كتاب في شان الاتحاد في المسيح . وفي علّة السعانين وعيد الصليب . وفي انتصارات العذراء التي تُذكر في مدار السنة . وفي بقيّة الاعياد والتذكارين . وشرح الكتاب المقدّس كلّهُ . ولهُ قوانين للرهبان . وكتاب للمبتدئين . وشرح ايضًا كتاب المئات الى غير ذلك *

٢ً نثنائيل اسقف شهرزور وقد سبق ذكرهُ (٢) . ولهُ شرح في المزامير

(١) وهو ليس داديشوع القطري الذي يذكر الصوباوي تاليفهُ *

(٢) وهو غير نثنائيل المذكور في تاريخ المرجي (١ : ٢٨) *

ومجادلات ضدّ القائلين بالطبيعة الواحدة والمانويين والكنتيين وغيرهم *

٣ً فطروس الراهب في دير باعابا وكتب قصّة مار سبريشوع الجاثليق *

٤ً مار جريغور الكشكري مطران نصيبين وقد مرّ الكلام عنهُ . وكتب كتاب التواريخ وكتبًا اخرى كثيرة كما يقول عنهُ يشوعدناح *

الباب الرابع

في بدعة اوطاخي واستقلال اليعاقبة من الكنيسة الكاثوليكية

الفصل الاول

في ظهور بدعة القائلين بطبيعة واحدة في المسيح

كان امام القائلين بالطبيعة الواحدة اوطاخي رئيس دير من الاديرة بقرب القسطنطينية * وحقيقة هذه البدعة هي قولهم انّ في المسيح طبيعةً واحدةً بعد التجسّد * وكانت بدعة نسطور قد اعطت سبيلاً لها على الاثر . فان اوطاخي لشدّة مقاومتهِ لنسطور القائل باقنومين في المسيح لم يُميِّز بين الاقنوم وبين الطبيعة او الجوهر فوقع في الشطط . وقال بطبيعة واحدة . فكما قسّم نسطور المسيح الى اقنومين كذلك بلبل اوطاخي طبيعتيهِ *

وقام لردع اوطاخي مار فلابيانوس اسقف القسطنطينية . فانهُ بعد ان افرغ كل وسائط الملاطفة عقد مجمعًا حضرهُ الاساقفة الذين كانوا في المدينة الملكية واستدعى اوطاخي فحضر بعد ما ابى زمانًا طويلاً . فنُصِح . ولمّا اصرّ على ضلالهِ حُرِم تعليمهُ . ونُزعت عنهُ رئاسة ديرهِ * فاستعان

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

اوطاخي على فلابيانوس بكريزافيوس وزير ثاودوسيوس الملك . فنال اوطاخي ان يُعقد مجمعٌ سنة ٤٤٩ في افسس للنظر في مسألتهِ . واقيم رئيساً على هذا المجمع ديوسقوروس اسقف الاسكندرية صديق اوطاخي وعدوّ فلابيانوس * فَظُلِم الحق فيهِ ودُعي هذا المجمع المجمع اللصوصي *

وهاك وصف اعمال هذا المجمع اللصوصي : كان قد استعان ديوسقوروس بالملك . فبعث هذا اليهِ اثنين من معتمديهِ مصحوبين بشُرُط مسلّحين يتوعّدون من لا ينقاد لحكم ديوسقوروس * وفي بُهرة هذا الاضطراب بُرِّر اوطاخي وشُجِب فلابيانوس وأُثبت القول بالطبيعة الواحدة * وكان سببُ ضلال ديوسقوروس وانصارهِ انهم لم يُميّزوا بين الاقنوم والجوهر او الطبيعة في المسيح . ومن حيث ان مار قيرلس اثبت وحدة الاقنوم ضدًّا لنسطور اراد هو غَيْرَةً ومحاماةً لتعليم سالفهِ ان يُثبت هذه الوحدة نفسها في الطبيعة . فكان ذلك مع كبريائهِ وتعصّبهِ لرايهِ وبُغضهِ لمار فلابيانوس وَبالاً عليهِ * واما ما جرى للاساقفة المستقيمي الايمان الذين كانوا يأبون امضاء هذا الحكم . فانهُ قُفِلت الابواب عليهم واغتُصبوا على الإمضاء * اما الذين لم ينغلبوا للاغتصاب فأُرسلوا الى المنفى . وكان من جملتهم مار فلابيانوس الذي لزيادة الضرب والاذيات التي احتملها في الطريق توفي بعد ايام قلائل *

الفصل الثاني

في حرم ضلال اوطاخي في المجمع الرابع الخلقيدوني (سنة ٤٥١ م)

اقام الله على هذا العهد لتقويض الضلال واثبات الحق مار لاون

البابا الحبر الروماني . فهذا لما شعرَ بالجُرح الذي اصاب الكنيسة نالهُ غمٌّ شديد . والّف منذُ بدايةِ هذه البدعة الرسالة البديعة المعروفة بالطومس اعني المجلّى . وفيها اوضح جليًّا الايمان المستقيم بسرّ التجسّد اي بوحدة الاقنوم وتمييز الطبيعتين في المسيح ووجّهها الى القديس فلابيانوس * ثم كتب الى مرقيان ملك الروم الذي جلس بعد ثاودوسيوس ان يُعنى بعقد مجمعٍ لمعالجة هذا الجُرح * وكان مرقيان ذا رايٍ سديد متمسكًا بالايمان المستقيم * وصار التئام المجمع في مدينة خلقيدونية المجاورة للقسطنطينية . لان مرقيان الملك اراد الحضور بشخصهِ ليحفظ النظام فيهِ . واجتمع من الاساقفة اكثر من ثلثمائة وستّين اسقفاً . وعقدوا جلساتهم في كنيسة القديسة اوفيمية الشهيدة * ولم يتمكّن البابا لاون من الحضور بنفسهِ فارسل ثلاثة قصّاد لينوبوا عنهُ * وافتتحوا الجلسة الاولى في اليوم الثامن من تشرين الاول من سنة ٤٥١ م *

فقبل كل شيء جرى الفحص عن معاملة ديوسقوروس الظالمة لمار فلابيانوس . وعُزِل عن كرسيّهِ * ثم تُليت رسالة مار لاون فوُجد تعليمها مطابقًا لتعليم الكتب الالهية وتقليد الرُسل وقوانين المجمع النيقاوي والمجمع القسطنطيني * فحيّاها آباء المجمع بالقبول والإذعان وجعلوها قاعدةً للايمان الارثذكسيّ . وصرخوا بصوتٍ واحد قائلين : هذا هو ايمان الرسل . انّ بطرس نفسهُ قد تكلّم بفم لاون ومن لا يؤمن هكذا فهو محروم * ثمّ انهم بعد ان افتتحوا صورة الايمان بقانون نيقية وقانون القسطنطينية قالوا : اننا نصرّح بوجوب الاعتقاد بربٍّ واحدٍ يسوع المسيح نفسهِ في طبيعتين بدون امتزاجٍ ولا تغييرٍ ولا انقسام ولا انفصال. وبدون ان يزيل الاتّحاد الفرق بين الطبيعتين بل

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

بالعكس كلٌّ منهما حافظةٌ خاصّتها وقائمةٌ في اقنومٍ واحد بنوع ان الابن الوحيد الكلمة ربنا يسوع المسيح هو هو واحد بعينهِ * واهمُّ التدابير السياسيّة التي جرت في هذا المجمع بعد تقرير صورة الايمان هو انهُ بعد ان حُرِم ديوسقوروس واوطاخي حُرم ايضاً برصوما رئيس الادبرة السرياني الذي اشترك هو ايضاً في المجمع اللصوصي . فانهُ تجاسر ان يدخل المجمع في الجلسة الرابعة . فصاح آباء المجمع في وجههِ : اخرجوا برصوما من هنا فانهُ محروم . فأُخرج مُهاناً * ثمَّ عُرض على ثاودوريط اسقف قورُس وايهيبا اسقف الرها السابق ذكرهما ان يحرما النسطرة . ولمّا تبرّآ منها أُثبتا على كرسيهما * واخيرًا صُحّح نصب مكسيموس فطريركًا على انطاكية بعد موت يوحنا . وكان لاون البابا قد قبلهُ لاسباب سياسيّة موجبة . ولو كان نصبهُ مخالفًا للقوانين البيعيّة * وحضر مرقيان الملك في الجلسة السادسة من المجمع بصفة مناظر وصرّح انهُ لم يحضر الّا ليعاون الآباء في اجراء مراسيمهم * فحيّاهُ الآباء ونعتوهُ باسم قسطنطين الجديد . وسمّوا ايضاً زوجتهُ الملكة بلخارية التي احسنت كثيرًا الى الكنيسة هيلانة الجديدة (لي في شان بدع القرن ٥ ف ٤ ع ١ و٢ و٣)

الفصل الثالث

في اشهر الائمّة الذين سعوا بنشر بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة

جرى في بلاد المشرق بعد فضّ المجمع الخلقيدوني من القلاقل ما يكلّ عن وصفهِ اللسان . فانّ اصحاب القول بالطبيعة الواحدة سعوا باحداثِ سجسٍ عظيم . ولم تردعهم عن ضلالهم هيبةُ المجمع . ولا شوكة الدولة الرومانية .

ولا امرُ العزل والنفي الذي صدر على مقاومي قوانين المجمع المقدس . بل تعصّبوا وصاروا يدًا واحدةً وشرعوا يبثّون ضلالهم في مصر . وسورية . وبلاد ما بين النهرين * واشتهر في اثبات المعتقدين بالطبيعة الواحدة في عصيانهم ديوسقوروس اسقف الاسكندرية وثاودوسيوس الراهب . وبرصوما الراهب . وبطرس القصّار . وفيلوكسينوس او هو اخسنايا اسقف منبج وغيرهم * وحدث في مصر بعد عزل ديوسقوروس وارسالهِ الى المنفى بامر مرقيان الملك شغَبٌ عظيم . فانهُ تحزّب لديوسقوروس كثيرون في الاسكندرية ومصر . ولاسيّما بعد ان أُسيم بدلهُ آخر ارثدكسي * وتلطّخ اكثر رهبان اديرة هذه الناحية وقسوسها ببدعة الطبيعة الواحدة * ولم يزل الضلال متملّكًا فيها الى اليوم وسُمّوا قُبطًا اي مصريّين * وممّا اثبتهم على الخصوص في عنادهم توهُّمهم انّ المجمع الخلقيدوني بتحديد الطبيعتين قد قاوم تعليم مار قيرلّس فطريركهم الشهير الذي ابطل بدعة نسطور بتحديدهِ وحدة الاقنوم * والحال ان هذا التوهّم هو صادر عن عدم تمييزهم بين الاقنوم والطبيعة كما مرّ الكلام . هذا فضلاً عن ان المجمع الخلقيدوني اثبت حرم نسطور وقوّض بدعتهُ . فكيف والحالة هذه يقاوم مار قيرلس *

امّا ثاودوسيوس الراهب فاستعان باودوكسية الملكة التي كانت بُغضةً لبُلخارية زوجة مرقيان الملك تُبغض المجمع الخلقيدوني الذي عُقد بهمّتها . فشرع وهي في اورشليم يهيّج بلاد فلسطين على المجمع المقدس * لكن املهُ خاب بعد حين لإرعواء اودوكسية نفسها وسَعي يوبنال فطريرك اورشليم بتنظيف بلاد فلسطين من كل اثر ضلال *

اما القلاقل والتعديات والفتن التي اثارها اصحاب الطبيعة الواحدة في بلاد الشام فلم يُرَ مثلها في سالف الأزمان . واللسان يعجز عن وصف الشرور والنوائب التي نكبتها . فانهُ بعد ان نَجَمَتْ من ضلال نسطور وقعت في بلاء اعظم * وكان اصل هذه الشرور برصوما المار ذكرهُ الذي لمّا طردهُ وحرمهُ المجمع الخلقيدوني رفع عليهِ لواء العصيان . وشرع يفتقُ الحيل لنشرِ ضلالهِ في سورية . ولم يكتفِ بذلك بل ارسل تلميذهُ شموئيل لينذر اهل ارمنية ويجذبهم الى الضلال * وممن اشتهر بعد برصوما بنشر هذه البدعة في بلاد الشام ايضاً بطرس القصّار الذي استولى على كرسي انطاكية بامر زينون الملك سنة ٤٧٠ م * وعُرف بطرس القصّار خاصّةً بانهُ اضاف على التسبحة الموجهة للثالوث الاقدس (وهي قدّوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت) عبارةً جعلت هذه التسبحة الشهية سبباً للتجديف . لانهم نسبوا بها الصلب والآلام للآب والروح القدس ايضاً اعني الى الطبيعة الالهية لكي يبيّنوا صريحاً ضلالهم اعني أن المسيح بقي بعد الاتّحاد بطبيعة واحدة * وجرى من ذلك فتنٌ ونزاعات واضطرابات شديدة طويلة . ورفض الكاثوليكيون هذه العبارة وابطلوها من كنيسة انطاكية التي دسّها فيها اسقفها بطرس القصّار * ولبثت في حيّز الاستعمال لدى اصحاب الطبيعة الواحدة الذين انتشروا في مصر وسورية وبلاد ما بين النهرين . الّا انهُ لمّا تمعنوا في الكفرِ المشتمل فيها . صاروا يوجّهونها الى الاقنوم الثاني وهو الكلمة المتجسّد لا الى الثالوث الاقدس *

واما فيلوكسينس وهو اخسنايا فكان من بلاد المشارقة السريان وهم الكلدان . وكان اصلهُ من تحل قريةٍ من اعمال باجرمي * ولمّا لم

ينجح بين مواطنيهِ المشارقة قصد بلاد الشام . وشرع يعضد وينشر بكل قوتهِ إن خطأً وان شفاهاً هذه البدعة * واسامهُ بطرس القصّار فطريرك انطاكية اسقفاً على منبج سنة ٤٨٥ م . وعلّم ان في المسيح طبيعةً واحدةً مُضاعَفةً . وهذه العبارة هي قاعدة تعليم هذه البدعة * واضطهد اخسنايا الكاثوليكيين في زمان اناسطاس الملك وسعى بنفي مار فلابيانوس من كرسي انطاكية واقامة ساويرا مكانهُ * ولمّا ملك يوسطين نُفي سنة ٥١٨ . ومات مخنوقاً بالدخان سنة ٥٢٢ م *

وقام من ملوك الروم للمحاماة عن بدعة الطبيعة الواحدة زينون وانسطاس الملكان * ومن مستهجنات زينون انهُ اشهر منشوراً او صحيفةً عُرفت باسم هنوتيكون . وفيها دسّ التمرّد على المجمع الخلقيدوني بإسقاط ذكرهِ * وكان يُريد بذلك توفيق الكاثوليكيين مع القائلين بالطبيعة الواحدة الّا انّ نيّتهُ باطناً كانت ان يدسّ احبولةً يصطادُ بها البُسطاء * فقبل هذه الصحيفة الهراطقة في بلاد مصر والشام . اما مستقيموا الايمان فرفضوها * واستعمل انسطاس الملك لتعزيز بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة كلّ الوسائط الممكنة واجبر المومنين على اتباعها ونفى القدّيس فلابيانوس عن كرسي انطاكية. واقام عليهِ مكانهُ ساويرا الضالّ واوعز اليهِ ان يتخذ كلّ الوسائل لاستمالة اساقفة الفطريركيّة الانطاكيّة الى هذه البدعة * واجرى ساويرا مقاصده الذميمة بنوعٍ غريب . فانهُ عقد مجمعاً ضدّ المجمع الخلقيدوني . فلباهُ البعض واحجم غيرهم * فاتّقد غضباً . واثار على مقاوميهِ غضب انسطاس الملك * واللسان يعجز عن وصف الشرور التي اتى بها انسطاس في هذه الفرصة * فانهُ ارسل هذا الملك حالاً سنة ٥١٦ شرذمة من الاشرار ليذلّلوا معانديهِ لراي ساويرا بالوعد

ASHURBANIPAL LIBRARY

والوعيد وانواع العذابات * فبذل كثيرون ممن عزّ عليهِ مذهبهُ الكاثوليكي دمهم اعترافًا بالايمان . وغيرهم هاجروا وطنهم العزيز . وقصدوا ايطاليا وانشأُوا ثمه ادبرةً ومعابد . وقضوا حياتهم بالنسك والعبادة * واما ما كان من مدينة حماه فانّ تلك الشرذمة من الاشرار لم تتعرّض لهذه المدينة رِعايةً الملك انسطاس التي كانت مسقطَ راسهِ . ولا لرهبان دير مار مارون الذي يُنسب اليهِ الموارنة * الّا انّ ساويرا ارسل اليهم بطرس الحموي احد اتباعهِ الاساقفة ليُجبرهم الى رايهِ . فطرد اهل حماه هذا الاسقف الدخيل * فاستشاط انسطاس غضبًا وارسل زمرةً من الاشقياء بقيادة بطرس الاسقف للتنكيل بهم * ففرّ اهل حماه من وجههم . وتحصّنوا مع رهبان دير مارون في الجبال * فقتل الاشرار من وصلت اليهِ ايديهم ونهبوا واسروا وفتحوا ابواب الظلم . ودكّوا اسوار دير مار مارون الكبير . واماتوا ثلثمائة وخمسين راهبًا بحدّ السيف سنة ٥١٧ م *

ولم يبقَ راس القائلين بالطبيعة الواحدة مرفوعًا فانهُ قام بعد انسطاس يوسطينوس الملك . وكان مستقيم الايمان . فامر جميع الاساقفة الذين في مملكتهِ ان يقبلوا تحديد المجمع الخلقيدوني . ونفى الذين رفضوهُ وجرى هذا الحادث سنة ٥١٨ م *

هذا وقد بدّل ايمة السريان بدعة اوطاخي الاصليّة الوخيمة . فانّهم قالوا انّ في المسيح طبيعةً واحدةً مركّبةً من طبيعتين الهيّة وانسانيّة من دون اختلاط وتغيير وبلبلة وتشويش . وبذلك كان للمسيح طبيعةٌ واحدة من طبيعتين بقوّة الاتحاد * واوردوا تقريرًا لمذهبهم هذا المثل . وهو: كما انّ

النفس والجسد هما طبيعتان مختلفتان ولا يتألّف منهما سوى طبيعةٍ واحدة انسانيّة كذلك جرى في اتحاد الطبيعتين الالهيّة والانسانيّة في المسيح * وهذا الزعم قد انتشر في القرن السادس على يد يعقوب البراذعي الذي دُعي اليعاقبة من اسمهِ * وكان علماء الكنيسة يفنّدون هولاء الهراطقة ويفحمونهم . فانّهم كانوا يقولون لهم : انكم تزعمون بان المسيح بعد التجسّد ليس لهُ الّا طبيعة واحدة الهيّة حاصلة من طبيعتين كانتا قبل الاتحاد * فنسالكم اوّلًا عن هذه الطبيعة الواحدة الباقية في المسيح بعد الاتحاد . أطبيعة الآب هي ام لا . فإن قلتم انها طبيعة الآب فمن حيث انّ المسيح قد تالّم تجعلون الآب ايضًا متالمًا . وهذا كفرٌ شنيع . وان قلتم ليست هي طبيعة الآب تجعلون في الثالوث اكثر من طبيعةٍ واحدة . وهذا كفرٌ آخر اشنع * ثانيًا نسالكم عن الطبيعة الانسانيّة التي تزعمون انها كانت قبل الاتحاد ماذا جرى منها بعد الاتحاد . فان قلتم انها عُدِمت باتحادها بالطبيعة الالهيّة جعلتم بلبلةً في تجسّد المسيح كاوطاخي لانهُ لا تجسُّد بدون الطبيعة الانسانية . وان قُلتم انها موجودة متحدة مع الطبيعة الالهية . فاذًا في المسيح طبيعتان متميّزتان الهية وانسانية . وهذا ما حدّدهُ المجمع الخلقيدوني . فاقبلوهُ * ونقول في مثل اتحاد النفس والجسد الذي يوردهُ اليعاقبة تقريرًا لمذهبهم ان هذا المثل هو مخالف للمقصود . لان النفس والجسد في الانسان ليسا طبيعتين كاملتين بل هما مبدآن يقوم منهما طبيعةٌ واحدة كاملة وهي الانسانية * والحال ان الطبيعة الالهية والانسانية في المسيح ربّنا هما كاملتان في ذاتهما لا تحتاج كلٌّ منهما الى مبدإٍ آخر لكمال جوهرها كما يحتاج الجسد الى النفس . والنفس

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الى الجسد لكمال الجوهر الانساني . فضلاً عن انّ الطبيعة الالهية والانسانية هما بعيدتان بُعدًا شاسعاً كمالاً ووجودًا . فلا يمكن ان تأتيا في وحدةٍ طبيعية كما يزعم اليعاقبة من دون ان يدخلها التغيير والاختلاط والبلبلة . الامر الذي يشنع مجرّد ذكرهِ في الطبيعة الالهية *

وقد سمّى الهراطقة مستقيمي الايمان في القرن الخامس بانواعٍ شتّى . فانهم سمّوهم خلقيدونيّين . وملكيّين * وهذه اللفظة هي سريانية لغة بلاد الشام على ذلك العهد . وذلك لانّهم كانوا تابعين معتقد مرقيان ملك الروم الذي سعى بعقد المجمع الرابع واجراء تحديدهِ . وسمّوا ايضاً روميّين نسبةً الى الدولة الروميّة التي كانت تحامي عن المعتقد القويم . ويونانيّين نسبةً الى سكّان القسطنطينية عاصمة الدولة التي كان اهلها يتكلّمون باللغة اليونانيّة * ولبثت تسمية الملكيّين في حيز الاستعمال . وعمّت جميع الكاثوليكيّين في بلاد المشرق . وقد استحقّوا في الاجيال التابعة خاصّةً اسم الملكيّين والروميّين . لانّهم تركوا طقوس اجدادهم وكنائسهم السريانية وتبعوا انشقاق الروم في القول بانبثاق الروح القدس من الآب فقط وفي سائر الاشياء ايضاً طقس الكنيسة القسطنطينية . (ق ل ثم) *

الفصل الرابع

في اسباب انشقاق اليعاقبة من الكنيسة الكاثوليكية وفطريركية انطاكية

انّ النصارى الشرقيّين كانوا قد بقوا تحت ولاية فطريرك انطاكية ما خلا النساطرة الذين قلنا انهم بعد انفصالهم من الكنيسة اقاموا لانفسهم فطريركاً مستقلاً .

وتوالى عليهم الفطاركة كما سنرى بالسلسلة وكانوا يسوسونهم براحةٍ وسكينة منذ اسّس مار بطرس كرسي انطاكية سنة ٣٨ م الى اواخر القرن الخامس * فكما انّ النساطرة قد تمرّدوا على هذه الفطريركيّة الانطاكيّة وانسلخوا عنها بالكليّة للاسباب التي ذكرناها سابقاً . واقاموا لانفسهم فطريركاً مستقلاً . كذلك بعد نحو هذا الزمان استقلّ اليعاقبة من هذه الفطريركيّة لمثل تلك الاسباب واقاموا لانفسهم فطريركاً من نحلتهم *

امّا الاسباب التي سهّلت تملّك البدعة المونوفيسيتيّة وانشقاق اصحابها من هذه الفطريركيّة فمنها بعيدة ومنها قريبة . فالاسباب البعيدة هي سعي ايمّة هذه البدعة وانصارها الذين مرّ الكلام عنهم . اعني ديوسقوروس وبرصوما وشموئيل تلميذه وبطرس القصّار وثاودوسيوس الراهب واخسنايا ويعقوب البراذعي الذين لم يدخروا شيئاً من الحيَل لنشر هذا الضلال في بلاد الشام والجزيرة ومصر وارمنية * امّا الاسباب القريبة فهي حماية زينون ولاسيّما انسطاس ملكي الروم لهذه البدعة وعضدهما ايّاها بالسيف الملكيّ والجبر والتنكيل * وكان زينون على مذهب ديوسقوروس . فخلع مرتيريوس المستقيم الايمان من كرسي انطاكية . واقام مكانهُ قسرًا بطرس القصّار المار ذكرهُ * فنهض لمقاومته الكاثوليكيّون واختاروا فطاركةً مستقيمي الايمان على انطاكية . وهم قلانديون وبلاديوس وفلابيانوس * امّا انسطاس الملك فلم يدخر حيلةً ولم يحقن دمًا لتعزيز هذه البدعة وعضد اشياعها واجبار المؤمنين على اقتبالها * ومن جملة مستقبحاته انهُ عقد مجمعاً حضرهُ كثيرٌ من الاساقفة ومن جملتهم اخسنايا اسقف منبج والراهب ساويرا . وتجاسروا ان يحرموا المجمع الخلقيدوني ولاون

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الحبر الروماني . وامروا بنفي الفطريرك فلابيانوس واقاموا مكانهُ ساويرا على كرسي انطاكية * وبذلك تقوّى جدًّا اصحابُ البدعة المونوفيسنية . وكثر عدد تبّاعها وانشقّوا من الكنيسة الكاثوليكية . وصاروا شيعةً قائمةً بذاتها على يد ساويرا الفطريرك وسُمّوا زماناً ساويريّين باسمهِ *

الفصل الخامس

في نهاية انشقاق اليعاقبة . واقامة ثلاث فطريركيات مستقلة مخصوصة بالسريان المغاربة والقبط والارمن

انتهى انشقاق القائلين بالطبيعة الواحدة من الكنيسة الكاثوليكية على هذا المنوال: ان انسطاس الملك كان يحامي عن ساويرا فطريرك انطاكية ويعضدهُ . فازعج ساويرا كثيرًا تبّاع المجمع الخلقيدوني واضطهدهم ولم يدخر شرًّا ولم يحقن دمًا في سبيل مآربهِ السيئة * فحرمهُ سمخوس الحبر الروماني . فلم يتعظ * الّا ان الله اهلك انسطاس الملك بصاعقة انقضّت عليهِ . واقيم مكانهُ على عرش المملكة الرومية يوسطين الملك سنة ٥١٨ م . وكان هذا مستقيم الايمان * فامر حالاً بنفي ساويرا وسائر الاساقفة المقاومين للمجمع الخلقيدوني . ونصب مكان ساويرا بولس الارثذكسي * فلم يقبلهُ اصحاب القول بالطبيعة الواحدة . ولم يزالوا يعتبرون ساويرا الفطريرك الشرعي على انطاكية ولذلك سمّوا انفسهم زماناً ساويريّين * واما اهل الطبيعة الواحدة فلمّا مات ساويرا في النفي لم يزالوا مُصرّين على رفض بولس الفطريرك وخليفتهِ افرام الارثذكسيّين . وتآمروا على نصب سرجيوس فطريركًا . وكانوا قد صاروا شيعةً مفصولة عن سائر

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الجماعات مستقلّةً بذاتها . واستفحلوا بقوّة زينون وانسطاس ملكي الروم . فانفصلوا انفصالاً تامًّا عن جسم الكنيسة الكاثوليكية . وجرى ذلك منذ جلس ساويرا المار ذكره في بدء القرن السادس * وقد سُمّي المتمرّدون على المجمع الخلقيدوني يعاقبةً مع انهم كانوا يُعرفون بلفظة مونوفيسيتيّين اعني قائلين بطبيعةٍ واحدة او باسم ساويريّين نسبةً الى ساويرا المذكور الآن . وانما سُمّوا يعاقبة نسبةً الى يعقوب البراذعي الذي سعى واشتهر كثيرًا في نشر هذه البدعة في بلاد الشام والجزيرة وغير ذلك من النواحي في اواسط القرن السادس * وُلد يعقوب في قرية تسمّى الأجمة من اعمال نصيبين ودرس في دير فاسيلتا من بلاد الشام . ثمّ قصد القسطنطينية وترهّب نحو خمس عشرة سنةً . فأسامهُ ثاودوسيوس فطريرك الاسكندرية بمساعدة ثاودورا الملكة اسقفًا على الرها سنة ٥٤٢ * ونجح يعقوب في نشر القول بالطبيعة الواحدة . فانهُ جعل يطوف بلاد الشام والجزيرة ومصر وهو ينادي بالتمرّد على المجمع الخلقيدوني * وساعدهُ في رسالتهِ رجلان من الارمن وهما جيورجيس وغريغور . واسامهما اسقفين وارسلهما الى بلادهما ليبثّا ضلالهُ * وكان حيثما يمرّ يُسيم اساقفة الكنائس شتّى من دون ان يكون لهُ سلطانٌ شرعيٌّ * وسُمّي البراذعي لرثّة ثيابهِ * ونجح يعقوب في دعوتهِ حتى انهُ اغوى بضلالهِ كثيرًا من بلاد الجزيرة وارمنية ومصر . وتبعهم في هذا الإلحاد الحبشة الذين كانوا من قديم الزمان متعلّقين بالفطريركية الاسكندرية * ومات يعقوب البراذعي سنة ٥٧٨ * وهكذا في اواسط القرن السادس وُجد الارمن والقبط واكثر اهل سورية ملطّخين بضلالة الطبيعة الواحدة *

ولم يتألّف من كل هولاء الاقوام شيعةٌ واحدة بل نجم عنهم ثلاث فطربركيّات مستقلّة اعني اليعقوبية . والارمنية . والقبطية * ونشأت الفطربركية اليعقوبية بعد هذا الانقلاب من طبع الامر . فانّ القائلين بالطبيعة الواحدة بعد ان هلك ساويرا فطربركهم في المنفى لم يقبلوا فطربركاً الاّ من نحلتهم * فرفضوا بولس الذي أُقيم على كرسي انطاكية بعد نفي ساويرا المذكور ونصبوا من نحلتهم سرجيوس فطربركاً . ولم يزالوا ينصبون لانفسهم فطاركةً الواحد بعد الآخر بتسلسل غير منقطع الى يومنا هذا . وبهذا العمل انسلخ كثيرٌ من السريان المغاربة من الكنيسة الكاثوليكية . وصاروا شيعةً قائمة بذاتها * ولقّب اليعاقبة فطربركهم بفطربرك انطاكية التي كانوا يدّعون بكرسيّها كانّه حقيق بساويرا زعيمهم المنفي وبخلفائهِ اليعاقبة * وانتشر اليعاقبة ايضاً في بلاد آثور والجزيرة والعراق وما يجاورها . وذلك ان يعقوب البراذعي كان قد سعى بنشر ضلالهِ ايضاً في هذه البلاد . واسام احودمي مطراناً على المشرق * وخلفهُ قاميشوع وشموئيل * ثم أُقيمت تكريت كرسياً اوّليّاً ليعاقبة المشرق . وسُمّي صاحبهُ « مفرياناً » وهي لفظة سريانية معناها « المثمر » * وكانت المفريانية رئاسةً اعظم من المطرانية واصغر من الفطربركية وتحاكي مقام الجثلقة . وكانت لائقةً بالفطربرك * واوّل مفريانٍ أُقيم في المشرق هو ماروثا الذي اقرّ كرسيّهُ في تكريت احدى مدن العراق *

واما الأَرمن الذين اغواهم شموئيل تلميذ برصوما فانتشرت بدعة اوطاخي بينهم حتى افسدت معتقدهم * وفي سنة ٥٠٠ م عقدوا مجمعاً في دوين وادخلوا عندهم ضلالة بطرس القصّار في التقديسات الثلاثة . واموراً أُخرى

مستهجنة . واتّبعوا سنة ٥٤٥ م مذهب الخياليّين الزاعمين ان السيد المسيح لم يكن جسماً حقيقيّاً بل خياليّاً غير قابل الآلام * وكان اكثرهم في الاوّل تحت ولاية فطربرك انطاكية . وكان لهم مطران مجلس في قيليقية اوسيس متّصفٌ بلقب جاثليق كما كان ايضاً للمشارقة الكلدان * ففي سنة ٥٥١ م عقدوا مجمعاً في دوين بامر فطربركهم موسى الاوّل . وانفصلوا تماماً من الكنيسة الكاثوليكيّة واستقلّوا ايضاً من الفطربركية الانطاكية التي كانوا الى ذلك العهد تحت سلطانها وجعلوا جاثليقهم فطربركاً * ومع تمادي الزمان انقسمت طائفة الارمن الى فِرَق كثيرة . فقام عليها في وقتٍ واحدٍ فطربركان او ثلاثة كلٌّ منهم يسوس جانباً منها *

وجرى امر اقامة فطربركية ثالثة للقبط مجرى فطربركية انطاكية اليعقوبية . فان القبط والحبش تبعوا في اوّل الأمر ديوسقوروس فطربرك الاسكندرية . ثم تتلمذوا ليعقوب البراذعي وسُمّوا يعاقبة ايضاً * فاصرّت الفطربركية الاسكندرية على ضلالها . ولبثت تُقيم لنفسها فطاركة ملطّخين ببدعة القائلين بالطبيعة الواحدة . (ق ل ثم) *

الفصل السادس

في اختلاف المُعتقد بين الفطركيّات الثلاث المار ذكرها واحوالها وعوائدها واتصاليّاتها

ان بدعة اليعاقبة السريان هي قائمة في ان المسيح لم يكن لهُ بعد التجسّد الاّ طبيعة واحدة حاصلة من طبيعتين كانتا قبل الاتّحاد * وبناء

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

عليهِ لا يقبل اهلها من المجامع المسكونية الاَّ الثلاثة الاولى اعني النيقاوي والقسطنطيني والافسسي . ويرفضون المجمع الخلقيدوني ولاون البابا ويحرمونهما . ويقبلون ديوسقوروس وبرصوم وساويرا المحرومين * امَّا اوطاخي فيحرمونهُ لانهُ انكر حقيقة الطبيعة البشريَّة في المسيح . ونسب لهُ جسدًا خياليًا غير قابل التألم * لكن القائلين بالطبيعة الواحدة ليسوا شيعةً واحدة بل نشأ بينهم شيعٌ كثيرةٌ سُمّيت باسماء مُبدعيها الذين اختلفوا في شرح هذه الطبيعة الواحدة * ومنها شيعة الاوطاخيين او الخياليين . والديوسقوريين والساويريين والطيماثاوسيين * الاَّ ان هذه الشيع القديمة قد اندثرت واستؤصلت شأفتها . والآن لم يبق منها سوى طائفة اليعاقبة نسبةً الى يعقوب البراذعي الذين يقولون بطبيعةٍ واحدة في المسيح مؤلَّفةٍ من اللاهوت والناسوت *

ويفترق اليعاقبة من الكاثوليكيين في غير ذلك ايضاً . فانهم بعد ان سلَّموا الرئاسة العليا الى فطريركهم رفعوا لواء العصيان على الحبر الروماني راس الكنيسة الجامعة المقدَّسة * وقد جرَّتهم بدعتهم في شان الاتحاد الى هوة الجهل والاضاليل . فانهم في الحال الحاضر ينكرون انبثاق الروح القدس من الابن . (وقد تبع الشرقيون في ذلك [1] ضلال الروم) . ووجود المطهر . وسعادة الانفس قبل الدينونة العامة * ثمَّ ان اليعاقبة مع تمادي الزمان نسبوا الآلام الى الهيَّة المسيح نفسهِ وكان . ذلك نتيجة

(١) ان النساطرة يقرّون بانبثاق الروح القدس من الابن ايضا . طالع العونيث التي تقال بعد الانجيل في قداس الاحد الرابع من سابوع موسى : وكتاب [illegible] تاليف يوسف الحزايا وهو موجود في مكتبة سعرد . وكتاب كيوركيس وردا وغير ذلك *

هذه البدعة الوخيمة وهي انَّ في المسيح طبيعةً واحدة الهيَّة ابتلعت الطبيعة البشرية التي تلاشت بالكليَّة . وهذا ما اشاروا اليهِ بزيادة « يا من صُلب لاجلنا » التي اضافوها على قدّوس قدّوس قدّوس في قداسهم . ومن ثمَّ انكروا ايضاً فعلين ومشيئتين في المسيح * الاَّ انَّ هذه الاضاليل لا تُنسب الى كلّ الطائفة بل الى بعض علمائهم ولاسيّما الى الأُميّين منهم . فانَّ آثار آبائهم وطقوسهم وصلواتهم القانونية تؤيد التعليم الكاثوليكي بشان ذلك * واتخذ اليعاقبة من الكنيسة الكاثوليكية اشياء كثيرة قبل انفصالهم عنها وبعده . اما قبل انفصالهم فقد حفظوا عندهم جميع تقاليد هذه الكنيسة ورسومها الدينية من ذلك اسرارها السبعة وعوائدها الطقسيَّة بالعموم . وتعاليمها الاَّ الباب المختصّ بالطبيعتين الذي من سببهِ انفصلوا . وابوابًا أُخرى زهيدة كما راينا * امَّا بعد انفصالهم فقد اتخذوا منها اعيادًا كثيرة وطقوسًا شتّى وقوانين وعوائد مختلفة سياسية او متعلّقة بالاسرار وما اشبه حتى بعض قوانين المجمع الخلقيدوني الذي يرفضون تحديده الاعتقادي * وما قيل عن اليعاقبة قُلهُ ايضاً تقريبًا عن سائر الطوائف * وامَّا التغييرات المعتبرة التي أدخلوها في قوانين كنيستهم فهي كثيرة . من ذلك اختصاص بطريركهم بنفسهِ انتخاب جميع المطارين والاساقفة ورسامتهم . وامر عزلهم ونصبهم . ومداخلتهُ في تدبير الكنائس الاخرى . هذا فضلاً عمَّا لهُ من الولاية الروحية في حدود اقليمهِ الفطريركي وغير ذلك * ويسوغ لنا ان نعمّم ذلك على سائر الفطريركيات الشرقية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية نظرًا الى هذه العوائد * فانَّ كلّ الشرقيين ولاسيّما الذين كانوا خاضعين لولاية الفطريركيَّة الانطاكيَّة اذا استثنينا الباب المختصّ بكل طائفة الذي لاجلهِ

AF - ASHURBANIPAL LIBRARY

انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكيّة يتفقون معها في اكثر العوائد والطقوس البيعية. فما نقولهُ هنا في شان عوائد الفطريركيّة اليعقوبيّة واستقلالية فطريركها واختصاصاتهِ يسوغ لنا ان نقولهُ عن بقيّة الفطريركيات اي النسطوريّة والارمنية والقبطيّة *

اما كيف اختلف الارمن من اليعاقبة في المعتقد مع انهم من اصل بدعةٍ واحدة . فاعلم ان القائلين بالطبيعة الواحدة لم يتّفقوا بينهم بشان هذه الطبيعة * فالارمن يقتربون الى اوطاخي اكثر من اليعاقبة السريان . فانهم بعد شموئيل تلميذ برصوما الذي بذر بدعة اوطاخي منذ سنة ٤٦٠ م في جهةٍ من ارمنية لم يكتفوا بان يُدخلوا في المجمع الذي عقدوهُ في دوين سنة ٥٠٠ م ضلالة بطرس القصّار في التقديسات الثلاثة واموراً أُخرى مُستهجنة . بل انهم اتّبعوا سنة ٥٤٥ م مذهب الخياليّين الذين كانوا يزعمون ان جسد المسيح خياليٌّ غيرُ قابل الآلام في ذاتهِ . ولبثوا على هذا الضلال زماناً * ويوجد فرقٌ بين الارمن واليعاقبة في العوائد ايضاً . فان الارمن كان لهم تمسُّكات غريبة عابهم من سببها اليعاقبة * ومن جملة ذلك انهم كانوا يذبحون الذبائح الحيوانيّة كاليهود ويستعملون في الاسرار السيرج بدل الزيت وغير ذلك * وكان الارمن مستبدّين بانفسهم لا يراجعون احدًا . وطالما جرى بينهم وبين اليعاقبة السريان مجادلات ومخاصمات بل عداوات طويلة افضت احياناً قليلة الى الصلح بين الشيعتين . فلم يدُم الّا زماناً يسيرًا * وكانت الاتّصاليّات بين اليعاقبة السريان والقبط حسنةً والموافقة بين اهل هٰتين الشيعتين اعظم . لانّهم لم يختلفوا في شيءٍ من قِبَل المعتقد . لا بل كان لهم عادة ان يخابروا بعضهم بعضاً في

اوقات معلومة . ولاسيّما يوم جلوس فطريرك جديد . وان تذكر كل شيعة اسم فطريرك الشيعة الأُخرى في صلواتها القانونية . وكان بينهم غير ذلك من الاتصاليّات التي يذكرها ابن العبري بكل اسهاب في تاريخهِ البيعي *

وهلمّ بنا نصف الآن الحدود التي كانت تفرق الفطريركية الاسكندرية والانطاكية . فنقول ان الفطريرك الاسكندري كان حائزًا ولاية بلاد مصر والصعيد والحبشة حتى حدود فلسطين . وحُتم ان تبقى بقيّة بلاد المشرق متعلّقة بكرسي فطريرك السريان اليعاقبة الانطاكي * وقد ادّعى الكرسي الاسكندريّ بفلسطين واسام قيرلس لفاق فطريركهُ مطراناً لاورشليم رغمًا عن اغناطيوس داود الفطريرك الانطاكي * الّا ان الدعوى حُسِمت اخيرًا لجانب الفطريركية الانطاكية ولبثت فلسطين خاضعةً لها على الدوام * ولعلّ سائلاً يسال كيف استطاعت ان تدوم الشيعة اليعقوبية وسائر الشيع المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية فنقول: ان اليعاقبة وسائر الشيع المنفصلة قد داموا وثبتوا الى يومنا هذا لسببين:

اوّلهما انهم لمّا انفصلوا من الكنيسة الجامعة اقتبسوا منها نسمة الحيوة . لانهم حفظوا ما خلا الباب الاعتقادي الذي انفصلوا بسببهِ كل المعتقدات والعوائد الطقسيّة والتقاليد والتهذيبات الابويّة التي كانت موجودةً عندهم قبل انفصالهم * وبهذه النسمة قدروا ان يعيشوا ويثبتوا رغمًا عن النوائب التي صدمتهم احقابًا وقرونًا مضيئين بانوار الفحول والعلماء الكثيرين الذين زيّنوا البلاد الشرقية بتآليفهم التي اودعوا فيها ذخائر الكاثوليكيّين الاوّلين والدُرر النفيسة التي استنبطوها من هذه الذخائر *

ثانيهما انهم جعلوا فطريركهم راسًا عليهم واماماً في كل الامور الدينية

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

والطقسية والتهذيبية * فصار فطريركهم يختص بنفسهِ انتخاب جميع المطارين والاساقفة وسياميذهم وامر عزلهم ونصبهم . ومداخلتهُ في تدبير البيع الأُخرى فضلاً عن حدود السلطة الفطريركيَّة وغير ذلك كما سوف نرى * وهذا المبدأ قد تعلموهُ من الكنيسة الكاثوليكية اي انَّ الأَدنى يجب ان يطيع الأَعلى الى ان تنتهي الرئاسة لخلفاء بطرس الاحبار الرومانيين * ومن ذلك ينتج ان اصحاب هذه الشيع يقرّفون نفسهم بلسان حالهم . لانهم لم يطبقوا هذا المبدأ بموجب الحق بل رفعوا لواء العصيان على الحبر الروماني راس الكنيسة الجامعة الذي كتبهم نفسها التي يتداولونها الى اليوم تحوي شهاداتٍ واضحة على ان جميع اساقفة العالم وجماعات المسيحيّين قاطبةً هم ملتزمون ان يخضعوا لاوامره في ما يختص بالدين والتهذيب * وعليهِ فاقامة اليعاقبة وسائر المنشقين فطريركاً مستقلاً كان خلافاً لتعليم المسيح الذي اعطى بطرس وخلفاءهُ راساً ملء السلطان وجعلهُ اماماً مستقلاً من كل رئاسة على جميع المسيحيّين في كل اقطار العالم * ولا بدَّ من أنهُ قد حسَّ اليعاقبة وسائر الهراطقة والمنشقّين في باطنهم على انهم خرجوا من مركز الحقّ بانفصالهم من الكنيسة الرومانية أُمّ كلّ الكنائس لانّ المسيح جعل الكرسي الروماني الذي اسّسهُ وساسهُ بطرس الرسول حتى موتهِ قاعدة الايمان المستقيم . وحُسب من يخالف تعليمه مخالفاً لايمان بطرس نفسهِ كما تشهد كتبهم التي يتداولونها * واقوى علامة لذلك هو انّ القائلين بالطبيعة الواحدة لم يجسروا ان يجعلوا المجمع الافسسيّ الثاني المعروف باللصي بمثابة مجمع مسكوني . وليس ذلك الاَّ لانّ الكرسي الروماني قد رفض هذا المجمع * ولذلك فاليعاقبة الى الان ما يعدّون

الاَّ ثلاثة مجامع مسكونية والنساطرة ما يعدّون الاَّ اثنين . فهم بلسان حالهم يبيّنون ان كنيستهم هي ناقصة تعوزها العلامة العظيمة المختصّة بكنيسة المسيح وهي كونها جامعة . لانهُ لا اليعاقبة ولا النساطرة ولا سائر الهراطقة من يوم انفصالهم الى الان قدروا ان يعقدوا مجمعاً مسكونياً . ولا قدروا ان يجلسوا من اهل شيعتهم اساقفة على الكنائس الاولى الرسليّة ولاسيّما الرومانية والاورشليمية حتى انّ الكرسي الانطاكي لم يبقَ لهم منهُ سوى الاسم . ي ٢٨٤ *

الفصل السابع

في انتخاب الفطاركة اليعاقبة ومتعلّقاتهِ الخصوصية

يحقّ انتخاب الفطاركة اليعاقبة وسياميذهم للمفريان وللاساقفة الملتئمين في المجمع . وكان يجب ان يحضر رئيس المجمع واثنا عشر اسقفاً في الانتخاب . اما الباقون الذين تمنعهم اسبابٌ موجبة من الحضور فكان يلزمهم إنفاذ اصواتهم واجماعهم على رأي الحاضرين * اما السياميذ فكان منذ الازمان القديمة حقيقاً باكبر الاساقفة . ولكن بعد ذلك حدّد ثاودور الفطريرك نحو سنة ٦٤٨ قوانين كثيرة مآلها ان لا يُسام الفطريرك بدون المفريان ولا هذا بدون ذلك * وفي مجمع كفرتوث الملتئم سنة ٨٦٩ سنّ يوحنا الفطريرك ثمانية قوانين مختصّة بالفطريرك والمفريان اي انّ المفريان يحوز المقام الاوّل بعد الفطريرك ويفوق على كل الاحبار الغربيّين ويحقّ لهُ ان يضع يدهُ على راس الفطريرك المنتخب * وهاك بوجيز من الكلام طقس سياميذ الفطريرك . انّ هذا الطقس يحتوي على نفس الصلوات التي يستعملها الفطريرك لسياميذ

الاساقفة اذا كان المختار كاهناً . اما اذا كان في الدرجة الاسقفية فيترك وضع اليد الذي هو مادّة لهذه الدرجة * وكان الاسقف الرهاوي الذي برأس المجمع يحتفل بالقدّاس . والمطي يقرأ الانجيل والخيشومي يُنادي بالنعمة الالهية والكيجوبي والجوبي يتلوان بقيّة الصلوات . والمفريان يضع يدهُ عليهِ مع اثني عشر اسقفاً * ثمّ يُسلّم الاساقفة المُنتخب القضيب الرعاويّ الذي هو اشارة الى السلطان الروحيّ ويُمسكهُ كلّ واحدٍ منهم بحسب قِدَمهِ . ثمّ ياخذون بيد المرشّح اليمنى ويضعونها فوق ايدي الجميع بياناً لسلطانهِ الذي حازهُ على مراتب البيعة . ثمّ يجلسونهُ على العرش او الكرسي ويحملهُ الكهنة والاساقفة واعيان الشعب على ايديهم رافعين اياهُ فوق رؤوس الجميع ثلاث مرّات . وفي كلّ مرّة يرفع رئيس المجمع صوتهُ قائلاً : انهُ لجديرٌ ومستحق لهذه الرتبة . فيجاوب الجمع كذلك *

ثمّ انّ اهمّ متعلّقات انتخاب الفطريرك هي خمس . اعني الانتخاب بالقرعة . وان لا يكون المختار اسقفاً . والاقرار بالايمان . والرسالة المجمعيّة الى الفطريرك الاسكندري . وتغيير الاسم *

فنقول في الانتخاب بالقرعة انهُ كانت عادة الفطريركيّة الاسكندرية ان يعيّن المنتخبون عدداً من الاشخاص الجديرين بهذا المقام . ثمّ يميّز منهم بالاقتراع بين دفعات متكرّرة من كان اجدر بينهم الى ان يبقى منهم ثلاثة لا غير * فتكتب اساؤهم في ثلاث اوراق ثمّ يُضاف اليها ورقة رابعة مكتوبة باسم يسوع المسيح الراعي الصالح . وتُلقى في حُقّةٍ وتودع تحت المذبح * وبعد تلاوة الصلوات والقدّاس كان يؤتى بصبيٍ فيخرج واحدة من الاوراق الاربع . فاذا خرجت الورقة باسم الراعي الصالح كان يحكم انهُ لا واحدٌ من

الثلاثة الباقين جديرٌ بهذا المقام * فكانوا يقدّمون ثلاثة آخرين من الذين أُسقطوا قبل الاقتراع . ثمّ يشرعون من جديد في الانتخاب على النمط المذكور آنفاً . فاذا خرجت الورقة باسم احد المترشّحين الثلاثة كانوا يبايعونهُ حالاً بالفطريركية وينادون باسمهِ من دون ادنى مقاومة او اعتراض * وعلى هذا المنوال كان اساقفة الفطريركية الاسكندرية يختارون الفطريرك . الاّ انهم لم يكونوا يضعون اسم الراعي الصالح مع اسماء المترشّحين * ويظهر ان اوّل من اختير بالاقتراع في الفطريركية الانطاكية كان يوحنا الثاني سنة ٧٤٠ م كما روى ابن العبري في ترجمتهِ *

اما معنى الشرط الغريب المطلوب في المترشّح للفطريركية ان لا يكون اسقفاً فهو انّ هذه الشريعة قد سنّها اليعاقبة في الفطريركيتين الاسكندرية والانطاكية ليتحاشوا بذلك تحويل الاساقفة من كرسيهم . الامر الذي كان ممقوتاً لديهم . فكان الفطاركة غالباً من الرهبان * وكانوا يسيمون المنتخب فطريركاً لا طافراً بل بالتدريج محافظين على الترتيب في تحويل الدرجات القدسية الواحدة بعد الأُخرى الى ان يُنادى بهِ فطريركاً * ولبثت هذه السُنّة محفوظةً لديهم الى نحو مبادىء القرن الثالث عشر . الاّ انهُ بعد هذا الزمان شرع اليعاقبة يقيمون فطاركةً من الاساقفة وغالباً من المفريانات خلافاً لحرمة التهذيب البيعي القديم . ومن ثمّ فُتح السبيل لتحويل الاساقفة من كرسيٍ الى آخر *

ومعنى الاقرار بالايمان هو الاعتقاد الذي كان يجب على الفطريرك الجديد ان يكتبهُ بيدهِ ويبرزهُ امام آباء طائفتهِ الحاضرين في المجمع ليعمل بهِ مخترصاً على العدل والحق محتفظاً على القوانين الرُسلية ومقتبلاً المجامع الثلاثة الأُولى

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

والآباء . وراذلاً الهراطقة باسمهم * وكان يتلو صورة هذا الايمان قبل الشروع بفرض السياميذ . ثم يُسلّمهُ الى رئيس المجمع ليودعهُ في الخزانة الفطريركيّة *

ونقول في الرسائل المجمعية انهُ لمّا كانت الفطريركيّتان الاسكندريّة والانطاكية مرتبطتين في ما بينهما بالايمان والآداب والعوائد والتعلقات البيعية فكانت تُكتب في مجمع الاساقفة وبرايهم العامّ رسالة اعتقادية بيانًا لوحدة الايمان والشركة بينهما . وكان الفطريرك الجديد بعد سيامته يُنفذها الى الفطريرك الآخر حليفهِ * وهذه الرسالة كانت تسمّى مجمعية . لان الفطريرك الجديد لم يكن يتكلم فيها باسمهِ بل باسم كل الطائفة اليعقوبية * وقد استمرّت هذه العادة ثابتةً بين الفطريركيتين الاسكندرية والانطاكية زمانًا طويلاً . ولا يظهر انها بطلت الاّ لباعث الحروب التي شبّت في المشرق كلهِ . او لانقطاع الاتصاليّات بينهما *

ودخل تغيير الاسم سنة ٨٧٨م . فان يشوع لمّا اختير فطريركًا اتخذ اسم اغناطيوس نسبةً الى اغناطيوس النوراني الشهيد اسقف انطاكية التي اشتقّ اليعاقبة فطريركيتهم منها . ثم في الاعصار المتأخرة اي من زمان يوسف بن وهيب الفطريرك صار النطاركة اليعاقبة طرًّا بسلسلة متّصلة يُسمّون انفسهم اغناطيوس الى يومنا هذا * وجرى ذلك لباعث الشقاق الذي الَمّ بطائفة اليعاقبة التي تولّى عليها في زمان واحد ثلاثة فطاركة كما سنرى *

ويُلقّب فطريرك اليعاقبة نفسهُ هكذا : فلان فطريرك انطاكية مدينة الله وكل المشرق . كما يُستفاد ذلك من استفتاح رسائلهِ * ثم ان فطاركة اليعاقبة تمييزًا للفطريركيات الثلث التي نبعت في زمان الشقاق

الذي الَمّ بطائفتهم من سنة ١٣٦٤ الى ١٤٩٤ م لقّبوا انفسهم من الاماكن التي اقاموا فيها كرسيهم . من ذلك ان سابا باسيليوس اسقف صلح لما نُودي بهِ فطريركًا ضدًّا لاغناطيوس السادس المعروف باسمعيل سمّى نفسهُ فطريرك طورعابدين لانهُ اقام في دير مار يعقوب الصلحيّ الواقع في بلاد طورعابدين * ثم ان الفطريرك الشرعي الذي اقام كرسيهُ في ماردين لقّب نفسهُ فطريرك ماردين . اما الآخران فمن اختارهُ الاساقفة الغربيّون في قيليقية سمّي فطريرك سيس . ومن اختارهُ الاساقفة في دير برصوما اتخذ لقب فطريرك سوريّة * الاّ ان هذه الالقاب المستجدّة قد بطلت بعد نهاية هذا الشقاق سنة ١٤٩٤ م لمّا تولّى فطريرك واحد امر كلّ الطائفة اليعقوبية وتمسّك باللقب الانطاكي *

واقام فطاركة اليعاقبة كرسيهم في مراكز شتى . فانهم لم يتمكّنوا قط من الجلوس في انطاكية المدينة التي يلقّبون منها . فكان اكثرهم في الاول يتنقّلون من كنيسةٍ الى كنيسة ومن دير الى دير وهم يدورون تائهين في مدن وقرى وجبال سورية وبلاد ما بين النهرين من دون ان يتأتّى لهم اتخاذ كرسي او مركزٍ ثابتٍ لانفسهم وذلك خوفًا من ملوك الروم الذين كانوا يتعقّبونهم * الاّ انهُ لمّا ملك المسلمون على سوريّة رفعوا راسهم وتمكّنوا من الدخول الى انطاكية . ونال ايليّا الفطريرك من الوليد سنة ٧٢١ م امرًا ببناء كنيسةٍ جديدةٍ ثمّة لطائفتهِ * وقد آل الامر بفطاركة اليعاقبة لمّا طُردوا بعد قليلٍ من انطاكية بسعي الروم ذوي النفوذ في سورية الى ان يسكنوا اماكن شتى من ذلك منبج . وربشعينا . وحرّان . والرقّة . وآمد . وخيشوم وغيرها * ويوحنا السابع رحل الى بلاد الروم وبنى في ملطية دير بارد

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وسكن فيهِ هو وخلفاؤهُ الى زمان ديونيسيوس الرابع . فان يوحنا التاسع
الذي جلس بعد ديونيسيوس ثم خلفاؤهُ اقرّوا كرسيهم في آمد ولو كانوا
يقيمون ايضاً احياناً في دير بارد ودير برصوما القريبين من ماردين * ثم
ان ميخائيل الاوّل المعروف بالكبير قصد ماردين واقام كرسيهُ في دير مار
حننانيا المعروف بدير الزعفران * وقد جمّل هذا الدير اغناطيوس الحادي
عشر ببساتين ورياضٍ رائقة وبنى فيهِ قلالي جديدة وفتح فيهِ قنايا الماء * والى اليوم
يسكن فيهِ فطريرك اليعاقبة ولو اتّفق لهُ ان يقيم احياناً في ماردين نفسها وفي
آمد وحلب او في بعض بلاد سورية وما بين النهرين (س مق ٣٩ - ٤٧) *

الفصل الثامن

في سلطان فطاركة اليعاقبة واحوالهم وطقوسهم

انّ فطريرك اليعاقبة يُحسَب إمام طائفتهِ في مسائل الدين والسياسة
البيعيّة ولهُ سلطان على اساقفتهِ والاقليروس الأدنين . ثم استبدّ بحق رسامة
المفريان والاساقفة الغربيين وتكريس الميرون . وقد حذا في ذلك حذو
الفطريرك الاسكندري . ولذلك فلا يمكن اسقاط الفطريرك الّا بسبب زيغانهِ
عن الايمان كما يصرّح طقسهم الحبري . وقد اسقط لهذا السبب يعقوب البرادعي
في مجمع الاساقفة الذي تصدّر فيهِ سنة ٥٧٨ بولس الفطريرك المعروف بالاسود *
الّا اننا نقرأ في تاريخ اليعاقبة حوادث كثيرة تؤكّد لنا انهم اسقطوا فطاركتهم
لاسباب أُخرى من ذلك طمع الاساقفة وسعي الاحزاب ودواعي الشقاق .
وهذه الشقاقات كانت إما خصوصيّة وإما عموميّة . ونشأت امّا بسبب التهذيب

البيعيّ والطمع في الرئاسة وإما بسبب الاعتقاد *

امّا احوال اليعاقبة المدنيّة على عهد ملوك الروم فكانت مختلفةً في
سورية ومصر وبلاد الجزيرة وما يجاورها * فانّ ايمّة هذه البدعة وجدوا احياناً
حمايةً في عهد زينون وانسطاس . ولكنهم لاقوا ايضاً اعداء الدّاء في عهد
مرقيان ولاون ويوسطين وسائر ملوك الروم الذين خلفوهُ في المشرق . وقد
حاولوا بهمّة الاحبار الرومانيّين وبالسفارات والرسائل ان يقتادوهم الى محجّة
الحق فلم ينجحوا في سعيهم فاجروا عليهم العقوبات واساموهم الخُسف . فطُرد
اساقفتهم من سنة ٥١٨ فصاعدًا بامر يوسطين الملك من كراسيهم وكانوا
يدورون خفيةً في المدن والقرى بدون مركز ثابت * الّا انهم تنفسوا
قليلاً لما استولى الاسلام على سورية ومصر . اما في بلاد الفرس والعرب
المناذرة فقد نالوا قليلاً من الحريّة والراحة (س . مقا : ٤٧ - ٥٢) *

ولا يخفى انّ طقس اليعاقبة في اصلهِ هو طقس الفطريركية الانطاكية التي
انفصلوا عنها في القرن السادس على عهد ساويرا فطريركهم الاوّل . واخصّ اجزاء
طقوس اليعاقبة هي الصلوات القانونية والقدّاس والرتب الحبرية . وطقوس
توزيع الاسرار . لكنها لم تبقَ على اصلها . بل اضاف ايمتهم عليها اشياء كثيرة
مع تمادي الزمان * وهذه الزيادات نظرًا الى الصلوات القانونية منها ما هو
من اصل سرياني ومنها ما هو من اصل يوناني . فالزيادات التي من اصل
سرياني قد اخذوها من تصانيف ومداريش مار افرام شماس الرها الذي
ازهر في القرن الرابع وعن المؤلفين التابعين لعهد اخصّهم مار بالاي . ومار
اسحق الانطاكي . ويعقوب السروجي * اما الزيادات التي من اصلٍ يوناني فهي

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

قليلة بالنسبة الى غيرها. وهي ما خلا الكتاب المقدس على نوعين: الاوّل عونيثات او اغاني الّفها ساويرا البطريرك في القرن السادس. والثاني هو ما يسميهِ الروم القوانين وهي من تآليف مار يوحنا الدمشقي الذي ازهر في القرن الثامن: وهي تتضمن اسرار حياة المسيح وتدابيره ومدائح القدّيسين. وقد نقلها ائمّة اليعاقبة هي واناشيد قزما الاورشليمي الى اللغة السريانية وادرجوها في طقسهم لجلالة معانيها وسموّ بلاغتها. الّا ان من يُنسب اليهِ ترتيب صلوات اليعاقبة القانونية هو يعقوب اسقف الرها الشهير الذي عاش في القرن السابع: وكان قانونياً ولاهوتياً. وادخل فيها اجزاء كثيرة من تآليف آباء البيعة السريانية الذين سلفوهُ كانت في حيز الاستعمال في الكنائس الّا انها لم تكن خاضعة لقانون ثابت. واضاف عليها اجزاء أُخرى من تصانيفهِ. وعليهِ هو الذي خوّل الصلوات القانونية لدى اليعاقبة الهيئة التي نُشاهد اليوم* قال ابن العبري في اثيقون مقالة ١ باب ٥ ف ٤ ما تعريبهُ «من زمان السنهدوس المقدس الذي التأم في نيقية شرع مار افرام ملفاننا السرياني يؤلّف الحانًا قدسية ومداريش ضد البدع التي كانت في عهدهِ. ثمّ انّ ملافنة آخرين نظير اسحق السروجي وبالاي بثّوا تسابيح كثيرة على آياتٍ اشتقّوها من مزامير داود النبي. ثمّ في زمان مجمع افسس قام رجال قوقيّون متبحّرون في مخافة الله. فثارت في قلوبهم حرارة الروح القدس والّفوا عونيثات كثيرة. واخيرًا بعد السنهدوس الذي التأم في خلقيدونية قام ساويرا ملفاننا الكبير الماهر في قواعد الايمان وبنى على كل الالحان اليونانية التي نُقلت الى السريانية آياتٍ من المزامير بعد ان اضاف عليها اراء سليمة. وفي زمان مار يعقوب الرهاوي والمختار جيورجيس اسقف العرب

بدأت تلك التسبحات المعروفة بالقوانين اليونانية وضعها احد الكتبة في دمشق اسمهُ قوريني بن منصور (وهو مار يوحنا الدمشقي) ورجل آخر راهب يُلقّب لديهما الاب قوزما مكتشف القوقاليّات او القوانين (وهي الالحان) التي هي الذّ واعذب من قوانين ذلك. ومن حيث ان قوريني وان كان من حزب الخلقيدونيين لم يتصدّ في الحانهِ الى ذكر حوادث النزاع التي دخل بسببها الشقاق بدأت قوانينهُ تدخل في كنيستنا في المشرق والمغرب كما علمنا من مار لعازر برسبتا» *

ثم ان رُتب القداس الكثيرة المختلفة التي نشاهدها لدى الطوائف النصرانية انما قد تأتّت من اصل واحد اعني عن الرسوم الرسلية. ولذلك ولو نراها مختلفة في الاجزاء العرضية الّا انها واحدة في جوهرها. وهذا الاختلاف هو ناشئ عن الزيادات التي اضافتها كل كنيسة كبرى على الرسم الرسلي* ونحن نجد بين كل طائفةٍ من طوائف البيعة الجامعة قدّاسًا او اكثر. فان الكنيسة اللاتينية والارمنية لها قداس واحد. واليونانية والكلدانية والقبطية لها ثلثة. والحبشيّة لها عشرة. واليعقوبية لها اكثر من اربعين قدّاساً انشأها ائمّتها بعد انفصالها من البيعة الجامعة. وكذا الموارنة لهم قداديس كثيرة * ولنا ان نعتبر بالعموم في شان هذه رُتب القداس الكثيرة اولاً. انها واحدة نظرًا الى نظام الاجزاء والحفلات والمعنى العام في كل جزء * ثانياً ان كل طائفةٍ لها قداس واحد اصلي نعتبرهُ بمثابة نموذج واساس ترجع اليهِ سائر الرتب * ثالثًا ان قداساً واحدًا يحوي كل ما يقتضي العمل بهِ في تكميل الذبيحة. امّا الرتب الاخرى فلا تحوي سوى جزء وتُكمّل بالاستعارة من

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

القداس الاصلي * فالقداس الاساسي الذي يستعملهُ اليعاقبة السريان هو المنسوب الى مار يعقوب الرسول . وكان مستعملاً لدى البطريركية الانطاكية ثم نقلهُ الى السريانية يعقوب الرهاوي في القرن الساس ونقّحهُ ووشّحهُ بهيئةٍ مختلفة قليلاً من النصّ اليوناني *

اما الرتب الحبرية ورتب توزيع الاسرار فقد اخذها اليعاقبة ايضاً عن البطريركية الانطاكية . وقد وسّعها ورتّبها بعد ذلك ميخائيل الاوّل البطريرك في القرن العاشر . وكان كثير من ائمة اليعاقبة ومنهم يعقوب الرهاوي قد نظم رتباً لتوزيع الاسرار استعملها اليعاقبة قبل ذلك الزمان *

ومعلوم ان شيعة اليعاقبة نبعت في انطاكية وما يجاورها من بلاد سورية . ثم انتشرت الى بلاد المشرق * وجرى ذلك اوّلاً ان ملوك الفرس كانوا قد سبوا جمهوراً من القائلين بالطبيعة الواحدة من انطاكية وسورية الى بلادهم. ثانياً ان كثيراً من السريان المشارقة كانوا يقرّون باقنوم واحدٍ في المسيح كما مرّ. الّا انهم لم يكونوا يميّزون الاقنوم من الطبيعة. فلما فشا امر القائلين بالطبيعة الواحدة مالوا اليهم ظانّين ان القول بالطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد هما سيّان . واخيراً لما نفى يوسطين الملك سنة ٥١٨ الاساقفة المونوفيسيتيّين واشتهر امر يعقوب البراذعي وجال في المشرق وهو يسيم الاساقفة في كل مكان تمكّن هو واعوانه من جرّ جمهور لا يحصى الى مذهبهِ . وكان منهم جبرائيل السنجاري الذي سعى في تقوية هذا المذهب وجذب كثيراً من السريان المشارقة اليهِ كما مرّ الكلام . وبذلك استفحل اليعاقبة وبتمادي الزمان استولوا على كثيرٍ من كراسي المشرق *

الباب الخامس

في اخبار السريان المغاربة وهم اليعاقبة من سنة (٥١٢ - ٥٩٥)

الفصل الاول

في جلوس ساويرا على كرسي انطاكية واخبار ايامهِ

انّ اوّل بطريرك يعدّه اليعاقبة اماماً لشيعتهم هو ساويرا * وكان ساويرا راهباً من دير ثيودور بقرب غازا * ولما نفى انسطاس الملك محامي مذهب اوطاخي مار فلابيانوس عن كرسي انطاكية نُصب مكانهُ في بدء تشرين الثاني من سنة ٥١٢ * ووجّه ساويرا وانسطاس الملك كلّ جهدهما بالسوء الى البيعة المسكينة . وفتحا عليها باب الجَوْر والاضطهاد كما مرّ الكلام (ابن العبري ١٨٧ - ١٩٣) *

ولم تلبث الكنيسة زماناً طويلاً تئنّ تحت ثقل هذه الاضطهادات . بل اقام الله بعد انسطاس على عرش المملكة الرومية يوسطين الملك المستقيم الايمان في سنة ٥١٨ . ففرّج عن الكنيسة بعد ست سنين وامر بقبول المجمع الخلقيدوني . وعزل ساويرا وبطرس الحموي واتباعهما الاساقفة سنة ٥١٨ فهربوا من وجههِ * ثم خلف يوسطين يوسطنيانوس الاوّل المعروف بالكبير. وكان هذا ايضاً صحيح المعتقد * واقتفى آثار سالفهِ . وجدّد اسوار دير مار مارون الذي امر بهدمهِ انسطاس الملك . واعاد اليهِ رونقهُ ورهبانهُ * وقام على كرسي انطاكية بعد هرب ساويرا بطاركة افاضل صحيحو العقيدة . اعني بولس وجلس سنة واحدة وطرد الاساقفة القائلين بالطبيعة الواحدة

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

من كراسيهم وتوفي سنة ٥٢١ م . ثم افراسيوس . وتولّى كرسيهُ نحو ست سنين وقضى نحبهُ سنة ٥٢٧ . ثم افرام الآمدي الذي سعى في مقاومة مذهب يعقوب البراذعي وبنى كنيسة انطاكية الكبرى سنة ٥٢٢ . وتوفي سنة ٥٤٥ م بعد ان جلس ثماني عشرة سنةً . ودومنوس الثالث الذي جلس من سنة ٥٤٥ الى ٥٦٧ . وانسطاس الاول من ٥٦٧ الى ٥٦٩م . ثم غريغوريوس الذي جلس من ٥٦٩ الى ٥٨٤ م . وانسطاس الاوّل ثاني مرة من ٥٩٠ الى ٥٩٩ . وانسطاس الثاني من ٦٠٠ الى ٦٠٦ . وفي هذه الاثناء فرغ الكرسي الانطاكي * امّا ما كان من ساويرا بعد هربهِ من كرسي انطاكية فانهُ قصد الاسكندرية واقام ثمّه زمانًا . ثم رحل الى القسطنطينية بمساعدة ثيودورا الملكة فحرمهُ اغابيط البابا هو وانتيموس اسقف القسطنطينية وثيودوسيوس فطريرك الاسكندرية * ثم نُفِي ساويرا من تلك المدينة وعاد الى مصر . وصار يجول في القفار . واختفى اخيرًا بزي راهب الى ان مات في كسوثا احدى القرى بقرب الاسكندرية في ٨ شباط من سنة ٥٢٩ م *

وقد ترك ساويرا شيئًا كثيرًا من التآليف . ومنها هي التي يذكرها ابن العبري في ترجمتهِ . قال « كان رجلًا بليغًا فيلسوفًا فقيهًا وخاصّةً في المعارف البيعية بشان العهد القديم والجديد * وتآليفهُ هي مُوعَبَة تعليمًا حيًّا . وألّف كتابًا في مُحب الحقّ لحلّ المسائل المتعلّقة بالطبيعتين . وفسّر هنوتيكون زينون نقضًا لتعليم المجمع الخلقيدوني » * واما تآليفهُ التي نقلها اليعاقبة من اللغة اليونانية الى السريانية فهي * (١) نافورة او قداس بدوّهُ با الله صانع الكل (٢) رتبة العماد . (٣) اغاني مُعبّرة بثمانية اصوات تبلغ مائتين وخمسًا

وتسعين اغنية . وهي تدور على أخصّ اسرار الديانة واعمال الرسل وتراجيم الشهداء والقديسين . من ذلك الترتيل الذي يستعملهُ اليعاقبة في القداس قبل قدوس . وبدوّهُ « اعظمك يا ربي الملك » (٤) ثلاث صور اقرارهِ بالايمان . والثالثة انفذها الى انسطاس الملك (٥) مُحبّ الحق الذي ذكرهُ ابن العبري (٦) تبرير مُحب الحق (٧) في عدم فساد جسد المسيح (٨) خطاب في سبب اتّجاهنا الى المشرق وقت الصلوة (٩) خطاب في والدة الله (١٠) في رتبة تكريس الهيكل (١١) في عدم وجوب تكرير عماد الهراطقة (١٢) خطاب قالهُ امام انسطاس الملك (١٣) تفاسير في الكتاب المقدس (١٤) رسائل شتى (١٥) مواعظ كثيرة في اسرار الديانة واعياد الرب والعذراء والقديسين تبلغ نحو مائة وخمس وعشرين موعظة (س مق ١٩٠-٢٠١ و١٤٥ المجلد ٢ من مكتبتهِ ٢٣٥ و٤٧٩) *

الفصل الثاني

في رئاسة سركيس الفطريرك على القائلين بالطبيعة الواحدة

لم يدِن القائلون بالطبيعة الواحدة لفطاركة انطاكية المستقيمي الايمان بعد طرد ساويرا وموتهِ بل خلعوا الطاعة لهم واقاموا لنفسهم شيعةً مستقلة واختاروا سركيس خليفةً لساويرا دعوهُ ايضًا فطريرك انطاكية * وكان سركيس قسّيسًا يُعرف بباقرطيسا من دير حالا واسامهُ يوحنا اسقف عين زربا احدى مدن قيليقية بعد موت ساويرا سنة ٥٢٩ م (س ثم ٣٢٢) *

وانتشرت شيعة القائلين بالطبيعة الواحدة في عهد بسعي يعقوب

البراذعي . فانهُ كان الاساقفة القائلون بالطبيعة الواحدة قد قلّوا ووهت قواهم في المملكة الرومية بعد ان تظاهر يوسطين الملك بالمحاماة عن المعتقد الكاثوليكي . ونفى سنة ٥١٩ الاساقفة الذين رفضوا المجمع الخلقيدوني . واقتفى يوسطنيانوس الملك آثار سالفهِ * وكان قد نُفي الى القسطنطينية بعضٌ من اساقفة هذه الشيعة . وكانت تحاميهم ثاودورا الملكة . فسام ثاودوسيوس فطريرك الاسكندرية يعقوب البراذعي المار ذكره اسقفًا على الرها سنة ٥٤٢م . فشرع هذا يطوف بلاد مصر والشام والجزيرة ويُسيم الاساقفة لكلّ البلاد وينشر ضلالة هذه الشيعة * ودُعي القائلون بالطبيعة الواحدة يعاقبةً وتُرك اسم الاوطاخيّين واسم الساوريين وغير ذلك من اسماء احزاب هذه الشيعة * وجرى ذلك انهُ لما استفحل امر يعقوب البراذعي ونشر ضلالتهُ بنفسهِ وبواسطة اعوانهِ الاساقفة تسنّى لهُ بالدهاء والحيلة ان يؤلّف بين الاحزاب المختلفة من احزاب بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة . ويستجلب غيرهم ايضاً اليهِ . وكل من انقاد الى مذهبهِ دُعي يعقوبيًّا نسبةً اليهِ * وقد تغلّب هذا الاسم منذ ذاك الحين على جميع السريان القائلين بالطبيعة الواحدة من اي حزب كانوا . وحافظوا عليهِ كما حافظوا على استقلاليّتهم من فطريركية انطاكية واقامة فطاركة مستقلّين من شيعتهم *

وتفجّرت عن بدعة اليعاقبة على نحو هذا العهد شيعة القائلين بثلاث طبائع في الله لكل اقنوم منهُ طبيعة او جوهر مختلف . ولذلك عُرفوا بمثلّثي الجوهر الالهي * وابدع هذه الضلالة يوحنا اسقف راس العين احدى مدن ما بين النهرين . وتبع رايهُ كثير من القائلين بالطبيعة الواحدة * وكان

ذلك امرًا طبيعيًّا ومنطقيًّا . لانهم لم يقدروا ان يوفّقوا في المسيح احد الاقانيم الالهيّة الطبيعة الواحدة التي هي صورة ايمانهم مع الخواصّ البشريّة التي لا تجتمع في الجوهر او الطبيعة الالهيّة . فآل بهم الامر ان يقولوا انّ لكلٍّ من الاقانيم الالهيّة جوهرًا او طبيعةً الهيّة مختلفة * وهذا المذهب الوخيم اوقف نجاح القائلين بالطبيعة الواحدة وجعلهم عُرضةً لسخريّة الخلقيدونيّين كما يشهد ابن العبري في ترجمة سركيس *

وممّن اشتهر في نشر المعتقد بالطبيعة الواحدة في بلاد الحبش يوليانوس الذي كان قسّيسًا في القسطنطينيّة . وكان متعلّقًا بخدمة ثاودوسيوس فطريرك الاسكندريّة . وسعت ثاودورا الملكة بانفاذه بهذه الرسالة * واقام يوليانوس على الحبشة اسقفًا يُدعى ثيودور كان قد اتى بهِ من صعيد مصر . ثم عاد الى القسطنطينيّة * وتولى سركيس ادارة كرسيهِ الفطريركي ثلاث سنين على الراي الاصحّ . اما ديونيسيوس الفطريرك المؤرّخ اليعقوبي فروى انهُ دبّر الفطريركيّة احدى عشرة سنةً . وتوفي سنة ٥٤٢ م . (عب ٢١٣ - ٢٢٢ . س ٢ : ٢٢٢) *

الفصل الثالث

في اخبار امامة بولس الاسود الفطريرك واسباب عزلهِ

خلف سركيس في كرسي اليعاقبة الفطريركي بولس المعروف بالاسود * وكان بولس اصلهُ من الاسكندريّة . وتهذّب في دير الجُبّ البرّاني الواقع في بلاد ما بين النهرين على ضفة الفرات . واسامهُ يعقوب البراذعي سنة ٥٤٢م *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وفي هذه الاثناء ثار انشقاق عظيم آذى اليعاقبة على عهد بولس البطريرك . وكان سببهُ ان بولس بعد ان تبوّأ كرسي السريان اليعاقبة البطريركي كان يتوق الى الكرسي الاسكندري . وكان الاسكندريون قد اختاروا اثناسيوس ابن اخت الملكة ثاودورا بطريركًا * فشرع بولس يفتق الحيل لطرد اثناسيوس . ونشر رسالةً مشحونة بالتهم عليهِ . فانقد الاسكندريون غضباً على بولس * وكان بين البطريركية الانطاكية والبطريركية الاسكندرية تعلقات مذهبية وتهذيبية كما مرّ الكلام . فطلب الاسكندريون وبعض اساقفة سورية اسقاط بولس . ورفضوا رئاستهُ * والقوا اللوم على يعقوب البراذعي لانهُ اسام بولس بطريركًا بدون رضى اساقفة جميع الاقاليم * وبذل يعقوب المذكور قصاراهُ في تسكين غضبهم . ومصالحتهم مع بولس . فلم يتوفّق الى ذلك . وشبّت نيران شقاق عظيم بين القائلين بالطبيعة الواحدة * وقيل ايضاً ان سبب بغضة هولاء لبولس كان اشتراكهُ مع الكنيسة القسطنطينية الخلقيدونية * فلمّا راى بولس نفسهُ مرذولاً التجأ الى الحارث بن قبالا ملك العرب . فاقتبلهُ هذا وامر ان يكرز باسمهِ في كنائس مملكتهِ . الّا ان النزاعات لم تنقطع في مصر وسورية * فآل الامر بيعقوب البراذعي عقيب هذه الحوادث المحزنة الى ابراز الحكم على بولس بالاسقاط سنة ٥٧٨ م * ولنات الى وصف ملخّص الاضرار والنوائب التي الّمت باليعاقبة بسبب هذا الانشقاق . ونقول : انقسم القائلون بالطبيعة الواحدة الى حزبين . وكان اوّلهما يطعن في بولس رافضاً رئاستهُ وخاصةً في البطريركية الاسكندرية . والآخر كان يحاميهِ ويذبّ عنهُ * قال ابن العبري في ترجمة بولس « ولبثوا سنةً كاملة يبثّون في بعضهم بعض

تهمًا وشتائم حتى صِرنا هَدَفًا لتعييرات اعدائنا الخلقيدونيّين * امّا الاديرة الكبيرة في المشرق والمغرب فانقسمت على نفسها حتى كان يُرتكب فيها اجرام القتل . فكنت ترى كثيرًا من الرهبان يُقتادون مقيّدين بالسلاسل الى المحاكم ليؤدّوا كالقاتلين حساباً عن جرائمهم * ومن اعجب من ذلك كنت تشاهد شيوخًا طويلي الدقون عريضي الأردية يُقيّدون من اعناقهم ويلقون في السجن * من لا يبكي وتنحدر عبراتهُ لهذا المصاب المؤلم وينتحب كابن آوى على الملح الذي لم يفسد فقط بل نتن واضحى عُرضةً للكراهية وهَدَفًا لدوس الارجل » انتهى * فعوّل يعقوب البراذعي واساقفة سورية بعد عزل بولس ان يجتمعوا هم ورؤساء الاديرة في دير مار حنانيا بقرب الرقة . وارادوا ان يقيموا مكان بولس بطريركًا * الّا ان بعض الاساقفة لم يصادقوا على هذا الراي . لان بولس كان بعدُ حيًّا . ولم يُحكَم عليهِ قانونيًّا . فانحلّ المجمع بدون فائدة * واما يعقوب فتلافياً لهذه النزاعات الداخلية بين طائفتهِ قصد مرةً ثانية الاسكندرية ليسعى في ابرام الصلح مع اساقفة سورية وينطع دواعي الشقاق * الّا ان صروف الزمان لم تساعده . فانهُ بعد ان وصل دير مار رومانوس الكبير توفي في ٣٠ تموز سنة ٥٧٨ بعد ان اسام نحو مائة الف من اساقفة وكهنة وشمامسة * وجلس بولس على الكرسي البطريركي ستًّا وثلثين سنةً . وقضى اكثر ايام امامته في اضطراب ومحن شديدة . وكان قد هرب بعد عزلهِ الى القسطنطينية واختفى ثمّه نحو اربع سنين حيث قضى نحبهُ . ودُفن ليلاً في دير النساء (عب ٢٢٢ - ٢٤٩ . س ٢ : ٢٢١) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الرابع

في اخبار امامة بطرس الرقي و بوليانوس الاوّل الفطريركين

اختير فطريركا على اليعاقبة بعد اسقاط بولس بطرس الرقي * وكان بطرس اصلهُ من الرقة احدى مدن ما بين النهرين ونبغ في اللغتين اليونانية والسريانية. وكان شاباً فصيحاً طاهر الاخلاق * وكان يعقوب البراذعي قد عوّل في مجمع الاساقفة الملتئم في دير مار حنانيا ان يُسيمهُ خليفةً لبولس . فلم يطاوعهُ الى ان اقنعهُ دميانوس الفطريرك الاسكندري خليفة اثناسيوس . فاجتمع اساقفة سورية وروساء الاديرة في دير مار حنانيا القريب من الرقة . واسامهُ يوسف مطران آمد . ونودي بهِ فطريركاً سنة ٥٧٨ م . واثبت اباء هذا المجمع من جديد الحكم على بولس وقثرسوه * ولم تطِب لبطرس الرئاسة فانهُ سئم من نفسهِ اذ راى نيران الشقاق الذي ثار في رئاسة سالفهِ مضطرمةً بعدُ في طائفتهِ . فندم لانهُ اقتبل على منكبيهِ اعباء المنصب الفطريركي وسالفهُ بعدُ حيٌّ لم يُحكم عليهِ قانونياً . واراد ان يستقيل منهُ . وقصد الاسكندرية وحاول اقناع اهلها ليقبلوا بولس سالفهُ . فلم يتهيأ لهُ ذلك . فرجع خائباً *

وجرى لبطرس الفطريرك مع اسطفانوس السفسطيّ ويوحنا رئيس الدير نزاع شديد . فانهُ كان اسطفانوس ينادي في الاسكندرية ان في المسيح طبيعة واحدة . الّا انهُ لا يجوز القول بانهُ حُفظ فرق الطبيعتين التي يقوم منها المسيح بعد الاتحاد . لانهُ لو حُفظ هذا الفرق لكان في المسيح طبيعتان لا طبيعة واحدة * فوافقهُ في ذلك يوحنا رئيس دير الاسكندرية .

فطردهما دميانوس الاسكندري * فأتيا سورية وحاولا نشر تعليمها واقترن معهما بروب احد القسوس . فحرمهم بطرس الفطريرك الانطاكي ايضاً (س م ٢ من المكتبة الشرقية وجه ٧٢ و ٢٢٢) *

وتنازع بطرس الانطاكي مع دميانوس الاسكندري ايضاً . وكان سبب ذلك انّ دميانوس كان قد انفذ الى بطرس الرقي كتاباً في حل بعض المسائل الدينية ليفحصهُ * فوجد بطرس ان دميانوس لا يميز بين الاقانيم الالهية والخواصّ المعرِّفة لها * فلمّا نبّه بطرس دميانوس على غلطهِ انّقد هذا غضباً واضمر السوء * فكتب بطرس ثلاث مقالات نقضاً لهذا الزعم وعوّل على ان يعقد مجمعاً المنظر في هذه المسائل. فادركتهُ المنون سنة ٥٩١ م في دير الجب البراني ودُفن فيهِ * وبعد زمان قليل قضى دميانوس ايضاً نحبهُ (عب ٢٤٩ - ٢٥٩) *

وتولّى بطرس الرقي امر اليعاقبة ثلاث عشرة سنةً * وخلفهُ على الكرسي الفطريركي بوليانوس كاتب اسرار بطرس المار ذكره . وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة فطاركة اليعاقبة * وكان راهباً في دير افتون المعروف بالقنسري . واسيم سنة ٥٩١م * وردّ عن سالفهِ الفطريرك سهام اعدائهِ . فانهُ كان سركيس اسقف الرها المعروف بالأرمني هو ويوحنا اخوهُ قد نقضا المقالات التي كتبها بطرس الرقي في شان سرّ التثليث . ففرّقهما بوليانوس تفريقاً صارماً وافحمهما * وجلس بوليانوس على الكرسي الفطريركي ثلاث سنين وخمسة اشهر . وتوفي في اواخر سنة ٥٩٤م او في بدء سنة ٥٩٥ . (عب ٢٥٩ - ٢٦١ وس ٢ : ٢٢٢) *

الباب السادس

في حال الطائفة السريانية المشرقية منذ عهد جريغور
الى زمان يشوعياب الحزّي (٦٠٥ - ٦٥٠ م)

الفصل الاول

في اخبار جريغور الجاثليق

كان جريغور من اهل ميشان . وقرأ في مدرسة المدائن العلوم على ايشى الملفان . وصار معلماً فيها . وبعد موت سبريشوع آثر كسرى اختيار برحذبشبا الراهب المقيم في جبل سعران للجثلقة . الّا ان اكثر الآباء اقنعوا الملك باختيار جريغور مطران نصيبين ندّ حنانا المار ذكرهُ * فلمّا وقف اطبّاء نصيبين ووجوهها على ذلك فزعوا من بطشهِ بهم لانهم كانوا قد عاونوا على طردهِ من نصيبين . وسعوا لدى شيرين الملكة باختيار جريغور آخر وهو الملفان الذي كان من ميشان بلدها . وتمّ ذلك باتفاق الاسمين * واسيم في اواخر سنة ٦٠٥ م على الترتيب * ولم يصادق الملك على هذا العمل فانّ جريغور الجاثليق لمّا دخل صحبة الآباء والمتطبّبين النصيبيّين على الملك ليدعو لهُ . انكر على الآباء ذلك . وعلم انّ حيلة قد تمت * فوبخ شيرين . وصار يبغض الجاثليق ولاسيما بعد ان بحث عنهُ ورأى باطنهُ بخلاف ظاهرهِ *

ورسم جريغور والاساقفة الذين اجتمعوا في فرصة هذا الانتخاب قوانين مهمة * وجرى هذا الاجتماع في شهر نيسان من سنة ٦٠٥ مج (سنهدوس المشارقة ٤٧٤ - ٤٧٨) *

ولم يدبّر جريغور طائفتهُ حسناً فانهُ اخذ يُسيء السيرة والتدبير . وكان طمّاعاً وطالب الاساقفة والقسوس بارزاق البيع واوقافها * فاحتمل الذلّ والعار من عامّة الناس ووزراء كسرى * وكان جبرائيل السنجاري قد حرمهُ سبريشوع الجاثليق لانهُ تزوّج بامراة ثانية مع وجود الأولى . فانحاز الى مذهب اليعاقبة . وانتهز هذه الفرصة للطعن بالنساطرة وايمانهم * ولم تطل ايام جريغور فانهُ لم يتولّ الجثلقة سوى اربع سنين * وبعد ان توفي سنة ٦٠٩ اخذ كسرى جميع ما خلّفهُ . وقبض على تلامذتهِ وحبسهم الى ان اظهروا ما لهُ . وتغيّر على النصارى وضاعف عليهم الخراج وضبط اموالهم . وامر ان لا يُنصب جاثليق لهم * وبقيت بيعة المشارقة ارملةً بغير رئيس نحو عشرين سنة . وفي هذه الغضون كان يدبّرها بالنيابة عن آباء النساطرة مار ابا الارقدياقون ومار بابي الكبير رئيس دير الازل الى ان قُتِل كسرى ابرويز وخلفهُ ابنهُ شيرويه (ما . ص . اخ ٢ : ٢٢٤ - ٢٢٨ . عب ٢ : ١٠٧ . س ٢ : ١ وجه ٤٤٩ - ٤٥٢) *

وممن كان من النصارى في خدمة كسرى ابرويز مار ابا من اهل كشكر وكان مقدّمهم . واشتهر بعلم الفلسفة والهيئة والطبّ واللغات . وانفذهُ كسرى الى موريقي بسفارةٍ مهمة (١) * ثم يزدين الفاضل امين خزانتهِ . ورُزِق مكانةً من كسرى . وقلّدهُ من باجرمي الى بلاد الروم . وبنى يزدين البيع والاديرة ووصل خبرُ فضلهِ وصدقاتهِ الى اقاصي المشرق * ويوحنا الكشكري الذي تقلّد اعمال يزدين بعد موتهِ . وبنى ديراً بارض كشكر . الّا انهُ نُكِب بعد قتل

(١) وهو غير مار ابرهام رئيس دير الازل الذي كان من كشكر ايضاً وقال عنهُ الصوباوي ان لهُ تفاسير ورسائل وشرح منطق ارسطو الفيلسوف *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

كسرى. واستبيحت امواله ظلمًا * وجبرائيل السنجاري الذي انتقل الى اليعقوبية.
(اخ ٢ : ٢٢٨) *

الفصل الثاني

في اخبار بيعة النساطرة في زمان نيابة بابي ومار ابا. واضطهاد كسرى لها

كانت بيعة النساطرة بعد موت جريغور الجاثليق في حالٍ يُرثى لها. فانهُ لمّا تغيّر كسرى ابرويز على النساطرة اغتنم جبرائيل السنجاري الفرصة واشتدَّ الشدَّة عليهم وعاث مفسدًا في كنائسهم وطردهم من دير مار فثيون ودير شيرين ودير الشيخ متى * وسعى يوناداب مطران حدياب بتدارك الامر. فلم يستفد شيئًا * وجرت بين النساطرة واليعاقبة منازعات يطول شرحها * فعوَّل كسرى لمّا راى هذه الفتن على اصدار امرٍ باجتماع علماء هتين الطائفتين ليتجادلوا بحضورهِ عن صحَّة المعتقد وكان ذلك سنة ٦١٢ م * وكان حزب اليعاقبة معتمدًا على جبرائيل السنجاري * واما حزب النساطرة فكان معتمدًا على يزدين الشريف المار ذكرهُ * ولم يتسنَّ لبابي النائب الجاثليقي ان يحضر هو بنفسهِ هذه الجمعيَّة. فأنفذ رسالةً اليها ذبًّا عن مذهب بني طائفتهِ * ولم يكتفِ بذلك بل سعى بحرم حننانا وكتبهِ في المجمع الذي عُقد في كرخ جدان بسعي يزدين الشريف * ولم نقف على التحقيق على نتيجة هذه المجادلة (اخ ٢ : ٢٢٢ . مج سنهدوس المشارقة ٥٨٠ - ٥٨٥) *

وفي هذه الغضون ألمّت بكنيسة المشارقة اضطهادات شديدة. كان كسرى ابرويز قد اثار الحرب على الروم (٦١١ - ٦٢٧) لياخذ بثارهِ من

فوقا المغتصب لمُلك موريقي صديقهِ. ففتح على النصارى ابواب الظلم وضبط اموالهم. وكان من جملتهم يزدين الشريف * ولم يكتفِ بذلك بل امر بهدم البيع والمعابد والاديرة ونهب الاواني الثمينة. ومنع اختيار جاثليق جديد وسيامة اساقفة وقسوس لتدبير المؤمنين * وقُتل في هذه الغضون كثيرٌ من المسيحيين حُبًّا بدينهم. ومنهم ايشوع برنون الذي كان واليًا على آثور. وايشوعسبرن الذي قاسى هو وثلاثة عشر معترفًا عذاباتٍ قاسية في سجن إربل مدة خمس سنين وصُلبوا اخيرًا في دوردا احدى قرى بلشافر (وقد خطَّ ترجمةُ يشوعياب الحزّي) * وخرسنينا ابنة يزدين الشريف المار ذكره. وجيورجيس الراهب القسّيس الذي كان مجوسيًّا من ناحية بابل ثمَّ تنصّر واقتبل الثوب الرهباني من يد داديشوع رئيس دير الازل. وألّف كتابًا في الطريقة الرهبانية. (تر ٤١٦ - ٥٧٢) *

ولا يخفى ان اخص اسباب استشهاد مار جيورجيس هو ان هذا بناءً على منزلة عائلتهِ الشريفة كان قد طلب اليهِ الآباء ان يستاذن كسرى ليختاروا جاثليقًا لطائفتهم. اما جبرائيل السنجاري فكان يطمح بنفوذ شيرين الملكة المتحزّبة له الى ان يقيم إمامًا لليعاقبة الذين تبع مذهبهم ويمنع انتخاب جاثليق للنساطرة. ولم يكتفِ بذلك بل عمل الحيلة على طرد النساطرة من دير مار جيورجيس الرومي الذي تكلّل في عهد ديوقلطيانوس سنة ٣٠٢ م * فقاومهُ شوحالماران مطران باجرمي وهذا جيورجيس الكاهن. وكتبا مقالاتٍ كثيرة ضد المبدعين * فحرد جبرائيل عليهما وسعى بهما لدى الملك قائلًا ان شوحالماران يُبغض الشوكة الملكية وجيورجيس كان مجوسيًّا ثم تنصّر * فطرد ابرويز

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

شوحا المطران من كرسيهِ . واجبر جيورجيس ان يعود الى المجوسية * فلم يلتفت جيورجيس الى الوعد والوعيد . فصُلب ورُمي بالسهام الى ان مات سنة ٦١٥ م . وذاع صيتهُ في هذه البلاد وبُنيت الكنائس على اسمهِ * وقال مار بابي الكبير الذي خلّف لنا ترجمة هذا الشهيد ما نصّهُ : شاع خبر تكليلهِ في كل الجهات وعُمل له تذكارٌ ونودي باسمهِ في كل الاماكن اي في بلاد الاراميّين والهوزيّين والباقطريين والهنود والعرب وباجرمي وفي كل النواحي المجاورة لها * انتهى . وللأمرِ اتفاقي وقع عيده وعيد مار جيورجيس الرومي في يومٍ واحدٍ لدى النساطرة . ولكن الحق تغلّب بعد ذلك لهذا الشهيد القديم *

وكانت نار الاضطهادات تثور احياناً احياناً في هذه الاثناء ايضاً في بعض بلاد الفرس . فاننا نعلم انهُ في ٢٢ كانون الثاني سنة ٦٢٨ م كان استشهاد مار انسطاس القدّيس . وكان هذا الشهيد من بلاد فارس واسمهُ مجدونات . وكان ابوهُ قد هذّبهُ في آداب المجوس وعلومهم . فلما بلغ اشدّهُ دخل في سلك الجندية . ثم لما غار كسرى الملك بجيوشهِ على مملكة الروم (٦١٤) وفتح مدينة اورشليم واخذ عود الصليب الاقدس واتى بهِ بسعي يزدين الشريف المار ذكرهُ الى بلاد الفرس اخذ نصارى المشرق يكرمون عود الصليب ويجلّونهُ غاية التبجيل . فاستفسر مجدونات عن سبب ذلك . فاخبرهُ النصارى بجميع حقائق الايمان . فنوّر الله عقلهُ وترك الجندية فقصد اورشليم وتعمّد ثمّ وسمّي انسطاس . ثمّ دخل دير مار انسطاس الذي كان قريباً من مدينة اورشليم وعاش هناك سبع سنين وهو يمارس افعال التقشّف . فبلغ اوج الكمال . وكان دابهُ قراءة سيرة الشهداء والآباء القدّيسين : فلذلك لم

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

يرد الاّ الموت لاجل يسوع المسيح . فترك الدير وآب الى بلاد فارس بغية ان ينال اكليل الاستشهاد . فشرع ينذر بالانجيل . فقُبض عليهِ وأُرسل الى الملك مصحوباً باثنين آخرين من النصارى فأُلقوا في السجن . ثمّ ان الحاكم أحضرهُ بامر الملك وعذّبهُ وضربهُ بالسياط ثم عاد وألقاهُ في السجن . واذ كان القدّيس لا يتزعزع عن ايمانهِ امر الملك بشنقهِ وشنق جميع الذين كانوا محبوسين معهُ من النصارى وكان عددهم يربي على اثنين وسبعين . فسيقوا قاطبةً الى ساحة القتل واخذ الكفّار يشنقونهم واحداً فواحداً . لكنّهُ من بعد موتهِ قُطع راسهُ . ونُقل الى رومة ووُضع في كنيسة من كنائس العذراء وهي الآن معروفة بكنيسة مار منصور ومار انسطاس . وقد وقفنا على ترجمة حياتهِ الصحيحة من دير الآباء الكرمليين الذي عاش فيهِ شهيدنا بقرب اورشليم ثم صار منسوباً اليهم *

الفصل الثالث

في اختيار يشوعياب الجدالي واخبار رئاستهِ

لم يتهيأ للنساطرة اختيار جاثليق جديد بعد موت جريغور الى ان مات ابرويز شرّ ميتةٍ على يد شمطا ونهورمزد اخذاً بثار يزدين الشريف ابيهما وملك ابنهُ شيرويه . فاذن للنصارى في نصب يشوعياب الجدالي . وابطل الامر بالاضطهاد * وكان يشوعياب من قرية تدعى جدال من ناحية باعربايا . وكان في جملة الطلبة الذين هجروا مع جريغور المطران مدرسة نصيبين في وقت مخالفة حنانا الملفان له * وصار ملفاناً ببلد واسيم اسقفاً على هذه المدينة * وطعن بهِ مرزبانُ بلد . فنفاهُ كسرى من كرسيهِ . ولبث

منفياً الى ان ملك شيرويه ٦٢٨ م * وكان شيرويه يحب النصارى ولاسيما بشوعياب . فسعى بنصبهِ جاثليقاً سنة ٦٢٨ عينها * وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة *

ومات شيرويه. وخلفهُ اردشير ثم فاروخان ثم بوران اخت او ارملة شيرويه . وهي انفذت يشوعياب الجاثليق سفيرًا الى هرقل ملك الروم . اما اسباب ذلك فهي انهُ كانت مملكة الفرس قد اضطربت بسبب الحروب والمنازعات الداخلية . فخافت الملكة من قصد ملك الروم لها . فارادت ابرام عهد الصلح وتوثيق عرى الاتفاق والمحابة بين الدولتين . فاجاب اليهِ ملك الروم . وكان من جملة هذه الشروط ارجاع عود الصليب الذي كان الفرس قد سلبوهُ من اورشليم في عهد ابرويز * ورافق يشوعياب في هذه السفارة يشوعياب الحزّي . وكان بعدُ اسقف نينوى . وسهدونا اسقف ماحوزا من اعمال باجرمي * ووجد يشوعياب هرقل ملك الروم مقيمًا في حلب . فادّى الرسالة اليهِ * واكرم هرقل مثواهُ وقضى حاجتهُ وخلع عليهِ وسُرَّ بصدق امانتهِ . واقتبلهُ في شركتهِ . (ما . ص . اخ ٢ : ٢٦٤ . عب ٢ : ١١٢) *

وجرى لسهدونا في غضون هذه السفارة انهُ دار الخطاب بينهُ وبين الروم عن حقائق الايمان . فاقنعوهُ على هجر مذهبهِ النسطوري * واقتفى آثارهُ كثير من الباجرميين * ولم يكن يتلقّى يشوعياب الحزّي هذا نجاح الحق بعين الرضى واثار عليهِ اضطهادًا وعُدوانًا جسيمًا بسبب ذلك (لابورد ٢٤١- ٢٤٥) *

اما يشوعياب الجدالي فبعد عودهِ الى كرسيهِ انكر عليهِ بنو طائفتهِ الشركة مع

الكاثوليكيين واهملوا الكرازة باسمِهِ لانهُ اهمل ذكر الانوار الثلثة السريانيين ديودوروس وثيادوريط ونسطوريس عندما قدّس على مذبحهم في غضون سفارتهِ . وجرى بينهُ وبين برصوما اسقف السوس مخاصمات ومكاتبات يطول شرحها . الّا انَّ يشوعياب تلافى الامر وازال النفور من قلوب رعيّتهِ (اخ ٢ : ٢٧٣ - ٢٩٦)*

ومن الحوادث الخطيرة التي جرت في عهد يشوعياب الجدالي ظهور محمد صاحب شريعة الاسلام . وكان ذلك في ١٦ تموز من سنة ٦٢٢ م وهو ابتداء تاريخ الهجرة الجاري الى الآن عند المسلمين * ولمّا راى يشوعياب الجدالي نجاح صاحب الإسلام انفذ اليهِ هدايا سنية وسألهُ الإحسان والوُصاة في رعيتهِ . وقابل محمد سؤال يشوعياب بالتفاتٍ . وبرّهُ بهدايا كان فيها عدّة من الإبل وثياب عدنية * ونرى في الآثار وكتب التواريخ القديمة نسخ عهود من صاحب الإسلام وخلفائهِ توصيةً للنصارى * من ذلك نسخةٌ بدؤها : عهد وسجل من محمد بن عبد الله عليهِ السلم لاهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في اقطار العالم * وسجل آخر يبتدىء بعد عنوانهِ . للسيد بن الحارث بن كعب واهل ملتهِ ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الارض وغربها * وآخر يبتدىء : هذا كتاب من عبد الله عُمر بن الخطاب امير المؤمنين لاهل المدائن * ويقرّ بهذا الضمان علماء المسلمين وابنهم جميعاً . ومنهم ابو يوسف صاحب الإمام ابي حنيفة (اخ ٢ : ٢٢١ و٢٢٢ ٠و٢٤٦ با ٩)*

ودبّر يشوعياب الجدالي كرسيهُ تسع عشرة سنة . وكان قد قصد نصيبين ليصلح بين اهلها واسحق مطرانهم * فلما وصل كرخ جدان اعتلّ بها

AF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وماتَ ودُفن فيها سنة ٦٤٧ م • وتولّى دفنهُ آل يزدين الشريف • ورأى ملوك الفرس الاخيرين وتملُّك المسلمين وانقراض دولة الفرس الساسانيّة بهلاك يزدجرد الثالث ملكهم سنة ٦٢٢ م * ومن تآليفهِ تفسير في المزامير ورسائل وقصص وصلوات في معانٍ وموضوعات شتّى (س ٢ : ١ وجه ١٠٥) *

الفصل الرابع

في اخصّ الرهبان ومؤسّسي الاديرة الذين ازهروا في نحو القرن السابع

اخصّ الرهبان الذين اشتهروا في بدء القرن السابع هم يونان ويوحنا القنفلي ويشوعياب ويعقوب المعروف بالحزايا وجبرونا وحبيب وشمعون وجيورجيس وسهرونا ويهنا المخربط وغيرهم *

ولنشرع في ملخص ترجمة يونان ونقول ان بهذا الاسم راهبان: فالاول كان خادمًا لساحرٍ في فروخ اباد احدى قرى حزّة او هي إربل. وتنصّر واقتبل اسكيم الرهبنة من يد داديشوع رئيس هذا الدير • ثم لحق ببابانى الذي كان مقيماً في حزّة • وشاد ديرًا بالقرب منها بجانب اشغر (اخ : ١٤٦) * والثاني كان من قرية بناحية باعربايا • وتتلمذ للرهبان المقيمين بجبل سنجار • وبنى ديرًا في هذا الموضع سُمّي دير برطورا • ثمه ١٦٢ *

ويوحنا القنفلي تتلمذ اولاً لمار بابي رئيس دير الإزل • ثم قصد اورشليم وحمص • فاسامهُ اسقف هذه المدينة قسيسًا * وبعد زمان عاد الى قنفل احدى قرى ارزون الواقعة على شاطىء نهر سربط • فانضوى اليهِ الرهبان وبنى لهم ديرًا *

وكان يعقوب المعروف بالحزايا من باجرمي وتفقّه في مدارس خربت جَلَل • ثم اقتبل الاسكيم الرهباني في دير باعابا الذي بناهُ مار يعقوب * واراد حنانيشوع الجاثليق ان ينصبهُ مطرانًا على نصيبين فأبى واختفى في مغارة بقرب بانوهدرا • وبالكدّ استطاع مار اسحق اسقف هذه الناحية ان يقنعهُ ليتولّى رئاسة دير مار ايشوعياب الواقع في بانوهدرا • وبنى فيهِ كنيسة فاخرة • وكان تحت ادارتهِ نحو ثلثمائة راهب *

وكان الربان ايشوعياب من قرية ثمانون • وقرأ العلوم ونبغ فيها • ثم اتى دير الإزل وتتلمذ لمار بابي رئيسهِ ثم قصد جبال بانوهدرا • وبنى ديرًا ثمه وعُرِف باسمهِ • فانضوى اليهِ الرهبان من كل صقع • ومن جملة الرهبان الذين تولّوا ادارة هذا الدير الانبا شليمون الحزّي (اخ ٢ وجه ٢١٨) *

وكان جبرونا من خردفنى احدى قرى باعربايا • واقتبل الاسكيم الرهباني في دير برطورا الذي بناهُ يونان • ثم قصد جبل فردزون الواقع في تخوم بازبدى ولزم الوحدة فيهِ * وكان لشمونا رئيس قلعة فردزون ابنة قد اعتراها الشيطان فطردهُ منها • فاجتمع اليهِ الرهبان وبنى لهم ديرًا وهيكلاً كبيرًا على نفقات شمونا المذكور عُرف باسمهِ • ثمه ٢١٩ *

ومن ترجمة حبيب ان هذا تفقّه في العلوم في مدارس قطسفون المدينة الملكيّة • ثم اتى جبل زينى صحبة ثلاثين رجلاً اتقياء من نينوى • وبنوا بيعة جميلة على جبل زمار * وبعد زمان أُوحي الى حبيب ان ينتقل الى دير كفرتوت وانضوى اليهِ الرهبان وترأس عليهم • وخلفهُ في الرئاسة مار بسيّما الفردويّ الذي وسّع دير كفرتوت وهيكلهُ وجمّلها بالزينات والنقوش الفاخرة *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وممّن ازهر من الرهبان الربان شمعون وكان من اهل كشكر . وقصد برعانا الراهب وتتلمذ له . ثم اختُطِف الى مغارة على جبل السن وبنى هناك ديرًا فاجتمع اليهِ الرهبان ورسم لهم القوانين . ثم ١٣٦ *

ومنهم الربان جيورجيس . وكان رفيق برعدنا الراهب . ثم قصد جبل حزة . واجتمع اليهِ جماعةٌ فبنى لهم ديرًا . ثم راى ان يبني ديرًا آخر بارض المرج . فاتمّ بغيتهُ وانضوى اليهِ الرهبان . واظهر الآيات . ثم ١٤٠ *

ومنهم ايضاً سهرونا . وكان من وجوه نصيبين . وقصد مار ابراهام واقتبل منهُ الرهبنة ثم قصد ارض باقردا وبنى ثمه ديرًا . فاجتمع اليهِ الرهبان . ثم ١٤٧ *

ومن اشهر الرهبان يهنا النخريط وتتلمذ لدانيال تلميذ مار ابراهام الكشكري . ثم فارقهُ الى الزاب الاكبر واقام في مغارةٍ واتّصل خبرهُ بيزدبن الشريف احد عُمال كسرى وسأَلهُ في امر ابنٍ لهُ مات . فاحياهُ * ولهُ رسالة في الخالق والخليقة شرحها افني ماران رئيس دير الزعفران . ثم ١٤٧ *

واشهر الرهبان الذين ازهروا بعد بدء القرن السابع هم شابور وسبريشوع موشّس دير بيت قوقا . وميخائيل . ونسطور . وزينا . وشمعون موشّس دير بابغاش . وثيودور *

وكان شابور من اهل الاهواز من قريةٍ تُعرف بالدولاب وتفقّه في دير محراب منذ نعومة اظفارهِ في العلوم وقصد كشكر واقتبل الاسكيم الرهباني من يد الربان حايا . وهدى كثيرًا من المجوس الى الايمان . واقام في مغارةٍ قريبة من مدينة تستر . وشاد ديرًا كبيرًا في محلٍّ كان يوماً هيكلاً للاوثان .

وكان من جملة تلاميذهِ خوداهوي وملكيشوع الآتي ذكرهما (اخ ٢ : ١٤٩)*

ومن ملخص ترجمة سبريشوع انهُ كان مسقط راسهِ في اوانا احدى قرى الطيرهان * وبعد ان تهذّب في العلوم اتى حزّة واقتبل الثوب الرهباني من يد يشوعسبرن الشهيد حينما كان في حبس اربل . وانفرد في مغارةٍ قريبة من الزاب الكبير * ولمّا شاع صيت فضائلهِ اجتمع اليهِ الرهبان . فأَقامهُ . رئيساً عليهم يشوعياب الحزي مطران اربل والموصل الذي صار بعد ذلك جاثليقاً . فشاد لهم ديرًا في بيت قوقا القرية القريبة من حزة * وخلفهُ في رئاسة الدير حنانيشوع . ويوحنا الحزيّان . وشوحالماران المعلثائي . ويوسف وناثانائيل المرجّيان (اخ ٢ : ٢٠١)*

وتتلمذ ميخائيل لسبريشوع مؤسّس دير بيت قوقا . ثم دعتهُ النعمة الالهية الى تشييد دير جديد في ترعبل احدى قرى مدينة كفرعوزل القريبة الى دير معلمهِ سبريشوع مسافة خمس مراحل *

وكان نسطور من داسن واقتبل الثوب الرهباني من يدي راهبٍ كان قاطناً جبل حليتا . واخذ عنهُ اصول الطريقة الرهبانية * وبعد وفاة معلمهِ قصد الحزة او هي اربل وبنى ثمه ديرًا . فانضوى اليهِ الرهبان من كل صقعٍ وتولى ادارتهم *

واقتبل زينا الثوب الرهباني من يد اسطفانوس رئيس دير حزة * وبعد موت معلمهِ سعى ببناء دير وهيكل كبير بقرب الزاب الاصغر وجمّلهما بالاثاث والزينات الفاخرة * ولم يكن يفتر من افتقاد صديقهِ بابي النصيبيني وعبديشوع رفيقهِ . ثم ٢٠٨ *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

واقتبل شمعون الثوب الرهباني في دير مار يونان الذي في اشغر. وبعد ان تعلّم اصول الطريقة الرهبانية قصد جبل بابغاش واقام في مغارة يعبد الله * ولمّا شاع صيتهُ انضوى اليهِ الرهبان وشاد لهم ديرًا وبيعةً فاخرة *

وكان ثيودور من كشكر وتتلمذ لمار بابي النصيبيني ثم عاد الى وطنهِ . وبنى ثمه ديرًا * وكان من جملة تلاميذه مكيخا الذي شاد دير بانيشار. ثمه ٢١٨ *

وازهر من الرهبان قبل اواسط القرن السابع باباي الكاتب. وعبدا الكبير . وعبدا الصغير. وبرسهدى . وخوداوي . وشوحالماران . وسركيس دودا . ودادیشوع *

وكان باباي الكاتب من ناحية باقردى وصار كاتبًا لمرزبان الحيرة . واتّفق انهُ اذ خرج يومًا للقنص مع المرزبان دخل مغارة احد الرهبان . فاقنعهُ هذا بالزهد في العالم والبسهُ الثوب الرهباني * وكتب في الطريقة الرهبانية . وانضوى اليهِ الرهبان . ودُفن في مغارتهِ . ثمه ٢٥٢ *

ومن اخبار عبدا الكبير وعبدا الصغير انّ عبدا الكبير كان من عقولا القريبة من الحيرة . وتتلمذ لباباي الكاتب * ولمّا ذاع صيت فضائلهِ اجتمع اليهِ الرهبان . وكان من جملة تلاميذه عبدا الصغير الحيري الذي اشتهر بالفضائل وهدى كثيرًا من المجوس الى الحق * ووازر معلّمه في ادارة الرهبان وسعى ببناء دير معرّا . ثمه ٢٥٨ و ٢٠٤ *

ووُلد برسهدى في ديرين احدى مدن جزيرة بحر القطريّين . وفي احد اسفاره وقع في يد اللصوص وكادوا يقتلونهُ . فنذر ان يترهب ان نجا من الموت . فآتاهُ الله بُغيتهُ . وتتلمذ لمار شابور رئيس دير شوشترا . ثم

انقطع الى قرية بروقا . وبنى ثمه ديرًا بقرب دير الحميريين *

وكان خوداوي من بلاد الاراميّين . وبعد ان تثقّف في العلوم قصد مار شابور المار ذكره واقتبل منهُ الثوب الرهباني * وبعد زمانٍ انقطع الى برية الحيرة . واجتمع اليهِ العُبّاد فبنى لهم ديرًا في باحالا . وخلفهُ مار باباي في رئاسة الدير . ثمه ٢٠٨ *

ونرى لدى يشوعدنح راهبين باسم شوحالماران تتلمذا لخوداوي وصارا من مؤسّسي الاديرة وكانا من بلاد الاراميّين او بابل . واقاما في خلوةٍ ملازمَين العبادة . ولما شاع صيت فضائلهما اجتمع اليهما الرهبان . فبنى لهم الاوّل ديرًا في جبل مسبذان والآخر في شبرود من ناحية باجرمي *

وكان سركيس دودا من كشكر احدى مدن بابل . واقتبل الثوب الرهباني من يد الربان خوداوي * وبعد ان اقام زمانًا في مغارتهِ ملازمًا النسك اتى كشكر وطنهُ وبنى ديرًا فيها واجتمع اليه الرهبان *

وكان دادیشوع من حوزا باداروں القريبة من بغداد . فقصد دير باحالا ولبس الثوب الرهباني ثمه واقام في مغارةٍ ملازمًا العبادة * ثم بنى ديرًا بقرب الحيرة . فانضوى اليهِ الرهبان من كل صقعٍ . واصلح ايضًا ووسّع دير قني بمؤازرة ابراهام الارامي رفيقهِ في دير باحالا *

ومن مؤسّسي الاديرة الذين اشتهروا في اواسط القرن السابع داوسا. ويشوعزخا . وداود برنوطارا . ومار هرمزد . وقاميشوع . و بوزاداق . وافني ماران *

وكان داوسا من ناحية كشكر . وقصد دير الربان خوداوي . واقتبل الثوب الرهباني * ثم خرج صحبة رفيق لهُ يُدعى يوحنا الى قرية اشكفيل

الواقعة بقرب دور قُنى . وشاد ثمه ديرًا *

وكان يشوعزخا من السنّ احدى مدن بارامان التي يدعوها الفرس فردلياباد * ومنذ نعومة اظفاره تفقه في درس الكتب القدسية * ودعاهُ الله الى الطريقة الرهبانية . فبنى ثلاثة ادبرة واقام لها المدارس والمعلّمين * الاوّل في باعربايا . والثاني في جبل حفتون وبابغاش . والثالث في حزّة . وكان محلّهُ مغارةً للصوص وشادهُ بالحجارة والكلس . وصار يُدعى دير جص يشوعزخا * ومن مآثر يشوعزخا انهُ شفى هو ومار سبريشوع الجاثليق نعمان ملك الحيرة *

ومن ترجمة داود برنوطارا انهُ كان من مرو وترهّب في دير خوداوي * وبعد ان تثقّف في الفضائل والطريقة الرهبانية عاد الى وطنهِ . وشاد ديرًا فاخرًا وترأس عليهِ *

وكان مار هرمزد اصلهُ فارسيًّا . ومنذ نعومة اظفارهِ تهذّب في العلوم والفضائل . ثمّ قصد دير برعيتا ومارس الطريقة الرهبانية في احدى المغائر القريبة . واقام ايضًا زمانًا صحبة الربان بوزاداق في دير ريشا الواقع في بانوهدرا . واخيرًا قصد جبل باعدرى وبنى ثمّه بقرب قرية القوش ديرًا فانضوى اليهِ الرهبان . ثمه ٢١٦ *

وكان قاميشوع اصلهُ من المرج احدى قرى قوق . واقتبل الثوب الرهباني من يد مار يعقوب رئيس دير باعابا . وخلف معلّمه في رئاسة الدير * ثم استقال من منصبهِ وانقطع للعبادة في جبل حفتون على مسافة عشرة اميال من باعابا . وشاد فيهِ ديرًا . فانضوى اليهِ العُبّاد *

واما بوزاداق فكان مسقط راسهِ في نينوى في قرية تُدعى بيت

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

شمّينا . وبعد ان قرأ العلوم اقتبل الثوب الرهباني في دير برعيتا الواقع في ناحية المرج * وكان اليفًا لمار هرمزد الفارسي والانبا شمعون رئيس دير السنّ * واقام زمانًا في دير ريشا ثمّ أُوحي لهُ ان يرحل الى قردو وبنى ثمّه ديرًا فاخرًا * وخلفهُ في رئاسة الدير يشوعسبرن النوهدري * وكان من اشهر رهبان بوزاداق جيورجيس احد اقارب يشوعسبرن الشهيد . وشمعون المرجي *

ومن ترجمة افني ماران انهُ كان من كرخ سلوخ . وبعد ان تثقّف في العلوم استشار الانبا شمعون رئيس دير السنّ في شان دعوتهِ . فاوعز اليهِ ان يقصد دير باعابا . فاقتبل الثوب الرهباني من يد رئيسهِ قاميشوع . واقام ايضًا زمانًا في دير الزرنوق * ثمّ رحل الى عمر يوحنا الحلحلي وشاد بقربهِ ديرًا فاخرًا . الّا ان حسد بعض الرهبان حملهُ ان يهجر هذا الدير وينقطع الى مغارة قريبة من نوهدرا . فاجتمع اليهِ الرهبان . وبنى لهم ديرًا ثمه عُرِف بدير الزعفران * واشتهر بين تلاميذه فثيون الذي كان من بسوم احدى باجرمي . والانبا ديراثا الباجرمي . والانبا يشوع الذي كان اصلهُ من اوانا احدى قرى الطيرهان . ومن اراد مزيد الشرح في شان هؤلاء الرهبان فليطالع يشوعدنح والسمعاني (٢ : ٢ وجه ٨٧٤ - ٨٨١) *

الفصل الخامس

في اخبار امامة مار امّي الجاثليق

كان مار امّي من ارزن وتلقّن العلوم في مدرسة نصيبين الشهيرة وترهب في دير الازل . ثم اختير اسقفًا لنينوى . ثم قلد يشوعياب الارزني

مطرانية جنديسابور . واختير اخيرًا جاثليقاً سنة ٦٤٧ م * وقد وصف المؤرّخون ملخص مناقب مار امي وسياسته مع المسلمين . قالوا : كان مار امي فاضلاً تقيًا معتنيًا بالفقراء واقامة المدارس * وهو اوّل من امر القسوس ان يشدّوا الزنّار في اواسطهم ليتميّزوا بذلك عن غيرهم * وكان قد استفحل قوّاد الإسلام في بلاد المشرق . فحمل مار امي اليهم المبرة وقت نزولهم على الحصن العبري الذي سُمّي بعدئذٍ الموصل وعاون صاحب جيشهم على فتحهِ * فكتب له علي ابن ابي طالب كتابًا بالوُصاة على رعيتهِ مكافاةً له . وهذه هي الوِصاية الرابعة التي أُعطيت النصارى في بدء الإسلام * وقيل ايضاً ان المُسلمين عُنُوا بمار امي على عقد الجثالقة له *

وتدبّر مار امي مع سهدونا اسقف ماحوزا الذي كان قد رفض النسطرة في غضون سفارة يشوعياب الارزني الى ملك الروم بطريقة سلمية . فانهُ عقد مجمعاً للنظر في امر سهدونا . وكان قد حرمهُ يشوعياب الحزّي مطرانهُ . ولبث زماناً معزولاً من ابرشيتهِ * فاعادهُ مار امي الى كرسيهِ بشرط ان يقرّ بالمذهب النسطوري لكنهُ ابى الاّ الثبات في معتقدهِ الكاثوليكي *

وكان قد خرج مار امي الى كرخ جدان . فاعتلّ من بُعد الطريق وما لحقهُ من الشقاء فيهِ والحرّ . فتوفي في كرخ جدان بعد ان جلس ثلث سنين فقط (اخ ٢ : ٢٥٦ . و ما . ص . عب ١٢٧ س ٢ : ٤٢٠ . با ٩ لك ٢ : ١١٢٢) *

الفصل السادس

في المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا الزمان

اشتهر من المؤلفين في نحو زمان نيابة مار بابي رئيس دير الازل مار باب الناسك وله رسائل في الخالق وعجائب مبروانو * وجيورجيس الشهيد المار الذكر وقد كتب كتاباً في الرهبنة وآخر ضد الهراطقة * وشوحالماران مطران كركوك وكان له كتاب يدعى الاجزاء (ܡܢܘ̈ܬܐ) ورسائل مفيدة واقوال ادبية * وايشعيا التحلي وكان من تلاميذ حنانا الشهير وكان مثلهُ مستقيم الايمان فحرم تآليفهُ يشوعياب الحزّي * وسرجيس الراهب وكتب كتاباً في فضائل ومناقب بعض الانقياء الذين كانوا في زمانهِ في باجرمي وسماهُ (ܡܟܬܫܢܘܬ ܝܩܝܪ̈ܐ) اي صارع الاعزّاء . وهو ايضاً سُمّي باسم كتابهِ *

وازهر من المؤلفين على عهد يشوعياب الجدالي ابراهام المحوزي . وله كُتُب في التعزيات وفي علل الاعياد . وفي التراجيم وهي خطب في شرح الانجيل * وبابي الكاتب وقد مرّ ذكره وله كتاب لقبهُ تفصيل الاوامر * وقرياقوس مطران نصيبين . وله شرح في قانون الايمان والاسرار وفي علة الميلاد والدنح ورسائل بولس الرسول (س ٢ : ١ ف ١٧٢ و ١٨٨ و ١١١) *

وممن نبغ في عهد مار امي عنانيشوع الراهب في دير باعابا . وعاون يشوعياب الحزّي الفطريرك في ترتيب دائرة الصلوات الفرضية كما سنرى . ومن تآليفهِ اعمال الرهبان او كتاب الفردوس . ومسائل واجوبة منتقطة في العلوم الالهية * ومن هؤلاء المؤلفين برحذبشبا الباعربي . وباعربا كانت قرية قريبة

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

من نصيبين . ولهُ كتاب الكنوز في ثلثة مجلدات . وجدالات ضد كل الشيع ودحضها . وتاريخ بيعي . وشرح في انجيل مرقس والمزامير * ومنهم ايضاً برسهدى او هو سهدونا اسقف محوزا اربون المار الكلام عنهُ . والّف كتابين في الطريقة الرهبانية . وتعزيات . ومباحث دينية مختلفة . وترجمة مار يعقوب رئيس دير باعابا معلمهِ . وخطاباً مأتمياً فيهِ ايضاً * وكان لكلام سهدونا قوة وسداد عظيم . الاّ ان النساطرة يُبغضونهُ لانهُ هجر مذهبهم . ثمه ١٤٤ و ١٦٩ و ٢٢٩ *

الباب السابع

في احوال السريان المشارقة او هم النساطرة من زمان يشوعياب الحزّي الى عهد صليبا زخا (٦٥٠ - ٧١٤)

الفصل الاول

في اخبار ايّام رئاسة يشوعياب الحزّي

قد وصف المؤرّخون ترجمة يشوعياب وكيف ارتقى الى كرسي المدائن . وهاك ملخص ذلك . ان يشوعياب هو ابن بستوماج الحزّي . ودرس في نصيبين . وخرج منها مع جريغور مطرانها . وترهّب في دير باعابا . ثم اختير اسقفاً لنينوى . ورافق يشوعياب الجدالي في سفارتهِ الى بلاد الروم . ورقي الى مطرانية حزّة او هي إربل ولذلك يُعرف بالحزّي . واضطهد سهدونا اسقف محوزا الذي هجر مذهب النساطرة * ولما حضر آباء الطائفة للانتخاب بعد موت امّي فوّضوا الامر اليهِ بان يختار هو من يشاء . فقال لهم المستشارُ

مؤتمن ولا ارى في الجماعة احقّ مني بهذا الامر . فدانوا اليهِ واسيم على العادة والترتيب سنة ٦٥٠ م * وهو الثالث بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المشارقة * وجرى ليشوعياب الحزّي مع اليعاقبة اذ كان بعدُ مطران إربل والموصل نزاع طويل . فان اليعاقبة كانوا استفحلوا في هذه الغضون وانتشروا في بلاد المشارقة كما رأينا . فقاومهم يشوعياب وسعى بمنعهم من بناء كنيسةٍ لهم في الموصل *

ومن مناقب يشوعياب الجاثليق انهُ كان غيورًا على نجاح طائفتهِ ولم يكن بين احبارها افضل منهُ فهمًا وعلمًا وحذاقةً في السياسة * وكفانا حجّةً تآليفهُ ورسائلهُ المرصّعة بفنون الحكمة والبلاغة والمعاني السامية * وكان حادّ الطبع مِقداماً في الامور لا تصدّهُ عن اجراء مقاصدهِ الصعوبات . ولذلك قضى معظم ايّام رياستهِ في النزاعات . من ذلك نزاعهُ مع رهبان دير باعابا حيث كان قد ترهّب . وكان سبب نزاعهِ انهُ قصد ان يُقيم في هذا الدير مكتباً للطلبة العالميْن . فقاومهُ الرهبان محتجّين انّ قوانينهم تمنعهم عن العيشة في الضوضاء الذي تجلبهُ عليهم اعمال التدريس . فخرجوا من الدير* ولما احسّ بخروجهم رجع عن قصدهِ وارسل اعادهم ونصب هذا المكتب في محلٍّ آخر* ولكن كان اكبر نزاعهِ مع اساقفة فارس . وسبب ذلك انهُ: كان مطران فارس لم يزل منذ القرون الاولى معدوداً عضواً كبيرًا لبيعة المشارقة وخاضعاً لجاثليق المدائن . وكان عظيم الشان وسيع السلطان* فنزع الى العصيان على كرسي المدائن هو واساقفتهُ المعاونون لهُ * فسعى يشوعياب الجاثليق . باعادتهم الى الطاعة . ولمّا اصرّوا على باطلهم عقد مجمعاً سنة ٦٥٤م ضد القطاريّين . وكانوا من ألدّ مقاوميهِ . وحرمهم (ما . ص . عب ٢ : ١٢٩)

الفصل الثاني

في مآثر يشوعياب واخباره الاخيرة

ان اعظم المآثر التي تركها لنا يشوعياب الحزّي هي اوّلاً ترتيب الصلوات القانونية التي لا تزال تتلوها كنيسة السريان المشارقة. وقد رتّبها اذ كان بعدُ مطراناً لحذياب * ولا ريب ان مبدا هذه الصلوات الفرضيّة يرتقي الى زمان رُسُل المشرق مار توما ومار ادّى ومار ماري الذين علّموا هذه الكنيسة الفضائل. وكانت المزامير اساساً لهذا الفرض ثمّ أُضيف عليها بعض التآليف التي تركها لنا آباء المشرق ولاسيّما مار شمعون برصباعي ومار افرام الملفان وغيرهما. ثمّ ان مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ م بامر مار اسحق الجاثليق ومار ماروثا كان قد رتّب ايضاً هذا الفرض في ابوابهِ الفرعيّة والتكميلية. واخيراً كمّل يشوعياب الحزّي هذه الصلوات الفرضيّة على ما نراهُ اليوم في استعمال كنيسة المشارقة * وعاونهُ في هذا العمل الاثيل عنانيشوع الراهب [1] * واجتمع آباء الطائفة المشرقية في الدير المعروف بالاعلى الذي في الموصل. وصادقوا على هذا ترتيب الصلوات الفرضيّة. واوجبوا العمل بهِ في كل كنائس المشارقة *

(١) قال توما المرجي (ك ٢ ف ١١) ان عنانيشوع ويشوعياب الفطريرك كانا اخوين من بلاد حذياب ودرسا في مدرسة نصيبين كما رابنا وترهبا اوّلاً في دير الازل المعروف بالكبير. وكان عنانيشوع ذا عقل ثاقب واجاد في معرفة كنوز الكتب الالهية. وقصد اورشليم ومصر وزار رهبان الاسقيط وتعلم تدبير الرهبان وسيرهم المدوّنة. ثم عاد الى ديره الازلي. وتحوّل صحبة اخيهِ يشوعياب الى دير باعابا. ثم اختير اخوه اسقفاً ثم مطراناً على اربل. ولما عزم هذا ان يرتب الصلوات القانونية اختار اخاه عنانيشوع لمساعدتهِ في هذا العمل الشريف لخبرتهِ في الآثار القدسية وتآليف الآباء الروحية *

ثانياً انّ يشوعياب الحزّي رتّب ايضاً طقوس توزيع الاسرار ولاسيما العماذ والتثبيت والسيامنذات وتكريس المذابح وغير ذلك من السريانيات والطقسيات * ولا يجب ان يُفهم من ذلك ان يشوعياب هو اوّل من الّف هذه الطقوس. لانّ وجود هذه الطقوس كان ضرورياً منذ بدء البيعة وقد علّمها الرسل للكنائس كما مرّ الكلام. بل امّا انهُ زاد على الطقوس القديمة او انهُ رتّبها او انهُ الّف طقوساً جديدة لا تختلف في جوهرها عن الاصلية *

وامّا الحوادث الشهيرة التي جرت في ايام يشوعياب فهي اختطاط الكوفة والبصرة وخراب المدائن على يد العرب المسلمين الذين استولوا على دولة الفرس * فرحل يشوعياب الى دير باعابا وسكن بقيّة حياتهِ فيهِ *

وكانت حال المشارقة في عهد الدولة الاسلامية سعيدة مكتنفة بالحماية والتوفير عملاً بالتوصيات التي تركها صاحب الشريعة الاسلامية وخلفاؤهُ عليهم * ونال يشوعياب عزّاً والتفاتاً من امراء العرب * وجلس يشوعياب على كرسي المدائن عشر سنين. وتوفي سنة ٦٦٠ م *

اما التآليف التي تركها لنا يشوعياب الحزّي فما عدا ترتيب الصلوات الفرضية والطقوس المار ذكرها لهُ تعزيات فصيحة وجدالات ضد بعض الهراطقة. وارشادات للرهبان ورسائل كثيرة تنيف على مائة رسالة في موادّ مختلفة كتب منها وهو اسقف. وبعضها وهو مطران او رئيس اساقفة. وبقيتها وهو جاثليق * واكثرها يدور على ارشادات ونصائح وتنبيهات للمؤمنين والاساقفة المتفرّقين في كل مكان (س ٢ : ١ وجه ١١٢ و ٢ : ٤٢٠) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الثالث

في اخبار جيورجيس الجاثليق

وُلد جيورجيس في كافرا في ناحية باقافاد من بلاد باجرمي من والدين شريفي الحَسَب والنسَب . وترهب في دير باعابا * ورقاهُ يشوعياب الحزّي بعد ان اختير جاثليقًا الى مطرانيتهِ الحزّية . وبعد موتهِ اختير جيورجيس مكانهُ واسيم على الترتيب في المدائن سنة ٦٦١ م *

ومن مناقب جيورجيس انهُ كان حليمًا متواضعًا شديد الحب لطائفتهِ ونجاحها * وجرت عليهِ مِحَنٌ يطول شرحها . وكان جيورجيس مطران نصيبين وجيورجيس الآخر مطران ميشان او البصرة يطلبان الرئاسة . واوشك وقوع ثورة عظيمة في الطائفة بسببهما * فاحتمل عصيانهما برفقٍ ودارهما بحكمةٍ . وقصد نصيبين وميشان واستمال قلبيهما الى السِلم والاتّفاق *

وتمكّن جيورجيس بحلمهِ وسياستهِ من مصالحة الباقطريين الذين كان قد حرمهم يشوعياب سالفهُ . فانّ مطران فارس كان قد دان الكرسي المدائن . فلم يقع ذلك في اعين الباقطريين موقع الرضى . وتمرّدوا على مطران فارس * فقصد جيورجيس الجاثليق جزيرة ديرينا القريبة من البصرة . وبنفوذ مار خودابوي الفاضل رئيس دير باحالا . وعوامل اللطف استمالهم الى المصالحة *

وعُني جيورجيس الجاثليق في مصالح طائفتهِ العمومية ايضًا فانهُ اوّلاً عقد مجمعًا في جزيرة ديرينا في شهر آذار سنة ٦٧٦ . وكان حاضرًا فيهِ مطران بهرين وخمسة اساقفة * وراق بعينيهِ ان يسنّ تسعة عشر قانونًا في

تقرير ١ مائة وشرائع الكنيسة التهذيبية . من ذلك انهُ امر ان يُحتفل بالقداس في ايام الصوم مساءً *

ثانيًا سعى في نصب المدارس في كل المواضع * وحثّ وجوه طائفتهِ على درس العلوم وتنجيحها والانصباب عليها * ورغبةً في ايداع كتاب مفيد في ايدي بني طائفتهِ يكون لهم قائدًا في ممارسة الفضائل ومعرفة التعاليم القدسية طلب الى عنانيشوع الراهب الذي كان يشوعياب سالفهُ قد استخدمهُ لترتيب الصلوات القانونية ان يُؤلف كتابًا في شان ذلك * قال توما المرجي ١ ك ٢ ف ١٤ و ١٥) « فاجاب عنانيشوع الى طلبهِ ورتّب سير الرهبان ومآثرهم واعمالهم واسئلتهم وانتقى منها افضلها وسماها كتاب فردوس الآباء » وهو يقسم الى اربعة اجزاء . الثالث من تاليف مار هيرونمس والباقية من تاليف بالآد اسقف هلنوبوليس وتلميذ اوغريس الشهير . وقد طبع هذا الكتاب الاب بيجان في باريس سنة ١٨٩٧ (ما . ص . عب ٢ : ١٣١ . س ٢ : ١ وجه ١٤٩ و ٢ : ٤٣١) *

واما التآليف التي تركها لنا جيورجيس فهي بعض التسابيح والتراتيل والكاروزيّات التي تُتلى في الباعوثة . ومقالات قليلة في موادّ شتى . هذا ما خلا القوانين التي سنّها في مجمعهِ س . ثمه *

وقضى جيورجيس في رئاستهِ حيوةً مفعمة من الشدائد والاتعاب والانقلابات الدوليّة التي حصلت في المشرق * وبعد ان جلس عشرين سنةً توفي سنة ٦٨١ ودُفنَ في المدائن * وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة البطاركة *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الرابع

في اخبار رئاسة يوحنا بن مرتا

كان يوحنا بن مرتا من ارباب النعم في بلاد الاهواز . وترهّب في دير شابور . واختير اسقفًا ثم مطرانًا لجنديسابور * وبعد وفاة جيورجيس نودي بهِ جاثليقًا وفطريركًا سنة ٦٨٢ م في مجمع الآباء . واسيم على الرسم والترتيب * وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة المشارقة * ولم يترك يوحنا مأثرةً تذكر في زمان رئاستهِ فانهُ أُبتلي بعد ان ارتقى الى الكرسي الفطريركي بامراضٍ كثيرة واشار عليهِ الاطباء ان يعود الى وطنهِ ليالف هواه * وتوفي في الطريق في مقاطعة ماتوثا ودُفن فيها * وجلس على كرسي المدائن سنتين . وتوفي سنة ٦٨٤ م . وفرغ الكرسي بعد سنتين واربعة اشهر (ما . ص . عب ٢ : ١٢٢ . س ٢ : ٤٢٢) *

الفصل الخامس

في اخبار رئاسة حنانيشوع الاعرج

بعد فراغ الكرسي نحو سنتين ونصفٍ اجتمع الآباء للانتخاب . وكان بينهم يشوعياب مطران البصرة . وكان ذا نفوذٍ ويسرٍ عظيمين * فاستولى على الكرسي بالجبر وبدون رضاهم * فشقّ ذلك عليهم واختاروا حنانيشوع الاعرج . واسيم سنة ٦٨٦ م على الرسم والترتيب . وهو الاول بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المشارقة . ولما استتبّ لهُ الامر راى قبل كل شيء ان يسعى في القاء

يشوعياب مطران البصرة في السجن لاستيلائهِ بالجبر على الكرسي ولم يطلقهُ الى ان ندم وارعوى وقدّم اليهِ عريضة الالتجاء *

وانما لُقّب حنانيشوع بالاعرج لانهُ أُلقي من اعلى الجبل باغراء يوحنا الابرص مطران نصيبين ندّهِ . وذلك ان هذا كان يطلب الرئاسة لنفسهِ . فلما اختير حنانيشوع غاظ عليهِ ذلك وشرع يتطلب الفرص للطعن بهِ . وتوصّل الى عزل حنانيشوع وحبسهِ ونفيهِ من المدائن الى جبل بارض الصامعات * وأُكره الآباء على سيامة يوحنا بعد سبع سنين من رئاسة حنانيشوع . وكان ذلك سنة ٦٩٢ * وكان حنانيشوع قد وُضع تحت الحفظ بين ايدي اثنين من تلاميذ يوحنا الابرص . فالقياهُ من اعلى الجبل . فسقط متهوّرًا بين تلك الصخور المُسنّنة كرؤوس الرماح فترضّض جسمهُ . ورجعا وتركاه على شرف الموت . فعُرِف لذلك بالاعرج * واما ما جرى من حنانيشوع فانهُ اجتاز بطريق الصدفة بعض الرعاة بتلك الطريق فراوهُ وفيهِ رَمقٌ . فحملوه الى خيمهم . وعالجوه . ثم انتقل الى دير يونان النبي * وانتقم الله من يوحنا الابرص عاجلًا . فان هذا طمعًا بالرئاسة قد تعهّد للامراء بمقدارٍ وافر من المال . ولما راى نفسهُ عاجزًا عن ايفائهِ عوّل على الهزيمة . فقُبض عليهِ والقي في السجن في قريةٍ من اعمال الكوفة حتى هلك فيهِ بعد سنة ونصفٍ * وفي هذه المدة التي فيها استولى على الكرسي بالإكراه . نشأت بين النساطرة نزاعاتٌ يطول شرحها . ولم تهدأ الّا بعد موت يوحنا وعود حنانيشوع الى كرسيهِ (ما . ص . عب ٢ : ١٢٢ . س ٢ : ٤٢٢ و٣ : ١ وجه ١٥٤) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الرابع

في اخبار رئاسة يوحنا بن مرتا

كان يوحنا بن مرتا من ارباب النعم في بلاد الاهواز . وترهّب في دير شابور . واختير اسقفاً ثم مطراناً لجنديسابور * وبعد وفاة جيورجيس نودي بهِ جاثليقاً وفطريركاً سنة ٦٨٢ م في مجمع الآباء . واسيم على الرسم والترتيب * وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة المشارقة * ولم يترك يوحنا مأثرةً تذكر في زمان رئاستهِ فانهُ أُبتلي بعد ان ارتقى الى الكرسي الفطريركي بامراضٍ كثيرة واشار عليهِ الاطباء ان يعود الى وطنهِ ليألف هواه* وتوفي في الطريق في مقاطعة ماتوثا ودُفن فيها * وجلس على كرسي المدائن سنتين . وتوفي سنة ٦٨٤ م . وفرغ الكرسي بعدهُ سنتين واربعة اشهر (ما . ص . عب ٢ : ١٢٢ . س ٢ : ٤٢٢) *

الفصل الخامس

في اخبار رئاسة حنانيشوع الاعرج

بعد فراغ الكرسي نحو سنتين ونصفٍ اجتمع الآباء للانتخاب . وكان بينهم يشوعياب مطران البصرة . وكان ذا نفوذٍ ويسرٍ عظيمين * فاستولى على الكرسي بالجبر وبدون رضاهم * فشقّ ذلك عليهم واختاروا حنانيشوع الاعرج . واسيم سنة ٦٨٦ م على الرسم والترتيب . وهو الاول بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المشارقة . ولما استتبّ له الامر راى قبل كل شيء ان يسعى في القاء

يشوعياب مطران البصرة في السجن لاستيلائهِ بالجبر على الكرسي ولم يطلقهُ الى ان ندم وارعوى وقدّم اليهِ عريضة الالتجاء *

وانما لُقّب حنانيشوع بالاعرج لانهُ أُلقي من اعلى الجبل باغراء يوحنا الابرص مطران نصيبين نددهِ . وذلك ان هذا كان يطلب الرئاسة لنفسهِ . فلما اختير حنانيشوع غاظ عليهِ ذلك وشرع يتطلب الفرص للطعن بهِ . وتوصّل الى عزل حنانيشوع وحبسهِ ونفيهِ من المدائن الى جبل بارض الصامعات * وأُكره الآباء على سيامتهِ يوحنا بعد سبع سنين من رئاسة حنانيشوع . وكان ذلك سنة ٦٩٢ * وكان حنانيشوع قد وُضع تحت الحفظ بين ايدي اثنين من تلاميذ يوحنا الابرص . فالقياهُ من اعلى الجبل . فسقط متهوّراً بين تلك الصخور المُسنّنة كرؤوس الرماح فترضض جسمهُ . ورجعا وتركاه على شرف الموت . فعُرف لذلك بالاعرج * واما ما جرى من حنانيشوع فانهُ اجتاز بطريق الصدفة بعض الرعاة بتلك الطريق فراوهُ وفيهِ رمقٌ . فحملوه الى خيمهم . وعالجوه . ثم انتقل الى دير يونان النبي* وانتقم الله من يوحنا الابرص عاجلاً . فان هذا طمعاً بالرئاسة قد تعهّد للامراء بمقدارٍ وافرٍ من المال . ولما راى نفسهُ عاجزاً عن ايفائهِ عوّل على الهزيمة . فقُبض عليهِ والقي في السجن في قريةٍ من اعمال الكوفة حتى هلك فيهِ بعد سنة ونصفٍ * وفي هذه المدة التي فيها استولى على الكرسي بالإكراه . نشأت بين النساطرة نزاعاتٌ يطول شرحها . ولم تهدا الّا بعد موت يوحنا وعود حنانيشوع الى كرسيهِ (ما . ص . عب ٢ : ١٢٢ . س ٢ : ٤٢٢ و٣ : ١ وجه ١٥٤) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل السادس

في اشهر مؤسّسي الاديرة الذين ازهروا في المشرق في نحو القرن السابع

ان الرهبان الذين اشتهروا بتاسيس الاديرة في اواسط القرن السابع في بلاد المشارقة ا" هم مار ابراهام . ومار سبريشوع مطران باجرمي . والربان ملكيشوع . والربان جيورجيس . والاب صليبا . ومار كبرائيل . ومار يوحنا الشيخ *

وكان مار ابراهام مسقط راسهِ في كشكر واقتبل الثوب الرهباني في دير باعابا . وبعد قليل قصد ناحية داسن صُحبة مار زخايشوع وبنى ديرًا على جبلٍ قريبٍ منها * ولمّا شاع صيتُ فضائلهِ الزمهُ مار جيورجيس الجاثليق ان يقتبل الاسقفية على داسن . فسعى بالوعظ والانذار في انماء روح الايمان وحُب الفضيلة بين بني رعيتهِ . ثم استقال من منصبهِ وقضى نحبهُ في دير باعابا *

وكان سبريشوع من بلاد الاراميين . وتثقف في العلوم في رادان . وجعلهُ مار سبريشوع الجاثليق قارئا في ديره الخصوصي في باجرمي * ثم انعكف على العبادة في مغارة معلمهِ التي كانت في جبل شعران . وانقطع بصلواتهِ الوباء الذي فشا في باجرمي * وشاد ديرًا على جبل باشعران في محل يُعرف بيونا محوزا . ولما شاع صيت فضائلهِ نصبهُ الجاثليق ماران عمه مطرانًا على باجرمي (اخ ٢ : ٢٥٨) *

وكان ملكيشوع من بلاد الهوزيين . وبعد ان تثقف في العلوم اقتبل الثوب الرهباني من يد الانبا شابور . ثم بنى ديرًا في برية عبلم على سفح جبلهِ . فانضوى اليهِ الرهبان من كل صقعٍ . ثمه ٢٦٢ *

وكان الربان جيورجيس من مدينة كشكر . وقرأ العلوم في اشهر مدارسها . ثم ترهَّب في دير نيشار تحت ادارة الانبا مكيخا * وقصد جبال فارس وبنى ديرًا في مدرسة اصطهر . واجتمع اليهِ الرهبان من كل ناحية . ثمه ١٤٠ *

ووُلد صليبا في باصيدا احدى قرى حذيّاب . وانقطع للعبادة زمانًا * ثم قصد جبل بانوهدرا . وشاد ديرًا فاخرًا في محلّ يُعرف ببيت اسيا . فاجتمع اليهِ الرهبان واقام رئيسًا عليهم الاب قرياقوس الطيرهاني * واختير هذا اسقفًا على بلد واسامهُ قبريانوس مطران نصيبين . فخلفهُ في رئاسة الدير مار انفن * ومن اشهر رهبان هذا الدير في عهد قرياقوس الاب بردبرا الناسك الفردوي *

اما ملخص ترجمة مار كبرائيل فهو انّ كبرائيل كان من كشكر احدى مدن بابل او الاراميين * وبنى خمسة اديرة . الاوّل في كشكر وطنهِ وجمع اليهِ الاخوة ثم قصد اورشليم واقتبل ثمَّ الثوب الرهباني في ديرٍ واقعٍ بجانب صيدين الذي كان قد شادهُ ايضًا احد الرجال القديسين من كشكر * وبعد ان تهذّب في الطريقة الرهبانية عاد الى كشكر واقام في دورقني وبنى فيها ديرًا بقرب قرية كرسا وعُرف بدير كرسا . واجتمع اليهِ نحو مائتي راهب . وهذا هو الدير الثاني * واما الدير الثالث الذي بناهُ مار كبرائيل فكان في حوصرابا احدى قرى باروشما الواقعة في ناحية كشكر ايضًا وعُرف بدير جبّارى * والدير الرابع بناهُ في ماحوزا اربون الواقعة في باجرمي * والخامس بناهُ بقرب الموصل وهو الدير الشهير بالدير الاعلى الذي سناتي بوصفهِ اخذًا عن ياقوت الحموي في معجم البلدان * واستاثر الله بمار كبرائيل سنة ١٠٥٠

يونانية (٦٢٩ م) في دير من باجرمي . وحُمل جسده الى ديره في محوزا . وبعد خمسين سنةً خربت محوزا وديرها . فنُقل جسد هذا المتوحّد الى دير كرسا *

واما مار يوحنا الشيخ فوُلد في روابقٍ في بانوهدرا . وبعد ان تهذّب في المعارف لبس الثوب الرهباني في دير مار يوزاداق . وكان الينا لمار اسطفانوس تلميذ مار اسحق الحزّايا والربان افني ماران . ثم قصد جبل الدالية المعروفة بالسريانية بيادلياثا . وانقطع للعبادة ثمه . وعُرف بالدالياثي نسبةً اليها * والّف كتباً كثيرة في الطريقة الرهبانية . واخيراً اتى جبل قردو بقرب قرية ارجول واجتمع اليهِ الرهبان فبنى لهم ديراً وتولى امرهم *

ومن مؤسّسي الاديرة الذين ازهروا بعد اواسط القرن السابع الربان باوثا . ومار ابراهام المعرّي . والربان سفرا . والانبا يوسف الشهرزوري . والانبا يوحنا الفارسي *

وكان الربان باوثا من باعربايا . واقتبل الثوب الرهباني من يدي مار يونان رئيس دير برطورا ولازم الوحدة زماناً . ثم أُوحي اليهِ ان يذهب الى دير نوهدرا ويصلحه ويوسّعه * فقام باعباء هذا الأمر احسن قيام وانضوى اليهِ الرهبان من كل صقع فتولى ادارتهم *

وكان مار ابراهام من معرّا . وتعلّم الطريقة الرهبانية تحت ادارة مار ابراهام مؤسّس الدير الواقع على قمّة جبل بانوهدرا . واقام ايضاً زماناً في دير ريشا * ثم ارسلهُ مار ابراهام معلمه الى جبل الازل ليصلح خرابات دير مار اوجين . ولما شاع صيت فضائلهِ اجتمع اليهِ الرهبان فتولى امرهم *

ولما كان على سرير الموت قال لتلاميذه : « ان الربان روزبيهان احد رهبان

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

دير ميخائيل سيخلفني في الرئاسة عليكم » . فصحّ قولهُ *

وكان مار روزبيهان من مدينة نصيبين . واقتبل الثوب الرهباني من يد مار يشوعياب بن اخت صليبا زخا الجاثليق ورئيس دير مار ميخائيل * ثم قصد دير مار اوجين وتولى رئاستهُ بعد موت مار ابراهام المعرّي * ثم اختير مطراناً على نصيبين فوهب دير مار اوجين الذي ترأسهُ قريةً تدعى هبزجان *

وكان الربان سفرا من بلاد ما بين النهرين وترهب في دير مار اوجين ولازم الوحدة زماناً . ثم ابتعد نحو مرحلتين من جبل الازل وبنى ديراً للرهبان الذين اجتمعوا اليهِ . وتوفي في شيخوخةٍ كاملة *

وكان الانبا يوسف من شهرزور وترهّب في دير باعابا وانعكف على الطريقة الرهبانية وتولى رئاسة هذا الدير زماناً * ثمّ استقال في غضون مجيء صليبا زخا الجاثليق الى هذا الدير فقصد شاطئ الدجلة وبنى في تخوم مدينة بلد ديراً فاخراً . فاجتمع اليهِ الرهبان *

وكان الانبا يوحنا اصلهُ فارسياً . وبعد ان تهذّب في العلوم قصد دير الربان برعيتا الواقع في المُرج . ثمّ ترك هذا الدير وقصد جبال قردو واقام في احدى مغايرها منقطعاً للعبادة وبنى ثمه ديراً وبيعةً فاخرة بقرب قرية ددَر *

واشتهر في نحو اواخر القرن السابع من مؤسّسي الاديرة الربان يوسف الداسني . ومار يوحنا الديلمي . والانبا هارون . ومار بختيشوع . ومار ابراهام . وبرحذبشبا . ومار انقن . ومار حنانيشوع . والانبا شمشا *

وكان يوسف الربان من ناحية داسن . واقتبل الثوب الرهباني من يدي احد الرهبان المدعو يعقوب واقتفى آثارهُ . وبنى ثمه بيعةً فاخرة * ولما

رحل معلمه يعقوب الى دير مار يشوعياب الواقع في بانوهدرا تبعهُ الربان يوسف وبنى ثمه ايضاً ديرًا كبيرًا وتولّى امر رهبانهِ *

وكان مسقط راس يوحنا في الحديثة احدى بلاد الجزيرة . واتّفق انهُ أُخذ اسيرًا الى بلاد الديلم وعُرف بالديلمي . فشاد في جبال فارس ديرين كبيرين . وتتلمذ لهُ كثير من الرهبان وهدى طائفةً من المجوس *

وكان الانبا هارون من اوانا احدى قرى الطيرهان . وقرأ العلوم على يعقوب الحزّابا * ثمّ قصد دير مار يشوعياب الواقع في بانوهدرا . وانقطع للعبادة حتى بلغ اوج الكمال في الفضيلة . ثم اتى مدينة بلد فحضهّ مار قرياقوس اسقفها على ان يبني ديرًا ثمه . فلبّى طلبهُ وسمّاهُ دير عود الصليب *

وكان مار بختيشوع من احدى قرى حزّة تعرف بقطرات الزاب . فقصد دير شينار الواقع في جانب الزاب الاصغر . واقتبل ثمه الثوب الرهباني وانقطع للعبادة * ولما طعن في السنّ نزل الى قرية زينا في محلّ يُدعى المرج حيث كان مار نيحا قاطنًا . فتقاطر اليهِ الرهبان وسعى بتشييد دير لهم وتولى تدبيرهم *

وكان مار ابراهام من بلاد الارامين وترهّب في دير باحالا . ثم قصد دير الجمريّين [illegible] . وانقطع للعبادة وتولى رئاسة دير بروقا [illegible] الواقع بقرب دير الحميريين * واخيرًا اتى هيت احدى مدن الارامين وشاد ثمه على شاطىء الفرات ديرًا وقلالي كثيرة فاجتمع اليهِ الرهبان *

وترهّب برحذبشبا في دير الازل . ثمّ في دير باعابا واخيرًا قصد واديًا بقرب حدود وطنهِ وبنى ثمّ ديرًا فيهِ قضى نحبهُ *

وكان مار انقن من باجرمي وبعد ان تهذّب في العلوم قصد دير مار

ابراهام الكبير المعروف بدير الازل وتدرّب في الطريقة الرهبانية . ثمّ رحل الى جبل بانوهدرا القريب من دير ابا صليبا وشاد ثمه ديرًا لرهبانهِ *

وكان مار حنانيشوع من حزّة وبعد ان ترهّب قصد الحديثة وبنى ديرًا على اسم مار يوحنا الانجيلي . ووازرهُ في هذا العمل الخطير اهل قبيلةٍ تُعرف ببيت رقنا . ودُعي هذا الدير باسمها * وتولى امر رهبانهِ الى ان استناح في شيخوختهِ وقورة *

وكان الانبا شِمشا من جنس الارامين وتتلمذ لمار عبدا وانقطع للعبادة تحت ادارتهِ زمانًا . ثمّ قصد جبال الاثوريين حتى وصل الأنبار . فبنى بقرب قرية روب ديرًا كبيرًا وتولى إدارة رهبانهِ *

ومن موسّسي الاديرة في بدء القرن الثامن (١) المومن راموي الكشكري وبنى ديرًا شهيرًا في وطنهِ . (٢) المومن بقرا وشاد ديرًا على الدجلة في حدود جبيلتا . (٣) المؤمن جائن في كشكر . (٤) ابراهام الراهب في مسبذان . (٥) مار جبرائيل في رادان . (٦) مار يوحنا في [illegible] [illegible] . (٧) مار اسطفانوس في سجستان *

ومن موسّسات الاديرة دودي وشادت ديرًا في الحيرة . وهيلانة في ناحية قردو . وادراماناج في الحيرة * (ومن رام مزيد التوسّع في شان هؤلاء الرهبان وموسّسي الاديرة فعليهِ ان يُطالع يشوعدنح مطران البصرة الذي اقتطفنا منهُ هذه الفوائد) *

الفصل السابع

في صوم العذارى والتفتيش على المصلّين واخبار حنانيشوع الاخيرة

كان سبب رسم صوم العذارى لدى المشارقة ما قالهُ ياقوت الحموي

في معجم البلدان لما ذكر دير العذارى الواقع بين ارض الموصل وبين ارض باجرمي ما نصّهُ « هو دير عظيم قديم وبهِ نساء عذارى قد ترهبن واقمن بهِ للعبادة . فسُمّي بهِ لذلك * وكان قد بلغ بعض الملوك ان فيهِ نساء ذوات جمال . فامر بحملهنّ اليهِ ليختار منهنّ على عينهِ من يريد * وبلغهن ذلك فقمن ليلتهنّ يصلّين ويستكفين شرّهُ . فطرق ذلك الملك طارق فاتلفهُ في ليلتهِ . فاصبحن صياماً . فلذلك يصوم النصارى الصوم المعروف بصوم العذارى » انتهى . وروى المشارقة ان هولاء العذارى كنّ من نساء الحيرة * وكانت تُصنع هذه الباعوثة في القرون الخالية بعد عيد الدنح مدة ثلاثة ايام . ولها طقس وصلوات في كتاب الحوذرا . ثم نُسِخت هذه العادة التقوية مع تمادي الزمان *

وكان سبب التفتيش على المصلّين في عهد حنانيشوع ان رهبان دير صليبا القريب من حقلا القرية الواقعة على دجلة أُتهموا انهم متمسّكون ببدعة المصلّين . فامر حنانيشوع الجاثليق رهبان دير باعابا ان يفحصوا المسالة . وبعد التحقيق وُجد اولئك الرهبان بريئين من كل اثم . فأُطلقوا في حال سبيلهم *

وراى حنانيشوع بعد موت ندّهِ يوحنا الابرص ان يعقد مجمعاً في دير مار يونان حيث كان قاطناً . وسنّ سنة ٦٩٤م فيهِ عشرين قانوناً في تقرير الامانة والاحكام والآداب واصلاح شؤون البيعة * وجلس حنانيشوع الاعرج اربع عشرة سنةً . وتوفي سنة ٧٠٠م بالطاعون . وفرغ الكرسي بعد اربعة عشرة سنةً * ومن تآليفهِ تراجيم اي خطب تقرا بعد الانجيل وتعزيات ومقالات كثيرة في المعتقد ولهُ ايضاً افعال الشكر الذي يُصنع بعد القداس (س ٢ : ١ وجه ١٥٤) *

الفصل الثامن

في اشهر المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا العصر

انّ المؤلّفين الذين اشتهروا في عهد يشوعياب الحزّي اشهرهم سبريشوع رستام الراهب في دير الازل . ولهُ مقالة في جمعة الذهب . وكتاب في دحض المراطقة وتدابير الرب وآداب الطريقة الرهبانية وتراجم كثيرٍ من الآباء والرهبان * وجبرائيل توراثا السيرزوري واشتهر خاصةً في دحض الرهبان اليعاقبة القاطنين دير قرطمين * وايليّا مطران مرو . ولهُ تعزيات وتفاسير في الانجيل والرسائل . واكثر اسفار العهد القديم . وكتاب في تاريخ الكنيسة * ويوحنا الجرمقي خليفة مار يعقوب في رئاسة دير باعابا . ولهُ فصول علميّة . وتهذيب للطلبة الرهبان . وترجمة مار خوداوي * ودانيال بن مريم . والّف تاريخاً بيعيّاً في اربعة مجلدات * وشمعون مطران راوردشير ولهُ قوانين في الاحكام * وربان باعوث ولهُ قصائد دينية (س ٢ : ١ وجه ٤٥٤ و٤٥٦ و١٤٨ و٢٠٤ و٢٢١) *

ومن ازهر في عهد جيورجيس الجاثليق افني ماران رئيس دير الزعفران في جوار الموصل . ولهُ تفاسير ومباحث علميّة * وكيوركيس مطران نصيبين ومن تآليفهِ ܡܘܬܒܐ تسبحة تقال في سابوع تقديس البيعة وبدوْها : ܥܘܢܝܬܐ ܠܩܕܝܫܐ ܡܥܒܪܐ ܡܠܟܐ * وسورين القشقان وكتب في حل راي المراطقة على نسق الكلام اليوناني وبيّنات الامتحانات . وهو غير سورين مختلس الكرسي الفطريركي (جنة المؤلّفين ع ١٤٥) * ويشوع افني القطري ولهُ خطب تحريضية وشرح كتاب المثات ولهُ مقالات وتراجيم ورسائل

وتعزيات وتسابيح رثائية مرتبة على نظام ابجدي . ثمه ١٨٦ و ١٨٩ و ١٨٨ *

ومن اشتهر في عهد يوحنا برمرتا يوحنا برفنقايا وله كتاب في تهذيب الاطفال وكتاب ضدّ عبدة الاوثان وكتاب آخر دُعي راس الكلمات وكتاب التاجر وكتاب سبع عيون الرب وكتاب الرباط وكتاب الاسئلة . ثمه ٤٥٨ و٢٣٢ *

ومن المؤلّفين الذين ازهروا في عهد حنانيشوع الاعرج شمعون طيبوتا. وله كتاب في التدبير او علاج النفس . وآخر في الطب . وشرحٌ في اسرار الفلاّية * ويوحنا الازرق اسقف الحيرة . وله رسائل كثيرة . وكنات في التهذيب الرهباني . وعاش الى زمان ابا الثاني الفطريرك * ويشوع دنح مطران البصرة . والّف ثلاثة مجلدات في التاريخ البيعي وشرحاً في المنطق وتعزيات وتراجيم . وخطباً منظومة . وكتاباً ادبياً في العفّة جمع فيهِ قصص القديسين ومؤسّسي الاديرة . ثمه ١٨١ و١٨٢ و٢٢٤ و١٩٥ و٢٢٨ * وسليمان بن جرف وكتب كتاباً جمع فيهِ قصص الرهبان القديسين * وكيوركيس النشري والّف كتاباً يدعى كتاب الطاعة * ويوحنان الديلميّ وله ميامر كثيرة . ثمه ٤٥٩ و٢١٧ و١٨٢ *

ويوسف الحزّايا وكان اصلهُ فارسيًّا من مدينة تُعرف بنمرود من بلاد الاهواز وكان مجوسيّاً . ولمّا استولى عساكر عمر بن الخطاب على مدينة نمرود أُخذ يوسف اسيرًا في السنة السابعة من سنّهِ . فباعهُ سيدهُ الى احد النصارى اسمهُ قرباقس . وكان هذا من ناحية قردو . فتنصّر يوسف واحب الطريقة الرهبانية واقتبل الثوب الرهباني في دير الأب صليبا . وانعكف على درس العلوم وكان ذا قريحة عجيبة . وصار رئيساً لدير مار بسّيما . ثمّ قصد جبل زينا واختير رئيساً لدير مار بختيشوع . وشرع يشتغل في تاليف الكتب

البديعة باسم اخيهِ عبديشوع . وحاز اعتبارًا جزيلاً ولذلك لُقّب بالحزّايا (ܡܒܩܝܢܐ) او الناظر لسموّ علمهِ وفضلهِ . والّف الفًا وتسعمائة تاليف . ولا يذكر منها الصوباوي سوى شيء نزر الى الغاية من ذلك : كتاب أُمناء الكنز الذي فيهِ حلّ المسائل المكنونة وتكلّم عن المصائب والبلايا . وكتاب تفسير كتاب التاجر . وكتاب التواريخ في فردوس المشارقة في مجلّدين . وكتاب تفسير رؤيا حزقيال النبي . وكتاب اسباب الاعياد المجيدة . وكتاب ايضاح اصول العلم وتفسير كتاب ديونيسيوس . وكتاب تفسير رؤيا مار جريغور . ورسائل في الطريقة الرهبانية . هذا وانّ طيماثاوس الاوّل الفطريرك حرم بدون حق تآليف يوسف الحزّايا . لانهُ قال فيها ان النفس ترى اللاهوت في السماء وقد صدق في ذلك . امّا طيماثاوس فزعم ان الانفس لا ترى اللاهوت *

واسحق اسقف نينوى وكان مسقط راسهِ في بافطرايا وترهّب في دير باعابا . قال يشوع دنح عدد ١٢٥ : « واقامهُ جيورجيس (فطريرك النساطرة) اسقفاً على نينوى في دير باعابا خليفةً لموسى وبعد ان دبّر كرسيهُ خمسة اشهر استقال من منصبهِ لاسباب لا يعلمها الاّ الله آنفًا من ضوضاء العالم وذهب سكن في مغارةٍ بعيدة في احد الجبال . ولبث كرسيهُ فارغاً زماناً الى ان خلفهُ مار سبريشوع الذي قدّم هو ايضاً استعفاءهُ وقضى حياتهُ في النسك في عهد حنانيشوع الجاثليق وتوفي في دير مار شاهين الواقع في ناحية قردو * امّا ما كان من امر مار اسحق فانهُ توغّل في جبل متّوث المحيط بناحية باحوزايا وعاش عيشة نسكية مع المتوحّد بن القاطنين ثمّ . وكان منعكفاً على درس الكتب المقدسة والتقشّف ولذلك فقد نظره وكان متضلّعاً بكفايةٍ

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

من معرفة الاسرار الالهية وألّف كتاباً في حياة الرهبان الروحية . وابرز ثلث قضايا لم يقبلها كثيرون . ونهض لمقاومتهِ دانيال بن طوبانيثا اسقف تحل في باجرمي . وقضى مار اسحق نحبهُ في شيخوختهِ كاملة ودُفِنَ في دير شابور...* ويظهر ان الحسد اثار عليهِ الرهبان كما اثارهم على يوسف حزايا ويوحنا الافامي ويوحنا الدالياثي »* ومن ثم يجب تصحيح ما قالهُ بتغفّل بل بجسارة في ترجمة هذا اسحق التي قدّمها على تآليفهِ المترجم اليعقوبي الى العربية . فأدّت الى سقوط كثيرين في الضلال بشان مذهبهِ * فان هذا الكاتب يعيّن زمان اسحق في بدء القرن السادس اما يشوعدنح المذكور فيعلمنا ان جيورجيس الفطريرك (٦٦٠-٦٨٠) اقامهُ اسقفاً في نهاية القرن السابع . ثم زعم ان اسحق ترهّب في دير مار متى مع انهُ ترهّب في دير باعابا . ومع انهُ قد انقطع بعد استعفائهِ الى جبل متوث ودير الربان شابور حيث توفي زعم انهُ انعزل الى صحراء الصعيد في مصر . وعليهِ كان اسحق نسطورياً لا يعقوبياً . والقضايا الثلاث التي يتكلّم عنها يشوعدنح كانت موافقة لتعليم حنّانا الحزّي (دو ٢٢٢ - ٢٢٥) ومن تآليف مار اسحق سبعة مجلدات في تدبير الروح والاسرار الالهية واحكام السياسة . وقد تُرجمت تصانيفهُ الى اللغة العربية والكوشية واليونانية (س ثمه ف ٧٠)

ويوحنا دي دالياثي . وكان اصلهُ من بانوهدرا . وترهّب في دير الربان بوزاداق . ثم خرج من الدير وسكن في جبل دالياثا وكان قوتهُ عنب الداليات التي كانت كثيرة في ذلك الجبل ولهذا لُقّب بدي دالياثا . والّف كتباً كثيرة في الطريقة الرهبانية . ولهُ رسائل ايضاً ومجموعها ثماني واربعون وتدور ايضاً على موادّ روحيّة . وحرم طيمثاوس الاوّل الفطريرك بدون حقّ تآليفه كما حرم

ايضاً تصانيف يوسف الحزّايا لانهُ قال فيها انّ ناسوت ربّنا يسوع المسيح يرى لاهوتهُ . وهذا يوحنا بنى ديراً بجوار قرية ارجول[1] *

وداديشوع القطري : وفسّر كتاب فردوس الغربيين وكتاب الانبا اشعيا . وكتب كتباً في الموادّ الروحية ولهُ مقالة في تقديس القلاية وميامر موثّرة في الباعوثة ورسائل كثيرة *

الفصل التاسع

في اشهر الاديرة التي شُيّدت في المشرق

ان الاديرة التي كانت في المشرق ولاسيما في بلاد الجزيرة واثور والعراق هي كثيرة لا تكاد تحصى . وانما نذكر اشهرها رغبةً في الايجاز . وقد اخذنا وصفها عن ياقوت الحمويّ الذي في كلمة دير من كتابهِ الشهير بمعجم البلدان قد اودع تفاصيل هذه الاديرة وآثارها التي رآها او سمع وقرأ عنها * فمن رام مزيد الايضاح في شان الاديرة والرهبان الذين ازهروا واسّسوا الاديرة في بلاد السريان المشارقة فعليهِ ان يطالع الكتاب المذكور ولاسيما تاليف يشوع دنح مطران البصرة المار ذكره الذي خلّف لنا كتاباً نفيساً في موسّس الاديرة . وقد نشره سنة ١٨٩٦ الاب شابو الفرنسي في اللغة السريانية مترجماً الى الفرنسية . وقد اقتبسنا منهُ آنفاً فوائد جمّة *

ولا يخفى انهُ لا يمكن تعيين مواقع كل اديرة مار اوون او اوجين

(١) لم يكن يوحنا هذا في الجيل السادس كما قال عنهُ السمعاني بل في نهاية الجيل السابع (طالع جنة المولفين العدد : ١٥٧) *

رئيس الرهبان في المشرق. على ان ماراوجين بنى اديرة كثيرة منها دير الازل بقرب نصيبين وقد مرّ الكلام عنهُ . ومنها دير بقردي او جزيرة بن عمر. قال ياقوت « وهو دير جابل عندهم فيهِ رهبان كثيرة . ويزعمون انهُ بهِ قبر نوح عليهِ السلام تحت ازج عظيم لاطئ بالارض يشهد لنفسهِ بالقدم » *

وقال في دير ابا يوسف « هو فوق الموصل ودون بلد بينهُ وبين بلد فرسخ واحد. وهو دير كبير فيهِ رهبان ذو وحة وهو على شاطئ دجلة في ممرّ القوافل » *

ووصف دير الاعلى المعروف بمار كبرائيل قائلاً « هو بالموصل في اعلاها على جبلٍ مطلٍّ على دجلة يُضرب بهِ المثل في رقة الهواء وحسن المستشرَف . ويقال انهُ ليس للنصارى دير مثلهُ لما فيهِ من اناجيلهم ومتعبّداتهم * وظهر تحتهُ في سنة احدى وثلثمائة عدّة معادن كبريتية ومرقشيثا وقلقطار. ويزعمون انها تُبرىء من الجَرَب والحكّة . وتنفع المقعدين والزمني * والى جانب هذا الدير مشهد عمرو بن الحسن الخزاعي صحابي * وقال عن دير باعربا « هو بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة . والحديثة بين تكريت والموصل . والنصارى يعظمّونهُ جدًّا . ولهُ حائط مرتفع نحو المائة ذراع في السماء . وفيهِ رهبان كثيرون وفلاحون ولهُ مزارع وفيهِ بيت ضيافة ينزلهُ المجتازون فيُضافون فيهِ * وكان دير باعوث . « على شاطئ دجلة بين الموصل وجزيرة ابن عمر وهو دير كبير كثير الرهبان * ووصف لنا دير الجاثليق قائلاً « هو دير قديم البناء رحب الفناء قرب بغداد في غربي دجلة . وهو راس الحد بين السواد وارض تكريت .... وقال الشابشتي دير الجاثليق عند باب الحديد قرب دير الثعالب في وسط العمارة بغربي بغداد . اما

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

دير الثعالب فبينهُ وبين بغداد ميلان واقلّ في كورة نهر عيسى على طريق صرصر * وكان دير الجب « شرقي الموصل بينها وبين اربل مشهورًا يقصدهُ الناس لاجل الصرع . فيبرأ منهُ بذلك كثير * وقال في دير حنظلة « هو بالقرب من شاطئ الفرات من الجانب الشرقي بين الدالية والبهيّة ... معدود في نواحي الجزيرة منسوب الى حنظلة عم اياس بن قبيصة بن ابي عفر الذي كان ملك الحيرة . ومن رهط ابي زبيد الطائي الشاعر * وحنظلة كان قد نسك في الجاهلية وتنصّر وبنى هذا الدير فعُرف بهِ الى الآن * وباسم حنظلة دير آخر هو بالحيرة منسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك » * « ودير الخوات بعبكرا واكثر اهلهِ نساء ولعلهُ دير العذارى او غيرهُ وهو في وسط البساتين نزهٌ جدًّا . وعيدهُ الاحد الاوّل من الصوم يجتمع اليهِ كلّ من قرُب من النصارى » * « ودير درتا في غربي بغداد مما يلي قطربلّ . وهو دير يحاذي باب الشماسيّة راكب على دجلة حسن العمارة كثير الرهبان ولهُ هيكل في نهاية العلو » * وقال في دير الزعفران « هو قرب جزيرة ابن عمر تحت قلعة ازدشت وهو في لحف جبل والقلعة مطلّة عليهِ وبهِ نزل المعتضد لما حاصر هذه القلعة حتى افتتحها . ولاهلهِ ثروة وفيهم كرم * ودير الزعفران ايضًا بغربيهِ على الجبل المحاذي لنصيبين كان يزرع فيهِ الزعفران . وهو دير نزه فرح لا اهل لهُ . بهِ مشاهد ولهُ فيهِ اشعار » انتهى . ولا يخفى ان هذا الدير كان بيد المشارقة المعروفين بالنساطرة او الكلدان وهو غير دير الزعفران الواقع بقرب ماردين . وبناهُ مار افني ماران *

ووصف لنا دير العاقول قائلاً « كان بين مدائن كسرى والنعمانية بينها

وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا على شاطىء دجلة . فاما الآن فبينهُ وبين دجلة مقدار ميل * وكان عندهُ بلد عامر واسواق ايام كُوَر النهروان عامرًا . فاما الآن فهو بتفردهِ في وسط البريّة . وبالقرب منهُ دير قُني »*

وقال في محلٍّ آخر « هو دير عظيم شبيهٌ بالحصن المنيع . وعليهِ سور عالٍ عظيم محكم البناء فيهِ مائة قلاية لرهبانهِ .. وحول كل قلاية بستان فيهِ من جميع الاثمار .. وفي وسطهِ نهر جارٍ . هذه صفتهُ قديمًا . واما الآن فلم يبقَ من ذلك غير سورهِ . وفيهِ رهبان صعاليك . لانهُ خرب بخراب النهروان »

وقال عن عبد المسيح وعن ديرهِ « هو ابن عمرو بن بقيلة ... وكان احد المعمّرين يقال انهُ عمر ثلثمائة وخمسين سنةً . وكان ديرهُ بظاهر الحيرة بموضع يقال لهُ الجرعة * وعبد المسيح هو الذي لقي خالدًا بن الوليد لمّا غزا الحيرة . وبقي عبد المسيح في ذلك الدير بعدما صالح المسلمين على مائة الف حتى مات وخرب الدير بعد مدّة * وظهر فيهِ ازج معقود من حجارة فظنّوهُ كنزًا . ففتحوهُ واذا فيهِ سرير رخام عليهِ رجل ميت . وعند راسهِ لوحٌ فيهِ مكتوب . انا عبد المسيح بن عمرو .

حلبتُ الدهرَ اشطرهُ حياتي ونلتُ المُنى فوق المزيدِ
فكافحتُ الامورَ وكافحتني فلم اخضع لمعضلةٍ كؤودِ
وخلتُ انالُ من الشرفِ الثريّا ولكن لا سبيل الى الخلودِ

وقال عن دير العذارى « قال ابو الفرج الاصبهاني . هو بين ارض الموصل وبين ارض باجرمي من اعمال الرقّة وهو ديرٌ قديم وبهِ نساء قد ترهّبن واقمن بهِ للعبادة فسمّي بهِ لذلك ... والشعر المقول في دير العذارى يدلّ على

انهُ بنواحي دُجيل . ولعلّ هذا هو غير ذلك . قال الشابشتي : دير العذارى بين سُرَّ من راى (سامرّا) والحظيرة .. على شاطىء دجلة وهو دير حسن حولهُ البساتين ... قال : وببغداد ديرٌ ايضاً يقال لهُ دير العذارى في قطيعة النصارى على نهر الدجاج * وفي وصف دير نجران قال ياقوت : « كان باليمن لآل عبد المدان بن الريان من بني الحرث بن كعب .... وبنوهُ مربّعًا مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعًا من الارض يُصعد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة . فكانوا يحجّونهُ ... وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران . ويجعلون في حيطانها الفسافس . وفي سقوفها الذهب والصور . وكان بنو الحرث بن كعب على ذلك الى ان جاء الإسلام . فجاء الى النبي صلّى الله عليهِ وسلّم العاقب والسيّد ايليا اسقف نجران للمباهلة ثمّ استعفوهُ منها من قبل ان تتمّ . وكانوا يركبون اليها في كل يوم احد وفي ايام اعيادهم في الديباج المذهّب والزنانير المحلاة بالذهب »*

وكان دير هند الصغرى « بالحيرة يقارب خطّة بن عبد الله بن دارم بالكوفة ممّا يلي الخندق في موضع نزهٍ . وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحُرقة * قال هشام الكلبي كان كسرى غضب على النعمان بن المنذر فحبسهُ . فاعطت بنتهُ هند الله عهدًا ان ردّهُ الى ملكهِ ان تبني ديرًا تسكنهُ حتى تموت . فخلّى كسرى عن ابيها النعمان فبنت الدير واقامت الى ان ماتت ودُفنت فيهِ * وهي التي دخل عليها خالد بن الوليد لما فتح الحيرة فسلّمت عليهِ ... فقال لها سليني حاجةً . قالت هولاء الذين في ذمتكم تحفظونهم . قال هذا فرضٌ علينا وصّانا بهِ نبيّنا صلى الله عليهِ وسلم .

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

قالت ما لي حاجة غير هذا ... فقال لها اخبريني بشيء ادركتِ. قالت لقد طلعت الشمس بين الخورنق والسدير الاّ ما هو تحت حكمنا . فما امسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا . ثم انشدت تقول

فبينا نسوس الناسَ والامرُ أمرُنا   اذا نحن فيهم سوقةٌ تتنصّفُ

فتبًا لدنيا لا يدومُ نعيمها   تقلّب تاراتٍ بنا وتصرّفُ

وقال في دير هند الكبرى: « هو ايضاً بالحيرة بنتهُ هند ام عمرو بن هند . وكان في صدرهِ مكتوب : بَنَتْ هذه البيعة هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر امة المسيح وام عبدهِ في مُلك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمان مار افريم الاسقف *

« ودير يونس يُنسب الى يونس بن متى عليهِ السلام . وهو في جانب دجلة الشرقي في مقابل الموصل وبينهُ وبين دجلة فرسخان وموضعهُ يُعرف بنينوى ... وتحت الدير عين تُعرف بعين يونس عليهِ السلام يقصدها الناس للاغتسال »*

وقال في ديارات الاساقف « الديارات جمع دير والاساقف جمع اسقف وبهم يُراد روساء النصارى . وهذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة وهو اوّل الحيرة . وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يُعرف بالغدير عن يمينهِ قصر ابي الخصيب وعن شمالهِ السدير » *

وكان موقع دير الكلب « بنواحي الموصل بينها وبين جزيرة ابن عُمر في ناحية باعدراء من اعمال الموصل لهُ قلالي ورهبان كثيرون. فمن عضّهُ الكلب المكلوب وبودر بالحمل اليهِ وعالجهُ رهبانهُ بُرِيء . وان تجاوز الاربعين يوماً فلا حيلةَ لهم فيهِ . ولهُ رستاق ومزارع » *

ودير كوم هو « قريب من العمادية من بلاد الهكارية من اعمال الموصل بالقرب منهُ قرية يُقال لها كوم نُسب اليها الدير . وهو عامرٌ الى الآن » اعني على زمان ياقوت *

ويذكر ياقوت باسم جرجس ديرين. « الاوّل بالمزرفة بينهُ وبين بغداد اربعة فراسخ مصعدًا . والمزرفة قرية كبيرة. وكانت قديمًا ذات بساتين عجيبة وفواكه غريبة . وكان هذا الدير من متنزّهات بغداد لقربهِ وطيبهِ . والثاني فوق بلد بينها وبين جزيرة بن عمر على ثلثة فراسخ من بلد على جبل عالٍ يُبصره المتأمّل من فراسخ كثيرة »*

« ودير مار يوحنا كان الى جانب تكريت على دجلة وهو كبيرٌ عامر كثير القلاّيات والرهبان مطروقٌ مقصود ينزل بهِ المجتازون . ولهم فيهِ ضيافةٌ ولهُ غلاّت ومزارع وهو للنسطورية » *

وقال في دير مار توما « هذا الدير بميافارقين على فرسخين منها في جبل عالٍ لهُ عيد يجتمع الناس اليهِ وهو مقصود لذلك ويُنذر لهُ النذور ويُحمَل اليهِ من كل موضع ... وتحتهُ برك يجتمع فيها ماء عيون الامطار »*

« ودير الابيض في موضعين احدهما في جبل مُطلّ على الرها اذا ضُرِب ناقوسهُ سُمع بالرها وهو يُشرف على بقعة حرّان . والآخر بالصعيد يقال لهُ دير الابيض » *

« ودير الاسكون هو بالحيرة راكب على النجف وفيهِ قلالي وهياكل وفيهِ رهبان يضيفون من ورد عليهم . وعليهِ سور عال حصين وعليهِ باب حديد . ومنهُ يهبط الهابط الى غدير بالحيرة ... » *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وقال في دير اشموني « اشموني امرأة بني الدير على اسمها ودُفنت فيهِ وهو بقطربُل. وكان من اجلّ متنزّهات بغداد. وعيد اشموني ببغداد معروف. وهو في اليوم الثالث من تشرين الاوّل » *

« ودير باثاوا بالقرب من جزيرة بن عُمر بينهما ثلاثة فراسخ » *

« ودير باطا بالسنّ بين الموصل وتكريت وهيت وهو دير نزهٌ في ايام الربيع » *

وروى في دير بُصرى « بُصرى بلدة بحوران وهو قصبة الكورة من اعمال دمشق. وبها كان بحيرا الراهب (النسطوري) مُبشّر نبيّ المسلمين. وقصّتهُ مشهورة. وحكى المازني انهُ قال: نزلتُ دير بُصرى فرايتُ في رهبانهِ فصاحةً وهم عرب متنصّرة من بني الصادر وهم افصح من رايتُ * ودير الباعقي قبلي بصرى من ارض حوران وهو دير بحيرا الراهب المار ذكرهُ » *

« ودير الثعالب ديرٌ مشهور بينهُ وبين بغداد ميلان واقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر » *

« ودير جنّة هو دير جنّة القديم بالحيرة منذ ايام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع تقابله منارةٌ عالية كالمرقب تُسمّى القائم لبني اوس بن عمرو بن عامر » *

« وفي دير مالس قال الشابشتي هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار المغربة وهو نزهٌ كثير الاشجار والبساتين بقربهُ اجمة قصب وهو كبير آهل ... واعياد النصارى مقسومة ببغداد على ديارات معروفة منها اعياد الصوم للاحد الاوّل في دير العاصية. والثاني في دير الزريقية. والثالث

في دير الزندرود. والرابع في دير درمالس هذا يجتمع اليهِ النصارى والمتفرّجون » *

« ودير الدهدار هو بنواحي البصرة في طريق القاصد لها من واسط واليهِ يُنسب نهر الدير.. وهو ديرٌ قديم ازلي كثير الرهبان مُعظَّم عند النصارى وبناؤُه من قبل الاسلام » *

« ودير الرصافة هو في رصافة هشام بن عبد الملك التي بينها وبين الرقة مرحلة للجمالين ... واما هذا الدير فرايتهُ انا وهو من عجائب الدنيا حُسناً وعمارةً. واظنّ ان هشاماً عنهُ بنى مدينتهُ وانهُ قبلها. وفيهِ رهبان ومعابد وهو في وسط البلد » *

« ودير سرجِس ويُكسر وهو منسوب الى راهبين بنجران. قال الشابشتي كان هذا الدير بطيرناباد بين الكوفة والقادسية على وجه الارض بينهُ وبين القادسيةَ ميل. وكان محفوفاً بالكروم والاشجار والخانات وقد خرب وبطل ولم يبق الّا خرابات على ظهر الطريق تُسمّيها الناس قباب ابي نواس » *

« ودير سمالوا في رقة الشماسيّة ببغداد مّما يلي البردان بُجرّ بين يديهِ نهر الخالص وهو نهر المهدي » *

« ودير الشياطين بين مدينة بلد والموصل وهو بين جبلين في فم الوادي بالقرب من اوسل مُشرف على دجلة في موضع حسن الهواء والرواء ». قلتُ وموقع هذا الدير الذي يعينهُ الحموي يُرجّح الظنّ انهُ في نواحي سنجار القاطن فيها اليوم اليزيديّة الذين كان اصلهم في روايةٍ صحيحة رهباناً نصارى ثم املى لهم الشيطان فورّطهم في الغرور ودانوا الى عبادتهِ *

« ودير الطواويس جمع طاووس هذا الطير النمق الالوان. وهو بسامرّا

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

متصل بكرخ جدان يشرق عند حدود الكرخ على بطنٍ ويُعرف بالبُنَيّ . وفيهِ مزدرع يتصل بالدورق بنيانها . وهي الدور المعروفة بدور عرمانا . وهو قديم كان منظرهُ لذي القرنين ويُقال لبعض الاكاسرة فاتخذهُ النصارى ديرًا في ايام الفرس » *

« ودير عبدون هو بسُرَّ من راى الى جنب المطيرة . وسُمّي بدير عبدون لانّ عبدون اخا صاعد بن مخلد بناهُ . وكان كثير الإلمام بهِ والمقام فيهِ فنُسب اليهِ . وكان عبدون نصرانيًا . واسلم اخوهُ » *

« ودير العجّاج بين تكريت وهيت في ظاهرهِ عين ماء وبركة فيها سمك وحولهُ مزارع وحصن » *

« ودير العرس قريب من جزيرة بن عمر بينهما ثلاثة عشر فرسخاً على راس جبلٍ عالٍ كثير الرهبان » *

« ودير قوطا بالبردان من نواحي بغداد على شاطئ دجلة بين البردان وبغداد وهو نزهٌ كثير البساتين والمزارع » *

« ودير اللج هو بالحيرة بناهُ النعمان بن المنذر ابو قابوس في ايام مملكتهِ . ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناء منهُ ولا انزه موضعاً » *

« ودير مارت مريم دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر ابي الخصيب مشرف على النجف . وبنواحي الشام دير آخر يُقال لهُ مارت مريم وهو من قديم الديرة » *

« ودير مار عبدا بذات الاكيراح من نواحي الحيرة منسوب الى مار عبدا بن حنيفة بن وضّاح اللحياني كان مع ملوك الحيرة وهو دير ابن وضّاح » *

« ودير ملكيساوا مطلّ على دجلة فوق الموصل بينهما نحو فرسخٍ ونصف . وهو دير صغير » *

« ودير منصور في شرقي الموصل مُطلّ على نهر الخابور وهو ديرٌ كبير عامر في ايامنا هذه » . انتهى عن ياقوت الحموي (طالع يشوعدنح) *

ولا يخفى ان اغلب الاديرة الواقعة في بلاد الجزيرة وآثور والعراق وفارس كانت مختصّةً يوماً بالسريان المشارقة المعروفين بالنساطرة الكلدان المستفحلين ثمّهُ . ومع ذلك فلا ينكر ان بعضها وخاصّةً الواقعة غربيّ الدجلة كانت ايضا بيد السريان المغاربة او هم اليعاقبة الذين انتشروا في هذه البلاد بعد القرن السادس اما في اصلها او ضبطوها من المشارقة *

الباب الثامن

في تواريخ السريان اليعاقبة من سنة ٥٩٥ الى ٦٨١

الفصل الاول

في تبوُّء اثناسيوس الاوّل الكرسي الفطريركي واخبار ايام رئاسته

اختير بعد بوليانوس فطريركًا على طائفة اليعاقبة اثناسيوس المعروف بالجمل لانهُ كان راعياً لجمال ديرهِ . وكان مسقط راسهِ في شميشاط وترهّب في دير قنسرين . وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * وجرى انتخابهُ كما وصف ابن العبري في بدء ترجمتهِ « اجتمع الاباء في ديرٍ من اديرة المغرب وبذلوا جهدهم لاقامة فطريرك صالح . فصاموا وصلّوا مدّة ثلاثة ايام.

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وفي الليلة الثالثة سمع احدهم في الحلم قائلاً : اسيموا اوّل راهبٍ تصادفونهُ صباحًا حينا يفتح باب الدير . فلما خرج الاساقفة راوا اثناسيوس الشميشاطي قائدًا جمالاً ومارًا في مدينة جابولا ليأتي بملحٍ الى دير قنسرين * وبعد ان خاطبوهُ وذاقوا حلاوة علمهِ وعرفوا انهُ من الدير الكبير . جاءوا بهِ قسرا وهو يُقاوم ويبكي واساموهُ فطريركًا سنة ٩٠٦ يونانية (٥٩٥ م) او كما نجد في بعض النسخ سنة تسعمائة وثمان . ووضع ساويرا الاورشلمي يدهُ عليهِ في دير قنسرين * ولم يقم اثناسيوس حالاً باعباء منصبهِ الجديد بل اشترط على الاساقفة ان يدَعوهُ ليتمّم بقية السنة في رعاية الجمال كما فرض عليهِ رهبان ديره . ولما فهم رئيسهُ الامر بعد نهاية السنة زجرهُ . فاقبل على ادارة منصبهِ . واسام اخاهُ ساويرا اسقفًا على شميشاط *

وجرى لليعاقبة في عهد اثناسيوس الفطريرك ضيق عظيم . فانهُ كان الروم قد خلعوا موريقي واقاموا مكانهُ فوقا . فاغتاظ كسرى ابرويز ملك الفرس صديق موريقي . واثار الحرب على الروم واستولى على بلاد كثيرة من ما بين النهرين وسورية * واجبر النصارى المقيمين فيها على اعتناق مذهب النساطرة . وانفذ الى الرها اسقفًا نسطوريًّا اسمهُ احيشما . فلم يقبلهُ اليعاقبة وطلبوا اسقفًا من مجانسهم فاعطاهم رجلاً يسمّى يوحنا * وهاك ماذا فعل كسرى ابرويز بالقاثوليقيين بغضةً بالروم . قال ابن العبري « امر كسرى ان يُطرد الاساقفة الخلقيدونيون قاطبةً من سوريةّ فاعيدت الينا البيع والاديرة التي ضُبطت منا على يد دومطيانوس اسقف ملطيةّ الخلقيدوني الذي كان قد اثار اضطهادًا على السريان في عهد موريقي * وفضلاً عن ذلك امر كسرى ان يتولّى ثلاثة

اساقفة من الشرقيين الارثذكسيين (هكذا يسمّي اليعاقبة) امر كنائس سورية . فاستولى على الرها اشعيا لان يوحنا كان قد عاد الى وطنهِ . وشموئيل على آمد . والثالث على تلّ موزلات (١) * اما الفرويّون القاطنون في الضياع خارجًا عن المدن فلم يقبلوا هولاء الاساقفة الذين انفذهم كسرى لان المفريان (٢) كان قد اقامهم . وكانت هذه الابرشيّات خاضعة للفطريرك لا للمفريان * انتهى * فاتخذ اثناسيوس الفطريرك حسماً لهذا الخلاف هذا التدبير كما اردف ابن العبري « امر اثناسيوس قرياقوس مطران آمد الذي قاسى اضطهادًا من الخلقيدونيين ان يزور المؤمنين في آمد وفي بلاد الجزيرة قاطبةً * فاغتاظ الاساقفة الشرقيّون من قرياقوس . واثاروا خصاماً معهُ وتوعّدوه بغضب كسرى . كيفما كان الامر فكان اساقفتنا يدبّرون هذه الكراسي . وكان ذكر الخلقيدونيين قد مُحي من الفرات الى المشرق » انتهى . وجرى ذلك في البلاد الخاضعة لدولة الفرس بغضةً بالروم في عهد ابرويز الملك خاصّةً (عب ١ : ٢٦١) * .

الفصل الثاني

في الاتحاد الذي عُقد بين الفطريركيتين الاسكندريةّ والانطاكية . وما جرى لليعاقبة في عهد هرقل الملك . واخبار اثناسيوس الاخيرة

عُقد عهد الاتحاد بين الفطريركية الاسكندرية والانطاكية بعد الانشقاق

(١) احدى مدن الجزيرة على مسافةٍ متساوية بين نصيبين شرقًا وآمد غربًا *

(٢) سياتي الكلام عن اقامة المفريانية في تكريت وسلطانها على اليعاقبة الذين انتشروا في بلاد الجزيرة وفارس *

الذي نشأ عن نزاع الفطريركين بطرس ودميانوس في شان سرّ التثليث بسعي اثناسيوس الفطريرك * كان قد توفي اثناسيوس فطريرك الاسكندرية الذي خلف دميانوس المار ذكرهُ . ولما تبوّأ العرش الاسكندري انسطاس اظهر شوقهُ في رفع ذلك النزاع واغتنم الفرصة من جلوس اثناسيوس على العرش الانطاكي . وكتب اليهِ رسالةً مجمعيةً في شان الايمان . واقتبلها اثناسيوس فارحاً وجمع الاساقفة وعرضها عليهم وخاطبهم في اتفاق البيعتين الذي كان منذ عهد ساويرا وثاودوسيوس والوصال القديم الذي كان بين بطرس الرسول مؤسّس الكرسي الانطاكي ومرقس اوّل اسقف اسكندريّة . فصادق الاساقفة على تلك الرسالة المجمعيّة وعُقد عهد الاتحاد بين كلتا الفطريركيّتين الانطاكية والاسكندرية * وبناء عليهِ عوّل اثناسيوس الفطريرك توثيقاً لهذا الاتحاد على ان يقصد الاسكندرية ليزور انسطاس فطريركها ويتفاوض معهُ في ذا الشان . فركب البحر صحبة خمسةٍ من اساقفتهِ * فاقتبلهم انسطاس بترحاب واكرم مثواهم واجاب الى سوالهم * وروى ابن العبري ان هذا الاتحاد جرى سنة ٦١٦ والاصحّ انهُ جرى سنة ٦١٤ . وفيها توفي انسطاس فطريرك الاسكندرية * ونشأت عن هذا الحادث التاريخي بين هٰتين الفطريركيتين هذه العادة وهي: ان يكتب الفطريرك الجديد من هٰتين الفطريركيتين بعد سيامتهِ رسالةً مجمعية في شان المعتقد لتُقرأ علناً في بيعة الكرسي *

وفي هذه الاثناء جرى لاشعيا مطران الرها اليعقوبي نزاعٌ مع هرقل ملك الروم في رواية ابن العبري * كان هرقل قد انتصر على الفرس واستعاد البلاد التي كان ابرويز الملك قد ضبطها منهُ * فلما اتى الرها خرج الشعب

والقسوس والرهبان بأبّهة لاستقبالهِ . وتعجّب من نجاح اليعاقبة . واراد استمالتهم الى قبول المجمع الخلقيدوني فدخل يوماً بيعة الرهبان التي كانت بيد اليعاقبة ليتقرّب على عادة الملوك المسيحيّين . فمنعهُ اشعيا مطرانها من الاشتراك بالاسرار قائلاً : « إن لم تحرم المجمع الخلقيدوني فلن ادعنّك تمسّ الاسرار » . فغضب هرقل . وطرد اشعيا من البيعة الكبرى وسلّمها للخلقيدونيّين * وهاك كيف عامل هرقل الملك اليعاقبة . قال ابن العبري : « لما دخل الملك منبج ذهب لزيارتهِ مار اثناسيوس صحبة اثني عشر اسقفاً فطلب الملك منهم كتاب الاقرار بالايمان * فلمّا قدّموه اليهِ وقراهُ اثنى عليهم . والزمهم ان يقبلوا المجمع الخلقيدوني . فلم يطاوعوهُ * فغضب هرقل الملك وكتب الى جميع اقطار مملكتهِ . من لم يُذعن الى المجمع فليُقطع انفهُ وأُذناهُ ويُسلب بيتهُ . فانقاد اليهِ كثيرون . وابان رهبان دير مارون والجبّيّون والحمصيّون امارات قساوتهم في هذه الفرصة وضبطوا كنائس وادبرة كثيرة » انتهى *

اما المؤرّخون الروم في ذا الشان فروايتهم مختلفة عمّا حكاهُ ابن العبري . وهي ان اثناسيوس فطريرك اليعاقبة امكر بهرقل وتظاهر بقبول المجمع الخلقيدوني وتواطأ مع اسقف القسطنطينية الذي كان هو ايضاً سريانيّاً على الاحتيال بهرقل واوقعاهُ في ضلال القائلين بالفعل الواحد والمشيئة الواحدة * قال قدرين (1) في السنة العشرين لهرقل « اذ كان هرقل في هيرابوليس (منبج) اتاهُ اثناسيوس فطريرك اليعاقبة ... فوعدهُ الملك بان ينصبهُ على كرسي انطاكية بشرط ان يقبل قوانين المجمع الخلقيدوني . فتظاهر اثناسيوس بقبولها واقرّ ان في

(1) طالع مين في تآليف الآباء اليونان وسيرهم مجلد ١٢١ وجه ٨٠٦ *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

المسيح طبيعتين متحدتين . وعرض للملك المسألة بشان الاعتقاد بفعل واحد ومشيئة واحدة . اي هل يجب القول في المسيح بفعلين ومشيئتين او بفعلٍ واحد ومشيئة واحدة* فكتب الملك الى سرجيس القسطنطيني وقيورُس اسقف فاسيد* ولما كان كلاهما على مذهب القائلين بالمشيئة الواحدة وجدهما متفقين مع اثناسيوس» انتهى *

ومن الحوادث المهمة التي جرت في عهد اثناسيوس فطريرك اليعاقبة هي اولاً ظهور الدولة الاسلامية وتغلّبها على بلاد سورية والجزيرة وفارس التي كانت خاضعة لمملكة الروم والفرس *

ثانياً عقد اليعاقبة الشرقيّين عهد الاتحاد مع الكرسي الانطاكي واقامة المفريانية في تكريت على ما سنرى ان شاء الله *

وجلس اثناسيوس الاوّل المعروف بالجمل ستاً وثلاثين سنة او اربعاً واربعين سنة وفقاً لبعض المصاحف . وتوفي في دير الجروميّين سنة ٦٣١ م (غب ١ : ٢٦١ - ٢٧٥ : س ٢ : ٢٢٣ . مق ١٤٥) *

الفصل الثالث

في اخبار يوحنا المعروف بسدرات وثيودور الفطريركين

كان يوحنا تلميذ اثناسيوس الفطريرك المار ذكره وترهّب في دير اوسيبيون الذي بناهُ بقرب تلِّد مار شمعون العمودي . وقضى فيهِ حبوةً نسكية * واعلم ان يوحنا هذا هو الاول بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة اليعاقبة . ويعرف بالسدرات عن جمع ܣܕ̈ܪܐ السريانية اي كتاب ترتيب الصلوات . واسامهُ ابراهام مطران نصيبين سنة ٦٣١ م *

واشتهر يوحنا الفطريرك في انهُ ترجم الانجيل من اللغة السريانية الى العربية بامر عمر بن سعيد الخليفة * قال ابن العبري « ودعاهُ الى ان يهمل منها الاهية المسيح والعماد والصليب الذي عُلّق عليهِ المسيح . فاجاب الطوباوي يوحنا : لأن أُطعَن بكل حِراب جيوشك واسنّتها اولى من ان احذف او ازيد يوذًا او حركةً من الانجيل . فلما راى شجاعتهُ قال لهُ عمر . اذهب واكتب كما تريد » انتهى * وفشت في سورية على عهد يوحنا بدعة القائلين بفعلٍ واحد ومشيئةٍ واحدةٍ في المسيح كما سياتي الكلام مفصّلاً عنها * وجلس يوحنا على كرسي الفطركة ثماني عشرة سنة . وتوفي في آمد في كانون الاول من سنة ٦٤٩ او سنة ٦٥١ تبعاً لديونيسيوس المؤرّخ . ودُفن في بيعة مار زعورا التي في آمد *

وتبوّأ كرسي الفطركة بعد موت يوحنا ثاودور . وكان اولاً راهباً في برية الاسقيط بمصر . ثم اتى دير قنسرين وقضى فيهِ زماناً حبوةً نسكية * واختير في انطاكية . واسامهُ ابراهام مطران حمص في السنة التي توفي فيها يوحنا سالفهُ (٦٤٩ م) * وكان سبب الاضطراب والنزاع اللّذين نشأا بين الكاثوليكيين في شان الاعتقاد بفعلين ومشيئتين في المسيح الرب ان الكنيسة الجامعة المعصومة من الغلط لم تكن قد حدّدت شيئاً في شان ذلك . وكان راي الاساقفة والمجامع الخصوصية التي عُقدت متناقضةً . فلم يكن يدري المؤمنون اي مذهبٍ يتبعون * الّا ان هذا النزاع قد حُسم بعد ان حُدّدت صورة الايمان في المجمع الخامس القسطنطيني على عهد اغاثون البابا * ودبّر ثاودور كرسيهُ ثماني عشر سنة . وتوفي سنة ٦٦٧ م (غب ١ : ٢٧٥ - ٢٧٩ . س ٢ : ٢٢٤ و ٢٢٥ . ومق ١٤٦) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الرابع

في امامة ساويرا الثاني المعروف بابن مشقا واخبار ايامهِ

ان ساويرا كان راهباً من دير بغيمتا او سبولوس القريبة من راس العين على ينابيع نهر الخابور في بلاد ما بين النهرين . ويُعرف بابن مشقا * ثم اختير اسقفاً على آمد . واخيرًا اسامهُ يوحنا المعروف بابن عبريثا اسقف طرسوس نحو سنة ٦٦٨ فطريركًا * وكان ساويرا حادَّ الاخلاق صارماً . وعلى هذا النمط كان يتعاطى منصبهُ الفطريركي وتدبير بني طائفتهِ . ولذلك جرى بينهُ وبين اساقفتهِ نزاع طويل . وكان مستقوياً بعلي ابن ابي طالب خليفة نبيّ المسلمين * وكان سبب هذا النزاع ان الاساقفة ولاسيما سرجيس الزاخويّ وحنّانيا اسقف دير قرطمين الواقع بقرب ماردين يدّعون ان سيامية الاساقفة ولاسيما لبلاد ما بين النهرين هو حقّ المطارين او رؤساء الاساقفة . وكانوا يوردون تاييدًا لقولهم قوانين المجمع النيقاوي * اما الفطريرك فكان يحتج ان هذا الحقّ القديم قد زال بعد المجمع النيقاوي . فكما ان فطريرك اسكندرية يسيم اساقفةً لبلاد مصر كلها كذلك يجب ان تتمّ السياميذات على يد الفطريرك في البلاد الخاضعة لسلطانهِ . وكما ان الفطاركة الذي قبضوا على زمام الكرسي الانطاكي منذ عهد المجمع الخلقيدوني الى الآن كانوا هم يسيمون الاساقفة لكل المدن كذلك يجب ان يجري في الزمان الحاضر * فعوّل الاساقفة والفطريرك حسماً لهذا النزاع على اتخاذ الوسائل القوية . قال ابن العبري « اجتمع الفطريرك والاساقفة في بانلثا . وكان قد بلغ سركيس ورفقاءهُ ان الفطريرك مزمعٌ ان

يحتقرهم * فلمّا دخلوا المجمع حرموا الفطريرك . فقابلهم هذا بالحرم ايضاً . وانفذ رسالةً الى بني ابرشياتهم آمرًا ان لا يشتركوا معهم . اما هم فابطلوا الكاروزية باسم الفطريرك . ودام هذا الاضطراب اربع سنين حتى مات الفطريرك » انتهى *

اما ساويرا الفطريرك فاذ كان على شرف الموت « كتب الى يوحنا المعروف ببرسابا مفريان المشرق : اني مشرفٌ على نزاع الموت ومتيقّن انهم (الاساقفة) سينشرون بعد موتي اخبارًا كاذبة ويشيعون اني قد اطلقتهم وعفوتُ عنهم وينادون على رؤوس الملا اني طوباوي وقديس ليجرّوا البُسطاء الى حزبهم * وعليهِ فأُقرّر واكتب انهُ إن لم ياتوا في قيد حياتي ليطلبوا الغفران فليبقوا محرومين الى ان يتندّموا ويُعلنوا ان التفترس الذي اقدموا عليهِ خلافاً للحق كان باطلاً » انتهى عن ابن العبري * ودبّر ساويرا الكرسي الفطريركي اثنتي عشرة سنةً . وتوفي سنة ٦٨٠م وفرغ الكرسي بعدهُ اربع سنين * واما الاساقفة المنشقّون فبعد موت ساويرا كتبوا الى يوحنا برسابا الذي كان بعدُ مطران دير مار متي « قد ابطلنا ونبطّل التفترس الذي قضينا بهِ على القديس مار ساويرا الفطريرك الذي انتقل الى الرب * فطلبنا ونطلب ايضاً ان يُنادَى باسمهِ في جميع البيع والاديرة مع الآباء القديسين الذين سلفوهُ ونقبل السياميذات التي اجراها هو والآباء القدّيسون المتحدون معهُ . ولم نصنع ذلك الّا لكي تزول الشقاقات والنزاعات ويملك الصلح في البيع في كل الاماكن » . قال ابن العبري « فكتب مار يوحنا مفريان المشرق رسائل عمومية وانفذها لإعادة الصلح وتوطيدهِ في كل مكان » (عب ١ : ٢٨١ - ٢٨٧ . س ٢ : ٢٢٥) *

الفصل الخامس

في دخول مذهب اليعاقبة الى بلاد الجزيرة وفارس وبابل

دخل مذهب اليعاقبة الى البلاد التي كانت خاضعةً يومئذٍ الى دولة الفرس على يد يعقوب البراذعي المار ذكره . والاساقفة الذين اسامهم واقامهم على كراسي هذه البلاد . فاقتفوا آثارهُ في نشر مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة وتوطيد دعائمهِ . واستمالة قلوب الناس الى اعتناقهِ *

اما الاسباب التي عملت في نجاح اليعاقبة بين المشارقة الذين كان معظمهم على مذهب النساطرة فهي كثيرة منها . اولاً . ان يوسطين ملك الروم كان قد اصدر امرًا سنة ٥١٨ م بنفي كل الاساقفة الذين لم يقتبلوا تحديد المجمع الخلقيدوني من مملكتهِ * فانتشر هولاء الاساقفة الى بلاد الدولة الفارسية وشرعوا ينادون بالقول بالطبيعة الواحدة *

ثانياً . ان النصارى وخاصةً المشارقة في هذه البلاد لم يكونوا يميّزون ما بين الطبيعة والاقنوم . وكان الذين بقوا مستقيمي الايمان يقولون باقنوم واحدٍ في المسيح الرب خلافاً للنساطرة * فلمّا دخل بينهم اليعاقبة وشرعوا ينادون بطبيعة واحدة انخدع الكاثوليكيّون ظانّين انهم على وتيرةٍ واحدة من المعتقد * فاتفقوا معهم لجهلهم الفرق ما بين وحدة الطبيعة . ووحدة الاقنوم . وانحاز اكثرهم الى مذهب اليعاقبة بعد تغلّب هولاء في بلاد المشرق . فانقطع شيئاً فشيئاً اسم مستقيمي الايمان او الكاثوليكيّين . واستولى اليعاقبة على بيعهم وادبرتهم * واكبر دليلٍ لذلك هو ان برصهدا اسقف نينوى ودير مار متى الشيخ ورهبانهُ

وغيرهم من نصارى هذه الناحية الذين قتلهم برصوما قبل سنة ٤٨٤ لانهم لم يطاوعوهُ ولم يصادقوا على قبول النسطرة وقوانينهِ الفاحشة كانوا كاثوليكيين اعني مستقيمي الايمان لا يعاقبةً * لان يعقوب البراذعي لم ينشر القول بالطبيعة الواحدة في المشرق الّا بعد ان اسيم اسقفاً سنة ٥٤٢ م . فيجب ان يكون جمهور اولئك النصارى الذين تكلّلوا على يد برصوما النسطوري قبل انتشار مذهب اليعاقبة بين المشارقة مستقيمي الايمان * اما ابن العبري فانمّا يدعو هولاء مستقيمي الايمان لانهُ كان يدّعي انهم كانوا على مذهب اليعاقبة مع ان هذا الادّعاء هو باطل محضاً كما برهنّا . لان مذهب اليعاقبة لم يكن قد دخل يومئذٍ الى بلاد المشارقة *

ثالثاً . من اقوى الاسباب ايضاً لنجاح اليعاقبة كان نزوع بعض وجوه النساطرة ذوي النفوذ الى مذهبهم * وكان من اجلّهم جبرائيل السنجاري الذي حرمهُ جثالقة المشارقة النساطرة لانهُ كان قد تزوّج بامرأةٍ ثانية مع وجود الاولى الحقيقية . فتعادى مع النساطرة وايمّتهم وضبط كثيرًا من بيعهم وادبرتهم كما سلف الكلام وسلّمها الى اليعاقبة الذين نزع الى مذهبهم * ولذلك يدعوهُ ابن العبري مستقيم الايمان . وقد اشار الى كل ذلك بقولهِ في ترجمة قاميشوع * وفي هذا العهد اشتهر طبيب ابرويز ملك الفرس وكان مستقيم الايمان يدعى جبرائيل . وكان مسقط راسهِ في مدينة سنجار . ولعظم الاعتبار الذي كان حاصلاً عليهِ لدى الملك كان يلقب ابربرداستاباد . وكان عدوًّا الدّ للنساطرة وخصماً وشاكياً لرؤسائهم وايمّتهم . انتهى *

رابعاً . وكان بعض ملوك العرب الحيريين يحامون عن مذهب اليعاقبة

ويشدّون على عضد ايمّتهِ واصحابهِ . ولذلك فانتشر مع المذهب النسطوري ايضاً القول بالطبيعة الواحدة في الحيرة . وكانت الحيرة عاصمة مملكتهم *

خامساً . وقد ساعد انتشار مذهب اليعاقبة بين المشارقة كون ملوك الفرس قد سبوا في غزواتهم كثيرًا من اهالي سورية اليعاقبة واسكنوهم بلادهم. كما ان ملوك الروم سبوا ايضاً كثيرًا من النصارى النساطرة واسكنوهم جزيرة قبرس وبلاد سورية كما مرّ الكلام في محلّ آخر . هذا وان كثيرًا من تجار سورية اليعاقبة قصدوا بلاد الفرس فاستوطنوها وتوالدوا فيها (اخ ٢ : ٢٥٢) *

وشرع ابن العبري يتكلم في تاريخهِ البيعي عن اساقفة اليعاقبة بين المشارقة بعد بابوي الجاثليق الذي ظفر باكليل الشهادة سنة ٤٨٤ اعترافاً بالايمان في الاضطهاد الذي اثارهُ فيروز الملك على مستقيمي الايمان بتحريك برصوما الخبيث * فان ابن العبري يعتبر الجثالقة الذين خلفوا بابوي نساطرة عارين بذات الفعل عن السلطة لسياسة هذه الاقوام المشرقيين الى ان ولج اليعاقبة هذه البلاد واقاموا الكراسي الاسقفيّة والمطرانية لتدبيرها * وعليهِ فبعد بابوي الجاثليق الذي يعدّهُ الثاني والعشرين في سلسلة ايمّة المشارقة بعد مار توما وأدّى واجي وماري رسل المشرق واساقفتهِ بردف قائلاً « وبعد اضطهاد مستقيمي الايمان احودمي مطران المشرق » ويعدّهُ الثالث والعشرين * والمراد بمستقيمي الايمان الكاثوليكيّون الذين احتملوا الاضطهاد الذي اثارهُ عليهم فيروز الملك باغراء برصوما الخبيث . ولم يقبلوا البدعة النسطورية وقوانينهُ الدنسة . وكان عهدهم سابقاً ليعقوب البراذعي امام اليعاقبة * الاّ انهُ بعد استفحال اليعاقبة وامتزاجهم بالكاثوليكيين الذين لم يكونوا يعرفون الفرق بين القول بالطبيعة

الواحدة والاقنوم الواحد . وبعد انقطاع اسم الكاثوليكيين لمنع ملوك الفرس اقامة روساء لهم بغضةً بملوك الروم . صار ابن العبري يشير بهذا الاسم الى اليعاقبة زاعمًا انهم هم المستقيموا المعتقد (عب ٢ : ٩٧ - ٩٩) *

الفصل السادس

في الاساقفة الذين دبروا اليعاقبة في المشرق

يُعَدّ اول اسقف دبّر اليعاقبة في المشرق (1) احودمي . واسامهُ يعقوب البراذعي سنة ٥٥٩ م * ورُوي انهُ اسيم اسقفاً على بلاد العرب بوضع يد خرإستفور جاثليق الارمن الذين كانوا على وتيرةٍ واحدة في المعتقد مع اليعاقبة . ثم اولاهُ يعقوب المار ذكرهُ المقام المطراني والولاية على المشرق طرًا *

واخص مآثر احودمي انهُ لما استتبّ لهُ الامر رحل لزيارة بني تغلب اي الاقوام العربيّة التي كانت ساكنةً تحت الخيم وهدى كثيرين الى الايمان وثقّفهم بالاصول الانجيلية . واقام ايضاً الكهنة والرهبان . وبنى لهم ديرًا عُرف بعين قنا في السريانية اعني عين الوكر . وديرًا آخر بتكريت سُمي دير جلتاني * وكان يومئذٍ في بلاد العرب اسقفيتان الاولى تُدعى اسقفية العرب على الاطلاق . والثانية اسقفية التغالبة او السن . وكان كرسيها في عاقول التي سُميت في عهد الإسلام الكوفة . واحياناً في بلد ايضاً . وكرسي الاولى في الحيرة التي كانت مقام المناذرة *

(1) اننا نعتبر هنا المشرق لا بوجه الاتساع بل بالحصر اعني البلاد الواقعة شرقي نهر الفرات . وعليهِ فيراد بالمغرب البلاد الواقعة غربي هذا النهر . وهذا الاعتبار تجب مراعاتهُ على الدوام في الكلام عن تاريخ السريان نساطرةً كانوا او يعاقبة * اما المشرق بوجه الاتساع فيشمل ايضاً الاقطار التي يسكنها النصارى الذين ليسوا من الطقس اللاتيني *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

وكان سبب استشهاد احودمي ان هذا كان ذا غيرة عظيمة على نجاح النصرانية وهداية المجوس . واضاء جمهورًا وافرًا منهم بنور الايمان . وكان من جملتهم شاب شريف من عائلة الفرس الملكية . وسمّاهُ في عماذهِ جيورجيس * فلما بلغ ذلك مسامع كسرى انوشروان اتّقد غضباً وامر بقطع راس احودمي . وجرى استشهادهُ يوم الجمعة في ٢ آب من سنة ٥٧٥م * فاخذ النصارى جسده وذهبوا بهِ الى كنيسة محوزا القريبة من المدائن ودفنوهُ ثمّه بغاية التوقير * ولهُ بيعة في الموصل هي الآن في حوزة اليعاقبة *

وتولى امر اليعاقبة في المشرق بعد احودمي قاميشوع . وكان اليعاقبة قد لبثوا بدون راعٍ كبير في المشرق ثلث سنين * ولمّا توفي كسرى انوشروان اجتمع النصارى واختاروا سنة ٥٧٨ قاميشوع * وكان معلمًا في البيعة الجديدة التي بُنيت لليعاقبة بقرب القصر الملكي في المدائن * ودبّر قاميشوع نصارى هذه البلاد الخاضعين لولايتهِ احسن تدبير وكان اليعاقبة قليلي العدد على ذلك العهد . فلمّا استتبّ لهُ الامر سعى بإسامة اساقفة الى الكراسي المحتاجة الى الرؤساء *

ولا يخفى انهُ كان قد قام بعض الاساقفة على رئاسة دير مار متى الشيخ . وكان هذا الدير قبل ظهور النسطرة في هذه البلاد بيد السريان المشارقة او هم الكلدان . ثم صار النساطرة واليعاقبة يتنازعونهُ وكان تارةً بيد هولاء وطورًا بيد اولئك . ومن المحقّق انهُ كان بيد النساطرة على عهد يشوعياب الحزّي الفطريرك الذي عاش الى سنة ٦٦٠م . واكبر دليلٍ لذلك هو ان لهذا الفطريرك رسالةً هي في عدد ١٧ بين رسائلهِ وهو فطريرك الى رهبان هذا الدير و يكلّمهم كمن لهُ سلطان عليهم * وقد شهد بذلك الشيخ السمعاني في الكلام عن هذا الدير

في مقالتهِ عن القائلين بالطبيعة الواحدة (وجه ٩٩ . وس ٢ وجه ٤٩٧) *

امّا كيف كان يُقام الاساقفة على بعض الاديرة فاعلم انهُ جرت العادة لدى السريان ولاسيما اليعاقبة ان يقوم في بعض الاديرة اساقفة يتولّون ادارة النصارى المجاورين لها * قال زوزومين في تاريخهِ البيعي « ان برصا واواوغ ولعازر لم يُسامَوا على كرسي معيّن بل على اديرتهم . وذلك مكافاةً لاعمالهم الشريفة . ثم اضيفت الى الاديرة ايضاً سياسة الابرشيّات » وهكذا جرى في دير قرطمين ودير مار متى الشيخ الذي كان اسقفهُ يسوس نينوى والقرى القريبة» *

وهلمّ نصف ملخص اخبار الاساقفة الذين قاموا على رئاسة دير مار متى . ونقول : بعد برسهدا الذي مات هو واثنا عشر راهباً من هذا الدير باضطهاد برصوما الفاحش جلس المطران جرمي الذي اسامهُ جاثليق الارمن . واذ كان جرمي بعدُ في قيد الحيوة اسام خليفةً لهُ طوبانا . وهذا ايضاً لما اقترب اوان رحيلهِ من هذه الحيوة اسام تلميذهُ يشوعزخا . وخلف يشوعزخا سهدا . ثم شمعون . ثم خريستفور الذي كان معاصرًا لماروثا الذي اقيم مفريانًا في تكريت كما سنرى *

ودبّر قاميشوع اليعاقبة في المشرق احدى وثلاثين سنةً . وتوفي سنة ٦٠٩م في شيخوخةٍ كاملة (س ٢ : ٤١٦ . مق ١٦١) *

ثم فرغ كرسي اليعاقبة في المشرق خمس سنين . فاجتمع النصارى سنة ٦١٤م واختاروا راعياً لهم اسمهُ شموئيل . وكان رجلاً صالحًا * وقام شموئيل باعباء منصبهِ المطراني عشر سنين وانتقل الى ربهِ سنة ٦٢٤ م . ولبثت كنيسة اليعاقبة في المشرق مترملةً خمس سنين حتى أُقيم ماروثا مفريانًا في تكريت كما سياتي الكلام (عب ٢ : ٩٧ - ١١٧ . س ٢ : ٤١٦ مق ١٦١) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل السابع

في المؤلفين اليعاقبة الذين ازهروا في هذا العصر

ذهب بعضهم ان مؤلفي النساطرة اذا قابلناهم بمؤلفي اليعاقبة فهم يفوقونهم عددًا وفصاحة امّا اذا اعتبر موضوع تآليفهم. فمؤلفاتهم بالعموم هي احطّ قيمةً ممّا خلّفهُ لنا اليعاقبة * قال المطران يوسف اقليميس داود « وذلك لان علماء اليعاقبة كانوا باللغات الاجنبية ولاسيّما اليونانية اخبر من النساطرة. فانتفعوا من معرفة هذه اللغات. وجمعوا في كتبهم فرائد اليونان ونوادر كثيرة تهمّ المؤرخ واللاهوتي ومفتش العتائق البيعيّة وغير ذلك ممّا قلّما تراهُ في كُتب النساطرة » انتهى (١) *

واشتهر من المؤلفين القائلين بالطبيعة الواحدة في بدء انتشار هذه الشيعة كثيرون واشهرهم (١) برصوما القسيس رئيس الدير الواقع بقرب نهر الفرات. وقد مرّ الكلام عنهُ وتوفي محرومًا سنة ٤٥٨ م. ودُفن في ٣ شباط وفيهِ يعيّد لهُ السريان اليعاقبة والمصريون * وقد بُنيت على اسمهِ كنائس واديرة كثيرة في مصر وسورية وارمنية وبلاد الجزيرة. ومن اشهر هذه الاديرة ديرٌ بقرب ملطية. وفيهِ تُحفظ اصبعهُ بمثابة ذخيرة ثمينة كما روى ابن العبري * وباسم برصوما بعض رسائل تدور بين اليعاقبة. الآن العلماء قد لاحظوا انها تُنسب زورًا اليهِ كما روى السمعاني (س ٢ : ١٠) * (٢) شموئيل تلميذ برصوما. ونشر بين

(١) ولسوء الحظ ان تاليف النساطرة الاكثر اهمية وفائدة لم تصل الى يدنا. على انهم كانوا الفوا اكثر من عشرين مجلدًا في التواريخ واكثر من عشرين مجلدًا في اللاهوت والفلسفة والطبيعيات واكثر من اربعين مجلدًا في تفسير الكتاب المقدس وهلمّ جرًّا *

الارمن ضلال اوطاخي. وكتب اخبار معلمهِ برصوما وتوفي سنة ٤٦٠ م. ثم ٢٩٦ * (٢) اخسنايا اسقف منبج الذي مرّ الكلام عنهُ. وكان حاذقًا في اللغتين السريانية واليونانية * ومن تآليفهِ ترجمة المزامير والعهد الجديد الى السريانية. وتفاسير في الكتاب المقدس. ونافورة اي قداس في السريانية يبتدئ با ايها الرب الاله القوي. وصلوات يتلوها اليعاقبة في ساعاتهم القانونية. وطقس للعماد. وثلاثة مباحث في سر الثالوث والتجسّد. وعشر مقالات في الكلمة المتجسّد. واقرار ايمانهِ وفيهِ فضلاً عن العقيدة بالطبيعة الواحدة يدسّ القول بالمشيئة الواحدة. وجدال مع النساطرة على آية الرسول « الاله ابو ربنا يسوع المسيح رب المجد ». وبحث ضد النساطرة والاوطاخيين. وبحث في العفّة. ورسائل في مواضع شتى. ثم ٥٠٢ * (٤) شمعون الفوقي الذي اشتهر في قريةٍ تُدعى كيشير. قال ابن العبري « والّف تراتيل ذات تعاليم سليم مُختبر استفادهُ بهبةِ الهبّة لا بدرس اكتسابي » (عب ٢ : ١٩١ . س ٢ : ٣٢٢) *

وممّن ازهر في عهد ساويرا البطريرك من سنة ٥١٢ الى ٥٢٩ م (١) يوحنا اسقف التلّ احدى بلاد ما بين النهرين المعروفة ايضًا بقسطنطينية. وأُسيم سنة ٥١٢ م وطُرد من كرسيّهِ سنة ٥١٩ وقضى نحبهُ في انطاكية بعد سنة ٥٢٢. فانهُ في هذه السنة حضر المحاورة التي جرت بين الساويريين والخلقيدونيين اي الكاثوليكيين في القسطنطينية في عهد يوسطنيان الملك * ويثني ابن العبري في كتاب الهداية على القوانين التي سنّها يوحنا هذا (س ٢ : ٥٤) * (٢) مارا الذي جلس على آمد سنة ٥٢٠ م بعد بونوس ونُفي في هذه السنة الى حجر مدينة العرب ثم رحل الى الاسكندرية حيث قضى نحبهُ سنة ٥٢٧ م. وكتب تفاسير

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

في الانجيل يذكرها زكريا الملطي وديونيسيوس ابن الصليبي. ثمه ٥٢ * وهو غبر مارا الارثذكسي الذي اشتهر نحو سنة ٤٥٧ * (٢) سركيس الريشعيني ويصف ابن العبري مناقبهُ في ترجمة افرام الفطريرك الانطاكي. قال « وكان سركيس رجلاً فصيحاً ماهرًا في معرفة الكتب اليونانية والسريانية محنكًا في تطبيب الاجساد ». وهو اول من نقل الكتب الفلسفيّة والطبيّة من اللغة اليونانية الى السريانية * وانفذهُ افرام الفطريرك بسفارةٍ الى اغابيط البابا. والاقرب الى التصديق ان هذا سركيس كان دائمًا كاثوليكيًا. او انهُ انتقل من حزب القائلين بالطبيعة الواحدة الى المعتقد المستقيم. ثمه ٣٢٢ * (٤) بولس اسقف الرقة. وطردهُ يوسطين الملك من كرسيهِ سنة ٥١٨ م. فالتجأ الى الرها. ونقل ثمه من اللغة اليونانية الى السريانية بعض تآليف ساويرا الفطريرك. اعني كتابًا ضد يوليانوس القائل بفساد جسد المسيح. وهو يحتوي على ثمان مسائل وثمانية اجوبة. ورسالة الى الرهبان الشرقيين وخطبة دفاعيةً ضدًا الملحق يوليانوس. وجوابًا على حروم يوليانوس. وكتابًا ضد المانويين. ومن تآليف بولس ثلث مدائح في تكريس الميرون * ونقل ايضاً الى السريانية العونيثات التي الّفها ساويرا ذات الالحان الثمانية ونحوها (ثمه ٤٠٦. وس ١ : ٥٦٩ و ٥٧٠) *

ومن اشتهر في عهد بولس الاسود الفطريرك سنة (٥٤٢ - ٥٧٨ م) (١) يوحنا بر افتون رئيس دير قنّسرين الذي يسمى دير مار توما. وتوفي في ٤ تشرين الاول من سنة ٥٤٨ م. ولهُ تراتيل في ميلاد الرب وفي مدح ساويرا الفطريرك * (٢) يوحنا رئيس دير قنسرين ايضا ويعرف بالمرتّل. والّف تراتيل كثيرة بيعية * (٣) زكريا الملقب بالملاّلا او الخطيب. وصار اسقفًا

لملطية في ارمنية * والّف تاريخًا بيعيًا من زمان قسطنطين الملك الى السنة العشرين ليوسطنيانُس. وقسمهُ الى ثلاثة اجزاء. الاوّل هو مختصر تاريخ سقراط. والثاني مختصر تاريخ ثاودوريط. والثالث تأليفهُ. وتوفي نحو سنة ٥٥٠ م (س ١ : ٦١٢. و ٢ : ٥٤ * (٤) موسى الاجيلي ([illegible]) الذي اشتهر نحو سنة ٥٥٠ م. ونقل بعض تآليف مار قيرلس الاسكندري من اللغة اليونانية الى السريانية (س ٢ : ٨٢) * (٥) يوحنا اسقف اسيا الصغرى. وكانت آمد مسقط راسهِ * والّف تاريخًا بيعيًا من زمان ثاودوسيوس الصغير الى سنة ٥٧٤ م. وقد اختصرهُ ديونيسيوس الفطريرك وادخلهُ في تاريخهِ * (٦) يعقوب البراذعي. وقد مرّ الكلام عن ترجمة حالهِ. ولهُ نافورة او قداس بدءهُ « ايها الاله اب السلام القدّوس ». اما التعليم المسيحي الذي ينسبهُ البعض اليهِ فهو من تآليف نوح البافوني. ثمه ٨٢ *

وتآليف بطرس الصغير الفطريرك المعروف بالرقي هي نافورة تبتدئ « بيا ايها الاله الآب كلّي السموّ في الاجيال » وكتاب في سرّ التثليث نقضاً لتعليم دميانوس الفطريرك الاسكندري. وقسمهُ الى اربعة اجزاء يشتمل كل جزء منها على خمسة وعشرين فصلاً. ثمه ٧٧ *

والّف بوليانوس الاوّل الفطريرك كتابًا محاماةً عن بطرس الرقي معلّمهِ وسالفهِ ردًّا على اسقف الرها الذي حاول نقض كتاب بطرس الرقي الذي نشرهُ ضد دميان الاسكندري. ثمه ٣٢٢ *

واشتهر من المؤلفين في عهد بوليانوس الاوّل (١) قرياقوس اسقف آمد وخلف يوحنا سنة ٥٧٨. ولهُ قوانين تهذيبيةٌ ذكرها ابن العبري في مجموعتهِ

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

واثنى عليها . وتوفي سنة ٦٣٢ م . ثم ٩٠ * (٣) وتوما الحرقلي . ومنذ نعومة اظفاره تهذَّب في دير قنسّرين ودير ترعيل في اللغة اليونانية والسريانية . وارتقى الى كرسي منبج ثم اضطهده دومطيان اسقف ملطية فهرب من سورية الى مصر سنة ٦١٦ م . واقام في دير الانطونيين بالاسكندرية * واشتغل ثمة في نقل العهد الجديد وبعض اسفار العهد القديم من اللغة اليونانية الى السريانية . ولترجمتهِ هذه اعتبار عظيم بين اليعاقبة (١) . ونشر ايضا نافورةً او قدّاسًا في السريانية بدءها « يا ايها الموجود الازلي والخفي » ونقل ايضًا الى السريانية النافورات او التداديس اليونانية التي كتبها مار باسيليوس الكبير . ومار غريغور النازينزي والنصّيني . ويوحنا فم الذهب . وقد اتخذ اليعاقبة استعمالها في بيعهم (س ٢ : ٩٢) *

ومن المؤلفين على عهد ثاودور الفطريرك سنة ٦٤٨ - ٦٦٧ م * (١) ساويرا او هو شابوخت اسقف قنسرين ويمدحهُ ابن العبري لمهارتهِ بالمعارف الفلسفية

(١) ان ابن العبري في فاتحتهِ على كتابهِ المعروف بهري الاسرار ܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ قال في شان ترجمات الكتب المقدسة السريانية التي يستعملها السريان المشارقة او المغاربة اينما وجدوا ما نصّهُ « في شان هذه الترجمة (السريانية البسيطة التي تطابق العبراني) يوجد ثلاثة اراء . الاول هو انها صدرت في زمان سليمان وحيرام الملك . والثاني هو ان آسا الكاهن قد اشتغلها حينما انفذه الاثوري الى السامرة : والثالث هو انها صنعت في عهد مار ادّي الرسول وابجر ملك الرها . وذلك في اثناء ترجمة العهد الجديد على هذا النمط البسيط * الّا ان العهد الجديد قد ترجم باعظم اعتناء من اللغة اليونانية الى السريانية في مدينة منبج على عهد فيلوكسين . واخيرًا ترجم ثالث مرة في الاسكندرية على يد توما الحرقلي في دير الانطونيين * اما العهد القديم السبعيني فقد نقلهُ من اليونانية الى السريانية بولس اسقف تلا موزلات » انتهى *

والرياضية والبيعية . وكان عائشًا سنة ٦٤٠ م . ثم ٢٢٥ و٤٦٣ * (٢) يوحنا الاسقف البُصروي نسبةً الى بُصرى بالالف المقصورة احدى مدن الحجاز في بلاد العرب وهي غير البصرة . واشتهر من سنة ٦١٧ الى ٦٥٠ م . وفيها توفي في آمد ودُفن في بيعة مار يوحنا الممذان * والّف نافورةً مبدأها « يا الله مانح المحبة والسلام » . ورُوي ان لهُ ايضًا تفاسير في الكتاب المقدس . ثم ٩٧٤ * (٣) حبيب دات السنوري الآمدي الذي اشتهر نحو سنة ٦٦٥ ونقل من اللغة اليونانية الى السريانية قصائد مار غريغور النازينزي . ثم ٥٠٢ . س مق ١٧١ - ١٧٥ *

الفصل الثامن

في ظهور بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة والفِرَق والمِلَل التي انقسمت اليها الفطريركيّة الانطاكية بعد ذلك في اواخر القرن السابع

بعد ان حُرِمت بدعة القائلين بطبيعةٍ واحدة انقضّت بدعة اخرى على البيعة لبس اقل هولاً منها كانت نتيجتها المنطقية وهي القول بمشيئةٍ واحدة وفعلٍ واحدٍ في المسيح * فان بعضًا من القائلين بالطبيعة الواحدة ولاسيما فطريركهم اثناسيوس شرعوا يذيعون بين الناس هذا القول . فسُمّوا مونوثليّين اعني قائلين بمشيئةٍ واحدة . وجرى ذلك في نحو اواخر القرن السابع * وتمسّك منذ الاوّل بهذه البدعة سرجيس فطريرك قسطنطينية وساعده هرقل الملك على نشرها وتقرير ضلالها . وابرز منشورًا في تاييدها عُرِف بالاكثسيس اي الشرح * ووافق سرجيس قورُش فطريرك الاسكندرية على الارثدكسيّين الذين يُقال لهم الملكيّين . والفطاركة الثلاثة الذين جلسوا بالتتابع على كرسي انطاكية للملكيّين

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

واثنى عليها . وتوفي سنة ٦٢٢ م . ثمه ٩٠ * (٢) وتوما الحرقلي . ومنذ نعومة اظفاره تمهّر في دير قنسرين ودير ترعيل في اللغة اليونانية والسريانية . وارتقى الى كرسي منبج ثم اضطهده دومطيان اسقف ملطية فهرب من سورية الى مصر سنة ٦١٦ م . واقام في دير الانطونيين بالاسكندرية * واشتغل ثمه في نقل العهد الجديد وبعض اسفار العهد القديم من اللغة اليونانية الى السريانية . ولترجمتهِ هذه اعتبار عظيم بين اليعاقبة [1]. ونشر ايضا نافورةً او قدّاسًا في السريانية بدءها « يا ايها الموجود الازلي والخفي » ونقل ايضاً الى السريانية النافورات او القداديس اليونانية التي كتبها مار باسيليوس الكبير . ومار غريغور النازينزي والنصّيبني . ويوحنا فم الذهب . وقد اتخذ اليعاقبة استعمالها في بيعتهم (س ٢ : ٩٢) *

ومن المؤلفين على عهد ثاودور الفطريرك سنة ٦٤٨ - ٦٦٧ م * (١) ساويرا او هو شابوخت اسقف قنسرين ويمدحهُ ابن العبري لمهارتهِ بالمعارف الفلسفية

(١) ان ابن العبري في فاتحتهِ على كتابهِ المعروف بهري الاسرار ܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ قال في شان ترجمات الكتب المقدسة السريانية التي يستعملها السريان المشارقة او المغاربة اينما وجدوا ما نصّهُ « في شان هذه الترجمة (السريانية البسيطة التي تطابق العبراني) يوجد ثلاثة اراء . الاول هو انها صدرت في زمان سليمان وحيرام الملك . والثاني هو ان آسا الكاهن قد اشتغلها حينما انتدبه الاثوري الى السامرة ؛ والثالث هو انها صنعت في عهد مار ادّي الرسول وابجر ملك الرها . وذلك في اثناء ترجمة العهد الجديد على هذا النمط البسيط * الاّ ان العهد الجديد قد ترجم باعظم اعتناء من اللغة اليونانية الى السريانية في مدينة منبج على عهد فيلوكسين . واخيرًا ترجم ثالث مرة في الاسكندرية على يد توما الحرقلي في دير الانطونيين * اما العهد القديم السبعيني فقد نقلهُ من اليونانية الى السريانية بولس اسقف تلا موزلات » انتهى *

والرياضية والبيعية . وكان عائشاً سنة ٦٤٠ م . ثمه ٢٢٥ و٤٦٢ * (٢) يوحنا الاسقف البُصروي نسبةً الى بُصرى بالالف المقصورة احدى مدن الحجاز في بلاد العرب وهي غير البصرة . واشتهر من سنة ٦١٧ الى ٦٥٠ م . وفيها توفي في آمد ودُفن في بيعة مار يوحنا المعمذان * والّف نافورةً مبدأُها « يا الله مانح المحبة والسلام » . ورُوِي ان لهُ ايضًا تفاسير في الكتاب المقدّس . ثمه ٩٧٤ * (٢) حبديدات السنوري الآمدي الذي اشتهر نحو سنة ٦٦٥ ونقل من اللغة اليونانية الى السريانية قصائد مار غريغور النازينزيّ . ثمه ٥٠٢ . س مق ١٧١ - ١٧٥ *

الفصل الثامن

في ظهور بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة والفِرَق والمِلَل التي انقسمت اليها الفطريركيّة الانطاكيّة بعد ذلك في اواخر القرن السابع

بعد ان حُرِمت بدعة القائلين بطبيعةٍ واحدة انقضّت بدعة اخرى على البيعة لبس اقل هولاً منها كانت نتيجتها المنطقية وهي القول بمشيئةٍ واحدة وفعلٍ واحدٍ في المسيح * فان بعضاً من القائلين بالطبيعة الواحدة ولاسيما فطريركهم اثناسيوس شرعوا يذيعون بين الناس هذا القول . فسمّوا مونوثليّين اعني قائلين بمشيئة واحدة . وجرى ذلك في نحو اواخر القرن السابع * وتمسّك منذ الاوّل بهذه البدعة سرجيس فطريرك قسطنطينية وساعده هرقل الملك على نشرها وتقرير ضلالتها . وابرز منشورًا في تاييدها عُرِف بالاكتسيس اي الشرح * ووافق سرجيس قورُش فطريرك الاسكندرية على الارثذكسيّين الذين يُقال لهم الملكيّين . والفطاركة الثلاثة الذين جلسوا بالتتابع على كرسي انطاكية للملكيّين

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

في ذلك العصر. وهم مقدونيوس وجورجيوس . ومقاريوس * وممن انقاد الى مذهب المونوثليين لمّا شدّد هرقل الامر لقبول منشوره اليعاقبة ولاسيما الرهبان منهم الذين كانوا قد اقتبلوا تحديد المجمع الخلقيدوني بالطبيعتين . الّا انهم افسدوهُ بضلال هرقل المونوثليّ *

الّا ان الله اقام لردع هذه البدعة صفرونيوس اسقف اورشليم . ففنّدها في رسالةٍ سديدة المعنى مبيّناً ان الكنيسة كما اعتقدت على الدوام ان في المسيح طبيعتين مُتميّزتين غير مختلطتين الهية وانسانية كذلك آمنت دائمًا ان فيهِ تعالى مشيئتين وفعلين تبعًا لطبيعتيهِ المتميّزتين الالهية والانسانية * واصاب مرتينُس البابا في هذه الغضون نوائب شتى . فان هذا كان غيورًا على الحق فجلبت هذه غيرتهُ على راسهِ بلاءً عظيمًا * فان قسطنس الذي خلف هرقل اراد تاييد بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة بمنشورٍ آخر عُرف بالطومُس اعني الرسم. فقاومهُ مار مرتينس * فاستشاط قسطنس غضباً . وبعث استأسرهُ من رومية الى عاصمة المملكة ثم نفاهُ . فمات في النفي بعد ان قاسى عذاباتٍ شديدة

ولكن لم يهمل الله بيعتهُ بل نصرها على ابواب الجحيم . فانهُ اقام قسطنطين المعروف باللحياني . فسعى في رمّ الخراب الذي ادخلهُ سلفاؤهُ الملوك في البيعة * وكتب الى اغاثون البابا واظهر لهُ نيّتهُ في عقد مجمعٍ مسكوني لتقويم الايمان الطاهر . وجرى ذلك سنة ٦٨٠ م * وجرى تحديد المعتقد الكاثوليكي بكل أُبهة . فانّ اغاثون البابا انفذ ثلاثة نواب عنهُ الى القسطنطينية ليترأسوا على المجمع . وعُقد المجمع في احدى قاعات قصر الملك * وحضرهُ الملك وحياهُ آباء المجمع بقسطنطين الثاني . وفحصوا عن آيات الكتاب

المقدس وقوانين المجامع السابقة ونصوص الآباء القدّيسين . فوجدوا ضلال القائلين بمشيئة واحدة في المسيح مناقضاً لها * ولذلك ابرزوا القضيّة بهذه الصورة : «نحكم بان في المسيح مشيئتين وفعلين طبيعيّين وننهي عن القول بخلاف ذلك» * وامضى احكام هذا المجمع نوّاب البابا والملك والمائة والستّون اسقفاً الذين حضروا هذا المجمع *

وعوّل هؤلاء الآباء قبل فضّ المجمع على ان يضربوا بالحرم اصحاب هذه البدعة وخاصّةً اساقفة قسطنطينية وانطاكية والاسكندرية الذين نشروا القول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة *

وممّن التطخ بهذه الضلالة جماعة كبيرة في فونيقي * هذا وان النساطرة واليعاقبة ايضاً يقولون ولو بصورةٍ غير رسميّة بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد *

ولعلّ سائلاً يسأل كيف تمزّقت الفطريركية الانطاكية الى فِرَق وملل مختلفة في القرن السابع بعد هذه البدعة. فنقول : لا يخفى ان كل البدع في المشرق قد نبعت من هذه الفطريركية من زمان النسطرة الى عهد هذه البدعة المونوثاية . وكان اصحاب كل من هذه البدع ينشقّون منها وينشؤون شيعةً جديدة مستقلّة عاصية على رؤسائها الشرعيين وهم فطاركة انطاكية * وهكذا الى اواخر القرن السابع وُجد نصارى هذه البطريركية الانطاكية منقسمين الى اربع فرق او ملل اعني الارثذكسية والنسطورية واليعقوبية والمونوثلية . ولم يبق صادقاً في المعتقد الكاثوليكي سوى الارثذكسية المعروفة بالملكية او الخلقيدونية القائلة باقنومٍ واحد وطبيعتين ومشيئتين في المسيح * ثم لكي يميّز الملكيّون انفسهم عن سائر الفرق المتولّدة من الفطريركية الانطاكية تبعوا الكنيسة القسطنطينية في طقسها ومن ثم

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

في انشقاقها ايضاً * ثم نشأت بعد ذلك في وسط الفطريركية الانطاكية ايضاً في نحو اواخر القرن السابع فطريركية اخرى عُرِفت بالمارونية * وكان الملكيون في النواحي الشمالية والمتوسّطة من سورية خاصّةً . وكان منهم كثيرٌ في بلاد الجزيرة والعراق وكان لهم كنيسة في آمد واخرى في الرها * واستبدّوا على الدوام بانطاكية مركز فطريركيتهم التي لم يكن احقّ منهم بها . ولم يتمكّن زعماء بقية الشيع مع الحبل التي اتخذوها ان يسكنوا فيها حتى زمان الانشقاق القسطنطيني* وانتشر اليعاقبة في بلاد سورية كلها ولاسيما الجهات الشرقية والجنوبية منها . وفي بلاد ما بين النهرين والعراق* واستمالوا في الاجيال المتاخّرة اقواماً كثيرة من الهنود الملباريين الى شيعتهم . كانوا في الاصل نساطرة * وكان النساطرة مركزهم في بلاد العراق العربي . وكانوا منتشرين في بلاد الجزيرة وكردستان وفارس * وفي القرون المتوسّطة انبثّوا الى اقاصي بلاد الهند من جهةٍ والى بلاد الشام وجزيرة قبرس من جهةٍ اخرى *

وقد عاملت الكنيسة الكاثوليكية اصحاب كل هذه الشيع كما استحقّوا . فانها حرمتهم وطردتهم من حضنها * لانها كما قذفت بكل حق النساطرة الذين لم يزالوا يقولون كما قال نسطور ان في المسيح اقنومين وانهُ هيكل كلمة الله لا غير وان مريم ليست والدة الله . ويحرمون مجمع افسس ويتعوّذون من مار قيرلس والاشتراك مع المعتقدين عكس اعتقادهم كذلك اقصت من حظائرها اليعاقبة الذين يقولون ان في المسيح طبيعة واحدة ويجعلون اختلاطًا وتشويشاً في الطبيعتين الالهية والانسانية المتميزتين * وهكذا حرمت المونوثليين الذين زعموا ان في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحدًا . لان الاختلاف في الامانة

هو امر جوهريّ لا تستطيع الكنيسة عروس المسيح البريئة من كل عيب ان تتساهل مع الهراطقة في شانهِ *

والموارنة هم سكان جبل لبنان وبلاد سورية الكبرى وقراها * وانما دُعوا موارنة لانهم يُنسبون الى دير مار مارون الكبير الراهب الذي شاد ديره في جبل لبنان . فكان الموارنة ينتمون اليهِ ويؤمنون ايمان رهبانهِ *

الفصل التاسع

في اشهر الاديرة التي تبوّاها اليعاقبة في بلاد سورية والجزيرة

نشر الطريقة الرهبانية في بلاد سورية هيلاريون الناسك وبولس وتلاميذهما * اما في بلاد الجزيرة فسعى في نشرها مار اوجين الطوباوي ورفقاؤهُ الاثنا عشر وتلاميذه الاثنان والسبعون كما مرّ الكلام * ولا يخفى ان القائلين بالطبيعة الواحدة اي اليعاقبة قد اقتفوا آثار اجدادهم الاوّلين وتمسكوا بالطريقة الرهبانية التي كانت موجودةً قبل انفصالهم من البيعة الكاثوليكية * وليس للطريقة الرهبانية بين اليعاقبة نَسَقٌ واحد فان بعض الرهبان كانوا يعيشون في الاديرة تحت ادارة رئيسهم ويسمّون ديريين وبالسريانية ܕܝܪ̈ܝܐ او ܥܘܡܪ̈ܝܐ . وغيرهم كانوا يؤثرون العيشة المتوحّدة وهم المتوحّدون ܝܚܝ̈ܕܝܐ . وبعضهم كانوا يحبسون انفسهم في التلالي ويسمّون حبيسين ܚܒܝ̈ܫܝܐ . اويسكنون فوق عمود ويُعرفون بالعموديين ܐܣܛܘܢ̈ܝܐ اقتداء بمار شمعون العمودي *

ويسوغ لنا ان نعتبر الاديرة التي تبوّاها اليعاقبة على صنفين . فمن الصنف الاوّل الاديرة التي كانت قد تاسّست قبل ظهور بدعتهم . ثم

ضبطوها بعد استفحالهم في بلاد سورية والجزيرة من الكاثوليكيين والنساطرة .

ومن الثاني الاديرة التي اسّسوها هم بجدّهم ونفقاتهم وسعوا في تعميرها بسكنى الرهبان وادارتها بالاصول القانونية * وكان بودّنا ان نذكر كل دير في نحو الزمان الذي بُني فيهِ . الّا انهُ لما كان متعذرًا تحقيق هذا الزمان نظرًا الى اكثر هذه الاديرة راينا الأولى ان نصف هذه الاديرة كلها معًا مُخالفين نظام الزمان *

اما اشهر الاديرة من الصنف الاول فهي الآتية . الاوّل دير اوسيبونا بقرب تلعدا القرية المعروفة اليوم بجسيا . وهي في كورة انطاكية في صحراء سورية في الطريق التي تؤدّي من حمص الى دمشق * وبناهُ اوسيبونا وابيبيون . واشتهر منذ عهد مار شمعون العمودي الذي قضى حياتهُ النسكية فيهِ . ثم صار مأوى الرهبان اليعاقبة * وسكن فيهِ احيانًا فطاركة اليعاقبة الاوّلون . وخرج منهُ يوحنا الاول الفطريرك المعروف بسدرات . واقام فيهِ يعقوب الرهاوي بعد انعزالهِ من كرسيهِ احدى عشرة سنة يُعلّم رهبانهُ اللغة اليونانية * واخضع ديونيسيوس الاوّل بامر وزير الخليفة الى طاعتهِ رهبان هذا الدير الذين كانوا قد انحازوا الى ابراهام النطريرك الزوري *

الثاني دير تلعدا . ويُعرف بالكبير ليتميز عن دير اوسيبونا المذكور القريب هو ايضًا من تلعدا . ولُقّب عن تلعدا القرية المذكورة * وبناهُ اوسيبيون وابيبيون ايضًا . وتلطخ رهبانهُ ببدعة القائلين بالطبيعة الواحدة في القرن السادس * ولما خرج يعقوب الرهاوي من دير اوسيبونا اتى دير تلعدا الكبير وعدّل فيهِ ترجمة العهد القديم اليونانية * ومن الفطاركة الذين اسيموا وجلسوا فيهِ يوحنا الخامس وديونيسيوس الثالث وابراهام *

الثالث . دير مارزاخي بقرب الرقة حيث اقام ديونيسيوس الاوّل ويوحنا الثالث احيانًا فيهِ * وكان ماروثا قبل ان يرتقي الى المنصب المفرياني قد اقام فيهِ نحو عشرين سنةً *

الرابع . دير مار متى الواقع على جبل مقلوب او جبل الألفاف . وهو قريب من نينوى في بلاد آثور . وقد مرّ وصفهُ مفصّلًا . وكان يدعى ايضًا دير كوختنا * وصار كرسي مطران نينوى لليعاقبة . ولذلك سُمي مطرانهُ مطران دير مار متي . وصار لهُ المقام الاوّل بين كراسي المشرق بعد المفريان . ثم اضيف الى هوفركيتهِ المفريان سنة ١١٥٥ م . ثم استقلّ بعد انقطاع المفريانية من بين اليعاقبة * ونهب الاكراد هذا الدير مرارًا كثيرة ولاسيما في عهد اثناسيوس المفريان سنة ١٢٦٩ م * ولا يخفى ان هذا الدير هو اقدم بكثير من تاريخ ظهور اليعاقبة وانتشارهم في المشرق . وكان يومًا قبل ظهور البدع في حوزة الكاثوليكيين المشارقة . ثم نزع رهبانهُ الى المذهب النسطوري ثم ضبطهُ اليعاقبة في اواخر الجيل السادس [1] واستمرّ مأوى لليعاقبة الى اليوم *

الخامس . دير مار احى على ضفة الفرات بقرب شمشاط . ويرد ذكره لدى ابن العبري *

السادس . دير الزعفران الذي بناهُ مار اوجين بقرب ماردين . وانما

(١) طالع ترجمة ربان برعدتا ف ٢٥ حيث يذكر ان زكى المونوفيسيتي قد استولى عليهِ بسعي جبرائيل السنجاري طبيب خسرو ملك الفرس كما مرّ (وجه ٢٤٦) . وكان قد تنبأ الربان برعدتا عن ذلك وامر يشوعسبرن رئيس دير مار متى ورهبانهُ ان ينقلوا اثاثهم الى ديره قبل وقوع الامر . وهمّ زكى ان يغوي قرى نينوى بضلالهِ . الا ان قرية باكوربق وكرمليس والزوابي وبابورا لم تطاوعهُ بخلاف قريتي برطلي وبادانيال *

سُمِّي دير مار حنانيا لانهُ رُمِّمَ بعد ذلك بسعي حنانيا اسقف ماردين واغناطيوس اخسنايا الفطريرك. وصار كرسي فطاركة اليعاقبة منذ سنة ١١٦٦ الى هذا اليوم * ووُجد مسطَّرًا في مصحف قديم انهُ بني على اسم مار حنانيا ومار اوجين واثني عشر الف قديس. وروى عنهُ يوحنا اسقف ماردين «انهُ لم نجد متى وكيف وعمَّن سُمِّي ولا يُعرف اسم قديس بُني على اسمهِ قبل حنانيا الاسقف» الذي أُسيم على ماردين وكفرتوث سنة ٧٩٢ م * ويُؤْخذ عن ابن العبري انهُ اشتهر سنة ٦٨٤ م حنانيا آخر كان اسقفًا على ماردين. ولعلهُ هو الذي بنى هذا الدير او جدَّدهُ * اما اليعاقبة فيدعون هذا الدير باسم مار حنانيا الثاني الذي اشتهر نحو سنة ٧٩٢ وباسم مار اوجين واثني عشر الف قديس استنادًا على الآثار القديمة كما مرَّ الكلام الآن * وعلى كل حالٍ فنسبة هذا الدير الى مار اوجين وقدمهُ مع جهل اليعاقبة بانيهُ الاوَّل دليل أكيد على انهُ من آثار مار اوجين رئيس الرهبان في المشرق. وبناء عليهِ نرى بلا شك ان هذا دير الزعفران كان قبل القرن السابع بيد السريان الكاثوليكيين ذوي النفوذ في هذه بلاد ما بين النهرين قبل استفحال اليعاقبة وانتشارهم فيها *

السابع. دير مار بهنام الواقع بقرب قرقوش المعروفة في السريانية بخوديدا. وقد شادهُ سنحاريب ملِكُ نينوى ونواحيها الذي كان قد تنصَّر على يد مار متى الشيخ بعد تكليل ابنهِ مار بهنام وسارة ابنتهِ ووُضِعت عظامهما فيهِ * ولم يزل هذا الدير في يد النصارى المشارقة المعروفين اليوم بالكلدان حتى استولى عليهِ اليعاقبة بعد استفحالهم في بلاد الجزيرة في نحو القرن السابع. وكان معمورًا الى سنة ١٧٤٦ م التي فيها غار طهماز او هو كولي خان

ملك العجم على الموصل ونواحيها كما سنرى * وكان المطران اليعقوبي يومًا على قرقوش يوانيس او يوحنا قارُس. وكان يومئذٍ في قرقوش نحو عشرين قسّيسًا و١٢٠ شماسًا كما يُستفاد من قصة غارة طهماز السريانية * امَّا الآن فقد صار دير مار بهنام بعد قسمة البيع بيد السريان الكاثوليكيين (1) *

الثامن. دير العُمر. وهو في جبل الطور ويسكنهُ الآن بعض رهبان اليعاقبة. ورُوِي ان سقف بيعتهِ كان مجمَّلًا بتصاوير ونقوش لطيفة وخرَّبها تمرلنك في غاراتهِ *

التاسع. دير مار يوحنان الواقع في جوار الجزيرة العمرية كما مرَّ *

العاشر. دير الزعفران القريب من نصيبين. وهو غير دير الزعفران المعروف ايضًا بدير مار حنانيا القريب من ماردين المار ذكرهُ. وكان بيد النساطرة وسياتي الكلام كيف ضبطهُ اليعاقبة وقد مرَّ وصفهُ عن ياقوت الحموي *

الحادي عشر. دير نخلايا الواقع في جبل قردلا بقرب قرية بيكند في اقليم البهدان في هوفركية ارزن وسعرد. ويُعرف اليوم باسم ديري * وسياتي الكلام كيف ضبطهُ اليعاقبة في بدء القرن التاسع عشر (س مق ٩٦ - ١٠١) *

الفصل العاشر

في اديرة اليعاقبة من الصنف الثاني

ان اديرة اليعاقبة من الصنف الثاني اعني التي بناها اليعاقبة نفسهم

(١) والظاهر ان دير مار بهنام هو دير الجب الذي روى عنهُ ياقوت الحموي «انهُ في شرقي الموصل بينها وبين اربل مشهور يقصده الناس لاجل الصرع فيبرا منهُ بذلك كثير» *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

هي كثيرة . ونذكر منها الآتية . اعني دير مار هابيل . ودير القيّارة . ودير بارد . ودير برصوما . ودير قنّسرين . ودير الصليب الاقدس . ودير الاحمر . ودير جويقات . ودير الجُب البراني . ودير مار يعقوب الذي في صلح . ودير مار ملكا . ودير الجدلية . ودير نطفا ܢܛܦܐ . ودير سفولوس . ودير مار سركيس . واديرة زَبَر وغيرها *

وكان موقع دير مار هابيل في كورة معدن ܡܥܕܢ من ما بين النهرين . وكان كرسي الاسقف المعدني *

وفي دير القيّارة قال ياقوت الحموي « وهو لليعقوبية على اربعة فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من اعمال الحديثة مُشرفٌ على دجلة . وتحته عين القار . وهي عين تفور بماء حار نصبّ في دجلة ويخرج منهُ القار * فما دام القير في مائهِ فهو ليّن يمتدّ . فاذا فارق الماء وبرد جفّ * وهناك قومٌ يجمعون هذا القير ويغرفونهُ من مائهِ بالقفاف ويطرحونهُ على الارض . ولهم قدور حديد مركّبة على مستوقدات فيُطْرَح القير في القدور ويُخْلَط لهُ ويُطرح عليهِ بمقدار يعرفونهُ تحتهُ حتى يذوب ويختلط بالرمل وهم يحرّكونهُ تحريكًا . فاذا بلغ حدّ استحكامهِ صُبّ على وجهِ الارض * ويقصدون هذا الموضع للتنزه والشرب ويستحمّون من ذلك الماء الذي يخرج من القار لانهُ يقوم مقام الحمّامات في قلع البثور وغيرها من الأدواء . ولهُ قائمٌ . وكل دير لليعقوبية والملكانية فعندهُ قائم . وديارات النسطورية لا قائم لها » انتهى *

وبنى دير بارد يوحنا السابع الفطريرك المعروف بسريغتا بقرب ملطية واقام فيهِ من سنة ٩٦٩ الى ٩٨٥ م *

ولليعاقبة على اسم برصوما اديرة كثيرة في السنّ وكورة قلوديا في ارمنية الصغرى وبقرب دير حنانيا . الّا ان اشهر هذه الاديرة الدير القريب من ملطية * ويشهد ابن العبري ان اصبع برصوما هي محفوظة فيهِ . وفيهِ ايضًا ذخائر بطرس الرسول موضوعة في صورةٍ مرصّعة بالجواهر والذهب كان قد نهبها قليج ارسلان الملك من معسكر الروم واهداها لميخائيل الاوّل فطريرك اليعاقبة * وحُرق هذا الدير وهيكل بيعتهِ بالنار سنة ١١٨٢ ثم جُدّدت عمارتهُ بعد ثلث سنين بسعي الفطريرك ميخائيل المذكور كما روى ابن العبري * وخرج من هذا الدير فطاركة كثيرون اقاموا كرسيهم فيهِ * ولا يخفى ان برصوما هو الذي حرمهُ المجمع الخلقيدوني لتمسّكهِ بالبدعة الاوطاخية كما مرّ الكلام عنهُ * قال ياقوت الحموي في دير برصوما « هو الدير الذي ينادى لهُ بطلب نذره في نواحي الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم وهو قرب ملطية على راس جبل يشبه القلعة وعنده منيرة . وفيهِ رهبان كثيرة يؤدّون في كل عام الى ملك الروم وللمسلمين من نذورهِ عشرة آلاف دينار على ما بلغني » *

ويُدعى دير قنّسرين ايضًا دير برتونايا وهو مشوّهٌ عن ܒܝܬ ܬܪܘܢܝܐ * وكان يوحنا الافثوني رئيس دير سلوقية بقرب قنّسرين . وكان هذا الدير يُدعى يومًا دير قنّسرين ثم عُرف من لقب يوحنا المذكور * ويرد ذكر هذا دير قنسرين في تاريخ ابن العبري مرارًا كثيرة . وخرج منهُ فطاركة كثيرون اقاموا كرسيهم فيهِ *

وكان موقع دير الصليب الاقدس في مدينة حاح وهو كرسي اسقفها *

ودير الاحمر هو بقرب قرية تسمّى دير العمر ومجاورة لبعلبك وفونيقية اللبنانية . وكان كرسي اسقف بعلبك . ثم عهد الى اسقف دمشق الذي صار يتولى فونيقية *

ودير جوبنات ܓܘܒܢܝܬܐ هو قريب من مصيصة احدى مدن قيليقية . وكان كرسي فطاركة سيس . وهم الذين كانوا يتولّون امر يعاقبة سورية وقيليقية في زمان الانشقاق الذي المّ بالطائفة اليعقوبية *

ودير الجب البراني ܓܘܒܐ ܒܪܝܐ هو في ناحية انطاكية ، وعقد فيهِ بطرس الرقي الفطريرك مجمعاً لينظر في امر بروب ويوحنا . وخرج منهُ فطاركة اقاموا كرسيهم فيهِ * ودير مار يعقوب الذي في صَلَح واقع في جبل عابدين الى وراء الدجلة وكان كرسي اسقف صلح * اما دير مار ملكا فهو في جبل عابدين ايضا . وفي ناحية انطاكية دير بهذا الاسم ايضاً . وفيهِ انكب اثناسيوس الفطريرك على ترجمة الكتب الى اللغة السريانية *

ودير المجدلية هو في اورشليم وكان كرسي اسقف اورشليم اليعقوبي . وكان فيهِ على عهد اغناطيوس داود نحو اربعين راهباً * ودير نطفا بقرب ماردين ودير الزعفران . ورمَّهُ حنانيا اسقف ماردين نحو سنة ٧٩٣ واغناهُ بخزانة كتب نفيسة * اما دير سفولوس ܣܦܘܠܘܣ فهو بقرب راس العين احدى مدن ما بين النهرين . ورمّهُ اثناسيوس التاسع سنة ١٢٠٦ م . وخرج منهُ فطاركة اقاموا كرسيهم فيهِ *

وكان دير مار سركيس في جبل صهيا ܨܗܝܐ في ناحية بلد الواقعة على الدجلة وكان كرسياً اسقفيًا خاضعاً للمفريان . وقرنهُ متى المفريان سنة ١٢٢٠ م بابرشية سنجار . ثم فرقهُ ابن العبري واسام اكل من سنجار وهذا الدير اسقفاً على حدةٍ * واما ادبرة زبر ܙܒܕ فهي في ناحية ملطية . وتولى امرها باجازة اثناسيوس الثامن اسقف لاقبين الذي طُرِد من كرسيهِ (س متى ٩٦-١٠١) *

وكان لليعاقبة ادبرة اخرى كثيرة غيرها الّا انها لم تكن مُهمَّة مثل هذه * وسياتي ذكرها وموقعها في سياق هذا التاريخ عندما يدور الكلام عن اختيار الفطاركة الذين كانوا رهباناً فيها . ولذلك اهملنا البحث عنها مخصصاً حبًّا بالاختصار * ولم تبق كل هذه الادبرة معمورةً بالرهبان الى هذا الزمان . فانها اقفرت وصار اكثرها قاعاً صفصفاً . ولم يبق منها سوى بعض الاثار التي تُنبىء عن كثرة الرهبان الذين ازهروا في ما بين هذه الطائفة اليعقوبية وعن انحطاط شأنها * وقد جرى لها ما جرى للنساطرة الذين كانوا يملكون ادبرة كثيرة في بلاد الجزيرة وآثور وفارس والعراقين وتركستان والهند والصين. ثم اندثرت وخلت من الرهبان. ولم يبق لليعاقبة اليوم سوى ديرين معمورين. وهما دير الزعفران كرسي الفطركية ودير مار متى الشيخ *

الباب التاسع

في إقامة المفريانية لليعاقبة في المشرق وفي وظيفتها وسلطانها . والمفريانات الاوّلين الذين تولّوا امرها

الفصل الاول

في مقام المفريان لدى اليعاقبة واصلهِ والابرشيات الخاضعة لسلطانهِ

ان مقام المفريانية لدى اليعاقبة هو عبارة عن منصبٍ او رتبةٍ يتقدم بها صاحبها على سائر الاساقفة * ولذلك يرى بعض المحققين ان معنى ܡܦܪܝܢܐ مُخصِب إشارةً الى رئاستهِ وابوتهِ التي تولّد الاساقفة لتدبير المومنين . فالمفريان

يجوز المقام الاوّل بعد الفطريرك لدى اليعاقبة * وروى المؤرّخون ان هذا المقام ناتي اوّلاً عن تلاميذ الرسل مار ادّي واجي وماري . لانه منذ القرون الاولى كان لنصارى المشرق الخاضعين لدولة الفرس في بلاد ما بين النهرين والاقاليم المجاورة اساقفةٌ كان براسهم مقدّم يجلس في عاصمة المملكة المعروفة بالمدائن * فهذا زعيم الاساقفة الفرس ولو كان خاضعاً راساً الى فطريرك انطاكية الّا انه حاز التولّي عليهم فسُمّي لذلك مقدّماً وجاثليقاً * ولمّا انفصل السريان بسبب البدعتين الهائلتين النسطورية واليعقوبية اللتين فتكتا في المشرق . اقام اليعاقبة لانفسهم زعيماً في المشرق لقّبوهُ المفريان او المقدّم . وبقي لقب الجاثليق والفطريرك مخصوصاً بزعيم النساطرة *

امّا متى أُقيم المفريان لدى اليعاقبة بعد انفصالهم من بقيّة نصارى المشرق ولاسيما النساطرة فقد راى ابن العبري في تاريخهِ البيعي ان يعقوب البراذعي هو اوّل من سعى باقامة المفريان . فانه جعل احودمّي مطراناً على المشرق . ومن هذا الزمان صار مقدّمان في المشرق . الاوّل لليعاقبة وهو احودمّي المذكور والآخر حزقيال الذي كان يتولى امر النساطرة على ذلك العهد . ولذلك فابن العبري يبدا بتقويم المفريانات وتواريخهم من احودمّي * ولكن يجب القول انه لا احودمّي ولا خليفتاهُ قاميشوع وشمويل المار ذكرهما يُعدّون بين المفريانات . لانه لم يكن لهم كرسي ثابت * واول مفريان اقيم على اليعاقبة هو ماروثا الذي نصب كرسيهُ في تكريت سنة ٦٢٩ م *

وما حمل اليعاقبة على اقامة هذه الرتبة المفريانية في المشرق الحسد للنساطرة . فان اليعاقبة كانوا قد كثروا وانتشروا في مملكة الفرس * فاساقفة

المشرق اليعاقبة برضى الفطريرك اثناسيوس المعروف بالجمل اختاروا ماروثا المذكور وجعلوه زعيمهم لكي لا تظهر طائفتهم احطّ من طائفة النساطرة في المشرق وقلدوه تدبير كنائسهم المشرقية مع السلطان بان يقيم هو مطراناً لدير مار متى بشرط ان يكون هذا المطران فوق سائر اساقفة المشرق اليعاقبة *

اما الاسقفيات التي كانت خاضعة لولاية المفريان في المشرق في بدء الامر فهي التي رتّبها ماروثا المفريان الاوّل ومطران دير مار متى . وهي اثنتا عشرة ابرشية (١) عاقول او الكوفة للعرب (٢) سنجار (٣) معلثايا (٤) ارزون (٥) جومل (٦) بارامان او بوازيق (٧) خرما (٨) باقردى او هي جزيرة ابن عمر . ثم اقترنت بمعرّا او نصيبين (٩) بانوهدرا (١٠) فيروز شابور (١١) شهرزول (١٢) ابرشية العرب بني تغلب الساكنين تحت الخيم * اما مطران دير مار متى فاستبدّ بنينوى وقراها المجاورة (اخ ٢ : ٢٥٠) * وقد ازداد عدد الابرشيات الخاضعة للمفريان في المشرق مع تمادي الزمان . فان ولاية المفريان لم تزل آخذةً في الاتساع وجرى ذلك بسبب حملة العرب والمغول على دولة الفرس والاتراك * فان اليعاقبة هاجروا بلاد ما بين النهرين ورحلوا الى اقطار فارس وتركستان وما يجاورها اما من تلقاء نفسهم او اسرى * فاضطرّ المفريان مدبّر المشرق في تلك الاثناء ان يرتب ايضاً اسقفيات جديدة من ذلك بغداد وكولمرك والبحرين واورمي وادوربيجان . بحيث ان ابن العبري في زمانهِ كان يفضّل المفريانية على الفطريركية اليعقوبية . فانه كلما كانت ولاية الفطريرك تتناقص كانت تزداد ولاية المفريان سعةً ونفوذاً (عب ٢ : ١١٨ - ١٢٢ . س مق ٥١ - ٥٢) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الثاني

في لقب المفريان وكرسيهِ وسلطانهِ على الاساقفة الخاضعين له

الالقاب التي نجدها منسوبةً في تواريخ السريان للمفريان هي ثلاثة: اعني مطران ومفريان وجاثليق * اما المطران او المطرابوليط فبكل حق ينسب اليهِ. لانهُ كان رئيس اساقفة المشرق ومقدمهم . ونجد هذا اللقب في كثير من الكتب الطقسية * ثم ان تسمية المفريان لم يبدأ استعمالها الّا في عهد ماروثا المفريان الاول كما نقرأ في تاريخ ابن العبري حيث يتكلم عن الاسقفيات الخاضعة لولاية هذا المفريان * اما تسمية الجاثليق فكانت نادرة الاستعمال بين البعاقبة وكانوا يشتهون اشهارها ونشرها لو لم يمانعهم النساطرة الذين اختصّوها لانفسهم قبلاً * ومما كان يحمل النساطرة على ممانعة المفريانات من استعمال هذه التسمية هو انهم كانوا يجعلون هذا اللقب مخصوصاً ببطريركهم وحدهُ . فكانوا يبيحون للبعاقبة استعمال لقب المطران والمفريان ايضاً . الّا انهم لم يكونوا يحتملون ان يسمّى مفريان تكريت جاثليقاً كما حكى ابن العبري في ترجمة حالهِ * ولقد طالما ثارت نزاعات بين النساطرة والبعاقبة لهذا السبب . الّا ان اولئك كانوا دائماً المتغلّبين بقوّة الحكّام *

وكان كرسي المفريانات في بدء الامر في تكريت . وبنى ماروثا في قلعتها بيعةً كبيرة قُبر فيها هو وخلفاؤُهُ دنحا وباريشوع وبولس * وبنى باريشوع بيعةً اخرى على اسم سركيس وباخوس ودُفن فيها يوحنا الشيخ واثناسيوس وسركيس وقرياقوس المفارنة * وبنى دنحا الثاني بيعة ثالثة على اسم احودمّي

صارت شهيرة بين بيع تكريت . ودُفن فيها دنحا هو وخلفاؤُهُ دانيال وتوما ودنحا الثالث وباسيليوس الثاني ويوحنا * ولم يترك المفارنة السكنى في تكريت الى ان خرّبها العرب سنة ١٠٨٩ م *

ورحل المفارنة بعد خراب تكريت الى الموصل . فان يوحنا صليبا المفريان اذ راى الخطر المحيط بهِ فرَّ هارباً من تكريت واتى سكن في بيعة القديس زينا في الموصل * ولم يبقَ المفارنة في الموصل زماناً طويلاً فان طيماثاوس سوغدي مطران دير مار متى وابا الفرج اسقف الموصل سعيا باخراج ديونيسيوس موسى خليفة يوحنا المذكور من الموصل ونواحيها . فقصد تكريت من جديد وشاد فيها بعض الابنية الجديدة . ولبث كرسي المفارنة في تكريت الى سنة ١١٥٢ م * وتمكّن المفارنة بعد هذا الزمان من تحويل كرسيهم الى دير الشيخ متى وقد سعى اغناطيوس لعازر المفريان بان يقرن نينوى والموصل ودير الشيخ متى بتكريت في ابرشيةٍ واحدة . ونال مرامهُ بامر والي الموصل رغماً عن مقاومة رهبان مار متى وسكان الموصل ونينوى وتكريت ونواحيها * وكان البطريرك اغناطيوس يعضدهم في ذا الشان محتجّاً بوجوب حفظ حقوق البيعة القديمة واقامة مطرانين لنينوى والدير مختلفين عن المفريان كما كان قد حتم يوماً قرياقوس البطريرك * الّا انهُ بعد ذلك اجاب الى ارادة المفريان واثبت اقتران هذه الابرشيات بكرسي تكريت في المجمع الذي عُقد سنة ١١٥٥ م في دير مار برصوما * واقام المفريانات احياناً كرسيهم في الموصل الّا انهم لم يكونوا يستطيبون الإقامة فيها خوفاً من تعدّيات أُمرائها واضطهادهم ودسائسهم . وعليهِ فآثروا السكنى في دير مار متى * وكان ضابطاً

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

لزمام تكريت وسائر الابرشيات الخاضعة للمفريان المفريان نفسهُ . فانهُ كان يعدّ هذه الجهات مختصّة بولايتهِ . ومع ذلك فكان يُقيم احيانًا عليها معاونين او نوّابًا يدبّرون رعيتهُ *

ولم يجسر المفريان ان يُقيم كرسيّهُ في بغداد عاصمة الخلفاء العبّاسيين . على ان اغناطيوس برجيجي المفريان كان يرغب في الإقامة فيها الّا انهُ لم يتمكّن من ذلك * فان يوحنا فطريرك النساطرة كان نال امرًا من الخليفة سنة ٢٤٩ للهجرة بأنّ مطران اليعاقبة لا يجوز لهُ ان يأتي بغداد الّا ليزور شعبهُ ثم يعود الى كرسيهِ * وابن العبري يصف لنا الاحتفال الذي كان يُجريهِ اهل ابرشيّة المفريان في استقبال المفريان الجديد . قال بعد ان يبلغ المفريان الموصل كان يقصد دير مار متى ثم يرحل الى قرية دانيال العليا ثم الى باخوديدا وهي قرقوش و برطلي . وكانت هذه اخصّ مراكز ابرشيتهِ . ومنها ايضًا كرمليس واربل و بغداد التي طافها كثير من المفريانات في افتقادهم المرعيت (عب ٢ : ٤٤٢ : ٤٤٦) *

ثم ان سلطان المفريان على اساقفة المشرق الخاضعين لهُ هو كسلطان الفطريرك اليعقوبي على اساقفتهِ في المغرب . فهو كان يرتّب الكراسي الاسقفية . ويقيم عليها الاساقفة . وينصبهم ويعزلهم ويكرّس الميرون ويمارس الوظائف الحبرية في كل الابرشيات الشرقية التي يقوم باجرائها الفطريرك وحدهُ في المغرب * الّا انهُ يُستثنى من ذلك تحويل الاساقفة من كرسي الى آخر . الأمر الذي لا يحقّ الّا للفطريرك وحدهُ * ولم تبقَ هذه الامتيازات محفوظةً للمفريان على الدوام بل سقطت كلها منذ بدء القرن التاسع عشر . ولم يبقَ

للمفريان سوى اللقب والاسم . لا بل انهُ لا وجود اليوم للمفريان بين اليعاقبة * فان مطران الموصل كان يُعدّ زمانًا هو المفريان . اما بعد بهنام مطران الموصل الذي توفي نحو سنة ١٨٥٠ فانقطعت سلسلة المفريانات . وصار اليعاقبة يقيمون على الموصل مطرانًا واسقفًا آخر على دير الشيخ متى (س مق ٥٢ - ٥٦) *

الفصل الثالث

في ترجمة ماروثا واختيارهِ مفريانًا واخبار ايامهِ

اشتهر ماروثا المفريان في عهد شموئيل المار ذكره مطران اليعاقبة في المشرق . وهو غير ماروثا مطران ميافرقين * وكان مسقط راس ماروثا شورزاق احدى قرى اقليم بانوهدرا . وترهّب في دير نردُس وتثقّف في الفضائل والعلوم وأُسيم قسيسًا ثم قصد الرقّة واقام عشرين سنةً في دير مار زكّى القريب منها . وانعكف على درس الكتب الالهية * ثم توجّه الى جبل الرها وشمّر عن ساعد الهمّة في اكتساب فنّ الخطابة . واخيرًا اتى دير مار متى وسنّ فيهِ تراتيب وقوانين بيعيّة جميلة * وفي اثناء ثوران نيران الحروب والقلاقل بين الدول كانت قد هُدِمت الاديرة في مملكة الفرس وخاصةً بعد موت طبيب الملك جبرائيل السنجاري الذي كان اكبر مساعدي اليعاقبة في هذه الامصار . فرحل ماروثا الى عقولا او هي الكوفة في كرخ الربان شابور * وكان شموئيل مطران المشرق يريد ان يُسيمهُ اسقفًا على تكريت . فأبى ماروثا *

وفي نحو هذا الزمان جرى اتفاق اساقفة المشرق اليعاقبة مع فطريرك المغرب على عقد عهد وِصالٍ بيعيّ ومذهبيّ واقامة المفريانية في تكريت *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

كان اثناسيوس الفطريرك اليعقوبي المعروف بالجمل قد انفذ سنة ٦٢٩ م تلميذه يوحنا الشماس الذي من قرية باعلابا بسفارةٍ الى شهربار ملك الفرس ليقوم بقضاء مصالحهِ الداخلية لديهِ . وكان يتولى امر دير مار متى المطران خريستفور وادّى الرئيس * فلما وصل يوحنا دير مار متى وشاهد سيرة الرهبان وتقواهم وقداستهم اقنعهم بان يعقدوا عهد الاتحاد مع اثناسيوس الفطريرك والمغاربة * فلبى الاساقفة الشرقيون الى طلب يوحنا . قال ابن العبري « فجمع خريستفور مطران الدير الاساقفة المجاورين اعني بهم جيورجيس السنجاري ودانيال البانوهدري وغريغور البارماني . ويزدفنه الشهرزوري . واشار على هولاء الخمسة ان يتوجّهوا صحبة يوحنا الى الفطريرك المفاوضة معهُ في ذا الشان . واخذوا صحبتهم ثلاثة من رهبان الدير الفاضلين الجديرين بالمنصب الاسقفي . اعني ماروثا المار ذكرهُ وايثالاها واحّا * ولما وصلوا عقدوا عهد الاتحاد مع الفطريرك والتمسوا منهُ ان يُسيم اساقفةً للمشرق » انتهى *

وقد وافق اثناسيوس الفطريرك الاساقفة في شان الاتحاد معهم : اما في شان اسامة اساقفة للمشرق فلم يطاوعهم . لانّ ذلك كان محذورًا في المراسيم المنسوبة الى المجمع النيقاوي * فان هذا المجمع كان قد حكم انهُ اذا توفي مطران المشرق الكبير . فالاساقفة المشارقة لهم ان يختاروا هم بنفسهم ابًا عامًا ويسيموهُ * ولا يخفى ان المراد بمطران المشرق في هذا المرسوم النيقاوي هو اسقف المداين الذي لُقّب في تلك الاثناء ايضًا بالجاثليق * فاليعاقبة الذين يعدّون انفسهم هم وحدهم مستقيمي المعتقد في المشرق يزعمون تبعًا لابن العبري انهم هم الذين خلفوا في هذا الحق الجثالقة الكاثوليكيين الاوّلين . وان

النساطرة قد حُرموا منهُ بسقوطهم في الضلال * وبناء عليهِ عوّل الاساقفة الشرقيون ان يختاروا ويسيموا هم بنفسهم رئيسًا كبيرًا . قال ابن العبري « انتخبوا ماروثا مطرانًا واساموهُ على تكريت وخوّلوهُ سلطانًا على بيعة الارثذوكسيين في المشرق قاطبةً وان يسيم هو مطرانًا لدير مار متى * ورُتّب ان يكون مقام كرسي مطران الدير الذي يسمّيهِ مفريان تكريت في جانب المفريان الايمن فوق كل الاساقفة وتحت المفريان * واسيم ايضًا ايثالاها لجومل القرية الكبيرة من ناحية المرج الواقعة في الجهة الشرقية الشمالية من جبل الالفاف . واسيم احّا لفيروز شابور » انتهى . وجرى ذلك سنة ٦٢٩ م

ولما عاد ماروثا المفريان الى دير مار متي صحبة الاساقفة جمع بقية الاساقفة الشرقيين الذين تمكّن من جمعهم في هذه الناحية . فرتّبوا اثني عشر كرسيًّا تحت حكم مفريان تكريت . وهي التي مرّ الكلام عنها * ومن اشهر المآثر التي اتى بها ماروثا المفريان في تكريت هي انهُ لما استتبّ لهُ الامر رتّب مصالح الابرشيات وسعى في تشييد الاديرة ونصب المدارس وبناء البيع في تكريت كرسيهِ وكانت دولة الاسلام قد استولت في هذه الغضون على معظم بلاد فارس . فرأى ماروثا بحكمتهِ ان يفتح لجيوش المسلمين قلعة تكريت . فنجا اهل المدينة من كل اذى ونائبة *

وازداد عدد اليعاقبة في مملكة الفرس في فرصة خراب آمد الذي جرى سنة ٦٠٢ م . فاستاق الفرس جمهورًا وافرًا من الآمديين الى السبي واسكنوهم في بلاد سجستان وخراسان * فعوّل هولاء اليعاقبة الاسرى على ان يطلبوا الى ماروثا المفريان ان يسيم لهم اساقفة وينفذهم اليهم ليقوموا بأودهم

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الروحي * فنصب ماروثا ثلاثة كراسي جديدة . الاول في سجستان . والثاني في هراة احدى مُدُن خراسان . والثالث في ادوربيجان *

وكان سبب نزاع يشوعياب الحزي جاثليق النساطرة مع يعاقبة الموصل انّ اليعاقبة كان قد فشا امرهم في بلاد المشرق وشرعوا يمدّون سطوتهم وسلطانهم الى المدن الكبرى وراموا ان يشيدوا بيعةً في الموصل . فقاومهم يشوعياب الحزّي رغبةً في التنكيل بهم وتضعيف حزبهم * وجلس ماروثا على كرسي المفريانية في تكريت عشرين سنة وتوفي يوم السبت في ٢ ايار من سنة ٦٢٩ م ودُفن في البيعة التي بناها في قلعة تكريت * والف ماروثا تفسيرًا للانجيل وقداسًا . وقد انخدع الشيخ السمعاني اذ نسبهما الى ماروثا الميافرقي كما مرّ الكلام (عب ٢ : ١١٧ - ١٢٩ . س ٢ : ٤١٨ . مق ١٦١) *

الفصل الرابع

في اخبار رئاسة دنحا وباريشوع المفريانين

ان ثاودور فطريرك اليعاقبة إذ اراد توثيق عُرَى الاتحاد بين الشرقيين والغربيين اليعاقبة راى ان يسنّ قاعدةً او قانونًا جديدًا مآله انه اذا مات الفطريرك فالمفريان له أن يُسيم الفطريرك الجديد . وكذا اذا مات المفريان فالفطريرك له ان يُسيم المفريان الجديد * وكما ان الفطريرك الاسكندري يُسيم مطرانًا على الحبشة كذلك كان يروم ثاودور ان يُسيم هو المفريان الذي يُختار خليفةً في المشرق لماروثا * وإتمامًا لمرغوبه كتب الى اساقفة المشرق ووجوهه رسائل ليستميل قلبهم الى رأيه فلبّوا الى سؤاله *

وعقد عهدًا مختومًا بامضاءاتٍ قانونية وشهادة روساء الكهنة المغاربة . ومن ثم تقرّرت تلك القاعدة وهي أنْ لا يُقام الفطريرك بدون المفريان ولا المفريان بدون الفطريرك * وأُجريت بالعمل هذه القاعدة بان اختار التكريتيّون دنحا تلميذ ماروثا وتوجّهوا به الى الفطريرك ثاودور فأسامه هذا مفريانًا على تكريت وكل المشرق سنة ٦٤٩ م * ودبّر دنحا المفريان كرسيه عشر سنين وتوفي في ٢ تشرين الثاني من سنة ٦٥٩ . ودُفن في بيعة القلعة بقرب رفات ماروثا سالفه * وفرغ الكرسي التكريتي عشر سنين *

وخلف دنحا في المنصب المفرياني باريشوع وأسامه ساويرا الفطريرك المعروف بابن مشقا سنة ٦٦٩ م * ومن اخص مآثر باريشوع انه بنى بيعةً فاخرة في تكريت باسم الشهيدين سركيس وباخوس * وقام باعباء منصبه خمس عشرة سنةً وتوفي في السابع عشر من كانون الاوّل سنة ٦٨٢ م . ودُفن في بيعة قلعة تكريت (عب ٢ : ١٢٩ - ١٣١ . س ٢ : ٤٢١ و ٤٢٢ . مق ١٦٢) *

الباب العاشر

في تواريخ الطائفة النسطورية منذ زمان صليبا زخا الى عهد يشوع برنون (٧١٤ - ٨٢٤)

الفصل الاول

في اخبار رئاسة صليبا زخا الجاثليق

كان صليبا زخا من كرخ فيروز من اقليم الطيرهان وقرا العلوم في المدائن وارتقى الى كرسي الانبار * وكان من حزب حنانيشوع الاعرج فطرده

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

يوحنا الابرص الفطريرك مختلس كرسي المدائن من اسنفيتيه . فمضى اولاً الى مدينة بلد ثم الى نصيبين * فاقتبله سبريشوع مطرانها بترحاب واحسَنَ مثواهُ . ثم انفذهُ الى شمعون مطران الموصل . فأقام عنه بصفة معلّم ومدبّر لمدارس حزة . ثم اسامهُ حنانيشوع الفطريرك مطراناً على حزة والموصل * وتوصّل آباء المشارقة للاجتماع الى انتخابِ رئيسٍ لهم بمؤازرة سبريشوع مطران نصيبين . فانهُ كان الحجّاج قد منع نصب جاثليق . وفرغ الكرسي مدّةً . ولمّا تقلّد يزيد بن ابي عنبل مكان الحجّاج أذِن للآباء بسعي سبريشوع المشار اليهِ باختيار جاثليقٍ جديد . فاجمعوا على صليبا زخا . وأُسيم على الرسم والترتيب سنة ٧١٤ م * وكانت بيعة المشارقة النساطرة في بدء رئاسة صليبا زخا عرضةً للآفات الشَغَبية والاضطرابات الداخلية بسبب الشقاق الذي حصل فيها على عهد حنانيشوع ويوحنا الابرص * ولما استقام لصليبا زخا الأمر سعى في رفع دواعي النزاع واسقط الاساقفة والقسوس الذين اسامهم يوحنا المختلس . واعاد بقية الاساقفة والقسوس الذين طردهم يوحنا من كراسيهم مكرّمين . واصلح اكثر الفساد الذي انسرب في طائفتهِ * ورتّب كراسي جديدة مطرانية لهرات والهند وسمرقند *

واقامت العناية الربّانية في ايام صليبا زخا بابي الجبلني لنصب المدارس واصلاح التراتيل والتراتيب البيعية بين المشارقة . وكانت المدارس على عهده قد اضمحلّت ونُسيت التراتيب والتراتيل البيعية * فاقام في كفرعوزل مدرسةً كبرى لتهذيب الطلبة وطاف بلاد مراغا ونواحيها ونصب فيها مدارس أُخرى وعيّن لها الارزاق والاوقاف * وقطف بعد قليل اثمار اتعابهِ . فانهُ شاهد تلاميذه يتنافسون في الاعمال الخيرية التي بدأ هو بها * ولم يشتهر في فن الالحان فقط

بل في علم الكتب الالهيّة ايضاً . ومن تآليفهِ تعزيات . وبركات للعروس والختن (س ٢ : ١ وجه ١٧٧ . لو ٦٠) *

وجلس صليبا زخا على كرسي المدائن اربع عشرة سنةً . وفرغ الكرسي بعده ثلاث سنين (ما . ص . عب ٢ : ١٤٩ . لو ٦٠) *

الفصل الثاني

في ترجمة فثيون الجاثليق واخبار ايامهِ

أُختير في كرسي المدائن بعد فراغهِ فثيون . وكان من اهل باجرمي وأُسيم اسقفاً على الطيرهان * ولما حضر الآباء للاختيار اظهر يوحنا الازرق اسقف الحيرة نيتهُ لجماعة الآباء في تسليم الرئاسة الى ابا اسقف كشكر . فعارضهُ عبد المسيح الحيري * فنشأت بين المُنتخبين نزاعاتٌ حتى انتهت الى السلطان * الّا ان امير المؤمنين انفذ في اليوم التالي امراً بنصب فثيون جاثليقاً . فامتثلوهُ . وأُسيم سنة ٧٢١ م *

ودبّر فثيون مصالح طائفتهِ بغيرة واجتهادٍ عظيمين . وكان كرسي المدائن ودار الجاثليق وبيعتهُ قد خربت فسعى في تعميرها واقام المدارس في كل مكان ولاسيّما في المدائن . وعُني في تنجيح العلوم * وكان متزهّداً قنوعاً مقتفياً آثار مار ابا الكبير في إصلاح البيعة والعمل بقوانينها . ومال اليهِ الجميع . ورُزق محبة الدولة الاموية وولاتها * وجلس فثيون على كرسي المدائن عشر سنين وخمسة اشهر وتوفي سنة ٧٤١ وفرغ الكرسي بعده سنةً وايّاماً (ما . ص . عب ٢ : ١٥١ . س ٢ : ٤٢) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الثالث

في اخبار رئاسة ابا الثاني الجاثليق

كان ابا من الدوقرة من اعمال كشكر . وتعلّم في مدرسة المدائن وصار اسقفاً لكشكر . وكان منعكفاً على درس العلوم ومطالعة الكتب * وفسّر المنطق وعمل التراجيم . وحضر نظارة الكرسي المدائني مدة خلوّه بما انهُ اسقف كشكر * ولما حضر الآباء للانتخاب وقعت المشاجرة بين جماعة المؤمنين والآباء فيهِ وفي مطران جنديسابور . واخيراً قرّ رأيهم على اختيارهِ . فأُسيم سنة ٧٤٢ م في المدائن على الرسم . ويُعرف ايضاً بأَبا بريخصوياني . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة . ولم يبقَ ابا مقيماً في المدائن بل هجرها لسوء افعال اهلها وفساد اخلاقهم . وذهب سكن في دير كشكر . واستخلف مكانهُ تلميذهُ شهدوست اسقف الطيرهان ومبلس اسقف الزوابي * فغلظ ذلك على اهل المدائن ووثبوا على اوقاف الكرسي والمدارس وضبطوها واسقطوا اسمهُ من الكاروزية . فعزم ابا ان يستقيل من منصبهِ * فلما بلغ ذلك اهل المدائن رجعوا الى انفسهم واستعطفوه واعادوه الى كرسيهِ مكرّماً *

ومن مناقب ابا انهُ كان على جانبٍ عظيم من الحلم والتواضع والتقوى والغيرة على نجاح بني طائفتهِ . ورزقهُ الله حظاً وافياً من العلم وفصاحة اللسان * ورحل الى الكوفة والحيرة لافتقاد بني طائفتهِ . ثم استعطف يوسف بن عمر عامل آثور على النصارى بني شعبهِ . فاقتبلهُ هذا بلُطف وسألهُ عن اشياء استحسن جوابهُ فيها * ومن تآليفهِ كتاب في تدبير الروح . وشروح وتراجيم على الكتاب المقدس * وجلس على كرسي المدائن عشر سنين وشهراً واحداً .

وتوفي سنة ٧٥٢ في المدائن . وكان عمرهُ عشر سنين فوق المائة . وفرغ الكرسي بعد سنتين (ما . ص . عب ٢ : ١٥٢ - ١٥٥ . س ٢ : ٤٢١ و٣ : ١ وجه ١٥٧) *

الفصل الرابع

في اختلاس سبورين كرسي المدائن واختيار يعقوب الجنديسابوري

وُلد سبورين في سليق ثم ارتقى الى كرسي نصيبين بفنون الغشّ . فلم يقبلهُ اهلها فحُوّل الى حلوان المعروفة اليوم بسليمانيّة وكان محبّاً للترأُس * فلما اجتمع الآباء للانتخاب استمالهم الى اختيارهِ فلم يعاونهُ الّا مطران مرو واختاروا يعقوب مطران جنديسابور * فلما اختفى مسعاهُ استعان بابان عامل السفّاح على المدائن . واذ كان النصارى مجتمعين في البيعة يوم خميس الاسرار باغتهم ابان بالجيوش واجبر الآباء على اسامة سبورين * ففعلوا ذلك سنة ٧٥٤ م ليس خلواً من إذراف دموع غزيرة . وكان الراسم مطران جنديسابور الذي كانت اصوات الاكثرية قد وقعت عليهِ *

فعوّل الآباء والنصارى عقيب ذلك على ان يستغيثوا بالسفّاح . فغضب هذا على ابان وخوّلهم الحرّية في احكامهم البيعيّة * فاجتمعوا بالمدائن بعد خمسين يوماً وقثرسوا سبورين واساموا يعقوب المذكور في الجمعة السادسة للرسل من سنة ٧٥٤ نفسها * وكان يعقوب شيخاً طاعناً في السنّ * واشترط عليهِ الآباء قبل سيامتهِ شروطاً في حفظ القوانين البيعية . ووقع الوفاء منهُ بجميعها . واستخلص ما رهنهُ سبورين من آلات البيع . الّا انهُ خلط بعدئذٍ في التدبير لضعف رأيهِ (ما . ص . عب ٢ : ١٥٥ . س ٢ : ٤٢١ و٣ : ١ وجه ١٦٨) *

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

الفصل الخامس

في اخبار يعقوب الجاثليق وما جرى لهُ ولسليمان اسقف الحديثة مع عيسى الطبيب

كان عيسى بن شهلافا طبيب المنصور شمّاسًا . فقلّدهُ الخليفة المنصور امر النظر في البيعة ومصالح روسائها . فأسامهم الذُلّ وتاه عُجُبًا بنفسهِ * واتى ذات يومٍ يعقوب الجاثليق لزيارتهِ مصحوبًا ببعض الاساقفة فلم يعبأ بهِ وقدّم يدهُ ليقبّلها احبار طائفتهِ * فشقّ ذلك على سليمان اسقف الحديثة وتهدّدهُ * فاحتدّ عيسى غضبًا وسَعى لدى المنصور بحجّة المشاجرات الثائرة بين يعقوب وسبوريشوع طمعًا بالرئاسة وأُلقي يعقوب في السجن وهرب سبوريشوع زمانًا * اما سليمان اسقف الحديثة فأُتهم باشياء كثيرة . من ذلك ان سليمان ضبط مقدار حملين من الدنانير والاموال التي كان مروان بن محمد الامويّ قد خلّفها في المعسكر لما هرب من بين يدي السفّاح * فاحضرهُ المنصور وضربهُ بالسياط في عُمر مار شمعون بالسنّ والقاهُ في السجن * ولم يلبث ان عاقب الله كبرياء عيسى الطبيب . فان قبريانس مطران نصيبين وجد طريقةً ردّ بها كيدهُ في نحرهِ . لانهُ كان ظفر برسالةٍ مختومةٍ بيدهِ الى النصارى والآباء المحبوسين طالبًا منهم مالاً جزيلاً يقول فيها : ان حياة الملك نفسها هي موضوعةٌ في قبضتي * فاظهرها قبريانس للمنصور . وغضب الخليفة عليهِ وسلب امواله واطلق الآباء من الحبس *

اما ماذا جرى من سبوريشوع فان يعقوب الجاثليق كان قد لبث

تسع سنين في الحبس . فلمّا أُطلق استعطفهُ النصارى على سبوريشوع ليُنفذهُ بصفة مطران للبصرة . فلم يقبلهُ اهلها * ولسبب تجاذبهِ على الرئاسة قبض عليهِ والي المدائن والقاهُ في السجن حيث قضى نحبهُ . ودُفن في دير شمعون *

وجلس يعقوب الجاثليق تسع عشرة سنةً . قضى منها تسع سنين في الحبس . وقاسى في بقيّة مدّة رئاستهِ مشقاتٍ بكلّ اللسان عن وصفها . وتوفي سنة ٧٧٢م (ما . ص . عب ٢ : ١٥٥-١٥٩ . س٢ : ٤٢٢ و٢ : ا وجه ٢٠٥) *

الفصل السادس

في الراهبات بين المشارقة ووظائفهنّ

كان بعد دخول سلك الرهبنة الى هذه البلاد على يد مار اوجين قد كثر ايضًا ذكر الراهبات بين السريان المشارقة * وكان ايضًا قبل عهده راهبات مسمّيات بنات العهد ܒܢܬ ܩܝܡܐ . ويُستنتج من القوانين التي سنّها آباء المشارقة ولاسيما ابا الكبير وخلفاؤهُ لضبط النظام بين الراهبات *

اوّلاً ان الراهبات كن يلبسنَ ثوبًا اسود مخصوصًا ويقصصنَ شعرهنّ ويعشنَ عيشةً اشتراكية في الاديرة *

ثانيًا . كان من وظائفهنّ ليس فقط تلاوة الصلوات القانونية بل ترتيل المداريش في جنائز الموتى وتذكارات القدّيسين التي يقيمها القسوس . ويظهر ان العادة التي اقترحها مار افرام لترتّل العذارى في البيعة الترانيم الروحية ضد الهراطقة كانت محفوظةً في بلاد المشرق على هذا العهد ايضًا *

ثالثًا . كان يعهد الى الراهبات وظيفة الشماسية ليدهنّ طالبات العماد

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

والتثبيت بالزيت بعد ان يكون الكاهن قد دهنهنّ في جبهتهنّ (س٢ : ٢ : ٨٨٩)*

ولم يبق في المشرق رهبان وراهبات بعد القرن الخامس عشر الّا نادرًا . وان كان قد وُجد منهم احيانًا عدد قليل فلم يكونوا ينذرون . او اذا نذروا . فنذرهم لم يكن مؤبّدًا . وكان يباح لهم ان يرجعوا عن نذرهم متى ما ارادوا . فكان يستطيع الاساقفة المحابون ان يفسّحوا لمثل هولاء الرهبان والراهبات لكي يخرجوا من سلك الرهبنة ويُقدموا على الزواج ايضًا * ومن ذلك ينجم ان نذورهم كانت بسيطة غير مؤبّدة *

الفصل السابع

في اخبار حنانيشوع الثاني . واقامة الأثر الحجريّ في بلاد الصين

كان حنانيشوع عالمًا ماهرًا . وصار اسقفًا على لاشوم من اعمال باجرمي * ووقع النزاع بين الآباء والمؤمنين عن حنانيشوع وجيورجيس الراهب من دير باحالا . وانتهى الامر الى المهدي فآثر حنانيشوع لاصطلاعهِ في العلم وامر باجلاسهِ * وهذه اوّل مرة جرى انتخاب الجاثليق في بغداد بعد بنائها * واسيم حنانيشوع في المدائن على الرسم سنة ٧٧٤ م . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المدائن *

واشهر حادثٍ تاريخي جرى في عهد حنانيشوع هو الاثر الحجري الذي نصبهُ النساطرة المشارقة في الصين سنة ١٠٩٢ يونانية او هي ٧٨١ م * وكان يشوعياب الجدالي قد انفذ الى بلاد الهند والصين مرسلين من طائفتهِ نحو سنة ٦٣٦ . فمن حينئذٍ دخل المذهب النسطوري فيها بعد ان كانوا مستقيمي

العقيدة كما مرّ الكلام * واقيم في الصين كراسي اسقفية ومطرانية . والدليل على كثرة النصارى فيها ما يُذكر في ذلك الاثر من اسماء الاساقفة والقسوس * وفيهِ يُذكر ايضًا ان هذا الاثر نُصب في عهد حنانيشوع الجاثليق ولو كان هذا قد توفي قبل نحو ثلث سنين . وذلك لان خبر وفاتهِ لم يكن قد وصل بلاد الصين الشاسعة * ووُجد هذا الاثر سنة ١٦١٥ م في مقاطعة سان كسوين بقرب مدينة سيكانفو في اقليم كسنسي *

وكان يعقوب سالف حنانيشوع قد رهن الدوقرة عند ابي العباس الطوسي . فطالبهُ حنانيشوع بردّها . فاكمن لهُ العداوة وصار يواصلهُ في الخارج ويظهر لهُ المودّة * واعتلّ حنانيشوع يومًا واشار عليهِ الطبيب بالحجامة واظهر ابو العباس اغتمامهُ عليهِ . وبعث اليهِ غلامهُ لكي يحجمهُ . ووضع السمّ في المحاجم . ولما شرطهُ سرى السمّ وانتفخت رقبتهُ ومات * ومن ذلك اليوم خرجت الدوقرة عن املاك الكرسي *

وجلس حنانيشوع اربع سنين وتوفي سنة ٧٧٨ م ودُفن في المدائن * ولحنانيشوع بعض التآليف . منها تعزيات وخمسة مجلدات من التراجيم او الخطب وبعض مسائل دينية ورسائل في موادّ شتى (س ٢: ١: ١٥٥ و ٢: ٤٢٢، عب٢: ١٦٢-١٦٥)*

الفصل الثامن

في انتخاب طيماثاوس الجاثليق

خلَف حنانيشوع في كرسي المدائن طيماثاوس وهو الاول بهذا الاسم . وكان من اهل حزّة وتمهّر في العلوم وقرأ الآداب على ابرهيم الاعرج الذي

AUAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

اقام مدرسةً في باصوصا قربة الصنصاف . ثم أُسيم اسقفاً على كرسي بابغش . وواصل الوُلاة واستمال قلبهم اليهِ فاحسنوا الى النصارى * وتوصَّل الى نَيل البطركية بهذه الحيلة. قال عمرو الطيرهاني « لما علم طيماثاوس انهُ من جملة المختارين تحيَّل على الارخدياقون والاسكولانيين وادخلهم الى منزلهِ واراهم اكياساً مملوءة من حصى وحجارة واوهمهم انها دراهم يفرّقها عليهم » انتهى. فعاونوهُ واسيم على الرسم بعد ثمانية اشهر سنة ٧٨٠ م * وهاك ما جرى بعد هذه النكتة . قال ماري بن سليمان « طالبهُ القوم بالمال . فقال الكهنوت لا يباع بالمال واظهر لهم الخالي انها حصى وحجارة . فامسكوا . لان الحيلة تمت » انتهى * وشقَّ عليهم ذلك واتفقوا مع مزاحميهِ على الرئاسة . وتظاهروا بالمخالفة لهُ. وكان منهم يوسف مطران مرو وافرام مطران جنديسابور *

وجرى لطيماثاوس مع يوسف مطران مرو انهُ لمّا اجتمع يوسف مع بعض الاساقفة في دير الطين حرموا طيماثاوس واساموا مكابرةً لهُ على الموصل رجلاً يُقال لهُ رسطم مكان يشوعياب رئيس دير باعابا الذي كان طيماثاوس قد اسامهُ * اما طيماثاوس فسعى باستمالة اهل الموصل ومرو ومصالحتهم وقثرس يوسف ندَّهُ . واسام مكانهُ جريغور . ولمّا خاب امل يوسف من العود الى منصبهِ اسلم على يد المهدي * ثم تصالح طيماثاوس مع افرام الجنديسابوري ايضاً بعد خطوب ونزاعاتٍ طويلة . فانهُ لمّا راى افرام ما جرى ليوسف اتى بغداد ومعهُ ثلاثة عشر اسقفاً ونزلوا دير مار فثيون وحرموا طيماثاوس * فغضب هذا وجمع هو ايضاً خمسة عشر اسقفاً وحرم افرام واساقفتهُ . واتَّصلت المشاجرات الى القتال والضرب * وتوسَّط ابو قُرَيش

الامر. وتقرَّر الصلح بينهما على ان ياتي طيماثاوس بيعة عباد ويقف بين يدي افرام ليعيد على راسهِ صلوات السياميذ. فقبل طيماثاوس احتمال هذا الذلّ رغبةً في قطع النزاع ونَيل الراحة للبيعة (ص . ما) *

الفصل التاسع

في اشهر اعمال امامة طيماثاوس ومجمعهِ واخباره الاخيرة

من اشهر اعمال رئاسة طيماثاوس الجاثليق ما ياتي * اوَّلاً : عقد الاتحاد مع شمعون مطران الفرس واساقفتهِ * وكان هولاء يطلبون الاستقلال من كرسي المدائن . وقد سعى يشوعياب الحزّي وجيورجيس خليفتهُ في مصالحتهم . الّا انهم لم يثبتوا في الطاعة لجثالقة المدائن * امّا طيماثاوس فقصد بلاد فارس واستمالهم الى الاتّحاد واثبت عليهم شمعون مطرانهم . وفرض عليهم البتولية والانقطاع عن اللحم . وان يتردَّوا بالثياب البيض . واباح لمطرانهم ان يُسيم هو الاساقفة ويكمّلهم *

ثانياً : انتشار الديانة النصرانية بسعي طيماثاوس في البلاد القاصية ولاسيما هرقانيا وطبرستان والديلم. فاسام لها شوحاليشوع الحبري احد رهبان دير باعابا * وبعد ان هدى هذا الى الحقّ خلقاً كثيراً من هذه الامم الوثنية عاد الى بلادهِ ليزور طيماثاوس الجاثليق واخوتهُ الرهبان. فقتلهُ قطّاع الطريق * فاغتمّ طيماثاوس واسام عوضهُ قرداغ ويابالاها الاخوين من دير باعابا . الاوَّل للجيليّين والآخر للديلميّين . واصحبهما برهبانٍ كثيرين من هذا الدير نفسهِ ، فأساما منهم اساقفةً ليعاونوها في البشارة بالايمان في هذه الاقطار *

AUAF - ACKU LIBRARY

ثالثًا : ان طيماثاوس فتح رسالات أُخرى بين الأمم والاقوام البعيدة * ومنها رسالة بين الموغانيين . واسام لهم ايليا المرجي احد رهبان دير باعابا اسقفًا . ونجح ايليا في رسالتهِ وكسّر صنم الموغانيين وعلّمهم الدين المسيحي * ومنها ايضًا رسالة في السن او قردلياباد واسام عليها نرسي الراهب من دير باعابا اسقفًا . وبشّر اهلها بالنصرانية فاهتدوا إليها *

واما ما كان من طيماثاوس فانهُ لما استقام لهُ الامر سعى في اصلاح امور البيعة فعقد سنة ٧٨٦ م مجمعًا . ووضع باتفاق الآباء ثمانية وتسعين قانونًا في الفرائض والأحكام . وفي كل قانونٍ منها مسألةً وجوابًا * وقد اثبتها في مجمعهِ الثاني الذي عقدهُ سنة ٨٠٤ م * وفي بعض هذه القوانين علّم هذه الأضاليل وهي ان الله لا يُرى ولا من نفس انسانية المسيح وان الانفس لا تشعر بالعذاب ولا تحظى بالسعادة الى ان تتحد باجسادها بعد القيامة *

وكانت سياسة طيماثاوس مع الخلفاء والامراء حبيّة لطيفة حسنة الى الغاية . والخلفاء الخمسة الذين عاش في عهدهم اعني بهم المهدي والهادي والرشيد والامين والمامون شهدوا لهُ بالعلم والحذق وفنون الجدال في المحاورات والمسائل المشكلة * ومن اراد مزيد الايضاح في ذلك فليطالع ترجمتهُ لدى ماري * وبعد انتقال دار الخلافة الى بغداد سعى طيماثاوس في تشييد دير كليليشوع في بغداد وسكن في البيعة المعروفة بدار الروم * قال ياقوت الحموي في معجم البلدان « دار الروم بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة للأمّة النسطورية خاصةً . وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها * وللجاثليق قلاية الى جانبها وبينهُ وبينها بابٌ يخرج منها اليها في اوقات صلواتهم وقربانهم *

ويجاور هذه البيعة بيعةٌ لليعقوبية مُفردة لهم . وهي حسنة المنظر عجيبة البناء مقصودة لما فيها من عجائب الصور وحسن العمل . والاصل في هذا الاسم ان أَسرى من الروم قدم بهم الى المهدي وأُسكنوا دارًا في هذا الموضع . فسُمّيت بهم وبُنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها » انتهى *

وقد ترك طيماثاوس بعض التآليف . واشهرها كتاب في علم الهيئة والنجوم . ولهُ كتاب في الاحكام البيعية . ومما وصل الينا من تآليفهِ جدالٌ مع المهدي قد استخرجهُ الى السريانية . ولهُ ايضًا رسائل كثيرة موجودة اليوم في مجموعة السنهدوس لمار ايليا الاول * والظاهر ان طيماثاوس اوّل من كتب بين المشارقة في العربية (س٢ : ٤٢٢ و٣ : ١ وجه ١٥٨ . لو ٧٥ - ٨٩) *

وجلس طيماثاوس على الكرسي الفطريركي ثلاثًا واربعين سنةً وسبعة اشهر وتوفي سنة ٨٢٢م . ودُفن في دير كليليشوع كما اوصى (ما . ص . عب ٢ : ١٦٥) *

الفصل العاشر

في اخبار بلاد مليبار الى اواخر القرن التاسع

نعلم من التقليد والاخبار المسطّرة (ش ج ٥٥٢ - ٥٦٤) ان بلاد الهند بعد ان ترمّلت بتكليل مار توما رسولها بنحو ٧٥ سنة م وانقطعت فيها سلسلة الرئاسة من اساقفة وقسوس ترك بعضهم دينهم المسيحي اما الباقون فهاجروا الى بلاد مليبار واختلطوا مع اهلها النصارى . وكانت مليبار خاضعة منذ القرون الاولى لرئاسة جاثليق المشرق . واوّل اسقفٍ معروفٍ قام عليها يوحنا مطران فارس الذي ختم على قول بعضهم سنة ٣٢٥ المجمع النيقاوي باسمهِ وباسم بلاد الهند

AIJAF - ASHURBANIPAL LIBRARY

العظمى كما يتضح من تاريخ هذا المجمع (ك ٢ ف ٢٧) المطبوع في البندقية سنة ١٨٢٨ * ورحل سنة ٣٤٥ من بلاد النهرين واثور وبابل نحو اربعمائة عائلة من السريان المشارقة الى ملبار مع يوسف مطران الرها وكثيرٍ من القسوس والشمامسة . وحلّوا في قرانقانور حيث بنوا برضى ملك ناحيتها بيوتًا وكنيسة وسكنوا فيها كما يستفاد من الاثر النحاسي الذي كان موجودًا لدى الملباريين في القرن الثاني عشر (ثم ٥٥٦ و ٥٧٩) * ومن هذا العهد الى نحو سنة ٨٠٠ كان يُرسل ايضًا الى الملباريين اساقفة من السريان المشارقة ليدبروهم . ولم تذكر لنا التواريخ اسماءهم . غير ان قزما الذي وصف سياحتهُ الى بلاد الهند في القرن الخامس قال (ك ٢ وجه ٤٤٩ - ٤٥٠) ما تعريبهُ « في طابروبانا الجزيرة الواقعة على مدخل الهند كنيسة للنصارى فيها اقليروس ومؤمنون . وكذلك في مالي حيث ينبت الفلفل . وفي كاليانا اسقفٌ جرت العادة ان يسام في فارس . وهكذا في الجزيرة المسمّاة ديوسقوريد الواقعة في بحر الهند نفسهِ اقليروس يُرسلون من فارس حيث يسامون » . وانما كان مطران فارس الذي كان عضوًا كبيرًا لجاثليق المشرق يدبّر بلاد الهند لان هذه كانت قريبة اليهِ . الّا انهُ لما اراد الاستقلال من طاعة الجاثليق في اواسط القرن السابع وانطفأ روح الغيرة والتهذيب من هو فركيتهِ اهمل انفاذ اساقفة الى بلاد الهند مدّة طويلة . فبعث يشوعياب الحزي الفطريرك الى شمعون مطرانها رسالة (تجدها في المصحف الواتيكاني عدد ١٥٧ الوجه ١٠٥) يوبخهُ على انهُ بتغافلهِ انقطعت سلسلة الكهنوت بين شعوب الهند * ومن هذا الحين شرع جثالقة المدائن يعتنون هم بانفسهم بها وصارت تطلب منهم راسا اساقفةً لبلادها .

ولذلك قال لكيان في الشرق المسيحي (٢ : ١٢٧٢ باريس ١٧٤٠) « كان يوجد في الهند اساقفة واقليروسيون قبل اواسط القرن السابع وكانوا يرسمون ويرسلون من مطران فارس او جاثليق سليق الكلداني » . وكانت الهند اسقفية اولًا . ولما شرع جثالقة المشرق يعتنون بها راسًا وازداد عدد النصارى فيها رقّوها الى المقام المطراني . ويُعَدّ مطرانها الخامس عشر في قائمة المطرانيات التي ذكرها عمرو في القرن الرابع عشر *

وسنة ٨٠٠ م أُنفذ بامر طيماثاوس الاوّل الفطريرك توما المطران الملقّب قانا للبشارة في بلاد الهند . وكان هذا وقرداغ المرسوم مطرانًا للجيليين ويابالاها المرسوم للديلميين من جملة الخمسة راهبًا الذين انفذهم طيماثاوس للرسالات . وعليهِ فهذان ايضًا اساما من اولئك الرهبان كثيرًا في الدرجة الاسقفية وانتشروا في الاصقاع كما مرّ . (نو ك ٥ ف ٧ وجه ٢٧٧ - ٢٧٨) * ودبّر توما كنيستي قرانقانور وانكامال معًا . وقال لكيان ك ٢ حاشية على وجه ١٢٧٢ ان ملك ملبار وهبهُ مدينةً تسمى اوانا او اولتيما *

وسنة ٨٥٠ م تولى نصارى ملبار مار شابور ومار فيروز (س ٢ : ٤٤٣) . قال مؤلف تاريخ الملباريين (ش ج وجه ٥٥٦) « اتيا صحبة سبريشوع الرجل الجليل وحلّوا في مدينة كولان حيث وهبهم ملكها ارضًا فبنوا في اقليم كولام كنيسةً ومدينة . ومنذ تلك الايام كان ياتي الى هنا غالبًا الاساقفة والمطارين السريان بامر الجاثليق الذي كان يرسلهم كعادتهِ » وقال لكيان (٢ : ١٢٧٥) « نحو سنة ٨٨٠ أتى شابور وفيروز الكلدانيان وكانا شهيرين بالقداسة واشتهر تذكارهما في فرض الملباريين البيعي وشيّدا كنائس كثيرة . وعلى عهدهما انتشرت

الديانة المسيحية في مملكة ديامبر* . وقد بُنيت كنائس كثيرة على اسمها بعد موتهما . الّا ان الكسيس منش مطران غوا اللاتيني امر في مجمع ديامبر الذي عُقد سنة ١٥٩٩ ان تُلقب باسم جميع القديسين الواقع عيدهم في ١ تشرين الاول (ش ج ٥٨٢-٥٨٤) *

الفصل الحادي عشر

في المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا العهد

اشتهر من المؤلفين في نحو زمان صليبا زخا الجاثليق يشوعبخت مطران فارس . والّف كتاباً فلسفياً في العالم والسماء عنوانهُ في هذا كلهِ . وكتاباً آخر في الاحكام البيعية وبحثاً في تعريف الاهوية او هو التقويم * وبابي الجبلي مُصلح المدارس المار ذكرهُ . ولهُ خُطَب ورسائل وتسابيح ومواعظ ادبية * وجبرائيل المعروف براقودا الذي صار مطران كرخ سلوخ . ولهُ مديحٌ في مناقب يعقوب مؤسّس دير باعابا (س٢: ٢ وجه ١٩٤ و١٧٧ و٤٦٠) *

واشهر المؤلفين الذين عاشوا في عهد فثيون هم بولس اسقف الانبار ولهُ تعزيات وتراجيم وجدال ضد بعض المبتدعين * ويعقوب اسقف قلطة ولهُ شرحٌ في سفر الامثال وكتاب في ايمان البيعة * وبرسهدى اسقف الكرخ ولهُ كتاب تاريخ للبيعة . وكتاب آخر ضد المجوس تُبّاع مذهب زرادشت. ثمه ١٧٣ و١٧٢ و٢٢٩ *

وازهر من المؤلفين على عهد ابا الثاني شهدست اسقف الطيرهان . ولهُ بحثٌ مجمعيّ ورسائل وقوانين وخُطب صغيرة وتراجيم * وشلبطا اسقف

راس العين والّف تراجيم وتعزيات . وفصولاً منظومة وغير منظومة تُتلى على باب المذبح . وشرح اللّحنين المنسوبين لمار شمعون برصبّاعي . اعني ܢܗܝܪ ܣܘܟܠ̈ܐ ܕܪ̈ܐܙܐ ܥܕܬܢܝ̈ܐ * ودنحا والّف ايضاحاً للمزامير وتعزيات ومباحث في الاحكام البيعية . وشرحاً في مجلّدي مار غريغور النازينزي وشرحاً في منطق ارسطو المعلّم . ثمه ١٧٧ و١٧٦ و١٧٥ *

وممّن اشتهر في نحو زمان يعقوب الجاثليق شمعون الكشكري ابن الطباخين ووضع كتاباً في التاريخ البيعي * وابراهام برليفي والّف شرحاً في الخدم البيعية * وقبريانس مطران نصيبين وشرح كُتُب لاهوت غريغور الكبير . والّف شيئاً من طقوس السيامة * وسليمان اسقف الحديثة . ولهُ كتاب في الطريقة الرهبانية * وشمعون الانبا الذي بنى ديراً بقرب السنّ او قردلاباد مدينتهِ . والّف خطباً وتراجيم كثيرة . ثمه ١٦٨ و ٢١٥ و ١١١ و ٢٠٥ و ٢٢٥ *

واشتهر في عهد حنانيشوع جريغور اسقف شوشترا من بلاد فارس . والّف جدالاً ضد شيع الوثنيّين. وكتاباً في علم الطبائع .وتعزيات وتراجيم. وتاريخ البيعة. وعلل الاعياد . وترتيلاً يبتدي ܕܡܘܬܒ̈ܐ ܕܪܫܐ . ثمه ٢٢٨ و ٤٦٢ *

ومن مشاهير المؤلفين الذين عاشوا في عهد طيماثاوس افرام مطران عيلم او جنديسابور . والّف كتاباً في ابواب الايمان وآخر في ترتيب الوصايا وقسمهُ الى مجلّدين * وداود الراهب من دير بارابان . والّف مقالةً في قياس او اعتدال المناخات . وفي اختلافات الليل والنهار * وشمعون البرقي اسقف الكرخ والّف كتاباً في التواريخ * وحبيب الراهب في دير من جبل بانان والّف تأملاتٍ في تدبير الرهبان وفصول العلم اقتداء باوغريس والحاناً ونغماتٍ ترانيلية.

ثمه ١٦٢ و ٢٥٤ و ٢٢٩ و ١٧٧ * وثئادوروس بركوني وله كتاب فيهِ شرح العهد القديم والجديد ويدعى ܟܬܒܐ ܕܐܣܟܘܠܝܘܢ. وكتاب التواريخ وتعزيات [1] *

الباب الحادي عشر

في تواريخ السريان اليعاقبة من سنة ٦٨٤ الى ٧٥٤ م

الفصل الاول

في اخبار اثناسيوس الثاني البلدي وسلسلة اساقفة الرها

تبوَّأ كرسي اليعاقبة الفطريركي بعد موت ساويرا ابن مشقا اثناسيوس الذي يُعد الثاني بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة اليعاقبة ويُعرف بالبلدي * وكان اصل اثناسيوس من بلد احدى مدن الجزيرة القريبة الى الموصل ومنذ نعومة اظفارهِ انعكف على درس المعارف ومطالعة الكتب القدسية . وصار مفسّرًا لها . وقرأ على ساويرا او هو سابوخوت في دير قنسرين اللغة اليونانية وتمهر فيها * ثم قضى بقية ايامهِ في دير باملكا الواقع في طورعابدين [2].

(١) غلطًا يقول جنة السمعاني انهُ كان ابن اخي مار يوانيس الاوّل الفطريرك ورسمهُ اسقفًا على لاشرم سنة ٨٩٢ . فانهُ في نفس كتاب اسكوليون الذي الّفهُ ثئادوروس مسطور ما نصّهُ : انتهى هذا الكتاب الذي الّفهُ مار ثئادوروس المعلم من بلد كشكر سنة ١١٠٢ اليونانية (٧٩٢ م) (طالع كتاب جنة المواليين العدد ٢٠٢) *

(٢) وهو بقرب ماردين . واليعاقبة القاطنون هذه البلاد يحملون الى دير مار ملكا المرضى المصابين بداء النقطة ليُشفوا بشفاعة هذا القديس * وكان في بلاد طور عابدين نحو ١٥٠ قرية يسكنها اليعاقبة محتوية على ثلث ابرشيات . وكان في هذه الناحية الجبلية اكثر من خمسين ديرًا . ولم يبقَ منها الآن سوى آثار شريفة *

وفيهِ نقل من اللغة اليونانية الى السريانية ايضاح بورفيريوس وكتب ارسطو المعلم المنطقية سنة ٦٤٥ م *

والتأم اساقفة الطائفة التئامًا قانونيًا في راس العين . وكان هولاء الاساقفة قد انقسموا احزابًا وتنازعوا مع الفطريرك ساويرا بن مشقا لانهم كانوا يدّعون ان سياميذ الاساقفة هو حقيقٌ بالمطارنة لا بالفطريرك وحدهُ كما مرّ . فلما عُقد هذا المجمع تصالحوا فيما بينهم . واختاروا سنة ٦٨٤م في دير سبولوس الذي في راس العين اثناسيوس شارح الكتب المقدسة . واسيم من حنانيا اسقف ماردين وكفرتوث واقام في دير با ملكا *

واشتهر في عهد اثناسيوس البلدي يعقوب اسقف الرها الذي يعرف لذلك بالرهاوي وبالمشفشان او المفسّر . وهو الذي يُعَدّ من اخصّ مرتّبي طقوس السريان اليعاقبة كما مرّ * ووُلد يعقوب في قرية عيندبا من ناحية جومبا في كورة انطاكية . ومنذ نعومة اظفارهِ انعكف في دير قنسّرين على درس اللغة اليونانية ومطالعة الكتب القدسية . وبذل قصاراهُ في تحصيل معارفها * ثم قصد الاسكندرية وجمع ثمّه اصول الحكمة واقتبسها . ثم عاد الى سورية فلما بلغ الرها اختير اسقفًا عليها . واسامهُ اثناسيوس البلدي الفطريرك سنة ٦٥١ * وعلى عهدهِ حدث اهتزاز عظيم في الرها سنة ٦٧٩ م فسقطت بطنان وسروج وبيعة الرها القديمة ومات خلقٌ كثير * وبعد قليل استقال يعقوب من منصبهِ الاسقفي . وكان سبب ذلك انهُ كان قد ازعجهُ بعض الاقليروس غير الشرعيين . وتنازع مع الفطريرك اثناسيوس والاساقفة غيرةً على حفظ القوانين البيعية . فلم يصغِ احد الى احتجاجهِ . بل كانوا يشترون عليهِ

ان يوافق الامور على مجرى احوال الزمان * فحملته نخوته أن يأتي بصحف القوانين البيعية ويحرقها امام باب الدير الذي كان يسكنه الفطريرك قائلاً بصوتٍ عالٍ « ها اني احرق القوانين التي رسمتموها ولم تحفظوها لكونها غير ضرورية وليست بذات فائدة » ونُصِب مكانه على كرسي الرها حبيب الشيخ الفاضل * واقام يعقوب بعد استقالتهِ في دير مار يعقوب في خيشوم احدى مدن سورية بين حلب والرها . فاستدعاهُ رهبان اوسيبيون الى ديرهم وقراوا عليهِ الكتب اليونانية مدة احدى عشرة سنةً ثم انطلق الى دير تلعدا الكبير. واقام ثمه تسع سنين وعدَّل ترجمة العهد القديم*

ولم يلبث يعقوب بعيدًا عن كرسيهِ فانهُ بعد وفاة حبيب الشيخ . اخذت الغيرة الرهاويين والحّوا على يعقوب ان يعود الى كرسيهِ. فلبَّى الى سوالهم *وروى ابن العبري انهُ بعد اربعة اشهر قصد سورية ليستحصل كتبهُ ويعود بتآليفهِ الى الرها . ولما وصل دير تلعدا ادركهُ الاجل في ٥ حزيران من سنة ٧٠٨ م *

وسياق الكلام يقتضي ان نصف هنا سلسلة الاساقفة الذين جلسوا على الرها من سنة ٣١٢ . وقد مرّ ذكر سلسلة الاساقفة الذين قاموا على الرها منذ عهد مار ادّى اسقفها الاوّل . فالآن نذكر قونا الى سنة ٣١٢ وشعد ٣٢٢ وايثالاها ٣٤٦ واوراهام ٣٦١ وبرصا ٣٧٨ واولوغ ٣٧٩ وقورا ٣٩٦ وسيلوان ٣٩٩ وفقيداس ٤٠٩ وديوجنس ٤١٢ ورابولا ٤٢٥ وايهيبا ٤٥٧ ونونا ٤٧١ وقورا الثاني ٤٩٨ وفطروس ٥١٠ وبولس . ونُفي سنة ٥١٢ واسقليب ٥٢٥ وعاد بولس سنة ٥٢٦ وتوفي سنة ٥٢٦ نفسها . واندراوس سنة ٥٢٧ وتوفي سنة ٥٣٣ وادّى وتوفي سنة ٥٤١ . وكان هولاء الاساقفة كاثوليكيّين *

وبعد هذا الزمان انقطعت من الرها سلسلة الاساقفة الكاثوليكيّين واندسّ فيها اساقفةٌ يعاقبة . وكان احيانًا يقوم فيها اسقفان الاوّل كاثوليكي والآخر يعقوبي . واحيانًا ايضًا اسقف ثالث نسطوري * فمن الكاثوليكيّين امازون الذي حضر المجمع الخامس سنة ٥٥٣ . وتيودور . وآخران لا يُعرف اسمها وكانا في عهد موريقي وهرقل الملكين . وبولس الثالث نحو سنة ١٠٧١ . وآخر نحو سنة ١٠٩٧ . وبعد هذا بقليل عبد المسيح * اما من اليعاقبة فاوّلهم يعقوب البراذعي الذي أُسيم سنة ٥٤١ ثم قام مكانهُ وهو حيٌّ ثاودور وتوما وساويرا ٥٧٨ - ٦٠٢ و يوحنا الذي انفذهُ كسرى عوض احيشما النسطوريّ كما مرّ الكلام. واشعيا الذي كان جالسًا على الرها لما اتى هرقل الرها بعد انتصارهِ على الفرس . وشمعون ٦٢٨ - ٦٥٠ وقورياقوس ٦٥١ - ٦٧٧ ويعقوب المنشقان سنة ٦٨٤ الذي استقال من منصبهِ سنة ٦٨٨ بعد ان جلس اربع سنين . فأُقيم مكانهُ حبيب الشيخ . وبعد موتهِ سنة ٧٠٨ عاد يعقوب الى كرسيهِ ولم يجلس سوى اربعة اشهر وتوفي على الراي الارجح سنة ٧٠٨ او سنة ٧١٠ على ما روى ديونيسيوس في تاريخهِ (س ١ : ٣٨٨ و ٤٢٤ . الك ٢ : ٩٦٥) *

وجلس اثناسيوس البلدي الفطريرك ثلاث سنين وتوفي سنة ٦٨٧ . ولما اشرف على الموت امر سركيس الزاخوي رئيس الاساقفة ان يُسيم جيورجيس اسقفًا على الاقوام العربيّة . وتمّ ذلك في تشرين الثاني بعد شهرين من موت هذا الفطريرك (عب ٢ : ٢٨٧ - ٢٩٤ . س ٢ : ٢٢٥) *

الفصل الثاني

في اخبار بوليانوس الرومي وايليا الفطريركين

خلف اثناسيوس البلدي في الكرسي الفطريركي بوليانوس المعروف بالرومي او الجندي لأن اباهُ كان متعلقًا بالإدارة الجندية في جيش داود الارمني الذي قُتِل في ايام هرقل . وكان قد تزوج بامراةٍ سريانية فولد لهُ بوليانوس * وتهذَّب بوليانوس منذ نعومة اظفارهِ في الطريقة العسكرية . ثم وضعهُ ابوهُ في دير قنّسرين فتعلّم اللغة اليونانية . واحبَّ السيرة الرهبانية ففاق نظراءهُ في صنوف الفضائل * وكان على جانب عظيمٍ من الحُسن بحيث كان يُعَدّ اهلاً للمُلك لهيبتهِ * ولمّا اجتمع الاساقفة في آمد سنة ٦٨٨ م نادوا بوليانوس فطريركًا . واسامهُ اثناسيوس السروجي . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة اليعاقبة *

ولا يخفى سبب النزاع الذي انشأهُ دنحا المفريان والاساقفة الشرقيون يومئذٍ . فانّ دنحا وبعض اساقفة هوفركيتهِ وخاصةً يوحنا القرقوسنيّ اسقف كرما الواقعة على بوغاز العجم ويوسف اسقف العرب التغلبيين كانوا قد اغتاظوا من الفطريرك لانهُ تداخل في امر ولايتهم الروحية . فامتهنوا الفطريرك وانشأوا اضطرابًا وشكوكًا في البيعة * الاّ ان بوليانوس الفطريرك تظاهر على دنحا المفريان وطردهُ من كرسيهِ واقام مكانهُ باخوس كما سيأتي الكلام مفصّلاً *

وكان بوليانوس ذا اجتهادٍ وتنقيبٍ في الفحص عن سيرة المترشحين الى الكهنوت واختيارهم . ولم يرفع الى المناصب الحبرية الاّ اشخاصًا متفرّغين للعلوم

والحكمة الالهية ومزدانين بالاخلاق الصالحة * وعقد مجمعًا سنة ٧٠٦ في دير مار سيلا لتدبير شؤُون طائفتهِ . وحضر فيهِ من جملة الاساقفة توما اسقف آمد ويعقوب الرهاوي المار ذكرهُ * وجلس بوليانوس الفطريرك احدى وعشرين سنةً وتوفي سنة ٧٠٨ م *

وخلفهُ في منصبهِ ايليا وكان من دير الجُبّ البرّاني . ثم اختير اسقفًا على اوفيميا احدى مدن سورية . وبعد ان دبّر كرسيها ثماني عشرة سنةً اختير فطريركًا سنة ٧٠٩ م * وكان ذا تدبّرٍ وسياسةٍ ونظرٍ في الامور وهو الذي استمال الوليد الخليفة الاموي ليتمكّن من الإقامة في انطاكية . فانهُ لا يخفى ان اليعاقبة ولو يدّعون ان كرسي فطريركيتهم هو انطاكية الاّ انهُ لم يتيسّر لفطاركتهم الإقامة فيها بعد ساويرا . لان الملوك الروم كانوا يزعجونهم ويطردونهم منها * ولكن لما استولى المسلمون على سورية رفع اليعاقبة رؤوسهم وسعوا في نصب كرسيهم الفطريركي فيها . فراى ايليا الفطريرك ان يخرج بأُبّهة واحتفال لاستقبال الوليد الخليفة ويعرض لهُ وجيبة عبوديتهِ . وقدّم لهُ بعض الهدايا . فاباح لهُ ان يقيم كرسيهُ في انطاكية وجرى ذلك سنة ٧٢١ م . وبعد ٢٠٢ سنة من هرب ساويرا من انطاكية * اما ايليا فبعد دخولهِ انطاكية سعى في بناء كنيسة جديدة لبني طائفتهِ * فكرّسها ودشّنها بأُبّهة سنة ٧٢١ نفسها . وفي السنة التالية كرّس بيعةً اخرى جديدة في قرية سرمادا من كورة انطاكية *

ومن التصانيف التي تركها لنا ايليا كتاب محاماة قسمهُ الى اثني عشر فصلاً كتبهُ الى لاون اسقف حرّان . وبيّن فيهِ السبب الذي حملهُ على هجر الشركة مع الخلقيدونيين والاتحاد مع القائلين في المسيح بطبيعة واحدة متجسّدة لله الكلمة بعد

الاتحاد مع سلامة خواصهِ كما قال مار قيرلس الاسكندري * ومن هذه النكتة نفهم ان اليعاقبة لم يكونوا يميّزون بين الاقنوم والطبيعة او الجوهر. لان مار قيرلس اتخذ الطبيعة في اللغة اليونانية بمعنى الاقنوم ليحارب بدعة نسطور . وبذلك تحصل سلامة خواصّ الكلمة وطبيعتهِ لا اذا أُتخذت الطبيعة بمعنى الجوهر *

وتبوّأ ايليا كرسي الفطركية اربع عشرة سنة وتوفي سنة ٧٢٣ وعُمرهُ اثنتان وثمانون سنةً ودُفن في ديره (عب ١ : ٢٩٢ - ٢٩٩ . س ٢ : ٢٧٢) *

الفصل الثالث

في اختيار اثناسيوس الثالث الفطريرك وعهد الصلح الذي عقده مع الارمن

بعد ايليا اختير فطريركًا على اليعاقبة اثناسيوس الثالث بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة اليعاقبة . وكان رئيس دير الجب البرّاني * واجتمع آباء الطائفة في دير قرطمين ونادوا به فطريركًا في شهر نيسان من سنة ٧٢٤ م واسامهُ ثيودوسيوس اسقف راس العين * وروي في بعض المصاحف الخطّية انهُ كان من دير حربار الواقع في ناحية شيشاط وان جبرائيل اسقف الرها اسامهُ *

وهلمّ نرى ما كان سبب التئام اساقفة اليعاقبة والارمن في المجمع الذي عُقد في نحو هذا الزمان . فنقول : لا يخفى ان اليعاقبة السريان والارمن هم من اصل واحد وعلى وتيرةٍ واحدة في المعتقد لانهم يقولون بطبيعةٍ واحدة في المسيح . الّا انهم قد اختلفوا في غير ذلك من ابواب المذهب كما مرّ الكلام * وكثيرًا ما بذل اصحاب هذين الشيعتين قصاراهم في عقد الاتحاد فلم يدُم زمانًا طويلًا . وكان الارمن يعتقدون ان المسيح هو غير قابل الفساد . ولم

يعرفوا فيهِ سوى نوعٍ واحدٍ من الفساد وهو عبارة عن الموت او انفصال النفس من الجسد * فحدث في هذه الاثناء ان اليوليانيّين المُقيمين في ناحية ميافرقين الذين يُعرفون بالفريغوريّين ايضًا كانوا يشكون اليعاقبة لانهم كانوا يقولون بفساد جسد المسيح . فانشأ ذلك شكوكًا واضطرابًا في قلوب الارمن * فعوّل اثناسيوس الفطريرك ليدفع عن طائفتهِ هذه التهمة على ان يختار ستة من الاساقفة الممتازين بالعلم وينفذهم الى يوحنا جاثليق الارمن . ففعل . واجتمع من الارمن ايضًا اساقفة كثيرون . وجرى خوضٌ عظيم في هذا المجمع بشان فساد جسد المسيح . وبيّن الاساقفة اليعاقبة ان الفساد ياتي على نوعين . الاوّل هو انفصال النفس من الجسد . والثاني هو نتانة الاعضاء بعد الموت * فالفساد بالنوع الثاني هو بعيدٌ عن المسيح وخاصّةً بعد قيامتهِ المجيدة كما قال داود النبي « لم تدع قدوسك يعاين الفساد » اما النوع الاوّل اعني انفصال النفس من الجسد فهو اساس ديننا . وايّدوا ذلك بقول بولس الرسول في اعمال الرسل « اقامهُ الله من بين الاموات » *

ولم يقتبل الارمن من اليعاقبة التصريح بهذه العقيدة بعين الرضى * نعم قد فرح يوحنا جاثليقهم بذلك لانهُ كان يتوق الى عقد الاتحاد . اما الارمن فلم يصادقوا على هذا التصريح بل تشبثوا بحججٍ واهية وبآيات خالية من كل اساس * ومع ذلك رأوا ان يُعقد عهد اتحادٍ خارجي فقط . ولم يُبرموا الاتفاق في هذه العقيدة الجوهريّة * وبعكس ذلك اظهر اليعاقبة امارات هذا الاتحاد مع الارمن بان اقاموا ذبيحة القدّاس كلٌّ في دورهِ واشتركوا في ما بينهم بتناول القربان . ثم كتبوا مصحفًا سنهدوسيًا في اللغتين الارمنية والسريانية

وأُودِعت النسخة السريانية لدى الارمن والارمنيةّ لدى السريان اليعاقبة * وتمَّ ذلك سنة ٧٢٦ الموافقة لخمسٍ وثلثين ومائة من التاريخ الارمني *

وقام اثناسيوس باعباء منصبهِ الفطريركي خمس عشرة سنة . وتوفي سنة ٧٤٠ م (عب ١ : ٢٩٩ - ٣٠٥ . س ٢ : ٣٢٨ . مق ١٤٦)

الفصل الرابع

في اختيار يوحنا الثاني الفطريرك واخبار مبادئ رئاسته

جلس على الكرسي الفطريركي بعد موت اثناسيوس يوحنا الثاني بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة اليعاقبة . وكان هذا قد ترهّب في دير زوقنين القريب من آمد اي دياربكر . ثم صار اسقفاً على حرّان الواقعة بين الرها والرقة * وابن العبري قد وصف لنا كيف جرى انتخاب يوحنا قال : لمّا اجتمع الاساقفة للاختيار جرى بينهم خوضٌ ونزاع طويل . واخيرًا عوّلوا على ان يختاروا ثلاثة من المترشحين وعهدوا امر الاقتراع الى اثناسيوس السندلي اسقف ميافرقين * وكان هذا رجلاً شيخًا حائزًا صيتًا عظيمًا بين اليعاقبة . فكتب اسماء المترشحين في ثلاث بنادق ووضعها على المذبح وبعد الصلوة اتى برجلٍ اجنبيٍّ وامرهُ ان يُخرج احدى البنادق . فخرج اسم يوحنا . وكرّر اثناسيوس الاقتراع ثلث مراتٍ وفي كلٍ منها كان يخرج اسم يوحنا . فصاح الاساقفة : هنا يدُ الرب . ونادوا بيوحنا فطريركًا واساموهُ سنة ٧٤٨ م * ولم يتمّ ذلك خلوًا من حيلة فان الاساقفة اكتشفوا بعدئذٍ على حيلة اثناسيوس . لانهُ كان قد كتب في البنادق الثلث اسم يوحنا . ولذلك اعاد الاقتراع ثانيًا

وثالثًا بدون ادنى تردّد . فوبخوهُ على عملهِ * ولم يجرِ آنفًا انتخاب الفطاركة لدى اليعاقبة بالاقتراع بل هذه هي المرّة الاولى التي فيها استعملوا هذه الطريقة التي كانت مألوفةً لدى النساطرة . وسيرد استعمالها مرارًا كثيرة . وقد استعملها ايضًا القبط *

ولنرجع الى الفطريرك يوحنا ونقول : ان هذا لمّا بلغهُ قدوم مروان الخليفة الامويّ الى حرّان اعدّ له هدايا فاخرة وحمّلها على خمسين جملاً . وعرض له أمارات عبوديّتهِ . فاقتبله مروان بترحاب وخوّله براءة شريفة * اما الاساقفة فاخذهم الحسد عوض الفرح . وشرعوا يكمنون لفطريركهم لينسلّطوا على الابرشيّات بالجور وقوّة الحكّام * وما زاد الاساقفة جسارة وتجبُّرًا على الفطريرك هو انّ الفطريرك كان قد قسم ابرشيّة آمد الى قسمين وفوّض تدبير خمس جهات منها الى اشعيا الاشفربني تلميذ اثناسيوس المذكور. امّا المدينة والقرى فولّى عليها ساويرا * فاعترض الآمديّون على هذا التدبير. ولمّا لم يتمكن الفطريرك من ردعهم آل به الامر الى مطاوعتهم . فاغتاظ اثناسيوس وبعض الاساقفة وشرعوا يشتمونهُ ويقرّفونهُ بتغيير آرائهِ * فوقع الفطريرك في حيرةٍ عظيمة ولم يعلم الى ايّ منقلبٍ ينقلب . وجرى من الشكوك والاختباط والمشاجرات ما يطول شرحهُ * وكانت عاقبة هذا النزاعات ان السندليّ شكا الفطريرك الى مروان الخليفة بانهُ جمع مائة الف دينار من تكريت والمشرق وانهُ اخذ الرشوة في نصب الاساقفة وعزى اليهِ ايضًا منكراتٍ لا يسوغ شرحها * فقابل الفطريرك السندليّ بمثل هذه الشكايات وبأفظع منها . فرأى مروان ان يحبس يوحنا الفطريرك في حرّان ومنعهُ من الخروج الى ان يدفع اربعة عشر الف دينار * وبقي الفطريرك يوحنا زمانًا تحت الحفظ الى ان

انتقضت دولة بني أُمية وغُلب مروان في الحرب التي اثارها في مرو. فخرج يوحنا من حبسهِ متوقعاً الفرصة الملائمة لإعادة السِلم بين بني طائفتهِ *

الفصل الخامس

في الاخبار الاخيرة من رئاسة يوحنا. وسياق سلسلة البطاركة الانطاكيّين الكاثوليكيّين

ان الحظ قد آتاح ليوحنا بطريرك اليعاقبة بان يرى السِلم مالكاً في طائفتهِ بعد ذلك الاختباط ولكن الى زمان. فان الاساقفة عقدوا مجمعاً في ترمانا احدى قرى ناحية قوروس وسعوا بمصالحة اثناسيوس السندلي وحملوهُ ان ينطرح على قدمي يوحنا البطريرك ويطلب منهُ المغفرة باكياً * لكن اثناسيوس لم يلبث ان عاد بعد هذه المصالحة الى غيّهِ * وتمكّن من جديد من إثارة القلاقل والبلبلات بين الطائفة فانهُ استمال الاساقفة الى حزبهِ فجمعهم في تلاّ واخذ عليهم العهد فنادوا بهِ زعيمهم ومطرانهم الاعظم * اما اليعاقبة فلم يطاوعوا اساقفتهم وانفصلوا من شركتهم. والحالة هذه آل الأمر بداود اسقف دارا ان يحرم السندلي ولم يقبلهُ بنو ابرشيتهِ الاّ بعد ان قرر هذا الحرم بامضائهِ * اما الاساقفة فلما راوا طائفتهم ممزّقة بهذا الانشقاق عوّلوا على ان يجتمعوا لدى البطريرك يوحنا ويسالوهُ الصفح عمّا سلف منهم ويدينوا له بالطاعة * فاجاب البطريرك الى سؤالهم. ولاسيما لانهُ كان قد طعن في السنّ وكان يرغب في توطيد دعائم السِلم والهدو بين بني طائفتهِ قبل موتهِ * ولم يكفّ السندلي بعد هذا كلهِ عن رايهِ لا بل انهُ زاد جسارة واثماً. واقام

رغماً عن البطريرك اسقفاً لحرّان اسمهُ اسحاق واسقط ابليا اسقف سنجار ذلك الرجل المتفاضل بالعلم الذي شرح شرحاً عجيباً المجلد الاوّل من غريغور النازينزي المعروف باللاهوتي. وقد فعل ذلك مع كون ابليا من هوفركية المفريان. واسام مكانهُ رجلاً مرتكباً يُدعى يشوع بكر *

وجرى ليوحنا البطريرك ما بين هذه الغوائل التي أَلمّت بطائفتهِ انهُ مرض مرضاً قوياً وتوفي في تشرين الاوّل من سنة ٧٥٤ م بعد ان دبّر كرسيهُ ستّ عشرة سنة * ودُفن في بديا احدى القرى الواقعة على نهر الفرات (عب ١ : ٣٠٥ - ٣١٥ ، س ٢ : ٣٣٨) *

وكانت معاملة دولة بني أُمية للنصارى سلمية. وكان ملوكها يتوخّون الموافقة والرفق من دون التفاتٍ الى المذهب. فكما ان مروان شرّف يوحنا بطريرك اليعاقبة بالبراءة السلطانية كذلك خوّل هذا الامتياز ثيوفيلاكت بطريرك انطاكية الكاثوليكي *

ولنأتِ الى وصف ملخّص سلسلة البطاركة الكاثوليكيين الذين قاموا على كرسي انطاكية. فنقول: قد رأينا انهُ بعد موت انسطاس الثاني سنة ٦٠٦م كان قد فرغ كرسي انطاكية غالباً من رعاةٍ كاثوليكيين. فان مقدونيوس وجيورجيس ومقاريوس الذين كانوا ملطّخين ببدعة القائلين بالمشيئة الواحدة أُسيموا على هذا الكرسي بعد انسطاس. الاّ انهم لم يقيموا فيهِ بل في القسطنطينية واتّفقوا مع بطاركتها انصار هذه البدعة * وبعد ان طُرِد مقاريوس سنة ٦٨٠ منهُ بامر المجمع السادس القسطنطيني نُصبَ ثاوفان مكانهُ. وبقي هذا ايضاً في القسطنطينية الى ان رقد بالرب سنة ٦٨٥. وخلفهُ بين بُرهات مختلفة من

الزمان اسكندر الثاني . وتوما . وجيورجيس الثاني . ثمّ فرغ الكرسي اربعين سنةً اي الى سنة ٧٤٢ . وفيها تبوّأ هذا الكرسي اسطفانوس الثالث . ثمّ خلفهُ ثيوفيلاكت الذي جلس من سنة ٧٤٤ الى ٧٥١ . وسُمّي بطاركة انطاكية الكاثوليكيين ملكيين كما مرّ *

الفصل السادس

في اخبار رئاسة ابراهام وداود ويوحنا المفريانات

تبوّأ كرسي المفريانية في تكريت بعد موت باريشوع ابراهام . وأسامهُ اثناسيوس البلدي البطريرك سنة ٦٨٤ م استنادًا على القاعدة التي سنّها ثاودور البطريرك * ولم يتهنّأ زمانًا طويلاً في رئاستهِ بل قضى نحبهُ في تلك السنة نفسها ٦٨٤ ودُفن في بيعة القلعة بتكريت *

وخلف ابراهام في كرسيهِ داود . وكان بطريرك اليعاقبة قد توفّي ايضًا في هذه الغضون فاجتمع الاساقفة الشرقيون واختاروا داود واساموهُ مفريانًا على تكريت * وقضى داود نحبهُ في المغرب * فانهُ كان الاساقفة الغربيون قد استدعوا داود الى المغرب ليحضر انتخاب البطريرك الجديد وسيامته * فلما صار اليهم توفي ثمَّ بعد ان جلس على كرسيهِ سنة اشهر فقط * وبقي كرسي تكريت فارغًا ست سنين *

ولم يكن يُسام في هذه اثناء فراغ المشرق من مفريانهِ اساقفة للكراسي المترمّلة . بل بقيت خاليةً من الرعاة . وكان على هذا الزمان يتولى دير الشيخ متى المطران يوحنا الشيخ . وكان رجلاً فاضلاً بالعلم والقداسة * فكان

رهبان الدير يسألونهُ ان يسيم لتلك الكراسي المترمّلة رعاةً ليتولّوا ادارتها. فلم يُجب اليهم محتجًّا بان هذا السلطان حقيقٌ بالمفريان فقط * ومما فعل رهبان هذا الدير نِكايةً بالشيخ مطرانهم . انهم ارسلوا شكوةً الى اثناسيوس الثاني البطريرك الجديد قائلين : انّ يوحنا الشيخ قد طعن في السنّ واستقال عن منصبهِ . فنسألك ان تسيم لنا مطرانًا مكانهُ * فصدّق البطريرك كلامهم وانفذ اليهم مطرانًا اسمهُ بوليانوس * واما ما كان من يوحنا الشيخ بعد وصول بوليانوس الى دير الشيخ متى . فانهُ لما سمع الضوضاء واصوات التراتيل والزياح الذي اجراهُ الرهبان احتفاء بدخول بوليانوس الى الدير وعلم الخبر خرج مغتاظًا من الدير ورحل الى دير باعربا الواقع على مقربةٍ من تكريت . واقام ثمَّ *

وبعد خروج يوحنا الشيخ من الدير ضرب الوباء اطنابهُ فيهِ . وكان ذلك امرًا غريبًا لم يُسمع بمثلهِ في هذا الدير المعروف بنقاوة مناخهِ . وتوفي في اسبوعٍ واحد ثمانون راهبًا . قال ابن العبري « فلما راى المطران الجديد هذه الآية لم يجسر ان يُطيل السكنى في الدير فعاد سريعًا الى البطريرك . اما الرهبان فتقاطروا الى الشيخ الفاضل ووقعوا على رجليهِ طالبين العفو منهُ فباركهم الّا انهُ لم يعُد الى الدير » *

وأُختير مفريانًا بعد فراغ الكرسي ست سنين يوحنا الشيخ نفسهُ . فان الاساقفة الشرقيين كانوا قد عوّلوا عليهِ . فاجتمع ستة منهم في تكريت واخرجوا الشيخ يوحنا من ديرهِ . ونادوا بهِ بصوتٍ واحدٍ مفريانًا على تكريت والمشرق سنة ٦٧٦ م (١) * ودبّر الكرسي المفرياني سنةً وستة اشهر وأسام للكراسي

(١) لا يخفى ما في تعيين الزمان الذي ساس فيه المفريانات كرسيهم من الاشكال في هذا الحل . قال ابن العبري في الكلام عن بطاركة اليعاقبة ان ثيودور البطريرك توفي سنة ٦٦٧

الفارغة ثلاثة اساقفة . وقضى نحبهُ يوم الثلثاء الواقع في ١٤ كانون الثاني سنة ٦٨٨م . ودُفن في بيعة الكرسي المعروفة بسركيس وباخوس * قال ابن العبري « ورُوي ان هذا مار يوحنا حوَّل بمعجزةٍ الهية الماء خمرًا » . والهُ نافورة مطلعها محبة كاملة (عب ٢ : ١٣٢ - ١٥١ . س ٢ : ٤٢٩) *

الفصل السابع

في اخبار دنحا الثاني وبولس المفريانين

اختير على كرسي المفريانية بعد موت يوحنا الشيخ دنحا الثاني بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . فان اساقفة المشرق اجتمعوا في تكريت واساموهُ في ١٢ آذار سنة ٦٨٨ م * ولم يجرِ سياميتهُ على يد البطريرك جريًا على السنَّة التي كان قد امضاها الاساقفة اليعاقبة في المشرق والمغرب . لانهُ كان البطريرك اثناسيوس الثاني المعروف بالبلدي قد انفذ بوليانوس مطرانًا على دير مار متى استنادًا على طلب رهبانهِ المتمرّدين كما مرّ الكلام . فاغتاظ اساقفة المشرق

ثم خلفهُ ساويرا بن مشقا سنة ٦٦٨ وتوفي سنة ٦٨٠ . ثم اثناسيوس البلدي الذي اسيم سنة ٦٨٤ وتوفي في ايلول من سنة ٦٨٧ . ثم جلس بوليانوس الرومي من سنة ٦٨٨ الى ٧٠٨ - الا انهُ في الكلام عن المفريانات روى ان ابراهام المفريان اسامهُ اثناسيوس البلدي . وعليهِ فجرى سياميته بين ٦٨٤ و٦٨٧ . وبعد قليل خطفته المنية . ثم خلفهُ داود . واسيم بعد موت اثناسيوس البطريرك . فاذًا في نهاية سنة ٦٨٧ وبعد مرور ستة اشهر مات بعد ان حضر سياميذ بوليانوس البطريرك الجديد الذي جرى سنة ٦٨٨ . وبعد موت داود فرغ الكرسي ستّ سنين اي من ٦٨٨ الى ٦٩٤ وجلس يوحنا الشيخ على كرسيهِ سنة ونصفًا . فتوفي اذًا سنة ٦٩٥ . فيكون قد اسيم دنحا خليفتهُ سنة ٦٩٥ لا سنة ٦٨٨ م * ولم يلاحظ ابن العبري هذا الاختلاف الذي انسرب في تاريخهِ البيعي *

ونكثوا العهد الذي كانوا قد عقدوهُ مع اساقفة المغرب * فسعى بأن يعالج بوليانوس البطريرك امر الصلح مع اساقفة المشرق . وانفذ اليهم والى وجوه تكريت رسائل شتى أُشِفّ عن اشتياقهِ الى الاتحاد ثانيةً مع كرسي انطاكية فمال اليهِ الاساقفة * اما دنحا المفريان فكان باذلاً قصاراهُ في منع الاتحاد . فابغضهُ لذلك الاساقفة ووجوه تكريت واكرهوه على الذهاب الى البطريرك * وصاحبهُ اعداؤهُ الاساقفة وشكوه للبطريرك ومنعوا عوده الى المشرق . فرحل الى دير قنسرين واقام ثمَّ زمانًا * واقيم نائبًا عنهُ ليدبر كرسي تكريت باخوس اسقف عاقولا التي سُمّيت بعد ذلك الكوفة *

ولم يلبث دنحا المفريان بعيدًا عن كرسيهِ زمانًا طويلاً . وانهُ بعد ان اقام سنتين في دير قنسرين راسل وجوه تكريت وتصالح معهم * وفي هذه الغضون توفي بوليانوس البطريرك وخلفهُ ايليا . فاتى هذا تكريت وسعى باعادة دنحا الى كرسيهِ ومصالحة الشعب معهُ * ومن مآثر دنحا المفريان يُذكر انهُ بنى بيعةً جديدةً في تكريت على اسم مار احودمّي الشهيد ورسم ان تكون الثالثة بين البيع الاوّليّة * ودبّر دنحا الثاني كرسيهُ اربعين سنة . وتوفي في ١٩ تشرين الاول سنة ٧٨٧ ودُفن في البيعة الجديدة التي بناها *

وقام على كرسي المفريانية بعده بولس القدّيس وكان رئيس دير كنوشيا الواقع في ناحية سنجار واسامهُ سنة ٧٨٨ جريًا على القانون اثناسيوس الثالث الذي كان يومًا رئيس دير الجبّ البرّاني * ويُمدح هذا بولس المفريان في انهُ صالح الاحزاب التي كانت قد انقسمت اليها تكريت من جراء الانشقاق الذي احدثهُ سالفهُ دنحا المفريان . ورسم في المشرق طقوسًا وتراتيل وعوائد بيعية

مستحبة * وقام بولس باعباء منصبه تسعاً وعشرين سنة وتوفي سنة ٧٥٧ م ودُفن في بيعة القلعة . وعلى عهده توفي اثناسيوس الثالث و يوحنا الثاني واسحق البطاركة *

وممن اشتهر بين يعاقبة المشرق من المؤلفين في هذه الاثناء توما الشماس والّف بحثاً في النقط وكيفية التنقيط وتوفي نحو سنة ٧٠٨ م * وايليا اسقف سنجار الذي عزلهُ ظلماً اثناسيوس السندلي في زمان الانشقاق . وفسّر تفسيراً حسناً الجزء الاول من لاهوت غريغور النازينزي وتوفي نحو سنة ٧٥٠ م *

الفصل الثامن

في التآليف التي تركها لنا يعقوب الرهاوي المنشقان

من اشهر المولفين الذين ازهروا في بدء القرن الثامن يعقوب اسقف الرها المار ذكر ترجمتهِ المعروف بالمنشقان لانهُ زيّن المشرق بتآليفهِ وخاصةً لانهُ شرح الكتب المقدّسة ونقل كتباً كثيرةً من المؤلفين الكاثوليكيين والهراطقة الى اللغة السريانية . من ذلك النافورات او القداديس التي يستعملها السريان وخطب ساويرا البطريرك . وتصانيف القدّيسين باسيليوس . واثناسيوس . وغريغور النازينزي . والنصّي . ويوحنا فم الذهب . وغيرهم وكذا منطق ارسطو ذلك التآليف الذي كان في غاية الاعتبار لدى السريان . وهي تدور بين ايدي اليعاقبة * وليعقوب الرهاوي على اللغة السريانية الرهاوية فضلٌ عظيم لانهُ سعى في اعادتها الى رونقها القديم حال اوشكت ان تجنح عنهُ . فاضحت افصح اللغات السريانية . وهو اوّل من صنّف كتاب القواعد النحوية لضبط اصولها . كما شهد ايليا مطران نصيبين النسطوري *

واما تآليفهُ فهي كثيرة . والمعروفة منها التي يذكرها السمعاني في مكتبتهِ الشرقية (مجلد ١ وجه ٤٧٦-٤٩٤) وهي . (١) تاريخ الازمنة وقد ذكرهُ الصوباوي (٢) نافورة او قداس يبتدىء . ܡܕܒܪܢܐ ܘܡܚܝܢܐ ܕܟܠ ܒܪ̈ܝܬܐ (٣) وطفس العماذ الذي يستعملهُ اليعاقبة والموارنة . لا بل ان الملكيين ايضاً كانوا يستعملونهُ (٤) مجموعة القوانين البيعية ويذكرها ابن العبري في كتابهِ المعروف بالهدايات (٥) النحو السرياني المار ذكره (٦) كتاب الكنوز في الرموز عن سرّ العماذ والقدّاس وبركة الماه (٧) عشرة اناشيد ܡܥܢܝ̈ܬܐ في عيد الاوشعنا (٨) وقد اصلح تراتيل ساويرا البطريرك التي يبلغ عددها ٢٩٥ وترجمها الى السريانية ويستعملها اليعاقبة في صلواتهم القانونية . وما بقي من التراتيل يُنسب الى يوحنا بن افتون رئيس دير قنسرين ويوحنا الآخر رئيس هذا الدير نفسهِ وغيرهما ممن نجهل اسماءهم طبقاً لتنقيح مار بولس اسقف الرقة المار ذكره ومار يعقوب الرهاوي[1] اللذين يُعدّان من اخصّ المرتّبين لصلوات اليعاقبة (٩) تفاسير في الكتاب المقدس (١٠) ونقل بعض اجزاء الكتاب المقدس من اللغة اليونانية الى السريانية ولذلك ترك لنا مقالة في قراءات المزامير المختلفة عن الترجمة السريانية (١١) ترجمة منطق ارسطو وزينهُ ببعض التفاسير (١٢) ترجمة تآليف فرفوريوس الفلسفية مع بعض التفاسير (١٣) ترجمة خطب ساويرا البطريرك من اللسان اليوناني الى السرياني وعددها مائة وخمسة وعشرون خطبة . ولهُ رسائل كثيرة في موادّ شتى *

اما ماكّ هذه الرسائل فالرسالة الاولى هي الى جيورجيس اسقف سروج

(١) هكذا روى المصحف السرياني الواطيقاني في ذا الشان عدد ١٥ وجه ١٤٢ *

في شان القواعد النحوية . و (٢) الى بولس القسيس الانطاكي الذي طلب الى يعقوب ان يخترع اقتداءً باليونان حركاتٍ لضبط لفظ اللغة السريانية وكتابتها تلافيًا لنقصانها . فانفذ اليهِ يعقوب صورة سبع حركات . و (٣) في الكتابة السريانية والنقط . و (٤) الى توما القسيس في وصف قداس مار يعقوب الرسول الذي يستعملهُ السريان . و (٥) الى يوحنا العمودي ونجد قطعًا منها في طقس بركة الماء . و (٦) الى اددّى القسيس محتوية على ثلث صلوات بركة الماء . و (٧) الى دانيال الصلحي في الامراة التي طلبت العفو لابيشالوم من داود ابيهِ *

ومن افضال يعقوب الرهاوي على السريان اليعاقبة هو انهُ من اخصّ مرتبي الصلوات القانونية التي يتلوها الآن اقليروس السريان اليعاقبة في مدار السنة كلها . فانهُ ما خلا الصلوات التي كانت في حيز الاستعمال في البطريركية الانطاكية قد اضاف عليها شيئًا كثيرًا من تآليف ساويرا البطريرك ومار يوحنا الدمشقي وغيرهما التي نقلها من اللغة اليونانية الى السريانية . هذا ما عدا الصلوات المتخذة من تآليف مار افرام الملفان . والسابقة والتابعة لعهد هذا القديس التي كانت في حيز الاستعمال لدى البيعة السريانية كما مرّ شرح ذلك مفصلًا في محلّهِ * ولا يخفى ان هذا يعقوب كان لاهوتيًا وقانونيًا شهيرًا . وقد اضاف شيئًا كثيرًا من تآليفهِ الى هذه الصلوات حيث اقتضى الامر تكميل بعض الفروض البيعية لمدار السنة * وبالجملة نقول انهُ بذل تعبًا جزيلًا وعلمًا ساميًا لاصلاح طقس صلوات اليعاقبة القانونية وتحسينهِ وتكميلهِ . ومما تفضّل بهِ على كنيسة اليعاقبة انهُ ضبط ايضًا طقس القداس ونظمهُ على موجب الاصل القديم حتى ان النافورة المنسوبة الى يعقوب الرسول تعرف بكونها من اصلاحهِ . وطبّق

على الاصل اليوناني معانيث ساويرا بطريرك اليعاقبة التي كان قد ترجمها الى السرياني بولا الرهاوي ولا يزال يترنم بها اليعاقبة في صلواتهم على مدار السنة * وترجم من اليونانية طقس العماذ تاليف سويرا المذكور ورتّبهُ وكمّلهُ ووضع رتبة تبريك الماء في عيد الدنح . ورسم كلندارًا للاعياد مستوفيًا لاغلب ايام السنة . والّف مداريش وبواعيث للاعياد والمواسم . ومن جملة ذلك المداريش التي على وزن [illegible] والمداريش والبواعيث التي توجد في اسبوع الحاش . واسقط يعقوب ومنع عوائد كثيرة جديدة مخالفة للقوانين من كنائس ملّتهِ [1] *

(١) قد توهم من نسب الى يعقوب الرهاوي استنباط الحروف السريانية التي يستعملها اليعاقبة والموارنة اكثر من ثمانمائة سنةٍ فرقًا عن النساطرة والكلدان . فان هذه الحروف اليعقوبية لا يعقوب الرهاوي استنبطها كما زعم قوم ولا ابو الفرج ابن العبري كما تظنّ العامة ولا ملتا اليعاقبة والموارنة اخترعتاها بتعمد كما زعم السمعاني ٢ وجه ٢٧٨ . بل تكوّنت رويدًا رويدًا من الحروف القديمة بسرعة النساخ في الكتابة * والدليل على ذلك واضح وهو اننا نرى خط الجيل الواحد مختلفًا لا محالة من خطا الجيل الذي قبلهُ وذلك في جميع اللغات . وعليهِ فاذا استقرينا خط جيل فجيل لدى السريان مثلاً نتصل شيئًا فشيئًا الى اوّل خط كانوا يستعملونهُ * فاقدم خطٍ كان مستعملاً لدى الامة السريانية على ما وصل الينا هو الخط المربع المسمى ايضًا الاسطرنجيلي الناتج من الحروف الكلدانية المسماة الان العبرانية لان اليهود يستعملونها وقد تعلموها في بابل حيث كان قد جلاهم بختنصر الملك : وفي القرن السادس اذ كثرت الحاجة الى نسخ الكتب وصعب استعمال الخط الاسطرنجيلي او المربّع في كل الكتابات خصص النساخ هذا الخط لكتابة الانجيل (ولذلك سمي الاسطرنجيلي) ثم لكتابة الكتاب المقدس بالعموم والكتب الثمينة والكتابات الرسمية ومبادىء الفصول وعنواناتها . واتّخذوا منهُ خطًا آخر قريبًا اليهِ سهل العربكة لكتابة باقي الكتب يحق لنا ان نسميهُ المتوسط . وهذا ايضًا تغير شيئًا فشيئًا حتى انهُ في القرن الحادي عشر صار تقريبًا في الحالين اللذين نراهما الان عند النساطرة وعند اليعاقبة . لكنّ خطّ النساطرة والكلدان هو اقرب الى الحروف

وقد اجتهد الشيخ السمعاني (مجلد ١ وجه ٤٧٠-٤٧٥ ان يبرّئ يعقوب الرهاوي من الاشتراك مع شيعة اليعاقبة . الّا انهُ قد ثبت انهُ كان يعقوبيًا . والبرهان على ذلك رسالتهُ الى حذبشبا الشماس ضد المجمع الخلقيدوني . واكثارهِ من تسمية ساويرا قديسًا في كتبهِ وترجمة خطبهِ الى السريانية وتنقيح اغانيهِ وضمّها الى طقس اليعاقبة . لا بل انهُ قد اسيم اسقفًا على الرها على يد اثناسيوس بطريرك اليعاقبة . وكان من مقدمي اساقفة مجمع اليعاقبة الذي عقد سنة ٧٠٦ . ودُفن في دير تلعد الذي لليعاقبة . ولذلك قد رجع السمعاني في ٢ : ٢٢٧ عما قال في . ثم كما افاد ايضًا اسطفانس برجيا في كتاب الصليب الواتيكاني وجه ١٢٢

الباب الثاني عشر

في تواريخ الطائفة اليعقوبية في القسم الثاني من القرن الثامن ٧٥٤-٨٩٢ .

الفصل الاول

في اخبار اسحق واثناسيوس الرابع البطريركين غير الشرعيين

جرى انتخاب اسحق خليفةً ليوحنا البطريرك دون رضى ايمة الطائفة اليعقوبية فانهُ لما اجتمع الاساقفة للانتخاب في راس العين انفذ اليهم الخليفة ابو جعفر المنصور امرًا بان ينصبوا اسحق الحراني احد رهبان دير قرطمين بطريركًا . ولما لم يطيقوا مقاومة امر الخليفة اساموهُ بالرغم عنهم . وكان ذلك خلافًا

القديمة المربعة كما يتضح لكل ذي عينين * وهكذا تكوّنت الحروف العربية التي نستعملها الآن من الحروف القديمة المسماة الكوفية . وهذه تكوّنت من الحروف الاسطرنجيلية او المربعة . وهذه من الحروف القديمة البابلية المسماة الآن العبرانية *

للشرع . ووضع يعقوب اسقف راس الصخرة (ܪܺܝܫ ܟܐܦܳܐ) بن عليه سنة ٧٥٤ م *

وقبل الاساقفة اسحق بقوّة البراءة التي نالها من لدن الخليفة * واما كيف توصّل اسحق الى قلب الخليفة حتى خوّلهُ هذا المنصب السامي ففي ذلك روايتان مختلفتان . فان رنادوت حكى في تاريخ الفطاركة الاسكندريين ان امراة الخليفة كانت نصرانية وكانت عاقرًا . وانطلقت يومًا الى دير قرطمين ورات في الحلم راهبين ووعداها بابنٍ . وعرفت ان اسحق كان احدهما . فلمّا تمّ لها ذلك ارادت مكافاة اسحق * الّا ان الاصدق هي رواية ابن العبري الذي كان اكثر اضطلاعًا في اخبار بني طائفتهِ * قال « كان هذا اسحق يومًا قاطنًا في دير الحصون ܕܝܪܐ ܕܟܘܪܟܣܢܐ الواقع في جبل الرها » . فاستضافهُ احد الرهبان الغرباء ايامًا واقتبلهُ اسحق بترحاب واكرم مثواهُ . فاراد ضيفهُ ان يكافئهُ وطلب من اسحق ان يأتيهُ بقطعةٍ من رصاص فذوّبها واخرج كيسًا صغيرًا من مخلاتهِ والقى على الرصاص شيئًا من هذا الكيس فتحوّل الى ذهب * فلما عاين اسحق ذلك اخذهُ شوقٌ عظيم الى معرفة هذا الفنّ . وطلب الى الراهب ان يعلّمهُ اياهُ * فاجابهُ ان راهبًا آخر قد عهد اليهِ هذا السرّ . فلم يصدّقهُ وتعقّب آثار الراهب ورماهُ في جبٍّ عميق وقتلهُ واخذ مخلاته راجيًا ان يجد فيها كتابةً تُعرب عن اتقان هذا الفن . ولكنهُ لم يجد لا كتابة ولا ايضاحًا لهذا السرّ . بل شيئًا متروكًا في الكيس * فاشتغل في هذه الصناعة السرّية . وكان يُحسب ماهرًا فيها . وصار يؤانس ابا جعفر » فامر بانتخابهِ * ولم يلبث ان تغيّر ابو جعفر على اسحق وذلك ان ابا جعفر قد انفذ الى البلدان ليجمع عقاقير كيماوية . وقبل نهاية السنة استدعاهُ الخليفة وفحصهُ ووجد انهُ لا يدري شيئًا . فامر بان يُخنق ويُلقى جسدهُ في الفرات *

وصحّت الآية « بالكيل الذي تكيلون يكال لكم ويُزاد » وجرى ذلك سنة ٧٥٤م * وخلفه في الكرسي البطريركي اثناسيوس الرابع بهذا الاسم في سلسلة بطاركة اليعاقبة . وهو اسقف ميافرقين المعروف بالسندلي صاحب الانشقاق المار الكلام عنهُ في ترجمة يوحنا البطريرك * ولم يتمّ اختيارهُ برضى الاساقفة بل أُسيم بامر الخليفة رغمًا عن ارادة الاساقفة . ولذلك يُعدّ هو ايضًا غير شرعي * ومات شرّ ميتةٍ . فان السندلي بعد ان نال براءةً من لدن الخليفة قصد حرّان واراد ان يُسيم عبدني تلميذ اسحق سالفهِ اسقفًا عليها * فامتنع اهل المدينة عليهِ وعقدوا النية ان يهجموا ليلاً على السندلي ويخنقوهُ . ثم شيّعوا ان الخليفة امر بذلك * فاتى رهبان دير قرطمين حيث كان السندلي قاطنًا اوّلاً . واودعوا جسدهُ في جرنٍ وحملوهُ الى مقبرتهم . وهم يكرّمونهُ في ديرهم بمثابة قدّيس * ولا يَعدّ اليعاقبة اسحق واثناسيوس في سلسلة بطاركتهم لانهما كانا غير شرعيّين . قال ابن العبري « وانما اردنا ذكرهما ارهابًا لمن يقرا ويسمع واظهارًا لعاقبة الخطر الذي يلمّ بمتجاوزي الناموس الالهي » (عب ١ : ٢١٥-٢١٩ . س ٢ : ٢٢٩ . مق ١٤٧) *

الفصل الثاني

في اخبار رئاسة جيورجيس البطريرك

قال ابن العبري « كان جيورجيس اصلهُ من بعلتان احدى قرى ناحية حمص . وتهذّب في دير قنسرين . وانعكف على درس الكتب الالهية في اللغة اليونانية والسريانية . وكان تلميذ مار ثيودور اسقف شميشاط الذي تنبأ عليهِ قائلاً : سيخوّلك الله درجةً سامية في بيعتهِ . فلتكن عينك منعطفةً نحو الدير

الفقير الذي تربّيت فيهِ » انتهى * ولمّا التأم مجمع الاساقفة في منبج في كانون الاول من سنة ٧٥٩ م جرى خوضٌ طويل بينهم في من يليق لهذا المنصب * ومن الاساقفة الذين حضروا نخصّ بالذكر يوحنا اسقف الرقّة . وطيماثاوس اسقف الرها . وداود اسقف دارا . وابا اسقف آمد . وسرغونا اسقف ماردين . وديونيسيوس اسقف حرّان . وايليا اسقف سنجار . ويوحنا اسقف بانوهدرا * ولما جرى ذكر جيورجيس أُحضر مكرّمًا . فلما راوهُ استحسنوا علمهُ . ولم يكن لهُ بعدُ سوى درجة الشمّاسية * واجمع كل الاساقفة على اختيارهِ ما خلا داود الداريّ ويوحنا الرقّي اللذين كانا يتوقان الى هذا المنصب . فانهما مانعا كل الممانعة محتجّين انهُ لا يسوغ ترقية احدٍ من البيوذن (اي الشمامسة) الى العرش البطريركي * فلما بلغ ذلك سكان منبج سعوا باقامة جيورجيس والحّوا على الاساقفة فاساموهُ رغمًا عن كل منازعة في تلك السنة *

اما اساقفة المشرق فبعد ان أُغلق المجمع الانتخابي وعبروا الفرات ورّطهم الشيطان في الغرور واملى لهم ان يسيموا سنة ٧٥٩ نفسها يوحنا اسقف الرقة الذي كان متلهّفًا الى المنصب البطريركي * فعاث هذا في المشرق مفسدًا في مدة السنين الست التي عاشها . واضرم نار النزاعات بين الطائفة حتى توفي سنة ٧٦٥ م . فراى ائمة الطائفة ان يتلافوا عاجلاً امر هذا الانشقاق فالتأم اساقفة الجزيرة والموصل والمغرب في سروج سنة ٧٦٢ م وصادقوا في هذا المجمع على اختيار جيورجيس وحتموا ان يُنزَع من اساميهم يوحنا الرقّي من منصبهم الاسقفي * وتصدّر في هذا المجمع جيورجيس البطريرك . وكان حاضرًا ايضًا داود الداري . وابا الآمدي . وسرغونا الماردني . وقسطنطين الشميشاطي *

ولم تخبُ نار المشاجرات بقرار هذا المجمع التهذيبي فان الاساقفة الذين كان قد نزع عنهم المجمع السروجي ولايتهم الاسقفية اتّفقوا مع داود الداري وقدموا بغداد بعد سنتين ووشوا بجيورجيس البطريرك لدى الخليفة ابي جعفر المنصور قائلين « انهُ اختير بطريركاً وهو لا يزال برغمنا بجورهِ . واذا اشرنا عليهِ ان يطلب من الخليفة براءةً يجاوب : لا يحلّ ان يكون اسم نبي المسلمين بين ادوات داري ». فامر الخليفة بالقبض على جيورجيس فعرّي من ثيابهِ وبُسطت ذراعاهُ . فكان يصرخ جيورجيس في اللغة اليونانية : يا والدة الله اعينيني * فسال الخليفة احد اعداء جيورجيس ماذا يقول . فاجاب انهُ يكفر * فاغتاظ الخليفة وامر ان يُضرب بالسياط ثلاث مرات وصار دمهُ يجري سيولاً على الارض * ثم سالهُ الخليفة لماذا لم تطلب البراءة منّا . اجاب : « لاني لم ارد ان اضجر احداً ». وسألهُ ايضاً : لماذا ترفض ان تحمل اسم نبيّنا . فاندهش البطريرك لما سمع ذلك وقال : « هوذا اسم نبيكّم في كل امتعتنا ومطبوع في دراهمنا ومسكوكاتنا » * فلما راى الخليفة شجاعتهُ وذكاءهُ تيقن انهُ أُسلم حسدًا وامر كاتبهُ ان ينقلهُ الى دارهِ ويستفهمهُ عن معرفتهِ بالصناعة الكيماوية * ولبث جيورجيس ثلاثة ايام لا ياكل ولا يشرب شيئًا . ثم أُلقي في السجن مع الاسرى (عب ١ : ٣١٩ - ٣٢٩) *

الفصل الثالث

في اخبار داود اسقف دارا الدخيل بطريركًا ونزاع الطائفة اليعقوبية واخبار جيورجيس البطريرك الاخيرة

تولّى امر اليعاقبة بعد ان أُودع جيورجيس السجن داود اسقف دارا .

فانهُ كان قد صدر امر الخليفة للاساقفة اعداء جيورجيس ان يختاروا من ارادوا . فاجمعوا على داود اسقف دارا . ونادوا بهِ بطريركًا . ونال البراءة من الخليفة فصار ذلك وبالاً عليهِ * لان بقية الاساقفة قرّفوهُ على خيانتهِ لجيورجيس البطريرك الذي كان بعد موت يوحنا الدخيل قد صادق على رئاستهِ في مجمع سروج *

وانقسمت الطائفة الى ثلاثة احزاب . فالاوّل حذا حذو الاساقفة الذين دانوا لرئاسة داود البطريرك الدخيل . والثاني بقي مع جيورجيس امينًا ينادي باسمهِ في البيع . والثالث لبث مجرّدًا لا يستعرف هذا ولا ذاك * وجرى في هذه الاثناء من الاختباط والفتن والفساد بين الاحزاب ما يقصر اللسان عن وصفهِ * فان اساقفة المشرق اعني القاطنين بلاد ما بين النهرين كانوا يحيطون بداود الدخيل ويلزمون الجماعات على اقتبالهِ * قال ابن العبري : « اما داود فكان يُهان ويُتفَل في وجههِ بسعي اخصامهِ ولم يكن يخزى . واستلّ الفرس (يعاقبة المشرق) سيوفهم واحاطوا بالمذبح في زمان الاسرار وشرعوا يسحبون الرجال والنساء رغمًا عنهم ليشتركوا معهُ » انتهى * واما ما كان من الاساقفة الذين لبثوا امينين مع جيورجيس البطريرك فانهم اصبحوا في ضيق عظيم . وكانوا يتردّدون تشبهًا بالعالميّن بثياب بيض متنكّرين وهم يدورون من مكان الى مكان خوفًا من التفتيش عنهم * وبقي هذا الشقاق في الطائفة تسع سنين الى ان خرج البطريرك جيورجيس من السجن * وجرى ذلك ان يعقوب جاثليق النساطرة وثيودوريت بطريرك الروم الملكيّين كانا قد قُيِّدا ايضاً في السجن مع جيورجيس بوشاية المبغضين * فوجد قبريانس مطران نصيبين النسطوري سبيلاً لتبرئة يعقوب الجاثليق كما مرّ . وبذلك

تخلّص ايضاً البطريركان الآخران * ولمّا خلف المهدي اباهُ ابا جعفر امر جيورجيس ان لا يُسمّي نفسهُ بطريركاً بعدُ . فقصد جيورجيس تكريت واقتبلهُ اهلها ويعاقبة الموصل وما بين النهرين بمثابة ملاك من الله *

وتمكّن جيورجيس من العود الى سورية فان حزبهُ تغلّب على معانديهِ . واسام عشرة اساقفة للكراسي التي ترمّلت في زمان الانشقاق . واقصى الاساقفة الذين اسامهم داود البطريرك الدخيل من كراسيهم . وطاف كنائس بطريركيتهِ وافتقد جماعاتها رغبةً في اصلاح شؤونها وترتيب مصالحها في كل مكان * وفي عهدهِ نشأ بين السريان اليعاقبة الجدال في شان كلمات القداس « نكسر الخبز السماوي » كما سياتي الكلام عنهُ في ترجمة قرياقوس البطريرك *

وتوفي جيورجيس في قلاوديا احدى الابرشيات السبع المحيطة بملطية مدينة ارمنية الصغرى * وكانت قد انهكتهُ الاتعاب . فمرض . ولمّا احسّ بدنوّ اجلهِ قصد دير برصوما القريب من ملطية . واستفتاح سنة ٧٩٠ م . ثمه . وديونيسيوس ٢ : ١١١ *

وترك لنا جيورجيس من المصنّفات تفاسير على الاناجيل الاربعة بطريقة السؤال والجواب . ولهُ رسالة مجمعية الى يوحنا بطريرك القبط الاسكندري : ورسالة اخرى الى غوريا الشماس . وحينما كان محبوساً صنّف قصائد والحاناً فصيحة . وبعد خروجهِ من السجن رسم اثنين وعشرين قانوناً لتدبير شؤون طائفتهِ وادارة الابرشيات (عب ١ : ٣٢٧ . س ٢ : ٢٤١) *

الفصل الرابع

في رئاسة يوسف وقرياقوس البطريركين . وتاسيس دير مار حنانيا المعروف بالزعفران

اختير بطريركاً بعد جيورجيس على الطائفة اليعقوبية يوسف احد رهبان دير الجبّ البراني * فان الاساقفة اجتمعوا في حزيران سنة ٧٩٠ م في بدايا الصغيرة الواقعة في بقعة حرّان ونادوا بيوسف بطريركاً . وكان ذا صورة حسنة وهيئة مهيبة * ولم يرضِ الجميع في علمهِ وتدبيرهِ فانهُ كان أُمياً . وندم الاساقفة على اختيارهِ لانهم بعد الامتحان ألفوهُ خلافاً لما كانوا يظنون بهِ * وعوّلوا قبل ان يسيموهُ على ان يعيدوهُ الى ديرهِ . الا انهم خافوا من عاقبة الامر . فان رهبان ديرهِ كانوا يحبونهُ فلم يريدوا تخديش خاطرهم . فاساموهُ بطريركاً * وبعد ان تبوّأ المقام البطريركي كرّس انتيموس اسقفاً على بعلبك . ثم انحدر الى بغداد ونال براءة من الخليفة وطاف بيع المشرق *

ولم يلبث ان قضى يوسف نحبهُ في دير اثناسيوس الواقع على تل بسما وهو حصنٌ قريب من ماردين حيث كان اثناسيوس السندلي قد بنى ديراً على اسمهِ * وتصرّم اجلهُ في كانون الثاني سنة ٧٩٢ وجلس سنتين فقط *

وتبوّأ الكرسي البطريركي بعدهُ قرياقوس . وكان من دير بيزونا او من دير العمود الواقع في الرقة على رأي بعضهم استناداً على بعض المصاحف * وكان رجلاً فصيحاً ثنياً ذا طبعٍ حاد . والظاهر من كلام ابن العبري ان تكريت او باجرمي احدى قرى تكريت كانت مسقط راسهِ وجرى تكريسهُ بطريركاً في ٨ آب او في بدرهِ وفقاً لبعض المصاحف سنة ٧٩٢ م . واجتمع

الاساقفة لاختياره في حرّان . واسامة ثاودوسيوس اسقف بعلبك *

وعلى عهدهِ اشتهر حنانيا احد رهبان دير مار متى الشيخ المعروف بدير الانفاف . واسامهُ قرياقوس في بدء رئاستهِ اسقفًا على ماردين وكفرتوث احدى نواحي بلاد ما بين النهرين * وكانت كفرتوث يومًا مقترنةً باسقفية ماردين. وتبعد عنها خمس مراحل في الجنوب الغربي منها * وسعى حنانيا بتأسيس ديرٍ بقرب ماردين. ورُوي انهُ لم يؤسّس هذا الدير بل رمَّمهُ. لانهُ كان يُعرف بدير مار اوجين وفقًا للآثار القديمة . وهو الآن دير الزعفران الجالس فيهِ بطاركة اليعاقبة *

وفي بنيان هذا الدير الشهير قال يشوع دنح مطران البصرة النسطوري «ان حنانيا اسقف الساويرين اليعقوبي وجد بقرب ماردين قلعةً مبنية بحجارة منهدمة منذ عهد الروم . فاشتراها وجعلها ديرًا . ونصب فيها كرمًا وزرع زيتونًا . واستمال قلوب الحكام بالهدايا الوافرة وبذلك هدَّأ بحكمتهِ حسد اعدائهِ . وفعل ذلك لا رغبةً في استحصال المجد الكاذب . بل ابتغاء للثواب السموي» انتهى. وجرى ذلك نحو سنة ٧٩٠ م. وسمّي هذا الدير دير مار حنانيا انتماء الى بانيهِ *

الفصل الخامس

في اهمّ الحوادث التي جرت على عهد قرياقوس البطريرك

عوّل البطريرك قرياقوس في شان هذه الكلمات «نكسر الخبز السماوي» التي يتلوها اليعاقبة في القداس على الغائها مطاوعةً لبعضٍ من بني طائفتهِ * وكان جيورجيس قد قاسى مشقّاتٍ وافرة في الدفاع عنها. الّا انهُ لم يحدّد شيئًا بخصوص وجوب تلاوتها او ابطالها خوفًا من الانشقاق الذي كان يتهدّد

طائفتهُ * قال ابن العبري «ولما سألهُ غوريا شماس بانعار القريبة من الرها . اجاب لا اعلم متى دخلت هذه الكلمات في البيعة . ولكني اعلم في اي زمان حُذِفت * فان يعقوب اسقف (اورشليم) الاوّل ومرقس بن بطرس وتلميذه سلّمانا التقديس السرّي لجسد ودم الله الكلمة . اما هذه الكلمات «نكسر الخبز السموي باسم الآب والابن والروح القدس» فلا توجد في قداسيهما * ثم اردف: الويل لنا اذ اقررنا ان الخبز فقط نزل من السماء ولا الابن وكلمة الله» انتهى * الّا ان جيورجيس قد اخطأ اذ قرّر انهُ لا وجود لهذه الكلمات في هذين القدّيسين فانهُ يظهر صريحًا لمن يطالع رنادوت في القداديس الشرقية (مجلد ٢ وجه ٢٨ و١٨٢ .) انهُ بعد التقديس ودعوة الروح القدس وذكر الاحياء والاموات يكسر الكاهن القربان تاليًا هذه الكلمات * وانما اراد بعض اليعاقبة ابطال هذه الكلمات من القداس لانّها تُوهم ان الخبز السماوي الذي هو المسيح ابن الله نفسهُ ليس هو الابن الذي باسمهِ وباسم الآب والروح القدس يكسر الخبز السموي * واراد قرياقوس حسمًا للجدال عن هذه المسألة ان يعقد مجمعًا في باتين من اعمال حرّان . وسنّ اربعين قانونًا في الاصلاح . ولم يتمكّن من الغاء هذه الكلمات بل اذن ان يتصرّف بها كلٌّ على رأيهِ *

وجرى بين ساويرا اسقف شميشاط وقرياقوس البطريرك نزاع طويل . فان ساويرا لم يكن ينظر الى قرياقوس منذ ارتقائهِ الى المنصب البطريركي بعين الرضى . وكان يترقّب الفرص ليجد سبيلًا الى إثارة القلاقل عليهِ * ولما كان البطريرك ايضًا موغَر الصدر عليهِ قصد شميشاط ليصلح الشوائب التي فيها . اما ساويرا اسقفها فلم يفتح لهُ ابواب البيعة * فارسل حاكم المدينة فتحها

مراعاة له واجراء للحقوق البطريركية المتضمّنة في البراءة السلطانية التي كانت في يده . فصعد البطريرك المنبر حالاً وحرم ساويرا * اما هذا فارعوى بعد قليل فعفا البطريرك عنه *

ولنصف الآن كيف جرى عهد الاتفاق بين جبرائيل بطريرك البوليانيين وقرياقوس بطريرك اليعاقبة . ونقول : ان البوليانيين عُرفوا باسم بوليانوس اسقف هيلفرناس الذي حرمه اغابيط البابا . وهم طائفة من القائلين بالطبيعة الواحدة ايضاً . الا انهم يزعمون ان جسد المسيح كان غير قابل الفساد اعني غير خاضع للآلام والانفعالات الطبيعية * وقام عليهم رؤساء مستقلّون . وكان بطريركهم على هذا العهد يدعى جبرائيل * فاتى هذا سنة ٧٩٨ م البطريرك قرياقوس وطلب الاتحاد معهُ بشرط ان لا يكرز اليعاقبة باسم ساويرا وان لا يحرموا بوليانوس . وقرّر ان يسوس كلٌّ منهما طائفته الآن . فاذا مات احدهما يتولى الآخر امر كلا الطائفتين بعد انضمامهما * ولم يرق هذا العهد باعين كل الاساقفة . فان بعض الاساقفة المعادين للبطريرك شرعوا يدمدمون ويثيرون شغباً بين الشعب قائلين : لن نقبل جبرائيل ان لم يحرم بوليانوس * قال ابن العبري : « اما جبرائيل فاجاب : اعلموا يا ايها الاخوة انكم ان اردتم اقامة الحجة عليَّ فقط فانا لا ابعدُ ان احرم بوليانوس . اما ان طلبتم ذلك من الشعب فهو لا يطاوعكم اما لجهلهِ واما اقتفاء للعادة المتعمّقة فيهِ التي لا تتبدّل الا بمرور الزمان * ولما لم يطاوعوهُ قام ونفض ثيابهُ قائلاً : الآن قد علمت ان اختلافكم ناجمٌ لا عن طلب وجه الله وانما عن حسدكم لرئيسكم الذي يشقّ عليكم ان تروهُ يجري على يده شيءٌ فيهِ خيرٌ . ثم توارى عنهم » انتهى *

وكان من اكبر المعاندين لرئاسة قرياقوس البطريرك باخوس اسقف الفروسطيين او سكان كورة خلب الذين كفروا بعد هذا بدينهم واسلموا . قال ابن العبري : « فهذا باخوس اذ كان على سرير الموت اوصى رهبان ديره ان لا يقبلوا اسقفاً الا من ديره . وكان يقول : يشقّ عليَّ ان ارى قرياقوس الجرمقيوني ذاك البطريرك الذي حالما قبض على ازمّة امرنا ألزمنا ان نبطّل من بلادنا تلك الكلمات « الخبز السموي » التي كنا متمسّكين بها اخذاً عن اجدادنا » انتهى * واراد هؤلاء الرهبان ان يكمّلوا وصية باخوس بكل تدقيق فانهم اتوا البطريرك صُحبة اخسنايا تلميذ باخوس ورهبان آخرين من دير الجب البراني . وقدّموا له تبعاً للعادة التي كانت جارية في بيعتهم حماراً وخرجاً وفضة ملتمسين منهُ ان يسيم عليهم اخسنايا اسقفاً * فاجاب البطريرك ليس من الإنصاف ان تُضبط الابرشيات على سبيل الخلافة . فاجابوا ان يُسام الا هذا . ولا نقبل غيرهُ * اما البطريرك فاسام عليهم سليمان الراهب من دير مار يعقوب في قورس خلافاً لمشيئتهم * واما ما كان من هؤلاء الرهبان فانهم اخذاً بثارهم رفضوا الاسقف الذي اسيم عليهم وابطلوا الكرازة باسم البطريرك . وقصدوا الخليفة هارون الرشيد الذي كان في مرج دابق وافتروا على قرياقوس قائلين : انهُ جاسوس في بلادك من قبل الروم وهو يسترسلهم وينقل اخبار المملكة اليهم . وهنا يعجز اللسان عن وصف الشرور والنوائب التي المت بطائفة اليعاقبة بسبب هذه الوشاية القبيحة قال ابن العبري : « فغضب الخليفة وامر ان تهدم ابنية البيع الجديدة . واجرى العرب صنوف الجور والقساوة . وتجرّع النصارى كؤوس الضيم والغصص والبلايا وأُسيموا الخسف ليس في كورة

انطاكية واورشليم فقط . وعاشوا بالبيع القديمة متسدين . وكان ذلك جرحًا عميقًا على النصارى وانتقامًا الهيًّا * وانفذ الخليفة عساكره . فاتوا بالبطريرك من الرقّة ذليلاً مهانًا . فلما بلغ ذلك مسامع البطريرك خرج مسرعًا الى الخليفة . والتقى بهِ على جادّة الطريق بقرب جوبرين وانطرح على قدميهِ مستغيثًا » انتهى * فاشفق عليهِ الخليفة وفوّض محاكمته لاسمعيل بن صالح كاتبهِ . وكان هذا صديقًا للبطريرك . فطرد الواشين بهِ واطلق البطريرك الى ديره في الرقة *

وجرى ايضًا لقرياقوس البطريرك مع الاساقفة والرهبان الجبيّين المقاومين لرئاسته نزاعٌ اخر . وكان هولاء الاساقفة قد اجتمعوا في قرية كَلْنَرْ واساموا اسقفين خلافًا لمشيئة البطريرك * فاغتاظ قرياقوس وجمع اساقفته في جبرين قلعة الفروسطيين . وحرم الاساقفة والرهبان الجبيّين * فقبض في هولاء عرق الغضب . واتوا بابراهام الراهب من دير قرطمين المعروف ايضًا بابيرام واقاموه بطريركًا نكايةً بقرياقوس * فلما استتبّ لابراهام الامر شرع يقيم روساء الاساقفة بدون كراسي . فصار هولاء يدورون في البلاد قائلين : اننا انما نداقع عن كلمات القداس « نكسر الخبز السموي » وكانوا يدعون البطريرك هرطوقيًا لانه عقد عهد الاتحاد مع اليوليانيين * ودام هذا الشقاق في عهد قرياقوس وخليفته ديونيسيوس التلمحريّ * ولا يخفى ان مرقس البطريرك الاسكندري جريًا على العادة كان قد كتب الى قرياقوس رسالةً مجمعيةً دلالةً على اتحاد كلتا البيعتين . وفيها يطعن في المنشقّين ويوبّخهم توبيخًا قبيحًا *

وفي هذه الغضون شبّ نزاع آخر اثاره التكريتيون على البطريرك ما بين هذا الجهاد وهذه المحن . كان التكريتيون قد شكوا المفريان شمعون مرارًا كثيرة

لدى البطريرك . فلم يُصغِ هذا لهم اذنًا لان شمعون كان تلميذه * فصار التكريتيون يقرّفون البطريرك بالرياء والاخذ بالوجوه * ولما اشتدّوا عليهِ الالحاح طاوعهم وطرد شمعون من تكريت . فتحزّب بعض التكريتيين لشمعون وشرعوا يذمّون البطريرك . فصار هذا عرضةً لشتيمة الحزب الاوّل وهدفًا لسهام الآخر معًا * وقصد قرياقوس تكريت ليصالح اهلها . وفي هذه الاثناء توفي شمعون . فاسام عليهم باسيليوس فحصل لهذا نزاع مع المتاّئين رهبان دير مار متى . فحرمهم البطريرك * فاستشاط الاساقفة والرهبان وتجاسروا على ان يحرموا البطريرك وباسيليوس * وما بين هذه القلاقل آل الامر بالبطريرك طلبًا للسلم ان يقرّر المنصب المطراني لدانيال اسقف الموصل بشرط ان يبقى خاضعًا لمطران تكريت * وفي وسط هذه الوقائع المحزنة . جرى موت قرياقوس البطريرك . وتصرّم اجله في ١٦ اب سنة ٨١٧ م . وحُمل جسده نهرًا الى تكريت مدينة آبائهِ . ودبّر البطريركية اربعًا وعشرين سنة واسام ستة وثمانين اسقفًا * وقد وصف اخص اخلاق قرياقوس البطريرك ابن العبري قال « ولم يمسّ بيده الذهب او الدراهم مدة بطريركيتهِ . ومن حيث انه كان غيورًا وصارمًا على متجاوزي القوانين قضى ايامه في المرائر والضيقات » انتهى * وترك لنا قرياقوس من التصانيف الرسالة المجمعية التي انفذها الى مرقس البطريرك الاسكندري . والنافورة او القداس المعروف باسمهِ . والقوانين الاربعين في الاصلاح التي سنّها في المجمع الذي عقده في بانين * وقد ذكر ابن العبري في مجموعة قوانينهِ قرياقوس بين فقهاء اليعاقبة (عب ١ : ٣٢٩-٣٤٢ . س ٢ : ٣٤٢-٣٤٤)

الفصل السادس

في اخبار يوحنا الثاني . ويوسف . وساريليوس . وشمعون . وباسيليوس الاوّل المفريانات

خلف بولس المفريان على كرسي تكريت يوحنا وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . وكان راهبًا من دير مار متى الشيخ ويعرف بالخبونيتي ايضًا نسبة الى مسقط راسهِ * وكان الاساقفة المشرقيون قد التأموا في دير كنوشيا الواقع في ناحية سنجار للمفاوضة في مسألة يونان اسقف كولمرك احدى مدن سنجار . وكان بنو رعيتهِ قد قدّموا عليهِ شكايات شتى . فلم يقبل المحاكمة في مجمع المشارقة بل امام البطريرك * فطرد الاساقفة يونان من كرسيهِ واختاروا يوحنا الخبونيتي وانفذوه الى اثناسيوس الرابع البطريرك . واسامهُ مفريانًا على تكريت . ولما عاد الى المشرق اصدر الحكم على يونان الاسقف * وبعد زمان قصير جرى لهُ نزاع مع بعض الاساقفة وبني رعيتهِ ولاسيما بين التكريتيين ورهبان دير مار متى . فشُكي وعُزل من منصبهِ نحو سنة ٧٧٢ م *

وتبوّأ بعدهُ كرسي المفريانية يوسف . واسامهُ جيورجيس البطريرك في تكريت بعد ان أُطلق من السجن نحو سنة ٧٧٢ م * وبعد اشهر قليلة توفي يوحنا المفريان المعزول ويوسف خليفتهُ ايضًا نحو سنة ٧٧٨ . وفرغ كرسي المفريانية الى ان تبوّأ قرياقوس الكرسي البطريركي * فعوّل التكريتيون بعد المشاجرات التي نغّصت المشرق على ان ينفذوا الى قرياقوس البطريرك سفراء يلتمسون منهُ ان ياتي هو بنفسهِ ويصالحهم مع رهبان دير مار متى المنشقّين منهم * فلبّى قرياقوس دعوتهم . وقدم الموصل وصالح الحزبين * واقام مفريانًا على تكريت والمشرق في

هذه الفرصة شربيل اسقف نرساباد * وكان شربيل رجلًا فاضلًا بالعلم والتقوى * وكان شربيل قد اسام بعد ان تبوّأ كرسيهُ بسنين قليلة اساقفة كثيرين . فصار اسقف كرما يعيّرهُ لانهُ هجر كرسي نرساباد الفقير ليستولي على عرش تكريت السامي * فاغتاظ شربيل وقام ليلًا وهرب ولم يدرِ احد بهِ سوى تلميذهِ . وكان قد بنى قلعةً في نصرباد فقصدها وعزم ان يقضي بقية ايام حياتهِ في احدى القلالي التي شادها فيها * ولم يستطع البطريرك قرياقوس والتكريتيون ان يقنعوهُ ليعود الى كرسيهِ * فانهم مع ما بذلوه من السعي والالحاح لم يتمكنوا من استمالتهِ بل جاهر بالاستقالة عن منصبهِ *

واسام قرياقوس البطريرك خليفةً لهُ شمعون تلميذهُ . وكان اصلهُ من قرية باديا . واقتبلهُ اهل تكريت والمشرق بالاكرام في بدء امرهِ * ولم يرضِ الجميع بتدبيره . فانهُ بعد قليل صار ينازعهُ فيلوكسين اسقف نصيبين وبعض التكريتيين * وازدادت التهم والشكايات عليهِ لدى البطريرك . وانقسم اهل تكريت الى حزبين . وكان بعضهم يقبلونهُ وغيرهم يرفضون الطاعة لهُ * اما قرياقوس البطريرك فلما بلغهُ خبر هذه النزاعات والشكايات لم يلتفت في بدء الامر الى اخصام شمعون . فازدادوا جسارةً وشرعوا يقرّفون البطريرك بالرياء كانهُ يحامي تلميذهُ * واخيرًا غلبهُ الحاح السفهاء فاقصى شمعون المفريان عن تكريت * فلم يرضَ الحزب الماسك بيد شمعون بهذا التدبير بل اغتاظ واثار شغبًا في تكريت . وبذلك اضحى قرياقوس البطريرك عرضةً لاراجيف كلا الحزبين . واستمرّ النزاع الى موت شمعون المعزول *

فاقام قرياقوس البطريرك مفريانًا مكان شمعون باسيليوس الاول بهذا

الامم في سلسلة المفريانات ويعرف بالبلدي ايضاً نسبةً الى وطنهِ * وكان باسيليوس مزداناً بمناقب واخلاق نادرة ولاسيما بالبلاغة وطلاقة اللسان امام الوزراء وكل الشعب . وقام باعباء منصبهِ احسن قيام . وسعى بمصالحة الحزبين المتشاغبين بسبب سالفهِ شمعون المفريان . ونال راحةً وطمانينة في مدة العشر سنين الاولى التي قضاها في منصبهِ *

وجرى بعد ذلك ما نغّص عيشهُ ان المصلين التكريتيين شكوه الى القاضي بان احد خواصهِ المدعو عبيدان قد سبّهم * فاثاروا على باسيليوس اضطهاداً عنيفاً . وقبضوا على عبيدان ونزلوا بهِ الى بغداد . فطولب بهجر دينهِ ليكفّر عن ذنبهِ . ولما ابى حُكم عليهِ بالقتل * فخاف المفريان من عواقب هذه الحوادث وهرب الى بيت ابيهِ في بلد * ولم يبقَ باسيليوس في بيت ابيهِ بل عاد الى كرسيهِ بعد ان هدأ روعهُ * وحضر سنة ٨١٨ م المجمع الذي عُقد لاختيار ديونيسيوس التلمحري خليفةً لقرياقوس البطريرك على ماسترى . وكان سيامتهُ البطريرك حقيقاً بهِ . الّا ان بعض التكريتيين بغضةً بهِ منعوهُ التصرّف بحقوقهِ * وقضى باسيليوس نحبهُ في دير عينقانايا الواقع خارج بلد المدينة . ودفن فيهِ سنة ٨٢٠ م (عب ٢ : ١٥٩ - ١٨٧ . س ٢ : ٤٢٢ - ٤٢٦) *

الباب الثالث عشر

في تواريخ السريان المشارقة (النساطرة) من زمان يشوع برنون الى عهد يوحنا الاعرج (٨٢٤ - ٩٠٠ م)

الفصل الاول

في اخبار رئاسة يشوع برنون الجاثليق

كان يشوع برنون من قرية باجبارى من اعمال نينوى . وتثقف مع طيماثاوس البطريرك بين يدي ابراهام الاعرج وصار معلماً في مدرسة المدائن* ثم مضى الى عمر مار ابراهام المعروف بدير الازل وترهّب ثمه . وانتصب على التاليف ودحض تاليف طيماثاوس رفيقهِ . وكان يمقتهُ . وانفذها الى البلاد * ثم قصد بغداد . واقام في منزل جبورجيس المعروف بماسويه يعلم ابنهُ شهورا * ثم رحل الى دير مار ايليا المعروف بالصعيدي بجانب الموصل واقام فيهِ ثلاثين سنةً . وكان طيماثاوس قد اسامهُ قسيساً * وجرى انتخاب يشوع برنون على هذه الصفة : لما حضر الآباء جرى خوضٌ بينهم وبين المومنين . وسعى جبرائيل بن بختيشوع وميخائيل طبيبا المامون ويعقوب ووهب الكاتبان في ديوانهِ بانتخاب يشوع برنون . فاجمعوا على ذلك واسيم سنة ٨٢٤ م *

وكان سبب بغضة يشوع برنون لسالفهِ طيماثاوس البطريرك ان طيماثاوس كان قد علّم ان الله لا يُرى ولا من نفس ناسوت المسيح وان الانفس لا تشعر بالعذاب والسعادة الى ان تعود الى اجسادها بعد القيامة الاخيرة . وحرم يوسف الحزايا او الناظر. وقد اخطأ في ذلك* فقاوم يشوع برنون هذا التعليم اذ كان بعد

راهباً * فلما حصل في كرسيهِ البطريركي باكليليشوع كشف ما استكنّتهُ نفسهُ من البغضة لطيماثاوس . وامر باسقاط اسمهِ من سفر الآباء . فعاتبهُ الاساقفة . وندم على ما فعل وامر تلاميذهُ في ساعة موتهِ باحراق كتبهِ التي الّفها طعناً بطيماثاوس *

وعقد يشوع برنون في السنة الاولى من رئاستهِ مجمعاً سنّ فيهِ مائة وثلثين قانوناً في الفرائض والاحكام . وسبعين مسألةً تهذيبية ودينية مع الاجوبة عنها * ويحتوي بعضها على اضاليل اعتقادية مستجدة . الّا ان النساطرة لم يعتبروها قاعدةً للعمل بها . لانها مضادة لتعليم آبائهم القديم . وقد قوّض يشوع برنون فيها تعاليم طيماثاوس *

ودبّر يشوع برنون طائفتهُ احسن تدبير . وكان من احزم الجثالقة واكملهم عقلاً ونظراً في الامور . وافحم اليعاقبة اصحاب القول بالطبيعة الواحدة . وخلّص دير مار ايليا الذي عاش فيهِ من يد المغتصبين وسلمهُ الى مطران آثور . وعرّى نينوى من الاسقفية وقرنها بآثور المذكورة *

وجلس على كرسي المدائن اربع سنين وتوفي سنة ٨٢٨ م . ودفن في دير كليليشوع بجانب طيماثاوس سالفهِ وفرغ الكرسي بعد موتهِ نحو سنتين . واشهر مصنّفات يشوع برنون هي كتابهُ المعروف باللاهوت . ومسائل في شرح الكتاب المقدس مقسومة الى مجلدين . ولهُ تعزيات ورسائل كثيرة . والف الاحكام والقوانين التي سنّها في مجمعهِ . وشرح رموز الخدم البيعية . ولهُ تراجيم كثيرة . ومقالة في قوّة الالحان . وفي عمل الاعياد (عب ٢ : ١٨١ - ١٨٢ . ما . ص . س ٢ : ١ وجه ١٦٥ و٢ : ٤٣٥) *

الفصل الثاني

في اخبار جيورجيس الثاني الجاثليق . وحال النساطرة والعلوم على عهد الخلفاء

خلف يشوع برنون جيورجيس . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة المشارقة * وكان هذا يُدعى صرصار بن مبروخ من قرية حانس من اعمال الكرخ . ودُعي بالهام الهي الى الترهّب في دير باعابا وترأّس عليهِ * واسامهُ طيماثاوس مطراناً على جنديسابور . ودبّر هذا الكرسي عشرين سنةً . وكان حسن الراي قليل العلم * وسعى لهُ بالارتقاء الى الجثلقة جبرائيل وميخائيل الطبيبان وسُمي جيورجيس * وكان طاعناً في السن ذا مائة وسنة وبهِ عرق النسا او هو وجع المفاصل . وأُسيم على الرسم سنة ٨٢٠ م * وكان اذ اراد القيام يتوكأُ على عصا . وارضى الجميع بتدبيره * وجلس على كرسي المدائن اربع سنين تنقص اربعين يوماً . وتوفي ولهُ من العمر مائة واربع سنين . ودُفن في دير كليليشوع وفرغ الكرسي بعدهُ نحو ثلاث سنين *

وعلى عهد الخلفاء كان المسلمون يكرّمون النساطرة ويراعون خاطرهم اكثر من بقية الملل * وقد مرّ الكلام ان محمدًا صاحب الشريعة الاسلامية وعمر ابن الخطاب وغيرهما من الخلفاء ضمنوا لهم ولروسائهم الامان والحماية وأعفوهم من الجزية * وكان الخلفاء يستخدمون النساطرة ويولّونهم المدن والقرى . وكان الصيارفة والاطباء والكتّاب ومتولّي الخزائن غالبًا من النساطرة . وفي البلاد التي كانت تكثر فيها الطوائف والفرق النصرانية كان الخلفاء ينتصرون للنساطرة

ويفضّلونهم على غيرهم . (ما . ص . عب ١٨٧ - ١٨٩ . لو ٩١ . س ٢ : ٤٢٥ با ٩) *

واعتنى الخلفاء في تقدّم العلوم والمعارف بين العرب كثيرًا . قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي « ان العرب في صدرِ الاسلام لم تُعنَ بشيءٍ من العلوم الاّ بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطبّ .... فلما اَدال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثابت الهِمَم من غفلتها وهبّت الفطن من ميتتها فكان اوّل من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور . وكان مع براعتهِ في الفقه كلفًا في علم الفلسفة وخاصةً في علم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المامون بن هرون الرشيد تمّم ما بدأ بهِ جدّه المنصور . فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ . وداخل ملوك الروم وسالهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة » انتهى . واشهر العلماء الذين استخدمهم الخلفاء لترجمة الكتب السريانية واليونانية المجموعة من البلاد القاصية الى اللغة العربية كانوا من علماء النصارى ولاسيما النساطرة . ومنهم اسحق الطبيب وابنهُ حنين ويوحنا ماسويه * وانشأ الرشيد ايضًا مدارس كثيرة في بغداد وانحاء المملكة واوقف لها الارزاق *

الفصل الثالث

في اخبار سبريشوع الجاثليق وسعيهِ في تقديم العلوم ونصب المدارس

انّ سبريشوع كان مسقط راسهِ بانوهدرا من بلاد آثور . وترهّب في دير الازل . واسامهُ يوانيس مطران نصيبين اسقفًا على حرّان . ثم نقلهُ طيماثاوس الجاثليق الى مطرانية دمشق . وكان حافظًا للاخبار البيعية . الاّ انهُ لم يشتهر بالعلم .

واحسن خدمة المامون لمّا حصل بدمشق . واعتقد الناس بهِ الجميل * واسيم جاثليقًا سنة ٨٣٢ م . وكان قد اجمع الآباء على عقد البطركة لهُ واختيارهِ بسعي المامون . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة * ونزل سبريشوع بالدير الكبير المعروف بدير كليليشوع . وجدّد دير مار فثيون المجاور لهمر صليبا . واراد ان يكون كرسي الجثالقة في بغداد *

واعظم مآثر سبريشوع هي سعيهُ في تنجيح العلوم . فان المعارف البيعية كانت قد دُبرت على عهدهِ . فاصدر منشورين سنة ٢٢٠ هجرية حرض بهما ابناء طائفتهِ ولاسيما الرهبان على الانعكاف على الدرس ومطالعة كتب الآباء * واقام مدرسةً في دير مار فثيون لطلبة العلم . وفوّض وظيفة التدريس الى رهبان دير صليبا وعين لهم الارزاق * ولم تكن همة سبريشوع مقصورةً على بغداد بل صرف عنايتهُ ايضًا الى البلاد البعيدة . وقصدها هو بنفسهِ بنيّة الاكتشاف على احوالها واصلاح شؤونها ونصب المدارس فيها *

واشهر المدارس الحديثة التي نُصبت في نحو هذا الزمان ثلاثٌ منها نصبت في بغداد . وهي مدرسة مار فثيون المار ذكرها . ومدرسة دار الروم في المحل المسمى عباد . ومدرسة دير كليليشوع او الجاثليق * والرابعة اقيمت في دير مار جبرائيل المعروف بدير الاعلى بجوار الموصل * وكان لتلاميذ هذه المدارس حقٌّ ونفوذ في انتخاب البطريرك واقامة الاحتفالات المخصوصة بهِ *

ودبّر سبريشوع كرسي المدائن اربع سنين وتوفي سنة ٨٢٩ م (عب ٢ : ١٨٩ . ما . ص . س ٣ : ١ وجه ٥٠٥ و ٢ : ٤٢٥) *

الفصل الرابع

في اخبار رئاسة ابراهام الجاثليق

خلف سبريشوع الجاثليق في كرسي المدائن ابراهام. وكان من المرج من اعمال الموصل . وترهّب في دير باعابا وترأّس عليهِ زمانًا . ثم اختير اسقفًا على الحديثة * وكان متواضعًا شفوقًا على المساكين عفيفًا * ولما اجتمع الآباء للانتخاب وقع النزاع بين المومنين والآباء في ابراهام وابا مطران جنديسابور* واستظهر حزب ابا وانحدروا الى المدائن ليعقدوا لهُ البطركة. فانكر عليهم سليمان الطبيب واخرج امرًا الى الظاهر الخليفة بردّ ابا وسيامة ابراهام. وجرى ذلك سنة ٨٤٠ م * وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة المشارقة * ولم يُرضِ ابراهام الجميع في تدبيرهِ * على انهُ وان كان نقي الجسد عفيف المعاملة الّا انهُ كان غير متفننٍ وجديرٍ بالسياسة. ولذلك استخدم افرام ابن اختهِ واخنوخ تلميذه وحورشباه ابن عمّهِ لتدبير الامور * فضيّقوا على الاسكوليين واساؤوا اليهم * ولم يكن لابراهام فضل لتدبير شيء او لتغيير ما كان يفعلهُ هولاء المستخدمون * ومن الذين اختارهم ابراهام لكتابة رسائلهِ واسراره توما الراهب المعروف بالمرجي * ولابراهام منشور يحرّض فيهِ الشيوخ الذين يبلغون الخمسين من سنّهم ليقرأوا كتاب الفردوس واوغريس * وجلس ابراهام على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة وعشرة اشهر . وتوفي في الحيرة سنة ٨٥٢ م . ودفن في دير بزدفان . وفرغ الكرسي بعده سنة (عمـ ٢ : ١٨٩ - ١٩١ ، ما ، ص . س ٢ : ا وجه ٥٠٨ و ٢ : ٤٣٦) *

الفصل الخامس

في جلوس ثاودوسيوس على كرسي المدائن واخبار ايامهِ

أُختير رئيسًا على كرسي المدائن بعد ابراهام ثاودوسيوس . وكان قد اجمع راي بختيشوع الطبيب وابن ماسويه واسرائيل بن الطيفوري اولًا على يوحنا مطران دمشق . وقبل ان يسام خرج يوم احد القيامة ليقدّس فاسترخى جنبهُ وفلج * ثم اختير ميخائيل اسقف الاهواز. ولما حضر لخفتهُ علةٌ في حلقهِ ومات * ثم ابراهام اسقف تستر وقبل وصول الرسل اليهِ لحقتهُ علة الذرَب ومات * فتعجب الناس وتشاءموا وجعل بعضٌ من الجماعة الاختيار بيد ابراهام بن نوح . فاختار يشوعداد اسقف الحديثة وفوّض بعضٌ الاختيار الى بختيشوع . فهذا اختار ثاودوسيوس وسأل المتوكل الخليفة في تقليده . فامر بذلك * فاكمن ابراهام بن نوح الضغينة لبختيشوع * وكان ثاودوسيوس من باجرمي وكان قد اسامهُ سبريشوع اسقفًا على الانبار ثم نقلهُ الى مطرانية جنديسابور ووقع نزاع بينهُ وبين اهل جنديسابور لانهُ رام تغيير كراخهم ولم يساعدوه * فانفرد عنهم وعاد الى باجرمي وطنهِ الى ان اختير للجثالقة . واسيم سنة ٨٥٤ م * وكان ذكيًا ذا تدبير حسن . الّا ان صروف الزمان لم تساعده *

وحلّت بثاودوسيوس والنصارى باغراء ابراهام بن نوح اذايا شديدة . فان المتوكل كان قد تغيّر على بختيشوع . فوجد ابراهام ذلك فرصةً لاثارة كمين غضبهِ على بختيشوع وسعى بهِ لدى المتوكّل واظهر لهُ حيلة بختيشوع في اختيار ثاودوسيوس * فابغض المتوكّل لذلك ثاودوسيوس وانفذ الى بغداد

بعد شهر من رئاسته وحبسهُ . ونفى بختيشوع وردّه ثم القاه في السجن * وحرم النصارى من اشتغالهم في الاعمال السلطانية وانفتحت عليهم ابواب المحن من كلّ وجهٍ تأديباً من الله . وتمكّن الحُسّاد منهم * ولم يتخلّص ثاودوسيوس من السجن الّا بعد ثلاث سنين ونصف فانهُ كان اتّفق موت يوحنا بن ماسويه . وكان عزيزاً لدى المتوكّل . فامر ان يجري تجنيزه على اتمّ وقار . فأُعلم ان الجاثليق والقسوس هم في السجن . فامر باطلاقهم *

واصدر ثاودوسيوس في تهذيب بيعتهِ منشورين . اراد في الاوّل ان لا يهمل المنعكفون على الطبابة والكتابة قراءة شرح العهد الجديد . اما اصحاب الكهنوت فليطالعوا خُطَب السنة التي الّفها مار حنانيشوع وغيره من الآباء * وفي الثاني امر ان يجتمع مطارنة الكراسي الستة الاولى الغربية لدى البطريرك مرةً في كل اربع سنين للمخابرة في المصالح البيعية العامة . اما البعيدون فليُنفذوا مرةً في كلّ ستّ سنين مكاتيب الاتّفاق واخبار احوال ابرشيّاتهم *

وجلس ثاودوسيوس على كرسيهِ خمس سنين وبعض الاشهر والايام . وقضى منها نحو ثلث سنين في السجن . وتوفي في الاحد الاول من تقديس البيعة سنة ٨٥٩ م . ودُفن في دير كليليشوع . وفرغ الكرسي بعده سنة (ما . ص . عب ٢ : ١٩١ . س ٢ : ١ وجه ٥٠٩ و٢١٠ و٢ : ٤٢٦) *

الفصل السادس

في ترجمة سرجيس الجاثليق واخبار رئاسته

كان سرجيس من بلاد باجرمي . ثم ارتقى الى مطرانيّة نصيبين *

وكان المتوكّل قد قصد دمشق ومرّ بنصيبين . فطرح سرجيس في طريقهِ الرياحين وعقد لهُ القباب وحمل الى خدمتهِ جميع ما يحتاج اليهِ من المآكل والشراب . فاستحسن منهُ المتوكّل ذلك واعتقد مكافأتهُ * ولما مات ثاودوسيوس امر بتصييره جاثليقاً * وكان ممنوعاً اختيار مطران نصيبين جاثليقاً بسبب المنكرات التي اتى بها يوماً اسقفها برصوما الفاحش . ولكنهُ لم يكن في هذه الظروف محلّ للمقاومة . فأُسيم على الرسم في المدائن في الاحد الاخير من الرسل في ٢١ تموز من سنة ٨٦٠ م * وكان سرجيس غيوراً ذا همّةٍ سامية في اصلاح شؤون طائفتهِ وسعى برفع النزاع الذي نشأ بسبب اختيار سالفهِ واتحاد الحزبين ورمّ الاديرة والبيع التي خربت . وجدّد بناء هيكل ماربونان . ونشّط طلبة المدارس . واسام اساقفةً ومطارنة للكراسي الفارغة *

وجرى لسرجيس مع سركيس وحنين الطبيبين خلاف شديد : كان سرجيس اربوسيّاً . وجذب الى مذهبهِ كثيراً من النساطرة وسلب منهم بيعة المصلوة . وثارت النزاعات والجدالات بشان المعتقد بين الفريقين . واتصل الخبر الى الخليفة * فاستدعى الجاثليق وسركيس للجدال بحضرتهِ . فأُفحم الاربوسي . وخرج خزيان بصفقة خاسر * اما حنين الطبيب فبلغت بهِ الجسارة الى ان يبصق بصورة المسيح لانهُ كان قد نزع الى مذهب محاربي الصور * فرُفع ذلك الى المتوكّل . وامر ان يجري عليهِ ما يقتضيهِ حكم النصارى فاوجب الجاثليق عليهِ الحرم *

وتوفي سرجيس الجاثليق سنة ٨٧٢ م في الاحد الثاني بعد عيد الصليب الواقع في ٢١ ايلول . وذلك بعد ان دبّر كرسيهُ اثنتي عشرة سنةً . ودُفن

في دير كليليشوع . وفرغ الكرسي بعده اربع سنين وبعض الاشهر (ما . ص . عب ٢ : ١٩٧ . لو ١٠٥ . س ٢ : ٤٢٨ و٢ : ١ وجه ٥١٢) *

الفصل السابع

في نزاع انوش مطران الموصل واسرائيل اسقف كشكر على الرئاسة واختيار انوش

لما اجتمع الآباء لاختيار خليفةٍ لسرجيس جرى نزاع وشقاق عظيمان . فانهُ لما حضر اسرائيل اسقف كشكر بعد موت سرجيس ليناظر الكرسي على الرسم رضي بهِ جماعةٌ من المؤمنين * ولما التأم الآباء للاختيار وقع النزاع عن اسرائيل وانوش مطران الموصل . وانقسم الناس الى حزبين ووقعت الخصومات بينهما . فكان يقول هذا انا انوشي والآخر انا اسرائيلي . وتمادى الامر الى الضرب والجرح والتجديف ما يحسر القلم عن شرحهِ * وانتهى امر هذه النزاعات بان تظاهر حزب انوش . وتوسّط امير بغداد الامر . والزم اسرائيل ان يلازم السكوت * ونكى رجل من حزب انوش باسرائيل نكايةً فضيعةً قادتهُ بعد ايام الى الموت . فشقَّ ذلك على النصارى وعدل اشياع انوش عن اختيارهِ واختاروا يوحنا بن نرسي . وهو لايكفّ الى ان توصّل الى قلوب اصحاب الاختيار . فأُسيم بعد فراغ الكرسي خمس سنين سنة ٨٧٧ م في الاحد الذي يلي عيد الدنح *

ولم يتهنأ انوش في الرئاسة زماناً طويلاً فانهُ اذ شرع في اصلاح شؤون طائفتهِ واسكان الفتن التي نشأت بسبب التنازع على الجثلقة ادركتهُ

المنيّة بعد سبع سنين وبعض الاشهر . وكان ذلك سنة ٨٨٢ وفرغ الكرسي بعدهُ نحو خمسة اشهر (عب ٢ : ٢٠٥ . ما . ص . لو ١٠٦ . س ٢ : ٤٢٩ و٢ : ١ وجه ٥١٢) *

الفصل الثامن

في اختيار يوحنا بن نرسي واخبار رئاستهِ

كان يوحنا من كرخ جدان من بلاد باجرمي وصار اسقفاً على الانبار * وبعد موت انوش وقع النزاع بين الآباء ومتقدّمي الجماعة . فمنهم من اختار يوحنا بن نرسي وكان متمنّعاً . وآخرون مطران الموصل . وغيرهم راهباً فاضلاً اسمهُ شوبحاليشوع * فقرّ الراي على اجراء التضرّعات مدة ثلاثة ايام وان يجري الاقتراع في اليوم الثالث بعد القداس * فخرج اسم يوحنا بن نرسي . فأُسيم على الترتيب في الاحد الثالث من تقديس البيعة في منتصف تشرين الثاني من سنة ٨٨٤ م . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة *

واشهر الوقائع التي جرت في ايام هذا الجاثليق خراب دير كليليشوع او هو دير الجاثليق . ويصف ابن العبري مفصّلاً في تاريخهِ البيعيّ اسباب ذلك * فانتقل يوحنا بن نرسي الى دير واسط واقرّ كرسيهُ فيهِ مدة خمس سنين . ثم اعاد الى بغداد واقام كرسيهُ في المحل المعروف بدار الروم *

وتولى يوحنا رئاسة النساطرة ثماني سنين وتوفي سنة ٨٩٢ بعد عيد الميلاد . ودُفن في الابيذباقون الى جانب سابور مطران جنديسابور . وفرغ الكرسي بعدهُ سنة اشهر وعشرين يوماً (عب ٢ : ٢٠٩ - ٢١٢ ما . ص . س ٢ : ٤٢٩) *

الفصل التاسع

في اخبار رئاسة يوانيس الجاثليق

تولى بعد يوحنا بن نرسي امر النساطرة يوانيس وكان من اهل باجرمي . وهو ابن اخي ثاودوسيوس الجاثليق واسيم اولاً اسقفاً على خانيجار في آثور . ثم نقلهُ انوش الى مطرانية الموصل * وكان يوحنا اسقف الزوابي قد حضر عوض اسقف كشكر لمناظر الكرسي . فمال الناس اليهِ والتمس الجثلقة لنفسهِ * ولما حضر يوانيس مع الآباء للاختيار تلا خطاباً على الشعب يوم عيد العنطقسطي . فمال الآباء والجماعة اليهِ واختاروهُ باتفاق الاصوات واسيم سنة ٨٩٢ م في اواسط حزيران * وكان يوانيس متفنناً في الاصول والمعارف البيعية ذا صورةٍ حسنة وقامةٍ كاملة وارضى الجميع بحسن تصرفهِ وتدبير شعبهِ . وسعى في اسامة اساقفة ومطارنة للكراسي الفارغة (عب ٢ : ٢١٧-٢٢١ ، س ٢ : ٤٤٠ . ما . س) *

وقضى يوانيس نحبهُ بالفالج . وتوفي سنة ٨٩٨ م وجلس خمس سنين ودُفن بدار الروم بيعة السيدة . وفرغ الكرسي بعدهُ سنةً واحدةً * وهو الاول بهذا الاسم في سلسلة البطاركة المشارقة *

الفصل العاشر

في اشهر المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا الزمان

ازهر من المؤلفين في زمان يشوع برنون ابو نوح . ولهُ جدال ضد المراطقة . وغير ذلك من التصانيف المفيدة . من ذلك اعمال يوحنا الدبلي (س ٣ : ١ وجه ٢١٣) *

واشتهر من العلماء في عهد ابراهام الجاثليق يوحنا ماسويه الطبيب . وتولى ترجمة الكتب العلمية التي جمعها المامون الى اللغة العربية . قال ابن العبري في تاريخ الدول عن يوحنا بن ماسويه * وخدم الرشيد من بعده الى ايام المتوكل . وكان معظماً ببغداد وجليل القدر . ولهُ تصانيف جميلة . وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيهِ كل نوعٍ من العلوم القديمة باحسن عبارةٍ . وكان يدرّس ويجتمع اليهِ تلاميذ كثيرون * انتهى (ثمه ٢٥٦ و ٥٠١) *

ومن اشهر المؤلفين الذين ازهروا في عهد ثيودوسيوس توما راهب دير باعابا وكاتب ابراهام الجاثليق ويُعرف بالمرجي نسبةً الى اسقفية المرج التي تولّى امرها . والّف تاريخاً للرهبان . وقسمهُ الى ستة كتب . وكلاً منها الى فصول * واسرائيل اسقف كشكر . والّف كتاباً في اصول الديانة * وسابور بن سهل الطبيب . والّف كتاب الاقراباذين التي كان معوّلاً عليها في دكاكين الصيادلة * وحُنين بن اسحق الطبيب . وأحكم في بلاد الروم اللغة اليونانية وتوصّل الى تحصيل كتب الحكمة واقطعهُ المتوكّل اقطاعاً سنياً . والّف اكثر من خمسة وعشرين كتاباً ما خلا ما ترجمهُ من اللغة اليونانية الى السريانية والعربية . من ذلك ترجمة كُتب الفلسفة لارسطو المعلم . وذكر لهُ الصوباوي كتاباً في خوف الله ونحواً ومُعجماً او قاموساً مختصراً * ومن هؤلاء المؤلفين ايضاً عيسى المروزيّ ولهُ قاموس في السريانية والعربية * ويشوعداد اسقف الحديثة ولهُ تفسير الكتاب المقدّس كلهُ (ثمه وجه ٤٦٢ و ٥١٢ و ١٦٤ و ٥١٢ و ٢٥٨) *

وممن ازهر من العلماء في زمان انوش عيسى بن علي الطبيب اللغويّ . ولهُ معجم في السريانية والعربية ايضاً * وجبرائيل بن بختيشوع الطبيب العبليّ .

واشتهر على عهد الرشيد * وجبرائيل اسقف البصرة الذي جمع قوانين المجامع. واضاف اليها بعض المسائل والايضاحات (ثمه ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٠٢) *

وممن اشتهر في زمان يوحنا بن نرسي انوش اسقف الانبار . والّف خطبًا وتعزيات * ويشوع بر علي . وله معجم في اللغة السريانية والعربية (ثمه ١٩٨ و ٢١٩ و ٢٥٧) *

ومن اشهر المؤلفين الذين ازهروا في عهد يوانيس الجاثليق ايليا الذي كان اسقف اورشليم . ثم رقاهُ يوانيس الى مطرانية الشام . ويُعرف ايضًا بالجوهري . ومن افضل تآليفهِ كتاب اجتماع الأمانة بين السريان المكنين بالنسطورية والملكية واليعقوبية . واراد ان يُبين فيهِ ان هذه الطوائف السريانية لا تختلف الّا في كيفيّة التعبير بمذهبها . وله ايضًا مجموعة القوانين العربية وقسمها الى جزئين . الاول يحوي قوانين المغاربة . والثاني قوانين المشارقة في العربيّة * ومنهم ايضًا ابن الكندي . والّف كتابًا كبيرًا في الجدال وبحثًا في الايمان * ويوحنا مطران الموصل . وهو ابن بختيشوع الطبيب وله كتاب في الجدال . ثمه ٥١٢ و٢١٣ * وارجّح ان هذا الجدال كان لغير هذا يوحنا وكان قبل يشوعداد اسقف الحديثة . فانهُ يذكره في كتابهِ (طالع جنة المؤلفين ع ١٩٤ و ٢٣٦) *

الباب الرابع عشر

في تواريخ السريان اليعاقبة في القرن التاسع من سنة ٨١٨ الى ٨٩٦ م

الفصل الاوّل

في اختيار ديونيسيوس الاوّل التلمحري واخبار سيامتهِ

كان يُؤمّل ابراهام البطريرك اللصيّ بعد موت قرياقوس بطريرك اليعاقبة ان يقبلهُ زمرة الاساقفة ويختاروهُ بطريركًا * وكان القروسطيون والرهبان الجبّيون وبعض الاساقفة قد حرمهم البطريرك قرياقوس كما مرّ الكلام . فوعدهم ابراهام بالمصالحة مع البيعة والسعي في رفع الانشقاق إذا أُختير بطريركًا * ولبث نحو سنةٍ كاملة مُظهرًا أمارات التقى والتواضع والسكون في أمل ان ينال البطريركيّة مراعاةً لاعوانهِ المتمردين ذوي النفوذ * فاجتمع خمسة واربعون اسقفًا في الرقّة في حزيران من سنة ٨١٨ م وحضر ايضًا البطريرك ابراهام مع جماعةٍ من الرهبان وشرعوا يُثيرون بحثًا بسبب تلك الكلمات القدّاسيّة « نكسر الخبز السماوي » . فحكموا انهُ يجوز لكلّ احدٍ استعمالها او ابطالها بحسب مشيئتهِ * ثم دار الكلام على النزاع الذي كان قد نشأ في عهد قرياقوس بين باسيليوس المفريان والمتّائيين وسعوا في مصالحتهم * واخيرًا أتوا الى الانتخاب الأمر الذي حملهم على الالتئام في هذا المجمع * وبعد خوضٍ طويل جرى بينهم اشار عليهم ثاودور اسقف دير مار يعقوب القريب من خيشوم ان يبحثوا عن قابليّة الاخ ديونيسيوس راهب دير قنّسرين او هو دير مار يوحنا بر افتون . وكان الاساقفة قد

اطّلعوا منذ زمانٍ على اخلاقهِ واختبروهُ جيّدًا * وأجمعوا على اختيارهِ وكتبوا له بالرضى وامضوهُ بايديهم . وكان اوّلهم باسيليوس مفريان تكريت وحذيشبا اسقف مركا . ويوحنا المنبجي . وانسطاس الدمشقي وسائر الاساقفة الواحد بعد الآخر على الترتيب * وكان ديونيسيوس تلحريًا . واشتهر نحو سنة ٧٧٥م *

ولم يقبل ديونيسيوس في بدء الامر ان يلقي على كاهلهِ أعباء هذا المنصب السامي. قال ديونيسيوس في تاريخهِ البيعي الذي الّفهُ عن نفسهِ ما نصّهُ : «لا اعلم كيف توهّم بي الآباء الاساقفة لكي لا اقول كيف انغشّوا في اعتبارهم اياي. لانهم في سلامة ضميرهم قد انخطفوا الي بالتشييعات الخارجية. فانفذوا راهبين لبيبين الى دير مار يعقوب حيث كنت قاطنًا (لان رهبان دير قنسرين كانوا قد تفرّقوا) * فلما دخلا قبضا عليّ وجعلاني تحت الحفظ بمثابة مُجرم * ولما اتى الاساقفة ظهروا عديمي الاشفاق واشدّ قساوة . فانهم اخذوا بيدي رغمًا عني الى وسط المجمع * ولما بيّنتُ لهم ضعفي وعجزي ببكاء ونحيب مسكوني جبرًا . ولم يكتفوا بذلك بل قاموا من على كراسيّهم وانطرحوا امام حقارتي . ولو انّي كنتُ عبثًا وبدون فائدة اصرخ قائلًا : ان الكهنوت لا يحق بي انا الحقير البائس بل بالذين قد ارتقوا الى قمّة الكمال والفضيلة * والحالةُ هذه كان امرًا عسر الخطّة ان ابقى ثابتًا في عنادي» انتهى. وقد رُقّي الى الدرجات القدسيّة تدريجًا بعد ان كان راهبًا بسيطًا . واردف ديونيسيوس قائلًا «ولذلك ففي يوم الجمعة اساموني شماسًا في دير العمود (ܕܥܡܘܕܐ) ، ويوم السبت قسيسًا في دير مار زكّى (الواقع بقرب الرقّة) . ويوم الاحد الواقع في ١ آب من سنة ١١٢٩ (٨١٨ م) رفعوني الى اسمى واكمل درجة الكهنوت في

بيعة الرقّة الاوّلية . واقاموني وارثًا ومتوليًا على كل الكراسي كما تقرّر لي انا الذي لا استحق ان احل سيور الاحذية» انتهى . واسامهُ ثيودوسيوس اسقف الرقة * وديونيسيوس هو الاول بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة *

الفصل الثاني

في اخبار مبادي رئاسة ديونيسيوس البطريرك

واما ما كان من ابراهام البطريرك الكاذب لمّا رأى املهُ خائبًا فانهُ امتعض جدًّا وقام وقعد . وقال لرفقائهِ الجبيّين «انظروا ماذا فعل الاساقفة وكيف اختاروا رئيسًا من الدير والمدينة التي الفت كلمات «نكسر الخبز السموي» * وعليهِ فآمركم بكلمة الله أنهُ اذا متُّ فلا تدفنوا جسدي قبل ان تقيموا رئيسًا مكاني . وان لا تتصالحوا مع هؤلاء» * وقد عالج ديونيسيوس البطريرك امر المصالحة معهم فانهُ بعد ختام اعمال المجمع قصد القيروسطيين واجتمع بالكهنة والشمامسة والشعب في قورس وحثّهم على الاعتصام بعُرى الاتحاد. فاجابوا اليهِ وخاصّةً بعد ان ثبت لديهم انهُ يقبل كلمات نكسر الخبز السموي ولا يحرّم استعمالها * الاّ انهم لم يثبتوا في قصدهم . فان ابراهام الكاذب حرمهم. فعادوا الى غيّهم وشقاقهم *

واما ديونيسيوس فقبل كل شيء استحصل البراءة السلطانية من لدن المامون الخليفة في بغداد تاييدًا لحقوقهِ البطريركية . وطلب اليهِ التكريتيون ان يعرّج الى تكريت . الاّ انهُ جنح عنها لما بلغهُ اخبار المظالم الملمّة بهم * وصعد بطريق الفرات الى قرقيسون وجال في قرى الخابور ونصيبين ودارا وكفرتوث

مدن الجزيرة. ثم توجه الى قنسرين للسلام على اميرها. ونال منهُ اذناً ليبني هيكلاً لديرها الذي كان قد احترق بالنار* وفي هذه الغضون اجبر ديونيسيوس رهبان دير اوسيبونا على الطاعة له وكان رهبان هذا الدير قد انحازوا الى حزب ابراهام الكاذب. فطلب ديونيسيوس البطريرك التسلّط عليهم بقوّة براءتهِ فعارضهُ ابراهام* فاتى ديونيسيوس لمحاجّتهِ امام الوزير عبد الله بن الطاهر. وجرى خوض وجدال طويل بينهما في ذا الشان. واخيراً امر الخليفة عبد الله معتمده ان يسال النصارى القائمين خارجاً: من يريدون ان يكون عليهم رئيساً. فاجابوا: لا نريد ابراهام. فانهُ ليس بنصراني* فغضب الامير على ابراهام. ونزع عنهُ بيرونهُ ووبّخهُ وطردهُ هو ورهبانهُ. ومنعهُ من ان يُسمّي نفسهُ بطريركاً. وامرهُ ان يعود الى خلوتهِ*

ولكن لم يسترح الشيطان عدو الخير من إثارة الفتن بين اولئك الرهبان الاوسيبونيين. بل أملى لهم ان يُنفذوا شمعون اخا ابراهام الى بغداد حاملاً كتاب الوِصاة الذي كان قد سلّمهُ عليٌّ ابن ابي طالب ختنُ محمّد الى رهبان دير الجُب البرّاني* فلمّا رأى تبّاع علي كتاب زعيمهم قصدوا الخليفة واخرجوا براءةً لشمعون. فعاد هذا مُستبشراً متهللاً وجمع تحت رئاستهِ جمهوراً من الرهبان* أمّا ما كان من ديونيسيوس البطريرك فانهُ اذ رأى نفسهُ في هذا المركز الحَرِج اتى الرقة. ودخل اصحاب الحزبين على الامير عبد الله. فلما راى الامير البراءة التي بيد ابراهام انفذ وزيرهُ الخاص الى بغداد. وبعد عشرين يوماً عاد حاملاً كتاب الخليفة المأمون تبطيلاً لبراءة ابراهام. فسلّم الامير ابراهام الزوري بيد ديونيسيوس البطريرك ليُجري فيهِ إرادتهُ* وإذ اراد ديونيسيوس التنكيل

بضدّهِ ابراهام نزع عنهُ قبعتهُ البيعيّة. فعاد ابراهام الى قورُس هائجاً مائجاً. وقصد من جديدٍ استثارة الفساد والفتن* فلما بلغ ذلك الامير اتى بهِ مقيّداً وعرّاهُ امام اعوانهِ الحاضرين من الحلّة البطريركيّة زيادةً لخزيهِ وابطالاً لشرّهِ وغيّهِ*

الفصل الثالث

في اخبار ديونيسيوس البطريرك في اوان سفرهِ الى مصر وبغداد

لمّا زحف عبد الله الى مصر كان قد اتلف محمّد اخوه الابنية الجديدة التي وجدها في البيع الرهاويّة. وخرّب بيعة الاربعين شهيداً وغير ذلك من الآثار البيعيّة وعاثت عساكرهُ الجرّارة في طريقها مُفسدةً* فقصد ديونيسيوس مصر بحراً ليستعطف قلب الامير على اقوامهِ الذين نُكبوا في الرها. وصاحبهُ اخوهُ ثاودوسيوس مطران الرها ليبثّ بالأصالة عن رعيّتهِ امام الامير الاضرار التي اصابتهم* فسعى يعقوب بطريرك القبط الاسكندري في استقبال ديونيسيوس واكرام مثواهُ. ولم تكن مصر قد شاهدت بطريرك انطاكية بعد ساويرا الكبير. فذكّر ديونيسيوس اساقفة مصر الاتحاد الوثيق الذي لم يزل محفوظاً بين البطريركيتين الاسكندرية والانطاكية وحثّهم على التمسّك بهِ. ثم قصد طاهراً واطلعهُ على النوائب التي ألمّت باقوامهِ الرهاويين. وجرى ذلك سنة ٨٢٥ م* واقتبلهُ الامير طاهر بالتفاتٍ لا مزيد عليهِ. وكتب بخطّ يدهِ الى اخيهِ محمّد ان لا يضرّ البيع وان يذبّ عن النصارى ويحميهم من غارات اعدائهم. ويخفّف عنهم اثقال الأتاوات والرسوم الاميريّة*

هذا ولم يُلاقِ ديونيسيوس اياماً طيبة بعد ان قضى هذه المهمة وِفقاً لمرغوبه * فانهُ لم يزل يُعاني نَصَباً وضيماً من اجل طائفتهِ . قال ابن العبري : « إن فيلوكسين اسقف نصيبين كان قد عُزِل عن كرسيهِ بامر مجمع الاساقفة الاربعين الذين التأموا في راس العين بسبب الشكايات التي قدمها عليهِ نونا الارخدياقون الفاضل الوجيه * ولما راى فيلوكسين نفسهُ مطروداً مُهاناً عوّل على الانحياز الى حزب القروسطيين المحرومين . وجرّ اليهِ ابراهام الكاذب ورفقاءهُ الذين خوّلوا فيلوكسين وظيفة ترتيب النوبات الاسبوعية لاجراء صلوات القداس الفرضيّة في جوبرين على عهد قرياقوس واتى بهم الى نصيبين وانشأ فيها حزبين متضادين » انتهى *

ونزل ديونيسيوس البطريرك الى بغداد ثانيةً . وكان الباعث على ذلك ان المأمون في فرصة النزاع الذي نشأ بين اليهود كان قد امر انهُ اذا اتفق في حزبٍ واحد ولو عشرة رجال يهوداً كانوا او نصارى او مجوسيين وارادوا ان يقيموا لانفسهم رئيساً فلا يُمنعوا * وكان هذا الأمر مما يضرّ سلطة البطاركة ورؤساء النصارى على اقوامهم في وسط المشاجرات التي تنشأ بينهم . فحذراً من مفاجأةِ اعدائهِ لهُ بما يُنغّص عيشهُ وطّن نفسهُ على مواجهة المأمون الخليفة تقريراً لرئاستهِ *

وفي هذه الاثناء جرى لحزب لعازر بن سبتا اسقف بغداد مع ديونيسيوس البطريرك نزاع طويل . فانهُ كان البغداديون قد وشوا باسقفهم . وآثر ديونيسيوس تأخير اصدار الحكم عليهِ لئلا يُعرَض بنو طائفتهِ الى السخرية والهوان بين الأمم الغريبة * اما البغداديون فاصرّوا على عزلهِ . فاجاب البطريرك الى سؤلهم

فشقّ ذلك على اعوان لعازر . وانقسم اليعاقبة البغداديّون الى حزبين متباينين * وقبل كل شيء قدّم ديونيسيوس المأمون فرائض التوقير والعبوديّة ثم الهدايا التي حملها من سورية ودعا لهُ بالنصر على اعدائهِ * فاقتبل المأمون هذه الشعائر بلُطفٍ والتفات . ثم صرفهُ الى زمانٍ آخر . وكان ذلك في آذار من سنة ٨٢٩ م * وقال ديونيسيوس البطريرك في كتاب تواريخهِ البيعية ما نصّهُ : « وبعد عشرة ايام .... دعا الفقهاء فحضر جميعهم . فسألهم الخليفة ما رايكم . هل يجب ان نقرّر رئاسة متولّي النصارى بسلطاننا . فاجابوا : لا يجب . وانما لا يجوز لنا ان نغيّر اقرار معتقدهم وعوائدهم . فاذا حافظوا على الطاعة الواجبة لنا عليهم ولزموا السكون فيحق لهم ان يتمتّعوا بالسلام الذي ننعم بهِ عليهم » * وقال البطريرك للمأمون : « ان آباءك ذوي الذكر السعيد كانوا قد ابدوا لنا الرئاسة وخوّلونا البراءة . وقد انعمت عظمتك بمثلها عليّ . فلا نسمح ان نُسَنّ الآن علينا شريعةٌ جديدة » فسال الخليفة : « ولماذا انتم النصارى دون سائر المذاهب تتضايقون من هذا الأمر » (اي ان يقوم رئيس إجابةً لطلب ولو عشرة رجال) * فاجاب البطريرك : « ان اصحاب بقيّة المذاهب ايضاً يتذمّرون منهُ . هذا فضلاً عن ان رئاسة المجوس واليهود هي زمنية متصلة بالخلافة . اما رئاستنا فهي روحية تُعلِّم التقوى . ومن ثم فرئاستهم تُنزع من يدهم بالذهب . مع ان هذا مما يمسّ حقيقة مذهبنا * ويتّضح ذلك خاصّةً من حيث اننا لا نجازي الخطاة والأثمة بالضرب والموت والحبس . بل اذا كان الاثيم اسقفاً او قسيساً نعزلهُ من درجتهِ . وان كان علمانياً نحرمهُ من خيرات ديننا الروحية » *

وفي هذه الاثناء انتهى امر لعازر اسقف بغداد المعزول الى المأمون . فأحال امره الى اسحق القاضي ليرى هل لعازر خاضعٌ للبطريرك في شان المذهب . ويُجريَ امر البطريرك عليهِ . ولمّا وُجد لعازر عاصياً اسام ديونيسيوس اسقفاً آخر على بغداد في تشرين الاوّل من سنة ٨٢٩ م *

واسام ديونيسيوس مفرياناً على المشرق في فرصة توجّههِ من بغداد الى تكريت دانيال الراهب من دير بيرقوم التريب من بلد . ليخلف باسيليوس المفريان الذي قضى نحبهُ في دير العنيقيّين الواقع خارج مدينة بلد * ثم عاد ديونيسيوس الى سوريّة في كانون الاوّل *

وبعد كلّ هذه الوقائع قصد ديونيسيوس البطريرك السفر ثانيةً الى مصر . وسبب ذلك انهُ كان قومٌ من النصارى اليعاقبة القاطنين البلاد السفلى من مصر المعروفين بالبياميّين قد رفعوا لواء العصيان على امير مصر* فرحل المأمون لردعهم وامر ديونيسيوس البطريرك ان يلحقهُ الى مصر ليقوم بسفارةٍ هو ويوسف بطريرك القبط الاسكندري الى اولئك النصارى ويسعى بمصالحتهم * امّا افشين قائد الجيوش فابى المصالحة واحرق قراهم وكرومهم وجنيناتهم وقتل كثيرًا منهم . واسر غيرهم . فمات عددٌ كثير منهم في الطريق * فعاد البطريركان الى المأمون واخبراهُ بالضيق والاضطهاد والنوائب التي اصابت البياميّين . ثمّ استأذن ديونيسيوس الخليفة وعاد الى دمشق *

الفصل الرابع

في ما بقي من اخبار ديونيسيوس البطريرك

ان ديونيسيوس البطريرك رغبةً في اطفاء نار المشاجرات التي نشأت بين رهبان دير مار متّى والتكريتيّين بسبب الولاية البيعية قصد تكريت سنة ٨٢٥ م وسعى بمصالحتهم . وامر ان يُكرز مرّتين فقط في مدار السنة باسم مطران دير مار متى في بيعة التكريتيين التي في الموصل . اعني في عيد السعانين ووقت تكريس الزيوت القدسية يوم خميس الفصح * وجزم ان تحفظ الاوّلية في الرئاسة للمفريان في كل المشرق بعد البطريرك الانطاكي * وكان دانيال المفريان قد توفي في هذه الاثناء في تكريت . فاختار مكانهُ توما واسامهُ على كل المشرق وعاد الى سورية *

وكان سبب نزول ديونيسيوس الى بغداد ثالث مرّة سنة ٨٢٧ م ان يُؤدي للمعتصم الخليفة الذي تبوّأ عرش الدولة العبّاسية بعد موت ابيهِ المأمون فرائض العبوديّة . ويستعطف قلبهُ على بني طائفتهِ *

واما ما كان من الاساقفة المنشقّين فبعد وفاة ابراهام البطريرك الكاذب سنة ٨٢٧م اقاموا مكانهُ اخاهُ شمعون . واسامهُ فيلوكسينس مطران نصيبين المعزول . قال ابن العبري : « وكان شعب القروسطيّين يُريد الخضوع الى مار ديونيسيوس . الّا انهُ التصق بشمعون جبرًا بدسائس اعوانهِ كما جاء مسطّرًا عن السامريّين « انهم خافوا الرب ولكنهم عبدوا آلهتهم » (سفر الملوك الرابع ١٧ : ٢٨) *

وكانت ايام رئاسة ديونيسيوس الاخيرة مكتنفةً بالاتعاب والاحزان والضيقات التي جعلتهُ يتنفّس الصعداء بسبب النوائب التي اصابت النصارى بني طائفتهِ على عهدهِ والاتاوات الباهظة التي كُلّفوا بها فوق طاقتهم * وخلّف لنا ديونيسيوس من التصانيف كتاب تاريخ بيعيّ . وهو تاريخان : مطوّل . وقد وصّلهُ الى سنة ٨٤٤ وقدّمهُ الى يوحنا اسقف دارا . ومختصر وينتهي الى سنة ٧٧٥ م وقدّمهُ الى جيورجيس خوري آمد . واوتيل رئيس الدير . ولعازر البربوذوطا او الزائر . وانسطاس الراهب * وتجد خلاصتهُ في المكتبة الشرقية للشيخ السمعاني مجلد ٢ وجه ١٠١ *

وقد دبّر ديونيسيوس الاول كرسيّهُ البطريركي سبعًا وعشرين سنةً . واسام مائة اسقف . وقضى نحبهُ في ٢٢ آب من سنة ٨٤٥ م . ودُفن في دير قنسّرين الذي جدّدهُ بعد ان احترق سنة ٨١٥ م . وفرغ الكرسي سنةً تقريبًا (عب ١ : ٣٤٢-٣٨٥) *

الفصل الخامس

في اختبار يوحنا الثالث وملخّص اخبار ايامهِ

كان يوحنا راهبًا من دير مار زكّى الواقع بقرب الرقة . واختارهُ الاساقفة في المجمع الذي عقدوهُ في دير مار شيلا او شيلا بسروج . واسامهُ حبيب اسقف طرسوس في ٢١ تشرين الثاني من سنة ٨٤٦ م . وهو الثالث بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة *

وعلى عهدهِ جرت النائبة التي اصابت بيعة آمد الكبرى : وهي انَّ قندلفت البيعة كان قد جمع اصدقاءهُ فوق السطح واعدَّ لهم مائدة فاخرة . فبعد ان اكلوا

وشربوا في الصفاء قدحوا نارًا فأعدت على خشب الارز . والتهمت ابواب البيعة وسقفها * فلما راى القندلفت الحال ارتعدت فرائصهُ ولزيادة حيرتهِ راى اناءً من زيت وظنّهُ ماءً فصبّهُ على النيران الملتهبة . فازدادت ثورانًا واتّصلت لهيبها الى عواميد وجسور السقف الخشبيّة . فخربت برمّتها بالحريق * ولم تُترَك هذه البيعة الجميلة على حال التلف بل سعى وجوه المدينة بعد ثلاث سنين بتشييدها وبذلوا قصاراهم في جمع النفقات اللازمة لإتمام هذا العمل الاثيل * وساقتهم همّتهم الى انفاذ ثلاثة قسوس الى نخراط بن اشوط حاكم موش الذي كان على مذهب اليعاقبة ليدعوه الى مساعدتهم . فأعطاهم اخشابًا جسيمة كان قطعها من جبال ولايتهِ . فضلًا عن انهُ تبرّع من كيسهِ بثلاثة آلاف درهم * وبذلك قدروا ان يُنجزوا بنيان البيعة . الّا انها لم تأت مضاهيةً للاولى جمالًا واتّساعًا *

وتبوّأ يوحنا الثالث الكرسي البطريركي سبعًا وعشرين سنةً . واسام سنة وثمانين اسقفًا . وتصرّم اجلهُ ودُفن في دير اسفولس براس العين في ٢ كانون الاوّل من سنة ٨٧٣ م . ثمّ نُقل جسدهُ الى دير مار زكّى حَسَبَ وصيّتهِ * وعقد مجمعًا في كفرتوث في شباط سنة ٨٦٩ رتّب فيهِ ثماني مسائل تتعلّق بالحقوق البطريركية والمفريانية * وفرغ الكرسي بعدهُ خمس سنين (عب ١ : ٣٨٥ - ٣٨٩) *

الفصل السادس

في اختبار اغناطيوس الاوّل وثيودوسيوس البطريركين وملخّص اخبار رئاستهما

كان اغناطيوس راهبًا من دير حرباز وكان اسمهُ يشوع . واستدعاهُ الاساقفة

الذين التاموا في دير مار زكّي في الرقّة للاختيار من قلّايتهِ الاختلائيّة الواقعة في ناحية شميشاط بقرب نهر الفرات . واسامهُ طيماثاوس اسقف شميشاط يوم الخميس لخمسٍ خلون من حزيران سنة ٨٧٨ م * وهو اول من سمّى نفسهُ باسم اغناطيوس خلافاً للعادة في سلسلة البطاركة اليعاقبة *

ولم تطُل ايام رئاستهِ فانهُ دبّر كرسيّه اربع سنين وعشرة اشهر. وفي هذه المدّة اسام ستّة وعشرين اسقفاً * وقضى نحبهُ يوم الثلثاء من اسبوع الحاش الواقع في ٢٦ آذار سنة ٨٨٢ م في حصن مريبا القريب من راس كيفا . ودُفن في بيعتهِ الكبرى. وفرغ الكرسي بعدهُ اربع سنين * وكان سبب فراغ الكرسي كل هذه المدّة ان الاساقفة لم يُلفوا رجلاً جديرًا بهذا المنصب البطريركي ليُواطئوا على اختيارهِ . وجرى بينهم خوضٌ ونزاع طويل * ولمّا ازداد الخُلف بينهم استشاط القوم وضايق كلٌّ في ابرشيّتهِ اسقفهُ والحّ عليهِ لاختيار حبر الاحبار على الطائفة *

فاجتمع الاساقفة في آمد وتمادى النزاع بينهم في ذا الشان . واخيرًا عوّلوا على اختيار اثني عشر شخصاً ممّن وُجِد اكثر اهليّةً والاقتراع عليهم * فاودعوا اساءهم على مائدة القربان . ولمّا جرى الاقتراع خرج اسم الطبيب روماثوس الراهب من دير قرطمين . فاسيم في آمد في خمسٍ خلون من شباط سنة ٨٨٧ م بوضع يد طيماثاوس اسقف شميشاط ودُعي ثيودوسيوس *

وجلس ثيودوسيوس على كرسي البطركية ثماني سنين واربعة اشهر . وتوفي في دير قرطمين الذي ترهّب فيهِ ودُفن ثمه في ١ حزيران من سنة ٨٩٦ م . واسام ثلاثة وثلاثين اسقفاً * وترك لنا ثيودوسيوس من التآليف مجموعة عجيبة في الطبّ عُرِفت عن اسمهِ بمجموعة ثيودوسيوس البطريرك . ولهُ رسالة الى ميخائيل

السادس والخمسين البطريرك الاسكندري في شان المعتقد بسرّ الثالوث الاقدس . وسرّ التجسّد . ورسالة اخرى الى غريغور صديقهِ مشتملة على مائة واثني عشر فصلاً (عب ١ : ٢٨٩ - ٢٩١ . س ٢ : ٢٤٩) *

الفصل السابع

في ملخّص ترجمة دانيال وتوما الاول وباسيليوس الثاني وملكيصدق المفريانات وسبب عقد مجمع كفرتوث

خلف باسيليوس الاول في تكريت كرسي المفريانية دانيال الراهب من دير بيرقوم . واسامهُ ديونيسيوس البطريرك التلمحري سنة ٨٢٠ م اذ كان راجعاً من بغداد * وبعد ان قضى اربع سنين في منصبهِ توفي في نصيبين سنة ٨٢٤ م . ونُقل جسدهُ الى تكريت ودُفن في بيعة مار احودمي *

وقام بعد دانيال على كرسي تكريت والمشرق توما التكريتيّ . وترهّب في دير مار سركيس الواقع في جبل الرها . واسامهُ البطريرك ديونيسيوس التلمحريّ سنة ٨٢٤ م . وهو الاول بهذا الاسم في سلسلة المفريانات * وفي بدء رئاستهِ حصل لهُ نزاع مع جيورجيس اسقف بحرين القريبة من كرما . وكان توما قد اسقط جيورجيس لانهُ اختلس خلافاً للشرع كرسي كرما . فاستشاط هذا غضباً وجذب الى حزبهِ قوماً من التكارنة واثاروا اضطهادًا واهوالاً على المفريان واسلم الى والي المدينة . فأُودع السجن مدة ثمانية اشهر . ثم أُطلق في حال سبيلهِ * وقام باعباء منصبهِ ثلاثة عشرة سنةً . وتوفي يوم السبت في ٨ ايار سنة ٨٤٧ م . وفرغ كرسي تكريت سنتين *

وخلف نوما التكريتي في منصبهِ باسيليوس المعروف ايضاً بلعازر العمودي. لانهُ كان مقيماً بصفة ناسك في باباتين (ܒܝܬ ܒܛܝܢ) في ناحية حرّان على عمودٍ * واسامهُ ديونيسيوس البطريرك التلمحريّ مفرياناً في بيعة التكارنة في كفرتوث في ٢٢ خلون من ايلول سنة ٨٤٨ م . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة المفريانات * وبعد سنين قليلة من رئاستهِ على المشرق نشأ نزاع شديد بينهُ وبين البطريرك يوحنا الثالث . وكان التكريتيون القاطنون في المغرب متحزّبين لباسيليوس . فمحوا من دفتر الآباء اسم يوحنا البطريرك . وابطلوا الكرازة باسمهِ في بيعهم . واسام لهم باسيليوس اساقفةً لحرّان والرقّة وراس العين . اما الاساقفة الذين اقامهم البطريرك فاسقطهم وحرمهم * فصمّم يوحنا البطريرك بين عوامل هذا الشغب والاضطراب ان يعقد مجمعاً . وعزل فيهِ المفريان * ففعل المفريان بالبطريرك كذلك * فلما بلغ ذلك مسامع المتوكّل الخليفة احضرهما للمحاجة . فصار كلٌّ منهما يشكو صاحبهُ فاستظهر البطريرك وتوجه الى تكريت بقصد ان يُسيم مفرياناً آخر مكان باسيليوس * ولم يتمكّن البطريرك من اجراء السيامة علناً واحتفالياً لانّ المفريان كان له اعوان كثيرون يذبّون عنهُ في تكريت . فآل الامر بالبطريرك الى ان يسيم ملكيصدق مفرياناً خفيةً سنة ٨٥٨ م *

وكان ملكيصدق من قرية ابرزبا من ناحية تلعفر . واسامهُ يوحنا البطريرك في بيعة تكريت الجديدة * اما باسيليوس المفريان المعزول فلما راى عوامل الفتن رائجةً بسببهِ في تكريت هجر كرسيهُ ورحل الى نصيبين حيث قضى بقيّة ايام حياتهِ . واستمرّت اسباب النزاع بينهُ وبين يوحنا البطريرك احدى عشرة سنةً . وقضى نحبهُ يوم السبت في ١٧ تشرين الاول سنة ٨٦٨ م

بعد ان بقي عشرين سنةً وشهراً مفرياناً * وكان قد نوى باسيليوس لو لم يقصرّهُ الاجَل ان يرحل الى المغرب ليُسيم بطريركاً آخر ضدّاً ليوحنا ندّه بمعاونة بعض الاساقفة الغربيين الذين كانوا يُبغضون يوحنا. وكان البطريرك قد احسّ بهذه الدسيسة . وصار يتوجّس من حدوث فتنةٍ اعظم في الطائفة وعوّل على استدعاء ملكيصدق المفريان ليقنعهُ في ان يختار كرسياً آخر فيردّ الى كرسي المفريانية باسيليوس الذي كان قد طردهُ منهُ ويُؤتي بذلك الطائفة سِلماً واطمئناناً * فاخترمت انياب المنون المفريانين معاً وفي سنةٍ واحدة * فخوّل الله الراحة تلك الطائفة التي كانت مكتنفةً بعوامل الفتن والمشاجرات . وفرغ الكرسي المفرياني بسببها اربع سنين *

واما البطريرك يوحنا فبعد هذا الاختباط عوّل على ان يعقد في شباط سنة ٨٦٩ مجمعاً في كفرتوث القريبة من ماردين . والتأم فيهِ كثيرٌ من اساقفة المغرب والمشرق اليعاقبة * وسنّ فيهِ ثمانية قوانين في شان مقام البطريرك والمفريان وولايتهما * وقد ذكر ابن العبري هذه القوانين الثمانية في كتاب الارشادات او مجموعات القوانين التي سعى بطبعهِ الكردينال ماي * وهاك وصف ملخّص هذه القوانين : امر هذا المجمع ان يجلس المفريان اذا كان حاضراً على الجانب الايمن من البطريرك فوق كلّ الاحبار الغربيّين . وكذا يجب القول اذا حضر صلوات الفرض القانونية * وان يكون سيامةُ البطريرك الجديد حنيفاً بالمفريان * وفضلاً عن ذلك أُعطي باسيليوس ورفقاءه الحلّة . امّا الاساقفة الذين اسامهم على كراسي الرقة وحرّان وراس العين فعين لهم كراسي أُخرى (عب ٢ : ١٩١ - ٢٠٥ . س ٢ : ٤٣٦ - ٤٣٩) *

الفصل الثامن

في ترجمة سركيس واثناسيوس المفريانين واخبار ايامهما

تبوّأ كرسي تكريت بعد موت باسيليوس وملكصدق سركيس الرجل الفاضل الشهير ببساطة سيرتهِ وسريرتهِ . وكان راهبًا في دير علوك . وبعد ان فرغ كرسي تكريت اربع سنين أُسيم سنة ٨٧٢م في بيعة مار توما التي للتكريتيّين في الرقة * وامتنع سركيس المفريان من الحضور في مجمع اختيار اغناطيوس البطريرك الذي جرى سنة ٨٧٨م مع ان اربعةً من اساقفة المشرق كانوا ثمّه حاضرين . وسبب ذلك انهُ كان اساقفة المغرب قد ابطلوا في بيعهم وقت الصلوة الكرازة باسم سركيس المفريان . لان هذا كان قد عيّن ابرشيّتين لايشاع و برحذبشبا اللذين كان قد اسامهما اسقفين لدير مار متى . وكان قد ابطلهما يوحنا البطريرك وباسيليوس المفريان . بل ان ملكيصدق المفريان كان قد سام غيرهما في الدرجة الاسقفيّة مكانهما * ولبثا مدة ثلثين سنةً مهملين محجوبين * وعليهِ فاعتبر الغربيون انتخاب سركيس في منصبهِ المفرياني باطلاً * وجرى بعد هذا الحادث في سورية والمشرق شقاق عظيم وابطل سركيس المفريان ايضًا الكرازة باسم اغناطيوس البطريرك في المشرق . ونشأ نزاعات شديدة بين التكريتيّين واليعاقبة في سورية . واضطرمت نار العداوة والشكايات بين الحزبين حتى أُودع البطريرك والاساقفة السجن وجوزوا بألفي دينار غرامةً * ورشا التكريتيون المقيمون في سورية الامراء بمقدار وافر من الذهب . ورفضوا الكرازة باسم البطريرك ما زال حيًّا *

وقام سركيس باعباء منصبهِ احدى عشرة سنة . وتوفي في ١١ تشرين الثاني سنة ٨٨٢ م . وفرغ الكرسي بعده بسبب هذه النزاعات نحو اربع سنين حتى عُقِد عهد الصلح بين المشرق والمغرب *

وخلف سركيس على كرسي تكريت اثناسيوس وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . وكان يُدعى سركيس ايضًا . وكان مسقط راسهِ في تكريت . وترهّب في دير ساوبرا الواقع في جبل الرها * وأُختير وأُسيم في آمد يوم الاربعاء لثمانٍ خلون من شباط سنة ٨٨٧ م بوضع يد البطريرك ثاودوسيوس المعروف ايضًا بالرومي . وجرى ذلك في اليوم الرابع من سيامة هذا البطريرك * واقتبل احمد بن عيسى عامل آمد البطريرك والمفريان لمّا ذهبا للسلام عليهِ بلُطفٍ والتفات . وانعم عليهما بحُلَل ذات شعائر اميريّة *

ولنأتِ الى وصفِ الشقاقِ الذي احدثهُ الحصاصيّون وهم سكّان الحصاصة القريبة من تكريت في عهد اثناسيوس . ونقول ان هولاء الحصاصيّين نزعوا الى حزب زبينا تلميذ يوحنا البطريرك . وكان زبينا قد اتّفق مع الرهبان الجُبّيين الذين حرمهم قورياقوس وديونيسيوس ويوحنا البطاركة بسبب الكلمات « نكسر الخبز السموي » المار ذكرها * فاختار الحصاصيّون زبينا بطريركًا على حزبهم لانهم شاهدوا فيهِ من الحذق والذكاء والعلم والقوّة في المناضلة عن مذهبهم ما اعجبهم . وسعوا بسيامته على الترتيب * وانتشرت على يد زبينا هذا البطريرك الدخيل أسباب الشقاق بين اليعاقبة . فان زبينا اسام رجلاً يُدعى فرعا مطرانًا على ناحية حصاصة .

واسام فرعا هو ايضاً على الموصل رجلاً يُدعى برنصّيحا كان يوماً قد تتلمذ لموسى بركيفا اسقف بارمان . ثم تركهُ والتصق بالحصاصيّين رعايةً للدرجة التي سعوا بتحويلها اياهُ * ولم يكتفِ زبينا بذلك بل مدّ نظرهُ الى الاستيلاء على احدى بيع تكريت . فشرع يشغب الشعب ويجرّهُ الى التحزّب لهُ وقَدِمَ الى باب الوزير في تكريت ليُعينهُ على نوال مرغوبهِ * ولم يتهيّأ لزبينا ضبطُ بيعةٍ في تكريت . فان اثناسيوس المفريان جاء هو ايضاً صحبة اساقفتهِ الى دار الوزير . فاستقبلهم بالتفاتٍ * اما زبينا فطردهُ محجوباً . وعاد بصفقةٍ خاسر * وجلس اثناسيوس الاوّل على كرسي تكريت والمشرق ستّ عشرة سنة . وتوفي يوم الاثنين في ٢٧ خلونَ من كانون الاوّل سنة ٩٠٣م ودُفِن في بيعة مار سركيس وباخوس بتكريت * وفرغ بعدهُ الكرسي نحو ثماني سنين (عب ٢ : ٢٠٥ - ٢١٧ . س ٢ : ٤٢٩ - ٤٤١) *

الفصل التاسع

في اشهر المؤلّفين اليعاقبة الذين ازهروا على هذا العهد

اشتهر من المؤلّفين اليعاقبة على عهد ديونيسيوس الاوّل البطريرك (١) تيودوسيوس الراهب القسيس في دير قنّسرين الذي اختير مطراناً للرها . وهو اخو ديونيسيوس البطريرك الاوّل * وقد مرّ انهُ قصد مصر صُحبة اخيهِ ليستعطف اميرها على حال ابرشيّتهِ التي جارت عليها النوائب . ونقل كتاب قصائد اللاهوتي او غريغور النزينزي من اللغة اليونانية الى السريانية * (٢) انطون المعروف بالفصيح الراهب التكريتي الذي كتب

خمس مواعظ ولقّبها بفصاحة فيلوبون * (٣) يوحنا اسقف دارا . وكان اوّلاً راهباً في دير مار حنانيا المعروف بالزعفران وكان في قيد الحياة نحو سنة ٨٤٤ . وفيها كان ديونيسيوس الاوّل البطريرك قدّم اليهِ تاريخهُ المطوّل الذي تصل اخبارهُ الى هذه السنة * اما التآليف التي تركها لنا فهي اربعة كُتُب في قيامة الاجساد . وكتابان في الطغمة السموية والبيعية . وفيها شرح تأليف مار ديونيسيوس المعروف بالاريوفاغيّ في ذا الشان . واربعة كتب في الكهنوت . وكتاب في النفس . ونافورة او قداس معروفٌ باسمهِ * (٤) فيلوكسين او هو لعازر برسبتا اسقف بغداد . وعزلهُ ديونيسيوس الاوّل من كرسيهِ في آذار من سنة ٨٢٩م * والّف فيلوكسين كتاباً في الفروض البيعية . ونافورة او قداساً يبتدىء « يا الله بحر الراحة » . وبحثاً في العماد * (٥) بولس اسقف تلا احدى مدن الجزيرة التي تُدعى ايضاً قسطنطينية لان قسطنطينوس الملك كان قد رمّها . وهي تبعد بمسافة متساوية عن نصيبين وآمد شرقاً وغرباً * وبولس وهو صاحب الترجمة السبعينية للعهد القديم من اللغة اليونانية الى السريانية (س ٢ : ٢٤٥ و ٢٠٧ و ٢٤٥ و ١١٩ - ١٣٢ و ٢١٩ و ٢٤٧ و ١٣٢ و ٣٠٢ و س مق ١٧٧) *

وازهر في عهد اثناسيوس الاوّل المفريان موسى بركيفا . وُولد نحو سنة ٨١٣ وعُرف باسم ساويرا حينما اسيم اسقفاً نحو سنة ٨٦٣م * ودبّر ثلاثة كراسي مختلفة في ناحية نينوي مدة اربعين سنةً . الاوّل كرسي بارامان ܒܝܬ ܪ̈ܡܢ المعروف ايضاً بالبوازيق ܒܝܬ ܒܘܙܝܩ . الثاني كرسي باكينا او باخبونايا ܒܝܬ ܟܝܢܐ . ܒܝܬ ܢܘܗܕܪܐ الغريبة من الموصل وبارامان .

الثالث كرسي تكريت . واقيم عليهِ نائباً او زائراً نحو سنتين في اوان ترمّل المشرق بموت مفريانهِ توما الاوّل . اما كرسيهُ الاصلي فهو بارامان او الحبرة المعروفة ايضاً بمدينة العرب * وعاش موسى شيخاً وقوراً الى نحو التسعين من عمرهِ . وتوفي في ١٢ شباط وعلى الراي الاصحّ الجاري عليهِ المحققون سنة ٩٠٢ م لا سنة ٩١٢ كما رأى ابن العبري . ودُفِنَ في دير مار سركيس المعروف ايضاً بدير مُعلّق الواقع بقرب الدجلة قبال بلد المدينة (عب ١ : ٢١٦ و ٢ : ٢١٦ و ٢١٨) *

واما التآليف التي خلّفها لنا موسى بركيفا * فهي الآتية : (١) تفسير في الاكسامرون اعني عمل الايام الستّة * (٢) وبحث في ثلاثة اقسام في الفردوس * (٣) وتفاسير في العهدين القديم والجديد * (٤) وناڤورتان او قدّاسان . وقد نقل رنادوت الاولى الى اللغة اللاتينيّة * (٥) وتفسير في اسرار القداس * (٦) وكتاب في النفس * (٧) وبحث في الشبع . ولعلّهُ هو عين الكتاب المجهول المؤلِّف المعروف بكتاب المحاورات ضد البدع * (٨) ايضاح الرموز المحتوية في قصّ شعرِ الرهبان * (٩) مواعظ في الاحتفالات الاوّلية للسنة * (١٠) وتفاسير في كُتُب المنطق * (١١) وايضاح في كتابي اللاهوتي او هو غريغور النازينزي * (١٢) كتاب في التاريخ البيعي * (١٣) كتاب في الكهنوت . وقسمهُ الى اربعة مباحث * (طالع كلام ابن العبري في شان هذا بركيفا في ترجمة ديونيسيوس الثاني البطريرك واثناسيوس الاوّل المفريان . س ٢ : ١٢٧ - ١٢١ و٢١٩ و ٥٠٨ . س مق ١٧٨) *

الباب الخامس عشر

في تواريخ الطائفة النسطورية من زمان يوحنا الاعرج الى زمان يوانيس (٩٠٠ - ١٠٠١)

الفصل الاوّل

في اختيار يوحنا الاعرج واخبار ايام رئاستهِ

جلس على كرسي المدائن بعد موت يوانيس الجاثليق يوحنا بن عيسى المعروف بالاعرج . وتربّى في قطيعة النصارى ببغداد على يد اخيهِ خوداهي الاعرج قسّ البيعة . وأُسيم هو ايضاً قسيساً عليها . وكان محمود السيرة والعلم . فاسامهُ يوحنا بن نرسي اسقفاً على الزوابي اعني النعمانية . وبعد وفاة يوانيس دُعي لحفظ الكرسي . وفي مدة فراغهِ استمال قلوب الناس ليتمّ لهُ الامر * وجرى اختيار يوحنا الاعرج بالاقتراع وكان ثيودور مطران جنديسابور يلتمس هو ايضاً الرئاسة . واجمع الناس على جمع اسميهما في رقعتين . فخرج اسم يوحنا * وهو الثالث في سلسلة البطاركة المشارقة بهذا الاسم *

وكان جماعة الآباء والمؤمنين قد اجروا الانتخاب قبل موافاة يوحنا بن بختيشوع مطران الموصل لانهم كانوا يعرفون قوّتهُ وبطشهُ وطمعهُ في الرئاسة * فلما وافى هو واساقفتهُ تحزّب لهُ بعض الناس واثاروا فتنةً وشجساً في بغداد * فكتب ابن بختيشوع رقعةً الى الخليفة يشرح الحال وكيف تمّ الانتخاب بدون حضورهِ * فتقدّم الخليفة الى بدر بالنظر في الامر * ولما حضر الحزبان للمحاجّة اشار

بدر على ابن بختيشوع ان يلزم السكوت ولا يلغي التجس والمفسدة بين بني طائفته طمعًا بالرئاسة . ولاسيما بعد ان رضي الجمهور بالانتخاب ولو بدون حضوره * فخرج امر المعتضد بتصيير يوحنا بن عيسى جاثليقًا والانعام عليه بثوب ديباج وعكاز ومعفر * وقبل ان يتم الاحتفال بوضع اليد او السياميذ صعد المنتخب الى المنبر وكتب في السريانية صورة ايمانه . وتعهد على نفسه وعلى خلفائه بحفظ الاوامر الانجيلية وقوانين الجامع * ثم جرى الاحتفال بالسياميذ يوم الخميس الواقع في ثامن ايلول من سنة ٩٠٠ م *

وكان يوحنا من افضل الجثالقة الذين قاموا على كرسي المدائن منزهًا عن الطمع طاهر السيرة * ومن مآثره انه عقد بعد سياميذه مجمعًا رتّب فيه ثمانية وعشرين قانونًا بحضور نيفٍ وعشرين ابًا بين مطارنة واساقفة لخدمة المذبح وتهذيب البيعة العام * وترك لنا يوحنا من المؤلفات بعض التنبيهات للاشخاص البيعيين . وكان ابو الحسن بن يوسف النصراني قد اقترح على يوحنا ثماني وعشرين مسالةً في خدمة الاسرار . فعطفها بالاجوبة التي تقتضيها وانفذها اليه * وطبّق احكام وقوانين الميراث على شريعة المسلمين الحنفيّة . لان النساطرة الخاضعين لدولتهم كانوا ملزومين بحفظها . وتُعرف هذه القوانين العربية بهذا العنوان « جوامع مواريث الاسلام لبعض محبي الشعب » (س ٣ : ١ وجه ٢٢٤ و ٢ : ٤٤٠) * وقام يوحنا في الرئاسة على المشارقة خمس سنين وتوفي سنة ٩٠٥ للميلاد . ودُفن في بيعة الروم . وفرغ الكرسي بعده عشرة اشهر (ثمه . ما . ص . عب ٢ : ٢٢١ - ٢٢٩) *

الفصل الثاني

في اختيار ابراهام الجاثليق واخبار رئاستهِ

كان ابراهام من اهل باجرمي . واختير اسقفًا على المرج . وتشاجر مع يوحنا بن بختيشوع مطران الموصل رئيسهِ * واذ اراد الانحدار الى بغداد ليتظلم منهُ لدى الجاثليق وافاهُ رجلٌ بدويٌّ معهُ مِخلاة فرس مملوءة ذهبًا وفضةً . وقال : انفق هذه على خلاص ابن عمّي المعتقل ببغداد . فان لم تتهيأ لك معرفتهُ تصرّف بها كيفما تشاء * وبعد عشرين يومًا من وصولهِ الى بغداد توفي الجاثليق . فطمع بالرئاسة وقوي بها قلبهُ * وممن سعى لهُ بالرئاسة عبد الله بن شمعون كاتب الاسرار في ديوان المكتفي بالله . واستمال اصحاب الاختيار وكتبوا لهُ بالرضى . فأُسيم على الرسم في المدائن سنة ٩٠٦ م . ويُعرف ايضًا بالابرص . وهو الثالث باسم ابراهام في سلسلة الجثالقة *

وكان يوحنا بن بختيشوع تائقًا الى الرئاسة . فكاتبهُ ابراهام ان لا يسرع المجيء الى بغداد قبل ان يمهّد لهُ الامر لئلاّ يجري عليهِ من الهوان كما جرى في اوان انتخاب يوحنا الاعرج * فمكر بذلك بهِ ابراهام وفاز بالرئاسة لنفسهِ . فانقدّ ابن بختيشوع غضبًا . وبعد مشاجرات يطول شرحها تصالحا * وجلس ابراهام بالقرب من دير مار فثيون متمتعًا بالراحة والهناء *

وجرى لابراهام الجاثليق مع ايليا بطريرك الروم الملكيين الخلقيدوني نزاع طويل . كان الروم الملكيون قد كثروا في بغداد وبعض بلاد العراق في فرصة الحروب التي كانوا يوسرون فيها من سورية . ونال بعضهم في دار

الخلافة وظائف شهيرة * فطلبوا الى ايليا بطريركهم الانطاكي ان ينفذ اليهم مطرانًا ليسوسهم . فارسل اليهم رجلاً اسمهُ يوحنا . وسمّى نفسهُ جاثليقًا [1] * فشقّ ذلك على ابراهام وبذل الاموال الكثيرة حتى استطاع ان يطرد يوحنا من بيعتهِ . ونال امرًا من الخليفة وجلب اليهِ بطريرك الروم نفسهُ . والزمهُ بصكٍ خصوصي ان يضمن على نفسهِ وعلى خلفائهِ ان لا يسوّغ في المستقبل لمطران الروم ان يقيم في بغداد كرسيّهِ . واذا اتى لافتقاد شعبهِ فليخرج عاجلاً بعد فراغهِ *

وامر ابراهام ان يُقام القداس ايام الاحد والسبوت من الصوم الاربعيني مساء وكانت العادة القديمة الى عهد ابراهام لدى كل المشرقيّين ان يقرّبوا القربان في هذه الايام المذكورة في الساعة الثالثة ثم يخرجون متزوّدين * ولكنّ ابراهام كان قد بلغهُ ان البعض كانوا يخرجون بعد تناول التقدمة ويعدّون الولائم الفاخرة في البساتين . فمنعًا لهذه الاباطيل امر ان يكمّل القربان مساء مثل سائر الايام *

(1) راى با ٢٠ - ٢١ ان مطران الروم كان مستبدًا الى نحو سنة ٩٠٥ بلقب جاثليق المدائن نظير بطريرك النساطرة . ويؤيّد ذلك بهذه النكتة . كان ثيودور مطران باجرمي او جنديسابور المار ذكره قد كُبس عليهِ في الفحشاء فقترسهُ يوحنا الاعرج . ولما خلفهُ ابراهام في الرئاسة على ما ذكرنا وعد عبد الله المشار اليهِ الذي كان قد سعى باختيارهِ ان يعيد ثيودور الى كرسيهِ . فلما نكث ابراهام بوعده نزع عبد الله الى مذهب الملكيين الذين كان يوحنا مطرانهم . فاغتاظ ابراهام ووجّه سورة غضبهِ الى يوحنا الذي كان يسمّي نفسهُ جاثليقًا . وبالحقيقة لا نجد في تاريخ النساطرة ادنى ممانعة لمطران الروم في ذا الشان قبل هذه النكتة (الك ٢ : ١١١٨) *

ولم يُرضِ ابراهام في سيرتهِ وتدبيره الجميع . فانهُ كان يُذَمّ بسبب الطمع ومحبة المال واخذ الرشوة اي السيمونية في منح الكهنوت . وقرّفهُ وجوه طائفتهِ على ذلك . فلم يستفيدوا شيئًا * وجلس ابراهام على كرسي المدائن اثنتين وثلاثين سنةً . وتوفي في الاحد السادس من سابوع الرسل في بدء سنة ٩٢٨ م ودُفن في دار الروم . وفرغ الكرسي بعده نحو ثمانية اشهر (ما . ص . عب ٢ : ٢٢٩ - ٢٢٥ س ٢ : ٤٤٠) *

الفصل الثالث

في رفض الآباء ايليا اسقف الانبار . واختيار عمانوئيل واخبار ايامهِ

كان ايليا فريدًا في اوانهِ بالعلم والفضل . فبعد موت ابراهام كتب الآباء لهُ بالرضى . وكان المساعد لهُ ابن سنجلة كاتب الخليفة * وقبل ان ينحدر الى المدائن لاجراء الاحتفال بالسياميذ دخل ايليا والآباء معهُ على ابن سنجلة ليشكره على فعلهِ . ووعده بالمكافأة . فاجاب ابن سنجلة : مكافأتي من الله تعالى . فقال لهُ ايليا : ومني ايضًا . واظهر رغبتهُ في التفسيح لهُ بما فيهِ حلّ شريعة المسيح جلّ شانهُ . اي ان ياخذ امراة ثانية على الاولى العاقر * فغضب ابن سنجلة . وقهر الآباء على رفضهِ *

واختير مكانهُ على كرسي المدائن عمانوئيل فانّ ابن سنجلة تشاور مع سنان الطبيب ابن ثابت الصابي . وابي الحسن فقيه الخليفة . واجمعوا على اختيار راهبٍ في عمر ابا يوسف اسمهُ عمانوئيل * وكان قد بلغهم وصفهُ وعلمهُ وتزهّده . فأنسوا بهِ . وأُحضر مكرّمًا * فاضطرب الآباء لذلك . فأكرهوا

على اسامتهِ . وجرى ذلك يوم الجمعة الواقع في ٢٢ شباط من سنة ٩٢٨ م *

وكان عمانوئيل شيخًا وقورًا ظريف السجايا عالمًا بليغًا في الترجمة والوعظ * وسألهُ الخليفة يومًا : كيف يمكن الأمرُ حُبَّ العدو في شرع النصارى . فانّ فِعلَ الخير الخارجيّ يصحّ . واما الحُبُّ القلبيّ فلا يصحّ . والأمر بما لا يصحّ لا يسوغ في الشرع * فاجاب عمانوئيل : اذا ساغ للانسان ان يترك ما يُبغِضُ الناس لاجلهِ زالت البُغضة . ومن اطّرح الدنيا التي عليها التجاذب . ولسببها يُبغِضُ الناس بعضهم بعضاً . فلا يبقى من موجبٍ يدعو الى بغضة الاعداء * فاعجب الخليفة اختصار هذا الجواب * الّا ان عمانوئيل كان يُلام بكلّ حقّ لبخلهِ وغلاظة اخلاقهِ *

وتهنّأ بالرئاسة زمانًا طويلاً ووصل الى شيخوخة تامّة . وكان يُسيم وهو جالسٌ في محفّةٍ توضع على دكّة المذبح . ودبّر كرسيهُ اثنتين وعشرين سنةً . وتوفي ليلة الأحد السادس من الصوم الكبير في ٥ نيسان من سنة ٩٦٠ م . وفرغ بعدهُ الكرسي سنةً كاملةً (ما . ص . عب ٢ : ٢٤٥ - ٢٤٧ . س ٢ : ٤٤٢ و ٣ : ١ وجه ٢٥٨) *

الفصل الرابع

في اخبار رئاسة اسرائيل

كان اسرائيل من كرخ جدان . واقيم معلمًا في مدرسة مار ماري . وزهد في الدنيا . وترهّب في دير سبريشوع في واسط . واختارهُ عمانوئيل الجاثليق اسقفًا على كشكر * وبعد موت عمانوئيل دُعي لحفظ الكرسي . واجاد

في فنّ الخطابة والوعظ . واستمال قلوب الناس بشرف مناقبهِ واخلاقهِ . فرضي الناس منهُ * وكان ينازع اسرائيل في طلب الرئاسة كيوركيس مطران جنديسابور . وكيوركيس مطران إربل والموصل . وجبرائيل مطران فارس * وسعى ابو علي الخازن في اختيار اسرائيل . فأُسيم يوم الخميس السابق لجمعة الذهب الواقع في ٢٩ ايار سنة ٩٦٢ م في ايام الخليفة المطيع بالله *

وكان اسرائيل شيخًا طاهرًا ذكيًا قنوعًا . وخالف في ذلك سالفهُ الذي كان شديد الشحّ ومات وخلّف اموالاً كثيرة مخزونة في قلّايتهِ * اما اسرائيل فلم يتعرّض لها ولا فكّ ختومها . وعجب الناس من ذلك * وقيل لانهُ كان عارفًا بالغيب . وتحقّق لديهِ قِصرُ رئاستهِ فترك فتح القلّاية لمن يخلفهُ * وكانت مدة رئاستهِ مائة وعشرة ايام . وتوفي يوم الثلثاء في ١٧ ايلول من سنة ٩٦٢ م . وعمرهُ تسعون سنةً . وفرغ الكرسي بعدهُ سنةً كاملة واياماً (ما . ص . عب ٢ : ٢٤٩ : ٢٥١ س ٢ : ٤٤٢) *

الفصل الخامس

في اختيار عبديشوع الاوّل واخبار ايامهِ

قال ماري بن سليمان المؤرّخ : « كان عبد يشوع من اهل كرخ جدان من اعمال باجرمي وهرب ابواه وهو صغيرٌ الى الموصل بسبب العرب وماتا . وربّتهُ خالتهُ . وتعلّم في اسكول الدير الأعلى . وتعلّم المنطق على ابن نصيحا تلميذ ابن كيفا . وترهّب وأُسيم قسًا . وخدم في بيعة البوادي بالموصل * وكان محمود الطرائق . وأُسيم اسقفًا على معلثايا من اسرائيل

مطران الموصل . وتمّة عمانوئيل الجاثليق . فاستحسن الناس ما سمعوهُ من ترجامهِ وكلامهِ « انتهى * ويُعرف ايضاً ببرعقري اعني ابن العاقرين * جرى اختيارهُ جاثليقاً بالاقتراع فانهُ كان قد وقع اختيار الآباء ووجوه الجماعة على ثلاثة من الآباء الصالحين للرئاسة وهم كيوركيس مطران جنديسابور : وكيوركيس مطران إربل والموصل . وعبديشوع اسقف معلثايا . واجمعوا على الاقتراع . فخرج اسم عبديشوع * فكره حمل اعباء هذا المنصب . الّا ان الضرورة الجأتهُ الى قبولهِ . وأُسيم في ٢٢ نيسان يوم الاربعاء الواقع بعد عيد القيامة من سنة ٩٦٢ م * وعبديشوع هذا هو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة المشارقة . وجلس في دير مار فثيون *

واما العوائد التي ادخلها عبديشوع في ما بين طائفتهِ . وملخّص الاعمال التي اتى بها . فقد وصفها ماري بما نصّهُ : « كان كثير الحزم . ورسم ان توضع جنائز الكهنة والشمامسة على باب المذبح من دون دكّة الصليب لابتعاد درجاتهم من ثمّ . وان تُقال الامانة في ذكارين بقايا الناس . وكانت لا تُقال الّا في ذكارين الكهنة والشمامسة . وان يقول الناس تسبحة الامانة كلهم لا حرفاً وحرفاً . ورسم عمل الموسم في ثوالث النعي ... وجدّد بيعة شمالي ووسّعها .. وعمل بصلوتاً في الدار الصغير من البيعة * وفي ايامهِ عمل ابو الفرج البغدادي الضفة في الدار الكبيرة . وعمل موسى الصيدلاني وجه المذبح وطلى بالساج المذهّب الوجه الذي في صدرهِ . ووسّع هيكل النساء وعمل ضفةً في غربيّ الدار الصغيرة * وعمل عبديشوع الغرفة التي قدام وجه المذبح . وعلّق عليهِ ستراً يمنع من مشاهدة المذبح

ايام الرموش * واسام عبديشوع عدّة مطارنة واساقفة . ويقال انهم مائة واربعة وثلاثون اسقفاً ومطراناً . ولم يبقَ كرسي لم يُسِم اليهِ سوى كراسي البصرة والموصل ومرو » انتهى * ومن ذلك تفهم من اين وفي اي زمان اقتُبِست بعض العوائد المشرقية التي نراها جارية حتى اليوم في البيع *

وترك عبديشوع بعض التصانيف المهمّة وما عدا الاحكام والرسوم البيعية المارّ ذكرها لهُ تراجيم او خُطب في شرح الانجيل (س ٣ : ١ وجه ١٩٩ - ٢٠٣)

وجلس عبديشوع على كرسي المدائن ثلاثاً وعشرين سنةً وعشرة اشهر . وفرغ الكرسي بعدهُ سنةً وثمانية اشهر وتوفي في ٢ حزيران من سنة ٩٨٦ م وعمرهُ ثماني وثمانون سنةً (ثمّه . ما . ص . عب ٢ : ٢٥١) *

الفصل السادس

في اختيار ماري بن طوبي واخبار ايام رئاستهِ

جلس على كرسي المدائن بعد عبديشوع ماري بن طوبي . وكان من الموصل من بيوت الاشراف وصار كاتباً في ديوان ناصر الدولة . ثمّ زهد في الدنيا . وترهّب في دير صعيد المعروف بدير مار ايليا الحديثي وأُسيم قسيساً فيهِ . وتولّى امر رئاستهِ زماناً . وكان ذا مناقب شريفة . فاختير مطراناً على فارس . ودبّر كرسيهُ بغيرة عجيبة * وكان بين الآباء المجتمعين للانتخاب مترشحا للجثلقة جيورجيس مطران الموصل وإربل . وماري بن طوبي * وجرى النزاع عنهما . وانتهى الامر الى شرف الدولة . فامر بان يُسام ماري . وجرى ذلك على الرسم في ١٧ نيسان سنة ٩٨٧ م *

وقال ابن العبري عنهُ في ترجمة يوحنا الدمشقي المفريان: « وخلف عبديشوع ماري بن طوبي الفقيه الموصلي بامر الخليفة رغمًا عن الاساقفة . فانهم لم يُضوا رضاهم الّا بالإكراه والقوّة والضرب * واساموهُ في سلبق على عادتهم في الاحد السادس من الصوم الاربعينيّ سنة ٢٧٧ للهجرة * ثم انهُ قرأ الانجيل بعد السياميذ ولم يشرحهُ وفي هذا اليوم عمل القربان ولم يتلُ خطبةً على باب المذبح على عادة سالفيهِ * وكتب لهُ الخليفة اوّل مرّةٍ براءةً . ثم جرت العادة ان يلتمس كلّ مُسام جديد مثل هذه البراءة . والّا فلا يُعتبر مؤيّدًا في الرئاسة * وكان ماري ضعيفًا خشِنًا في العلم البيعيّ والفروض والطنوس . الّا انهُ كان مضطلعًا في تدبير المصالح العالمية متفقّهًا في الفقه شهيرًا في اعمال الرحمة وتوزيع الصدقات * ويقال انهُ لما استولى على العرش البطريركي لم يجد ولا درهمًا واحدًا في خزانة القلاية . الّا انهُ جمع غنى واموالًا وافرة بعنايتهِ واجتهادهِ . واشترى لكرسيّهِ اوقافًا كثيرة وبساتين وغير ذلك من الاملاك . واضاف ابنيةً فاخرةً الى هيكل بيعة الجاثليق وقصورهِ » انتهى *

ودبّر كرسي المدائن ثلاث عشرة سنةً وتوفي ليلة السبت في ٢٨ كانون الاول من سنة ١٠٠٠ م . ودُفن في دار الروم . وفرغ الكرسي بعدهُ سنةً كاملة (ما . ص . عب ٢ : ٢٥٥ – ٢٥٧ . س ٢ : ٤٤٢) *

الفصل السابع

في المؤلفين المشارقة الذين نبغوا في نحو هذا الزمان

اشتهر من العلماء في زمان يوحنا ابن الاعرج الجاثليق حنانيشوع اسقف

الحيرة المعروف ببرسروشوي . ولهُ مسائل في ايضاح الكتاب المقدّس . وتراجيم . ونجم * ولا يخفى ان المعاجم الكثيرة المار ذكرها قد خلطها الكتّاب في ما بعد بحيث انهُ يعسر الآن تمييز مؤلّفيها المختلفين (س : ١ وجه ٢٦١) *

وازهر في عهد ابراهام الجاثليق بين العلماء يوسف الساهر المعروف بالقسّ . واشتهر في عهد المكتفي بالله * قال ابن العبري في تاريخ الدول: « وكان مشهور الذكر مكبًّا على الطبّ كثير الاجتهاد في تحصيل الفوائد . وسُمي الساهر لانهُ كان لا ينام في الليل الّا رُبعهُ او ازيد ثم يسهر في طلب العلم » * ومنهم متى بن يونان وهو ابو بشر بن يونس المنطقيّ « واشتهر في خلافة الراضي . واليهِ انتهت رئاسة المنطقيين في عصرهِ ومصرهِ . وشرح كثيرًا من كتب ارسطو ونقل غيرها من اللغة اليونانية والسريانية الى العربية » * ومنهم ايضًا ايليا اسقف الانبار الذي رُفض انتخابهُ كما مرّ الكلام . والّف ثلاثة مجلّدات ادبية بكلامٍ منظوم . ومحاماة عن الدين . وتراجيم وتعزيات . ولهُ ايضًا رسائل كثيرة (ثمه ٥١٧ و ٥١٧ ٢٥٨) *

واخصّ المؤلفين الذين عاشوا في عهد عمانوئيل الجاثليق (١) عبديشوع الراهب في دير قوني . والّف تعزيات وتراجيم وفصولًا والغازًا وامثالًا بنوعٍ لغزي * (٢) كيوركيس مطران اربل والموصل وهو اشهر اولئك المؤلفين . ومن تآليفهِ مجموعة القوانين البيعية . ولهُ ايضًا صلوات يتلوها المشارقة في اليوم الثالث من صوم نينوى وفي آحاد صوم الكبير . وعيد التجلي * الّا ان افخر تآليفهِ شرح الخِدَم البيعية الملقّب ܥܠܬ ܬܫܡܫܬܐ ܕܥܕܬܐ . وهو في غاية الضرورة لمعرفة طقوس المشارقة . وقسمهُ الى سبعة مباحث كلٌّ منها يحتوي على فصول

كثيرة * وللجبورجيس ايضاً صورة الايمان . وتجدها في كتاب عمرو الطيرهاني المعروف بالجدل (ثمّه ١٩١ و٥١٧) *

وازهر في العلوم البيعيّة في زمان رئاسة اسرائيل الجاثليق عبديشوع الملقّب بابن الشهّار . ومن تآليفهِ قصيدة سريانية في مار ميخائيل وتلاميذ مار اوجين * وابو الحسن عيسى المعروف ببربهلول . والّف مُعجماً في اللغة السريانية والعربيّة مجموعاً من كُتب شتى (ثمّه ٥٤٠ و٢٥٧ *

واشتهر في عهد عبديشوع الجاثليق (١) ايليا اسقف كشكر المعروف ببركنوش . ولهُ كتاب في استعمال المزامير والاسرار البيعيّة . والّف ايضاً بركاتٍ ومقالات تُتال في بدء الشهر . وعلى الخمر والاطفال والمرضى * (٢) عمانوئيل المعلّم في دير مار جبرايل المعروف بالاعلى . والّف كتاباً في الايام الستّة بكلامٍ موزون بالعروض . ولهُ ايضاً تفاسير وتعاليم ادبية * (٢) جبرائيل شبوخوست احدى مدُن فارس . والّف مسائل وتعاليم وجدالات وتراجيم وتعزيات كثيرة . (ثمّه ٥٤٠ و٢٦٣ و٢٧٧) *

ونبغ في عهد ماري بن طوبي ابراهام مطران البصرة ولهُ رسائل وكتاب لايضاح الالفاظ العالية لثيودور المفشقان * وخلّف لنا ايوب القطري ايضاح العهد الجديد وسفر التكوين واسفار الانبياء * وترك لنا ابو سهل المسيحي كتاباً يحوي مائة بحث * قال ابن العبري : « وكان ابو سهل طبيباً فاضلاً منطقياً عالماً بعلوم الاوائل مذكوراً في بلد خراسان لهُ كُنّاش يُعرف بالمائة كتاب مشهور » انتهى . (ثمّه ١٧٥ و٥٤٠) *

الباب السادس عشر

في تواريخ اليعاقبة في القرن التاسع من سنة ٨٩٢ الى ١٠٠٢ م

الفصل الاول

في ترجمة ديونيسيوس الثاني ويوحنا الرابع وباسيليوس الاوّل ويوحنا الخامس البطاركة

تبوّأ كرسي اليعاقبة البطريركي بعد موت ثيودوسيوس ديونيسيوس وهو نوح الراهب من دير باباتين ܕܒܝܬ ܒܬܝܢ الكائن في حرّان . واجتمع الاسافقة في هذا الدير نفسهِ لانتخاب ابٍ عام لطائفتهم . وبعد جدالٍ طويل قرّ رأيهم على بعض الاشخاص الجديرين بهذا المنصب . فاختاروا بالاقتراع نوح وسمّي ديونيسيوس * فأسامهُ يعقوب اسقف حمص في ٢٣ نيسان سنة ٨٩٧ في اثيث من اعمال سروج . وهو الثاني بهذا الاسم بين بطاركتهم *

وقام باعباء الرئاسة على طائفتهِ ثلاث عشرة سنةً . واسام واحداً وخمسين اسقفاً . وتصرّم اجلهُ يوم الثلثاء من سابوع القيامة المعروف ايضاً بالجديد او الراحة الذي كان واقعاً في ٢٨ نيسان من سنة ٩٠٩ في دير باباتين الذي كان راهباً فيهِ . ودُفِنَ ثمّه * ولهُ رسالة سنهدوسيّة الى ميخائيل الاسكندري *

وخلفهُ في المنصب البطريركي يوحنا الرابع بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * وكان يوحنا من عمود دير قورزحيل الواقع في كورة انطاكية . واسامهُ يوحنا اسقف مرعش في دير تلّ العصافير الواقع خارج اسوار حرّان في ١ نيسان من سنة ٩١٠ *

ودبّر يوحنا كرسيّهُ اثنتي عشرة سنة وسبعة اشهر. واسام واحدًا واربعين اسقفًا. وقضى نحبهُ في دير سبولوس الواقع في راس العين يوم السبت آخر يوم من تشرين الثاني من سنة ٩٢٢ م *

واختير بعد يوحنا بطريركًا باسيليوس الواقع اوّلاً بهذا الاسم في سلسلة البطاركة. وكان راهبًا في دير سبولوس الراس عينيّ. واختارهُ الاساقفة. واسامهُ حبيب اسقف عين زربا في مريبا قلعة ريش كيفا في ١٥ آب من سنة ٩٢٢ م. وكتب رسالةً مجمعيّةً الى قزما بطريرك القبط الاسكندري *

وتولّى امر اليعاقبة احدى عشرة سنةً وسبعة اشهر. واسام اثنين وثلاثين اسقفًا. وقضى نحبهُ يوم اربعاء الحاش الذي وقع في ٢٥ اذار من سنة ٩٣٥ م. ودُفن في دير الشرقي بالرها. ومن مآثره انهُ خمّد الفتن الثائرة بينهُ وبين الاساقفة الشرقيّين التي كان سببها توما مطران بغداد *

وخلف باسيليوس يوحنا الخامس في سلسلة البطاركة. وكان من متوحّدي الجبل الاسود. واختارهُ الاساقفة في المجمع الذي عُقد في تلعد احدى قلاع كورة انطاكية. واسامهُ اثناسيوس اسقف طرسوس ٢٨ آب سنة ٩٣٦ م *

وقضى يوحنا البطريرك نحبهُ يوم الاحد الواقع في ٢ تموز سنة ٩٥٤ بعد ان دبّر كرسيّهُ سبع عشرة سنةً وعشرة اشهر. واسام في مدة رئاسته ثمانية واربعين اسقفًا. ودُفن في دير تلعد الكبير بقرب يعقوب اسقف الرها. (عب ١ : ٣٩١ - ٣٩٩) * وسنة ٩٤٣ سأل ملك الروم المتّقي الخليفة ان يبعث لهُ من بيعة الرها المنديل الذي مسح بهِ المسيح وجههُ فارتسمت فيهِ صورتهُ لقاء اطلاقهِ عدد وافر من اسرى المسلمين. فسلّم المنديل. (عب د وجه ٢٨٧) *

الفصل الثاني

في اخبار رئاسة يوانيس (يوحنا السادس) وديونيسيوس الثالث وابراهام البطاركة

ان يوانيس كان من عمود قورزحل الواقع على نهر عوفرين. فاستدعاهُ الاساقفة واختاروهُ بطريركًا في المجمع الذي عُقد في ٦ تموز سنة ٩٥٤ في دير تلعد. واسامهُ يعقوب اسقف الرقة. ويوانيس يعني يوحنا وهو السادس بهذا الاسم بين بطاركة اليعاقبة *

ودبّر الكرسي البطريركي سنتين وستّة اشهر. وتوفي يوم الجمعة ٢٩ كانون ١ من سنة ٩٥٧. واسام عشرة اساقفة ودُفن في دير مار سليمان الواقع في دليخ احدى قرى سورية الواقعة على الفرات. وتبعد نحو خمسين ميلاً عن شميشاط *

وتبوّأ بعدهُ الكرسي البطريركي ديونيسيوس الثالث بهذا الاسم. وكان راهبًا من دير قرطمين. واسامهُ يعقوب اسقف الرقّة في حصن تلعد في ٢٨ تشرين الثاني سنة ٩٥٧ * وكتب رسالتين مجمعيّتين الى مينا بطريرك القبط الاسكندري *

وتوفي ديونيسيوس البطريرك في دير قرطمين في ٢٠ حزيران من سنة ٩٦١ م. ودبّر كرسيهُ سنتين وستّة اشهر بعد ان اسام ثمانية اساقفة. ودُفِن في دير قرطمين بقرب ثيودوسيوس البطريرك المار ذكرهُ *

وخلف ديونيسيوس في ادارة المنصب البطريركي ابراهام. وكان راهبًا من دير ترعيل الواقع في ناحية حلب. وقرأ العلوم على انسطاس رئيس دير قرقيسون الواقع في كورة منبج. وبعد اختبارهِ اسامهُ ايوب اسقف

زوعا في حصن نلعد بطريركًا في ٢٥ ايّار سنة ٩٦٢ م * وقد وصف لنا ابن العبري تواضع ابراهام وبساطة عيشتهِ قال: «كان مار ابراهام معتصمًا طول ايام حياتهِ بعرى التواضع. ولم يُغيّر اسمهُ بعد ان ارتقى في المناصب البيعية الى اوج المقام. ولم يُبدّل لبسهُ او طريقة عيشتهِ. ولم يكن يركب على السرج الّا اذا تضايق من صعوبة الطريق فكان يستخدم في سفرهِ حمارًا بسيطًا الى زمان وجيز» انتهى *

ولم تطل مدة رئاستهِ فانهُ دبّر الكرسي البطريركي تسعة اشهر وتسعة ايام فقط * وأسام قرياقوس المفريان وستة اساقفة. وكان منهم معلمهُ انسطاس الذي رقّاهُ الى كرسي حلب * ولمّا شعر بقرب اجلهِ قصد معلمهُ في حلب وقضى نحبهُ ثمّ بحضور ثلاثة اساقفة وكثيرٍ من القسوس والرهبان والشامسة يوم الاربعاء لاربع خلون من آذار سنة ٩٦٢ م (عب ١ : ٣٩٩-٤١١ س ٢ : ٢٥٠ - ٢٥١) *

الفصل الثالث

في تاسيس دير مار سركيس في ناحية الجُبّ ودير الاربعين شهيدًا واخبار رهبانهما

تأسّس دير مار سركيس في حدود مدينة الجُبّ القريبة من ملطية في عهد ديونيسيوس الثالث البطريرك المار ذكرهُ وايليا مطران ملطيةَ الذي كان راهبًا في دير زوقنين * وسعى ببنائهِ كيّاسا راهب الدير الواقع في ناحية قلوديا. قال ابن العبري: «كان رجلٌ من اليعاقبة من اوشنو احدى مدن ادوربيجان (او هي

مادي) احد اقاليم الفرس يتوق الى السكنى في بلاد النصارى * فخرج من وطنهِ ووصل الى بلاد صحها واقام مسكنهُ في ديرٍ قريب من قرية طورشنا. ثم عبر الفرات وبنى ديرًا في ناحية قلوديا على جانب قرية جريغورينا * وبعد ان اقرّ مسكنهُ في هذه القرية اتاه ثلاثة رهبان من دير مار حنانيا القريب من ماردين. وهم نوح وسويرا وعمانوئيل * ولمّا لم يَرُق باعينهم الاقامة ثمّ اخذوا صحبتهم الربان كيّاسا واتوا حدود الجُبّ. فرأوا هذا الموقع موافقًا لتأسيس دير ثَمّ. وفرح سكّانهُ لذلك واتوا بهم الى مار يوسف رئيس البلد المعروف بالكومي. فاذن لكيّاسا ان يبني ديرًا لهذا المحلّ وساعده بالقول والفعل» انتهى * ولم يكتفِ كيّاسا الراهب ببناء محلّ للرهبان فقط بل شمّر هو ورفقاؤهُ الرهبان ساعد الهمّة لإتمام ما يقتضي لاجراء شعائر العبادة والنسك. وبنوا داخل الدير بيعةً جميلة على اسم مار سركيس ومار باخوس اودعوا فيها ذخائرهما. ولآلي كثيرة منظومة. وتم ذلك سنة ٩٥٨ م *

ومن اشهر من قدم الى هذا الدير للإقامة فيهِ بعد ان ذاع صيتهُ يوحنا الناسك من جبل الرها. ويوحنا مارون الذي تهذّب في العلوم الآدابية وقرأ معارف الكتب القدسية على مار امنيم زهرة جبل الرها * وسعى ايضًا في نصب المدارس فيهِ. وتهذيب رهبانهِ بالعلوم. فاشتهر هذا الدير مع تمادي الزمان تحت ادارتهِ بالمعارف والفنون ودرسِ الكتب المقدسة والتعمّق في المسائل الدينية. وسعى الرهبان في اقتناء مكتبة ثمينة للدير ونسخوا الكتب العلمية النادرة * ومن الذين اتوا هذا الدير وطاب لهم الاقامة فيهِ البطريرك يوحنا السابع المعروف بسريغتا لولم يحملهُ اعداؤهُ على الهرب والاختفاء *

وبعد ان دبَّر كيّاسا هذا الدير اثنتي عشرة سنة خلفهُ ايليا تلميذه . وسعى في زيادة هيكل الدير نضارةً ورونقاً بالحلل الكهنوتية والمصاحف والادوات البيعية والاواني الذهبية والفضية . ثم تاق بعد زمانٍ الى الاختلاء في الفقر . واقام رئيساً مكانهُ يوحنا مدبّر الدير . ثم عاد بعد سنتين من خلوتهِ واستناخ في الدير *

وكان يوحنا راغباً في تجميل هيكل الدير . الّا انهُ كان ضيّق اليد . فهيأ الله لهُ نحو سنة ٩٦٢ م عمانوئيل الراهب الحرّاني تلميذ قرياقوس المفريان . وتبرّع للدير بثلثمائة دينار ذهبيّ * فتمكّن يوحنا من جعل الهيكل ثلاثة اجزاء مع ثلاثة مذابح . ثم بنى ايضاً في الجهة الجنوبية دارين للمعلّمين والطلبة والنسّاخ . واضاف الى الدير دوراً داخليةً ومحلّاً للطعام ومأوى للغرباء * وبعد زمانٍ قدم الدير مارونا بن البشاع التاجر التكريتي وسعى بواسطة القنوات في جلب المياه الى الدار الكبرى الواقعة امام الهيكل . وبنى صهريجاً في الجهة الشرقية من هيكل البيعة لسقي بساتين الرهبان . وكان ذلك سنة ١٠٠١ م *

وسعى في تشييد دير الاربعين شهيدًا في نحو هذا الزمان (٩٦٣ م) ايليا بر جاجي الراهب التكريتي . وكان هذا قد اتى نواحي ملطية واشترى ارضاً واسعة وعمّر فيها ديراً . الّا انهُ لم يتوفّق الى النهاية . فانّ المنون اختطفتهُ قبل اتمام مرغوبهِ * فسخّر الله لتكميل هذا المشروع الاثيل يوحنا مارون الذي كان معلماً في دير مار سركيس ومار باخوس * فان اوطوخوس زعيم تلك الناحية الملطية المعروف بكُلَيب استدعى هذا يوحنا والحّ عليهِ ان يتمّم بناء الهيكل . فلبّى الى سؤالهِ . ولقّبهُ باسم الاربعين شهيداً . ثم شاد ايضاً فيهِ قلالي كثيرة * فتقاطر اليهِ عدد وافر من الرهبان محبّي العلم . فهذّبهم بالحكم القدسية . ونجح في ادارة

الدير نجاحاً لا نظير لهُ حتى انهُ بعد سنين قليلة بلغ عدد الرهبان الذين ترشّحوا للكهنوت مائةً وعشرين * وقام يوحنا مارون على رئاسة هذا الدير اثنتين وعشرين سنةً . ثم تاق الى الهدوّ فهجر الدير ليلاً . وعبر الفرات واتى دير مار هرون الواقع في جبل بريخا . وبعد ان قضى ثمَّ اربع سنين استاثر بهِ الله في شيخوخةٍ كريمة (عب ١ : ٤٠٢ و ٤٠٧) *

الفصل الرابع

في ترجمة يوحنا السابع واثناسيوس الخامس البطريركين واخبار ايامهما

تبوّأ كرسي البطريركية بعد موت ابراهام يوحنا السابع بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة . ويُعرَف ايضاً بسريغنا او الحصيرة لاضطجاعهِ المستديم عليها حُبًّا بالفقر الاختياري * وكان يوحنا من دير ترعيل . واختارهُ الاساقفة الذين التأموا في قرية كفرنبيا من اعمال سروج . واسامهُ سركيس اسقف سروج يوم الاحد في تسعٍ خلون من تموز سنة ٩٦٥ م . وكتب رسالتين مجمعيّتين الى مينا بطريرك القبط الاسكندري *

وكان قد عاث الخراب في ملطية فراى نيقافور ملك الروم ان يحمل يوحنا البطريرك على ان يسعى في جمع بعض من بني طائفتهِ الى ملطيةَ وحنزيط وقليسورا . ويسكنهم فيها . ووعده مكافاةً لهُ ان يبرز امراً جديداً يمنع الخلقيدونيّين من التضييق عليهِ وعلى بني طائفتهِ . فلبّى يوحنا الى سؤالهِ * وحصّل امراً من الملك ببناء ديرٍ وبيعةٍ على نهر البارد بقرب ملطية

ودعاهُ دير البارد وسكنهُ . وصار السريان اليعاقبة الذين تبوَّأوا تلك البلاد يقيمون الصلوة وشعائر دينهم وعبادتهم في هذه البيعة *

ولكن لم يترك الروم الحُسّادُ البطريرك في راحةٍ وطمانينة بل اتقد قلبهم حسدًا ووسوسوا في قلب الملك حتى رجع عن وعدهِ . وامر ان يُؤتى بالبطريرك ليستميلهُ الى قبول المجمع الخلقيدوني * وكان في صحبتهِ اربعة اساقفة وهم سركيس الافاميّ ويعقوب السيمداديّ ويوحنا الرامانويّ وقسطنطين الكرميّ * وسعى بطريرك قسطنطينية الخلقيدوني في اقناعهم بالبراهين الدينية . وتمادى الجدال بينهم الى شهرين . فلم يستفدْ سوى النَصَب * فعوّل ملك الروم اذ لم يمكن اجتذابهم بالتقنع على ان يعاملهم بطريقةٍ جبرية . وكلّمهم قائلاً : «اختاروا إمّا ان توافقوا راينا او ان تُنفَوا» * فآثر البطريرك والاساقفة كل اذى على هجر مذهبهم . فأُودعوا السجن سنة ٩٦٩ م * وفي هذه السنة نفسها كتب يوحنا البطريرك بتاريخ ٢٢ آب رسالتهُ الثانية المجموعة الى معنا بطريرك القبط الاسكندري . وهي تحتوي على الجدال الذي جرى لهُ امام بطريرك الروم في القسطنطينية ونجد صورتها في العربية في المكتبة الشرقية مجلد ٢ وجه ١٢٢ . اما رسالتهُ الأُولى فتتضمن صورة ايمانهِ * وفي هذه الاثناء كان نيقافور الملك قد اثار حربًا مع شوموشخيك احد اعداء مملكتهِ . فخرَّ قتيلًا فيها بعد اربعة اشهر . فأُطلق جميع الأَسرى من سجنهم . وتخلّص البطريرك والاساقفة من تلك الغُصّة *

فعاد يوحنا البطريرك الى ملطية واقام في دير برصوما ليستريح قليلًا ثم قصد دير البارد واتمّ بناءهُ سنة ٩٦٩ م . وسكن فيهِ الى سنة ٩٨٥ م . وفيها

قضى نحبهُ ودُفن في دير بارد نفسهِ * ودبّر كرسيهُ عشرين سنة واسام ثمانية واربعين اسقفًا . ومنهم اغناطيوس اسقف ملطية المعروف برهطا اي الساعي . لانهُ كان يطوف دائمًا اديرة جبل الرها وهو يوزّع قطعًا من الذخائر المباركة * وهو الذي بنى دير مريم العذراء في ضواحي ملطية وبيعتها الكبرى المعروفة بالساعي من اسمهِ . وتُنسب اليهِ نافورة تُعرف بنافورة المعلمين *

وخلف يوحنا سريغنا في الكرسي البطريركي اثناسيوس . ووُلد في صلح احدى قرى جبل عابدين الواقع في ما وراء الدجلة . ولذلك يُعرف بالصلحي ايضًا . وكان يُعرف اوّلاً بلعازر * وكان اثناسيوس راهبًا من دير مار هارون . واسامهُ اسقف سنجار في قرية قطيني من اعمال جيحان احدى مُدُن فيلبيقية يوم الخميس الواقع في ٢١ تشرين الاوّل سنة ٩٨٦ م . وهو الخامس بهذا الاسم في سلسلة بطاركة اليعاقبة * فقصد دير البارد ووسّعهُ وجمّلهُ واستكمل بناءهُ واقام كرسيهُ فيهِ * وكان اثناسيوس متلالئًا بالحكمة والمعارف القدسيّة ذا اخلاق كريمة . وقدّر اغابيوس بطريرك انطاكية الخلقيدوني فضيلتهُ حتى انهُ ابطل الاضطهاد على اليعاقبة *

وعلى عهدهِ كانت الاديرة قد كثرت وازهرت وازدانت بدرس المعارف الالهيّة في ناحية ملطية . وخرج منها رجالٌ فاضلون بالنجابة والحكمة والبلاغة * فثار عليهم حسد الروم الملطيين وسعوا بهم لدى الحكّام . واستولوا بالقوّة على البيعة الكبرى المعروفة برهطا او الساعي . وانفذ سبعة رهبان يعاقبة الى القسطنطينية . فأُلقوا في السجن وقضوا ثمّة نحبهم *

ومن اشهر الاساقفة الذين ازهروا على عهد اثناسيوس يوحنا الذي

اسامة اثناسيوس نفسهُ سنة ٩٨٨ م اسقفًا على دير قرطمين * قال ابن العبري : « واعاد (يوحنا) في طور عابدين الكتابة الاسطرنجيلية التي كان قد اندثر استعمالها منذ نحو مائة سنة . وتعلّمها هذا الاسقف من مجرّد النظر الى الكتب . وعلّمها اولاد اخيهِ * وبرع جدًّا في الخطّ عمانوئيل . واخوه ناحا في فن التصوير . فانفذ يوحنا الاسقف بطرس اخاهما الى ملطية وحمل اليهِ ورق الرق * فخطّ المعلّم عمانوئيل سبعين كتابًا من الترجمة البسيطة والسبعينيّة والحرقلية . ومجلّد الميامر الى ثلاثة خوارس . واهدى كتبًا لا نظير لها في العالم الى دير قرطمين » انتهى *

وقام اثناسيوس باعباء البطريركية ستًّا وعشرين سنةً . وقضى نحبهُ في دير مار برصوما الواقع في حدود قلوديا بعد ان اسام ثمانية وثلثين اسقفًا والمفريان اغناطيوس برقيقي . ودُفن في الجانب الغربي من الهيكل . وله رسالة مجمعيّة او صورة ايمانية كتبها بعد سيامتهِ الى فيلوثيوس بطريرك القبط الاسكندري جريًا على العادة . ولهذا ايضًا رسالة اليهِ . وترى صورتها في المكتبة الشرقية مجلّد (٢ : ١٤١ و ٣٥١ و ٤٨٠ عـ ١ : ٤١١ = ٤١٩) *

الفصل الخامس

في ملخص ترجمة المفريانات واخبار ايامهم من سنة ٩١٠ الى ٩٨٨ م

خلف اثناسيوس الاوّل المفريان بعد ان فرغ كرسي تكريت والمشرق ثماني سنين توما المعروف بالعمودي . وكان حبيسًا في جبل الرها . واسامهُ يوحنا الرابع البطريرك النورزحليّ سنة ٢٩٨ هجرية الموافقة لسنة ٩١٠ م . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة المفريانات *

ولم تطل ايام رئاستهِ على المشرق فانهُ بعد اربعة اشهر قضى نحبهُ في تكريت في بدء سنة ٩١١ . ودُفِنَ في بيعة مار احوديّ . ولبثت طائفة اليعاقبة في المشرق مترمّلة سنتين *

وقام على كرسي المفريانية بعد توما العمودي دنحا القسيس . واسامهُ يوحنا البطريرك النورزحلي ايضًا في تشرين الاوّل من سنة ٣٠٠ للهجرة او هي ٩١٢ م * وهو الثالث باسم دنحا في سلسلة المفريانات *

ودبّر منصبهُ المفرياني عشرين سنةً . وبعد ان اسام سبعة عشر اسقفًا استناح في ١٨ تموز من سنة ٣٢٠ هجرية او هي ٩٣٢ م . ودُفِن في بيعة مار احوديّ التي بتكريت . وفرغ الكرسي المفرياني اربع سنين *

وخلف دنحا باسيليوس الواقع ثالثًا بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . وكانت نصيبين مسقط راسهِ . وصار شماسًا . واختير مفريانًا واسيم في آخر تشرين الثاني سنة ٣٢٥ هجرية او هي سنة ٩٣٦ م *

وقام باعباء منصبهِ اربعًا وعشرين سنةً واسام اثني عشر اسقفًا . وتوفي يوم السبت في ١١ آب سنة ٩٦٠ م . ودفن في تكريت في بيعة مار احوديّ . وفرغ الكرسي المفرياني بعدهُ سنتين *

وتبوّأ كرسي تكريت والمشرق بعد باسيليوس قرياقوس . وكان قسيسًا في بيعة التكريتيّين التي في نصيبين * وكان يُدعى حوران فاختارهُ يعاقبة المشرق واسامهُ ابراهام البطريرك في حلب في نهاية آب من سنة ٣٥١ هجرية الموافقة لسنة ٩٦٢ م ولُقّب قرياقوس *

وقام باعباء منصبهِ ثماني عشرة سنةً . واصابتهُ امراضٌ مختلفة في حياتهِ .

وبعد ان اسام في تكريت اربعة عشر اسقفاً توفي يوم الجمعة الواقع في ٢٧ شباط من سنة ٢٦٩ هجرية او هي ٩٧٩ م. ودُفن في بيعة مار سركيس ومار باخوس . وفرغ الكرسي المفرياني سنةً وشهوراً *

واسيم مفرياناً بعد قرياقوس يوحنا الدمشقي . وكان اصلهُ تكريتيا اعني من جنس التكريتيين الذين تبوّأوا دمشق . وكان يدعى دينارا بن يشوع * واختير وهو في الدرجة الشماسية * فاسامهُ يوحنا البطريرك المعروف بسربفنا اولاً دياقوناً ثم قسيساً واخيراً مفرياناً في مرعش في ٧ آب من سنة ٢٧١ هجرية او هي ٩٨١ م . وهو الثالث باسم يوحنا في سلسلة المفريانات *

وقضى يوحنا نحبهُ في بغداد . وذلك في ١٨ نيسان من سنة ٩٨٨ م . وقام باعباء منصبهِ المفرياني ستّ سنين ونصفاً . اما جسدهُ فنُقل الى تكريت ودُفن في بيعة مار احودمي . وفرغ كرسي اليعاقبة المفرياني نحو ثلاث سنين (عب ٢ : ٢٣٥ - ٢٥٢ ، س ٢ : ٤٤١ - ٤٤٢ مى ١٦٤) *

الفصل السادس

في ملخص ترجمة اغناطيوس الاول المفريان واخبار ايام رئاستهِ ونهاية حياتهِ الشنيعة

خلف يوحنا الدمشقي على كرسي المفريانية اغناطيوس المعروف بيرقيني . وهو الاول باسم اغناطيوس في سلسلة المفريانات * وكان اغناطيوس اولاً ارخدياقوناً او رئيس شمامسة في بيعة التكريتيين التي في الموصل . وكان يدعى مرقس من عائلة قيقي * واختير برضى اساقفة المشرق ووجوه يعاقبتهِ . وأُنفذ الى

البطريرك اثناسيوس الخامس الصلحيّ فاسامهُ في دير البارد في ٩ شباط سنة ٩٩١ م *

واصابت بيعة اليعاقبة في بغداد نحو سنة ١٠٠٢ م على عهد اغناطيوس نائبة عظيمة . وذلك ان بعض الاشرار القوا ناراً عليها . فاحترقت حتى اضحت قاعاً صفصفاً . وجرى ذلك يوم الاثنين من الاسبوع الثاني من الصوم الاربعيني سنة ١٠٠٢ م * وكان موقع هذه البيعة في محلة قطيعة القمح * وكان سبب ذلك ان مسلماً حنبلياً اراد اختلاس عقار هذه البيعة المجاور لها . فعارضهُ باسيليوس بزازا بن طاهر احد وجوه اليعاقبة * فاشتعل قلب ذلك الحنبلي غيظاً * واتفق في تلك الاثناء ان احد النصارى أُتهم انهُ ارتكب قباحةً مع امراة رجلٍ خباز عربي . ثم وُجد بعد ايام رجل تلك الامراة قتيلاً مطروحاً امام بابهِ * فانتهز ذلك الحنبلي الفرصة لاستيفاء غليلهِ وهيّج الهمَجين ودعاهم الى حمل جسد ذلك القتيل والدوران بهِ في طرق بغداد صارخين : هوذا العربي الذي قتلهُ نصارى بيعة اليعاقبة في هذه الناحية * فتراكض العرب الى تلك البيعة وشرعوا ينهبونها ويخرّبونها ويحرقونها * وفي هذه الغائلة وُجد في هذه البيعة مصحف الاناجيل وقد احترقت الواحهُ ووجه صحائفهِ . اما الحروف فبقيت سالمةً من كل اذى . فتفاءل المسلمون ونسبوا ذلك الى معجزة الهية تقريراً لصحة دين النصارى * ونجد تفاصيل هذه الواقعة المهولة في ترجمة اغناطيوس الاول المفريان في تاريخ ابن العبري البيعيّ *

واما ما كان من اغناطيوس المفريان فانهُ بعد حدوث هذه الفاجعة التي المّت بيعاقبة بغداد قصد بعد سنتين اعني سنة ١٠٠٢ م بغداد ليسعى في تعمير تلك البيعة واصلاح خرابها . قال ابن العبري: « فلقي من مسلمي العرب

وشيوخهم وفقهاء النساطرة اعتبارًا لا مزيد عليه . وكانوا يأتون يوميًا لزيارته وينفذون اليه هدايا سنية . إما بسبب المعجزة التي اجترحها الله جلّ شانه . وإما مراعاةً لعمّهِ نوما بزازا بن بطرس برقيقي . واخيرًا اعتبارًا لعلم المفريان ومهارته » انتهى * ولم تنفع هذه التلطيفات . ووقع الاستحسان في عين يوانيس جاثليق النساطرة بل انتقد حسدًا وشرع يمنع الفقهاء النساطرة من زيارة المفريان ومن إنفاذ الهدايا له * فلما انتبه معلمو العرب اصدقاء المفريان الى ذلك اجتمعوا بابي الحسن علي بن عبد العزيز كاتب الخليفة القادر واطلعوه على حال الامر . ونالوا امرًا بان يشخص الجاثليق بدون تاخير لزيارة المفريان . وضايقوه ويهدّدوه بالتنكيل ان لم يذعن لإبرامهم *

ولم يذعن يوانيس الجاثليق لهذا الامر بل عزم على نصب فخ ودسيسةٍ لاثناسيوس المفريان وطردهِ من بغداد * فوشى به لدى الخليفة انه نائب البطريرك القاطن بلاد الروم اعداء العرب . وانه يدعو لانتصار الروم وانخذال الدولة الإسلامية * ولم يُصدِر الخليفة عاجلاً الحكم على المفريان حالما عُرِضت على مسامعه هذه التهمة بل لزيادة فطنته وعدالته جمع فقهاء العرب ومعلّميهم . وامرهم ان يدوّنوا بخط يدهم رايهم في بتّ هذه الدعوى *

ويجدر بنا ان نصف هنا الآراء المختلفة التي بتّها هولاء الفقهاء في شان هذه المسالة . قال ابن العبري في ترجمة اغناطيوس : « كتبَ الشيخ مِقدامهم ان هذا المطران التكريتي اي نعم قد اقامة تخصّ قاطنٌ في بلاد الروم الّا انه لمّا كان غريبًا عن الروم فلا يجب منعهُ من تدبير مرؤوسيهِ » . وكتب آخر « قد تاكّد لديّ ان هذا المطران قد اقتبل سيامتهُ في بلاد

الروم . وعليهِ وان جاهر بكونهِ اجنبيًا عن الروم الّا انه لا يستحق التصديق » . وكتب الثالث « انما يجب على جاثليق النساطرة ان يُثبِت بشهادةٍ صادقة مُدّعاهُ على مطران اليعاقبة . وبعد ذلك تُقبل شكايته » . وآخر « وان كان هذا المطران قد اقتبل الصيامة في بلاد الروم . ولكن قد تأكد لديّ انه هو وبطريركهُ الذي اسامهُ هما عدوّان للروم . وإلّا لمّا قاسيا اضطهادًا وعُدوانًا من الروم » . وفي التالي كتب آخر « من الصواب ان تبقى البراءة التي كتبها الخليفة المقتدر الى ابراهام الجاثليق ثابتةً غير قابلة التغيير » انتهى * اما الخليفة فبعد ان تروّى مليًا في هذه الآراء حكم ان يكون كرسي جاثليق النساطرة هو وحده ثابتًا في بغداد * اما مطران اليعاقبة فله ان يُقيم في تكريت . أما اذا دعَت الضرورة ان ياتي بغداد لافتقاد بني رعيّته فليقُم باعباء خدمته وليعُد عاجلاً الى كرسيهِ * وعلى هذا المنوال ارتفعت المشاجرة *

وبعد هذه الخطوب اقدم يوانيس الجاثليق على تاذية اليعاقبة وحاول بكل قوّته ان يختطف بيعة اليعاقبة الكائنة في الكرخ . الّا انه لم يحصل على نتيجةٍ ما *

وهاك عن ابن العبري ما جرى لاغناطيوس المفريان بعد ان قضى خمسًا وعشرين سنةً في منصبهِ المفرياني . قال : « بعد ان اسام اربعة عشر اسقفًا سقط كالشيطان من اعلى السماء . ومات لا موت الجسد المتوقف في انفصال النفس من الجسد بل موت الروح القائم في الانفصال عن الله * فانه سقط في هوّة الزناء . فوبخهُ كثيرٌ من وجوه تكريت . ولمّا لم يرعوِ نفَوا عنهُ وطردوهُ . وقصد بغداد واعتنق الإسلام » انتهى * وروى ايضًا

ايليا النصيبيني النسطوري عنهُ: «وفي سنة ٤٠٧ للهجرة (١٠١٦ م) اسلم اثناسيوس مطران تكريت اليعقوبي بعد ان اختلس حُلَل البيع التكريتية والآنية الثمينة ثم نزل الى مدينة السلام واسلم ثمَّ في دار القادر بالله خليفة العرب. ودُعي ابا مُسلم واتخذ نساء كثيرة» انتهى * واردف ابن العبري: «وعُرِّي من منصبهِ. وصار ممقوتًا لدى وجوه العرب انفسهم. بل ان اولئك العلماء اصدقاءهُ الذين كانوا آنفًا يتردَّدون لزيارتهِ كانوا اذا راوهُ يردُّون وجوههم عنهُ ويأبون السلام عليهِ * وبلغ الى هذا الحد من الذلّ والهوان حتى انهُ كان يذهب خفيةً الى بيوت النصارى ليعلّم اولادهم علم الخطابة. فكانوا يتنغّصون ويُشفقون عليهِ. وكان يدور ايضًا في المحلات طالبًا الصدقة. واخيرًا هلك في هذه الحالة التعيسة في شيخوخةٍ متقدّمة» انتهى *

والّف قصيدةً اسحاقية في ارتداده استهلّها «ܣܠܘܟܐ ܕܡܘܠܐ ܒܝܒܕܐ ܡܫܬܐ ܡܬܦܪܣܝܢ» ومن جملة ما قاله فيها عن نفسهِ «ܗܐ ܠܝ ܕܐܬܦܢܝܬ ܡܢ ܒܪܐ ܘܫܘܒܚܐ ܘܝܠܕܐ ܕܫܡܝܐ . ܘܢܦܠܬ ܒܝܠܕܐ ܘܥܒܕܬ ܫܘܒܚܐ ܘܡܫܝܚܐ ܠܝ . ܘܗܘܐ ܠܝ ܫܡܝܐ ܕܕܘܝܘܬܐ ܡܢ ܫܘܒܚܝ . ܘܗܘܝܬ ܠܝܠܐ ܕܥܒܕܬܐ ܒܢܝ ܥܡܠܢܘܗܝ» ثم ختم «ܐܬܐ ܟܝ ܗܕܐ ܒܢܝ ܥܒܕܐ ܕܥܡܡܝܐ . ܕܠܐ ܢܘܪܘܢ ܡܢ ܒܢܝ ܐܒܐ ܕܐܝܬ ܠܘܬܝ» *

وفرغ كرسي تكريت المفرياني بعد ان اسلم اثناسيوس احدى عشرة سنة، والظاهر انهُ لم يجسر اليعاقبة على اختيار مفريان جديد للمشرق واثناسيوس في قيد الحيوة دفعًا لكل محذور يمكن وقوعهُ (عب ٢: ٢٥٧-٢٦١، س ٢: ٤٤٣-٤٤٧) *

الفصل السابع

في ترجمة يحيى بن عدي وفي تصانيفهِ

ازهر بين المؤلفين اليعاقبة في المشرق على عهد يوحنا السابع البطريرك وقرياقوس المفريان يحيى بن عدي. وقد خلّف لنا ابن العبري في تاريخ الدول ترجمتهُ قائلاً: «وفي هذا الزمان (نحو ٩٧٤ م) اشتهر يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا التكريتي المنطقي نزيل بغداد. اليهِ انتهت رئاسة اهل المنطق في زمانهِ. قرأ على ابي ناصر الفارابي * وكان نصرانيًا يعقوبي النحلة وكان ملازمًا للنسخ بيدهِ. كتب كثيرًا من الكتب. وكان يكتب خطًا قاعدًا بيّنًا في اليوم والليلة مائة ورقة واكثر * ولهُ تفاسير ونقول عنهُ ومات ثلاث عشر آب سنة ١٢٨٥ للاسكندر (٩٧٤ م). ودُفن في بيعة لقطيعة ببغداد. وكان عمرهُ احدى وثمانين سنين شمسيةً» انتهى * ومن تآليفهِ رسالةٌ الى القاسم ابي الحسن ضد النساطرة. ويثني عليها يوحنا التاسع البطريرك في رسالتهِ الجمعية الى كريستودول بطريرك الاسكندرية. وكتاب في التثليث والتجسّد والالهية المسيح. وجواب الى محمّد بن هرون ابي عيسى المعروف بالورّاق الذي كان بينهم النصارى اليعاقبة والنساطرة والملكيين بالاشراك. وبحثٌ في البنوّة. وكتاب في التجسّد ضد النساطرة. وعلم الاخلاق وهو كتاب في ترتيب العوائد. ومباحث في التوحيد والتثليث والتجسّد. وكتاب في حقيقة الانجيل. ونقل ايضًا كُتُب ثيوفراست من اللغة السريانية الى العربية * وقد ذكر اكثر هذه الكتب ابو البركات في كتابهِ المعروف بايضاح الفروض *

الباب السابع عشر

في تواريخ الطائفة النسطورية في القرن الحادي عشر (١٠٠٠ الى ١١٠٩ م)

الفصل الاول

في اختيار يوانيس الجاثليق واخبار ايامهِ وتنصّر التتر

كان يوانيس من كرخ جدان . وتيتّم وهو بعد طفلٌ . فربّاهُ خال أُمّهِ . ولمّا شبّ صار يبيع البقول والنفط ليحصّل قوتهُ . ثم تزهّد في العالم . وترهّب في دير كشكر المعروف بدير الكرسي واسامهُ ماري اسقفًا على السنّ . ثم نقلهُ الى كرسي فارس * وعُرف بالثاني باسم يوانيس بن جنّانة المشرق * وهاك عن ابن العبري كيف اختير جاثليقًا : « لمّا اطّلع يوانيس على موت ماري (بن طوبي) اتى شيراز وقصد بهاء الدولة وقدّم له كلّ ما اراد . فأمر هذا ان يختار يوانيس جاثليقًا * اما وجوه بغداد فلما بلغ ذلك مسامعهم وفهموا انهُ قدم الى دار الجاثليق بدون اختيار ودعوة ليختلس الإمامة بطريقةٍ منافية للقانون شقّ الأمرُ عليهم . الّا انهم لم يتمكنوا من مقاومة الأمير * فأُقيم يوانيس جاثليقًا رغمًا عن مشيئة اولاد ابرشيّتهِ » انتهى * وجرى ذلك في خلافة القادر في ٢٦ تشرين الاوّل سنة ١٠٠١ م * ومضى الى دار الخلافة على الرسم . فأُكرم وكُتب له على العادة البراءة السلطانية *

وكان سبب النزاع بين يوانيس الجاثليق ومطران اليعاقبة في بغداد ان النساطرة واليعاقبة كانوا يتنافسون على التقدّم في الرئاسة وسياسة الشعب ويتخاصمون في باب المعتقد . وكانت العداوة مستمرّةً بينهم الّا ان النساطرة

كانوا المتغلّبين لنفوذهم وكثرتهم . وثارت اسباب العداوة بينهم في فرصة قدوم المفريان اثناسيوس من تكريت الى بغداد ليبني لجماعتهِ البيعة التي احترقت ثمّه . كما مرّ الكلام * فطلب يوانيس اخراجهُ من بغداد واتهمهُ بانهُ يسترسل الروم . واستفتى الخليفة الفقهاء . وعوّل اخيرًا على وجوب اثبات البراءة التي كتبها الخليفة المقتدر الى ابراهام الجاثليق . واصدر امرًا ان يبقى كرسي النساطرة وحدهُ في بغداد . اما اسقف اليعاقبة فاذا دعتهُ الضرورة ان يأتي بغداد لافتقاد بني شعبهِ . فليتمّ خدمتهُ عاجلاً . وليعُد الى محلّهِ *

وسار يوانيس سيرةً قبيحةً . قال ماري : « وظهر فيهِ كبرٌ وعجب . وتجوّز في اخذ الرشوة على السياميذات جهرًا واخراب البيع وتعطيل الاسكولات ومنع التصدّق . فتنفّر عليهِ النصارى » . انتهى *

ومن الامم الشهيرة التي تنصّرت على عهد يوانيس الجاثليق الامة التترية القاطنة في تركستان التي تفرّع منها الترك * وكان ملكها يسمّى اون خان ويوحنا القسيس . وبهذا الاسم يعرف لدى المؤرّخين الغربيين . وهو الاول بهذا الاسم . وتشرّف بهذا اللقب اعني القسّ بعد تنصّرهِ توقيرًا للدين وآلهِ * وجرى تنصّرهُ على يد عبديشوع مطران مرو النسطوري * وتمسّك هذا الملك بمذهب النساطرة . وفتح بلادًا كثيرة وتملّكها . ثم جعل مقرّهُ في مدينة سوس في عيلام * وقد وصف خبر هذه الواقعة مفصّلاً ماري المؤرّخ في ترجمة يوانيس . قال : « ورد كتاب عبديشوع مطران مرو ان ملكًا من ملوك الترك تنصّر هو ونحو مائتي الف انسان معهُ . وعلّة ذلك انهُ ضلّ عن طريقهِ عند خروجهِ الى متصيَّدهِ . وعند حيرتهِ راى شخصًا يمدّ بالخلاص فسألهُ عن اسمهِ فقال انا مار

سرجمان (سركيس) فامره بالتنصّر . وقال: غمّض عينيك فغمّضها وفتحها . فرأى نفسهُ في معسكرهِ . فخُبّر بذلك عن دين النصرانية والصلوة وكتاب الشريعة . فعلّم ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ . ܘܠܟܘ ܡܪܐ . ܘܩܕܝܫܬ * وحكى المطران انهُ راسلهُ في المصير اليهِ . وقال ان عادتهم اكل اللحم واللبن . وجعل هذا الملك لنفسهِ حركاتٍ تجري مجرى المذبح . وفيها الانجيل والصليب ورسمها باسم مار سرجمان . وربط حجرًا وظرفًا ياخذ منهُ لبنًا ويضعهُ بين يدي الانجيل والصليب ويصلّي ما تلقّنهُ ويرسمهُ بالصليب ويأخذ جرعةً وسائر الجماعة * واستأذن المطران فيما يفعلهُ معهم اذا كان لا حنطة عندهم . فامرهُ بان يجتهد في تجهيزهم ما يكفيهم يوم الفصح من الحنطة والشراب . ويكون امساكهم في الصوم عن اللحم . ويقتنعوا باللبن والحليب . وان كانت عادتهم الحامض منهُ فليقتنعوا بالحلو لتغيير العادة » انتهى . (طالع ايضًا عب ٢ : ٢٧٩ - ٢٨١) *

وقام على التتر بهذا الاسم اربعة ملوك . وكانوا جميعًا يُعرفون بيوحنا القسيس . والاخير منهم قتلهُ جنكزخان . واستولى على مملكتهِ * وجرى لاحد هولاء الملوك مراسلات مع البابا اسكندر الثالث في اواسط القرن الثاني عشر . فانهُ انفذ رسولًا افرنجيًا كان قد قصد تلك البلاد اسمهُ فيلبس يقول للبابا انهُ يروم الاهتداء الى الايمان الصحيح الذي تتمسك بهِ البيعة الرومانية . فكتب اليهِ البابا جوابًا لطيفًا وبعث بفيلبس اليهِ ليرشدهُ تمامًا *

وقام يوانيس بالرئاسة عشر سنين ونصف . وتوفي ليلة الثلثاء من صوم العذارى الواقع بعد عيد الدنح من سنة ١٠١٢ م . ودُفن ببيعة الكرسي (عب ٢ : ٢٦١ - ٢٨٣ . ما . ص . س ٢ : ٤٤٤ و ٢ : ٢ وجه ٤١٥ لو ١٤٠) *

الفصل الثاني

في اختيار يوحنا بن نازوك واخبار ايامهِ

قال عنهُ المورّخ ماري: «كان يوحنا من اهل معلثايا ويُعرف بابن عيسى بن ابراهيم بن نازوك وترهّب في عمر يشوعياب من اعمال بانوهدرا . ولهُ عشرون سنةً وجُعل رئيس العمر . واختارهُ ماري واسامهُ اسقفًا على الحيرة . وحصل لهُ صيتٌ بها بحسن اخلاقهِ » انتهى * وجرى انتخابهُ بالاقتراع . فانهُ لما اجتمع الآباء وقع التردّد في الاختيار على يوحنا اسقف الحيرة وجبرائيل ابن الشماس اسقف ارزن من عمر الخل وموسى بن باسيليوس الراهب . وايليا راهب دير مار هرمزد . وعملت البنادق اوّلًا ثم ابطلت ولما عُملت ثانيًا خرج في الاقتراع اسم يوحنا . فاسيم يوم الاربعاء في ١٠ تشرين الثاني من سنة ١٠١٢ م على الرسم * وركب الى دار السلطان وعاد الى قلاية مار فثيون . فكُتب لهُ العهد من دار الخلافة * وهو الرابع بهذ الاسم في سلسلة البطاركة المشارقة *

وكانت حال النصارى على عهد يوحنا بن نازوك سيئةً يُرثى لها . وأُصيب النصارى بمحَنٍ وبلايا وضيقات كثيرة بسبب الفتن الداخلية . ونُهبت عدة بيع ومنها بيعة اصبع المنسوبة لمار شمعون برصبّاعي * وظهر من الجاثليق محبّة للدراهم وابغضهُ الناس . وقيل انهُ كان سيمونيًا . لانهُ كان ينقل الاساقفة من كرسي الى آخر بدون موهبٍ طمعًا بالهدايا * وكان كاتبهُ ابو الفرج ابن الطيّب * وتوفي يوحنا سنة ١٠٢٢ م بعد ان اقام بالرئاسة نحو ثماني سنين ودُفن بدار الروم . وفرغ الكرسي بعدهُ سبعة اشهر (ما . ص . عب ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٥) *

الفصل الثالث

في ترجمة يشوعياب بن حزقيال الجاثليق واخبار ايام رئاسته

قد وصف لنا الملخّص ترجمة يشوعياب بن حزقيال ماري المؤرّخ قال: «كان يشوعياب من اهل دورقُني. وتعلّم في الاسكول بمار ماري وأُسيم قساً. فحُمدت طرائقهُ. وحَسُن اثرهُ في العفّة والعلم. وجعلهُ عبديشوع اسقفاً على القصر والنهراوانات وجعلهُ الملفان والساعور. وانتشر ذكره بالجبل. ودبّر الاسكول بقيّة ايام عبديشوع وايام ماري ويوانيس ويوحنا» انتهى *

وهاك كيف توصّل الى نيل الجثلقة قال ابن العبري في ترجمة اثناسيوس برقيقي المفريان: «بعد ان ادّى (يشوعياب) الى الوالي خمسة آلاف دينارٍ كان كلٌّ من يأبى اعطاء رضاهُ يُغرّق بالماء * وقرأ الانجيل عليهِ اسقف الانبار. ولمّا وصل الى هذه الآية ولما تغدّوا اسقط حركة التاو من ܘܟܕ ܐܬܚܫܡܘ. واراد بذلك الإشارة الى الحلّ والتنزيل الذي يستحقهُ من يتسلط قهراً. وابى كثيرٌ من الاساقفة ان ينادوا باسمهِ» انتهى * وسامهُ ايليا مطران الموصل قبل تلاوة فرض الليل في الاحد الثالث من صوم الميلاد في ١١ كانون الاوّل من سنة ١٠٢٢ م. وهو الرابع بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة المشارقة *

وممّن اشتهر في مقاومة اختيار يشوعياب ايليا مطران نصيبين المعروف ببر شينايا. وناصبهُ بكل قوّتهِ مدة طويلة واعلنهُ سيمونياً. وادّعى انّ سيامتهُ لم يكن شرعياً * وجرى من مخالفتهِ والتحزّب ما يقبح ذكره ولا يحسن شرحهُ * ولم تطل مدّة رئاستهِ ليتمكّن من مصالحة الآباء فانهُ كان طاعناً في السنّ.

وجلس اربع سنين ونصفاً. وتوفي في ٤ ايار من سنة ١٠٢٧ م. وفرغ الكرسي نحو سنتين (س ٢: ٤٤٦. ما. ص. عب ٢: ٢٨٥) *

الفصل الرابع

في اختيار ايليا الاوّل وترجمة حالهِ واخبار رئاستهِ

كان ايليا من اهل كرخ جدان وتثقّف في مدرسة المدائن وأُسيم قسيساً. واشتهر بالغيرة والعلم. واصبح سيّداً في علماء اوانهِ. فاختارهُ يوانيس الجاثليق اسقفاً على الطيرهان * وجرى في زمان فراغ الكرسي بعد موت يشوعياب انهُ حضر لنظارتهِ حزقيال اسقف النعمانية لان اسقف كشكر كان قد توفي * وفي هذه الاثناء كانت قد وهَت دولة آل عباس. وشبّت في بغداد نار الفتن الداخلية. وتكثّر الاشرار فعاثوا فيها مفسدين وخرّبوا وسلبوا. ونُهبت دار الروم والقلاّية سنة ٤٢٢ للهجرة *

وممّن سعى بجمع الآباء لاختيار جاثليق جديد بعد ان استقام الامر لجلال الدين ودخل بغداد ظافراً حزقيال ناطور الكرسي والقسّيس ابو الفرج عبد الله ابن الطيّب العلاّمة الشهير الذي كان في اعلى منزلةٍ عند امراء الدولة. وكان اجتماعهم في بيعة دار الروم في يوم الاحد الرابع من عيد القيامة * قال عمرو الطيرهاني: «وكان يوماً مشهوراً وجرى خوضٌ طويل. فأُختير حزقيال اسقف النعمانية وايليا اسقف الطيرهان وابو سعيد الراهب رئيس دير مار ايليا بالموصل * وكُتبت البنادق وفيها اسماؤهم. وعُمل الباعوث ثلاثة ايام. وفي اليوم الثالث حضر المطارنة والاساقفة وجميع

الشعوب ببغداد ولم يتخلّف منهم احدٌ وأُخرجت البنادق . فخرج اسم مار ايليا اسقف الطيرهان ولم يكن حاضرًا . فكُرز له في الحال والوقت . وكتبوا اليه بالحضور فحضر * ولم يكن يملك سوى سبعة عشر دينارًا . وبعد اربعين يومًا من خروج بندقتهِ أُسيم بطركًا بالمدائن في الاحد الثالث من صوم السليحين سادس عشر حزيران سنة ثماني عشرة واربعمائة عربية وهي سنة الف وثلثمائة وتسع وثلثين يونانية (١٠٢٨ م) في خلافة القادر . وكان بيرونهُ بنفسجيًا ؛ وانحدر الى دير مار ماري الرسول وعمل القبال وصعد الى بغداد . وكان مقامهُ بالابنة بدار الروم » انتهى * وايليا هذا هو الاول بهذا الاسم في سلسلة البطاركة المشارقة *

ومن اخصّ مآثر ايليا هي انهُ عقد مجمعًا بعد اختياره بحضور الآباء وسنّ في الفرائض والاحكام بعض القوانين التي رآها ضرورية وملائمة في زمانهِ لتهذيب بني طائفتهِ وتقرير جانب الدين والآداب النصرانية . وكتب باتفاق الآباء كتابًا جمع فيهِ هذه القوانين وعلّق عليها الشروح والايضاحات اللازمة * وما عدا الاحكام والفرائض البيعية التي دار الكلام عنها آنفًا ألف كتابًا في اصول الدين والمسائل التهذيبيّة محتويًا على اثنين وعشرين بابًا . (١) ومباحث نحوية في اللغة

(١) † ان هذا الكتاب مخطوط في مكتبة سعرد وهو باسم ايليا الثاني لا باسم ايليا الاول : وهاك عنوانهُ : « مختصر جمعهُ سيدنا وابونا اب الآباء ورئيس الرؤساء الكهنة الطاهر القديس العالم مار ايليا الجاثليق البطرك الثاني ادام الله ايامهُ وحفظ على الكافة ظلهُ . » وفي نهايتهِ مسطور : « تمّ المجموع الذي جمعهُ سيدنا ... اب الآباء ورئيس رؤساء الكهنة مار ايليا الجاثليق البطرك الثاني ادام الله ايامهُ » . على ان هذه الاقوال الاخيرة تدل على ان الكتاب انما في ايام مولفهِ قد كُتب .

السريانية . وألّف طقسًا لتقديس المذبح * وهو الذي اضاف في كاروزوتة الرمش ܥܠ ܕܘܟܪܢܐ ܕܢܒܝ̈ܐ ܘܫܠܝ̈ܚܐ . وهو ايضًا رتّب طقس السجدة الذي يستعمل يوم عيد القنطنوسطي وعملها بالبيعة العتيقة . ولم يكن يستعملها النساطرة قبل عهده (س ٢ : ١ وجه ٢٦٣ - ٢٦٤) *

وقد طالت ايام رئاستهِ على النساطرة فانهُ جلس على كرسيهِ نحو احدى وعشرين سنةً . وفي آخر حياتهِ اصابهُ ضعفٌ في قواهُ حتى انهُ أَسام اسقف الرحبة جالسًا في محفّة * وتوفي ليلة السبت سادس ايار سنة ١٠٤٩ م . ودُفن في دار الروم ببيعة السبخ . وفرغ الكرسي بعده نحو سبعة اشهر (ما . ص . عمه ٢ : ٢٨٥ . س ثمه و ٢ : ٤٤٦) *

الفصل الخامس

في اخبار ايام رئاسة يوحنا الخامس ابن ترجل

قد ترك لنا ملخص ترجمة يوحنا المؤرّخ عمرو الطيرهاني قال : « كان يعرف بابن الطرغان من اهل بغداد . وكان في حداثة سنهِ كاتبًا على النهروانات . متزينًا بجودة القريحة والحذق وله معرفة تامّة بصناعة الكتابة . ثم ترك ذلك جميعهُ وترهّب . واسامهُ ايليا يوم اسيامتهِ اسقفًا على النصر . وبقي في الاسقفية احدى وعشرين سنةً ونيفًا » واسيم يوحنا بن ترجل في السابع عشر من كانون الاول الواقع في الاحد الاول من صوم الميلاد من سنة ١٠٤٩ م في خلافة القائم بالله . وذلك باتفاق الجمهور من الآباء والشعب . وهو الخامس بهذا الاسم في سلسلة بطاركة المشارقة . وجلس في بدء امامتهِ في دار الروم *

وخربت القلاية ودار الروم بقرب هذا زمان يوحنا بن ترجل مرّتين . المرّة الاولى على يد التركمان . وينسب ابن العبري هذا الخراب الى عهد سالفهِ ايليا الاول . وعليهِ فلم يكن تامًّا . وكانت القلاية قابلة السكنى * والمرة الثانية على يد الخراسيين * قال عمرو الطيرهاني عن يوحنا: « فلما أُنتهبت القلاية من الاتراك ودار الروم ايضاً انحدر الى دورقُني واقام مدّة وعاد من جديد والقلاية خربانة . فاجتهد في عمارتها وانفق عليها وساعده المؤمنون * فلما فرغت العمارة من القلاية والبيعة كان اليوم الذي قدّس مذبحاً يوماً مشهوراً * ثم بعد سنة ونصف وردت عساكر خراسان ونهبت الجانب الشرقي من بغداد باسرهِ . وفي الجملة دار الروم والقلاية . وانحدر الى دار الخليفة هارباً . ثم الى دورقُني . واقام فيها مدّة . ثم عاد يوحنا الى دار الروم » انتهى *

وكانت سيرة يوحنا في ايام رئاستهِ محمودة وتدبيره مشكورًا في جميع احوالهِ وسعى باصلاح شؤون طائفتهِ رغمًا عن غوائل زمان رئاستهِ . وتوفي في الاحد السادس من القيظ من سنة ١٠٥٧ بعد ان جلس سبع سنين . وفرغ الكرسي بعدهُ خمس سنين (س ٢ : ٤٤٧ . عب ٢ : ٢٩٩ . ما . ص) *

الفصل السادس

في ترجمة سبريشوع الثالث الجاثليق واخبار ايامهِ

ان سبريشوع كان من اهل باجرمي . وتربّى في مدرسة مار ماري الرسول وأُسيم قسيسًا . وكان طاهرًا عالمًا محنكًا بالسياسة البيعية . فأُختير مطرانًا على جنديسابور * وسعى له باختياره جاثليقًا العميد ابو سعيد الاصفهاني .

وكان الآباء وجماعة الناس قد عوّلوا على تعيين بعض الاشخاص الجديرين بهذا المنصب واختيار احدهم بالاقتراع * فتلافى ابو سعيد الامر باخراج امر الخليفة واقامة سبريشوع . وأُسيم في الاحد الثالث من القيظ الواقع في ٢ آب سنة ١٠٦٣ م . وهو الثالث بهذا الاسم في سلسلة البطاركة النساطرة *

ورسم سبريشوع بشان كرسي نصيبين ان يكون مطرانهُ من اصحاب الاختيار. وكان محذورًا ان يكون لمطران نصيبين حقٌّ وكلام مع اصحاب الانتخاب . فمنح له سبريشوع هذا الحق تقربًا الى قلب عبديشوع ابن العارض مطران نصيبين *

وقد وصف المؤرّخون اسباب النزاع الذي جرى بين سبريشوع وتوما مطران اليعاقبة . من ذلك ما روى محشّي ماري بن سليمان المؤرّخ انهُ كان ممنوعًا اختلاط الزواج بين اليعاقبة والنساطرة . فخالف ذلك توما مطران اليعاقبة وعقد زواج ابنة ابي غالب الطبيب النسطوري على ابن ابي طاهر البلدي اليعقوبي * فاغتاظ سبريشوع وعرض الى الخليفة القائم بأمر الله براءتين اوّلها أُعطيت ابراهام الثالث الجاثليق في عهد المقتدر . والأُخرى يوحنا بن نازوك في عهد القادر . وفيهما توصيةٌ الى النساطرة وتفضيل رؤسائهم * فأمر القائم بأمر الله ان تُشفعا ببراءة ثالثة الى سبريشوع . ومن جملة ما يُقال فيها ما نصّهُ : « اقامك سلطان المؤمنين جاثليقًا للنصارى القاطنين في بغداد مدينة السلام . وفي كل البلاد والاقاليم ويُعلن انك رئيسهم ورئيس اليعاقبة والروم الساكنين في بلاد المسلمين والذين يأتون اليها . ويأمر بان يُطيع الجميع اقوالك » انتهى *

وقضى سبريشوع نحبهُ بالفالج . وتوفي يوم الثلثاء بعد الاحد الجديد

الواقع في ١٧ نيسان من سنة ١٠٧٢ م ٠ ودُفن في دار الروم في قبّة السيّدة ببيعة الكرسي ٠ وفرغ الكرسي بعده سنتين وخمسة اشهر (س ٢ : ٤٤٧ ٠ ما ٠ ص ٠ عب ٢ : ٣٠١) *

الفصل السابع

في اختيار عبديشوع بن العارض واخبار ايامه

أُختير بعد سبريشوع الجاثليق عبديشوع المعروف بابن العارض * وكان من الموصل ٠ وكان حسَن الخَلق والخُلق طاهرًا له باعٌ طويل في العلم والتدبير * وصار مطرانًا على نصيبين ٠ واختلط مع الآباء اصحاب الاختيار على ما سنّ سبريشوع سالفًا ٠ وأُختير باتّفاق الراي في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٠٧٤ م ٠ وأُسيم على الرسم في المدائن ٠ وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة المشرقيين *

وكان تدبير عبديشوع حسَنًا وارضى الجميع * وذهب لعرض واجبات العبوديّة والشكر للخليفة القائم بأمر الله فخوّله براءةً مشتملة على الامتيازات التي كان الخلفاء قد انعموا بها على سالفيه ٠ ولاسيّما الأمان لرعيته وبيعه والتسلّط على سائر الفِرَق النصرانية (با ٩ الك ٢ : ١١٢٢ و١١٤٣) *

ومما رسم عبديشوع من العوائد الطقسيّة المُستحبّة هو انه امر ان تُتلى الصلوة الربية في بدء كلّ من الصلوات القانونية خلافًا لعادة البيعة البغدادية *

وجلس عبديشوع على كرسي المدائن ستّ عشرة سنةً ٠ وتوفي يوم الاربعاء في ٢ كانون الثاني من سنة ١٠٩٠ م ٠ وفرغ الكرسي بعده سنتين ونصفًا ٠ ودُفن في بيعة الكرسي بدار الروم (ما ٠ ص ٠ س ٢ : ٤٤٨) *

الفصل الثامن

في ترجمة مكيخا واخبار ايام رئاسته

كان مكيخا من اهل دار الروم ببغداد ٠ ويُعرف بابن سليمان الفنكاني ٠ وتثقّف منذ نعومة اظفاره في مدرسة بغداد ٠ واحبّ منذ صغره العفّة والزهد ٠ واشتغل احيانًا بالطب مجانًا وصار قسّيسًا مدّةً في بيعة الطوباوية مريم في عقاب * ثم أُختير اسقفًا على الطيرهان ٠ وكان يخطب في اللغة العربية بعد قراءة الانجيل ٠ وارتفع شأنه ٠ فرقّاه عبديشوع الجاثليق الى مطرانية الموصل * وممن سعى له باختياره جاثليقًا ابو الفرج الصعيد ابن ابراهام الواسطي القسّيس ٠ وتمّ له الاختيار باتّفاق الجميع ٠ واسامه يشوعياب مطران نصيبين في الاحد الرابع بعد القيامة الواقع في ٨ نيسان من سنة ١٠٩٢ م * ونال براءة من الخليفة المهتدي لمّا ذهب الى قصره صُحبة الاساقفة ليعرض له امارات تشكره عنوانها : « هذا كتابٌ امر بكتابته عبد الله ابو القاسم الإمام المقتدي بامر الله امير المؤمنين لمكيخا الجاثليق البطريرك ٠ وكُتب في صفر من سنة ٤٨٤ ولله الحمد » * ومكيخا هذا هو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة الجثالقة المشارقة *

واظهر مكيخا تمسّكهُ بالطقوس والعوائد القديمة قال عمرو الطيرهاني : « كان عبديشوع ابن العارض حين صار بطركًا رسم ان يُقال ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ اي ابانا الذي في السموات بين كل صلاتين ٠ ولم تكن تجري العادة في طقس البغداديين بذلك جريًا على عادة بلادهم * فلما أُسيم هذا الاب اعاد الطقس الى الترتيب الى ما كان عليه وترك قول ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ »

انتهى . ولو كان ادخال هذه الصلوة في بدء كلٍّ من الفروض المتصلة امرًا مُستحبًّا . الّا ان القديم يجب ان يبقى على قِدمهِ *

وجرى بينهُ وبين ابن الواسطي نزاع طويل . اردف عمرو المذكور : « فسألهُ ابن الواسطي ان يجري الامر على ما كان عليهِ . فلم يفعل * ووقع الخِلف بينهما وحرمهُ . وانحدر الى النيل * وبعد مدة عاد وعمل رسالةً فائقةً مختصرةً واوضح فيها الامانة الصحيحة التي يعتقدها المشارقة ودبّر تدبيرًا معتدلاً » انتهى * ولم يلتفت الى تلفيقات الاشراف واراجيف المفسدين *
ومن اشهر مؤلفات مكيخا مقالة في التجسّد . وقد اشار اليها عمرو المذكور . ثم رسالة عنوانها « كتاب مار مكيخا الجاثليق بطريرك المشرق كتبهُ لمّا كان مطرانًا بالموصل واورويل الى بعض رؤساء المؤمنين باصفهان جوابًا على كتابهِ . وفيهِ يثبت صحّة الديانة النصرانيّة خاصّةً من العجائب وثبات الشهداء (س ٢: ١ وجه ٥٤٩) *

ونوفي مكيخا سنة ١١٠٩ . ودُفن بدار الروم في بيعة السيدة بالباصلوث الاين . وكانت مدة رئاستهِ سبع عشرة سنة وخمسة اشهر واربعة ايام . وفرغ الكرسي بعده سنتين . (ما . ص . س ٢ : ٤٤٨ . عب ٢ : ٣٠٩) *

الفصل التاسع

في اشهر المؤلفين الذين نبغوا في هذا العصر

وممن نبغ في المعارف على عهد ايليا الاول (١) عبديشوع مطران آثور والموصل . ويُعرف بابن بهريز . ورتّب تقسيم الميراث . ولهُ ايضاحٌ للخدم

البيعيّة وفروضها * (٢) دانيال الطوبانيتي اسقف تحل . والّف كتاب الازهار وتعزياتٍ وتراجيم . ولهُ حلّ مسائل الكتاب الالهي والغاز في مواضيع شتى . ولهُ انفعال الشكر . وخُطَب منظومة . ولهُ حلّ مسائل المجلّدات الخمسة الالهية لمار اسحق النينوي وشرح فصول العلم لاوغريس الشهير * (٣) القسيس ابو الفرج عبد الله ابن الطيّب البغداديّ الشيخ العالم والفيلسوف الكامل كاتب ايليا الاوّل . وهو اشهر من نبغ على ذلك العهد . ويصف ابن العبري ترجمتهُ في تاريخ الدول العربي . قال « وفي سنة خمسٍ وثلثين واربعمائة (١٠٤٣ م) توفي ابو الفرج عبد الله بن الطيّب وهو عراقي فيلسوف فاضل مطّلع على كُتب الاوائل واقاويلهم . وعُني بشروح الكتب القديمة في المنطق وانواع الحكمة من تآليف ارسطوطاليس . ومن الطبّ كُتب جالينوس . وبسط القول في الشروح بسطاً شافياً قصد بهِ التعليم والتفهيم » * ومن تآليفهِ شرح العهد القديم والجديد . ومجموعة القوانين التي سُنّت في المجامع الغربية والشرقية ولقّبها بالفقه المسيحي . وبحثٌ في التوبة . وفي الميراث . وفي الصوم والصدقة والصلوة . وفي الوراثة والفروض القانونية . ومقالة في التوحيد والتثليث . وشرح في كُتُب ارسطو . ولهُ كُتُب كثيرة في الطبّ ذكرها صاحب الكتاب المعنون « عيون الانباء في طبقات الاطباء » . وكان قد نصبهُ الخليفة القائم بالله رئيساً للأطبّاء ومعلّم الطبّ في المدرسة الطبيّة ببغداد . ولهُ غير ذلك من التصانيف النفيسة . (ثه ١٧٢ و ١٧٤ و ٥٤٤) *

وممّن اشتهر في عهد يوحنا بن ترجل ايليا مطران نصيبين المعروف ببرشينا . وكان راهبًا في دير مار ميخائيل بقرب الموصل وناصب سياميذ يشوعياب بن حزقيال كما مرّ الكلام . ولهُ مجادلة مع الامير حُسين ابي القاسم

مقسومة الى سبع جلسات في تثبيت النصرانية * ومن تآليفهِ التي يذكرها الصوباوي تاريخ الازمنة بيعي وعالمي وهو في غاية الفائدة واللزوم لمطالعي تواريخ المشرق . ومنهُ نسخة قديمة في خزانة الكتب السريانية في لندن . ومقالات كثيرة تضرّعية . منها ما يتلى في يومي الثلثاء والاربعاء من الباعوثة . وكتاب في اصول النحو السرياني . ولهُ ايضاً اربعة كتب تدور على الاحكام البيعية والمبرات . ومن اشهر تآليفهِ في العربيّة الرسائل السريانيّة والعربيّة التي كتبها في مقاصد شتى . وخاصّةً في فضيلة العفاف وفي التوحيد والتثليث . وكتاب المعونة على دفع الهمّ الذي غلطاً ينسبهُ البعض الى ابن العبري . وكتاب البرهان في تصحيح الايمان ويشتمل على اربعة اجزاء وعشرة فصول * ولهُ ايضاً تأليف نفيس سها الصوباوي عن ذكره . وهو تفسير الأمانة الكبيرة التي اجمع على عقدها الثلثمائة والثمانية عشر . وفيهِ يدحض اليعاقبة ويتجنّب عمدًا المسألة على الاقنوم او الاقنومين في المسيح . ويتكلّم كالكاثوليكي في ذا الشأن او بالاحرى يقترب الى المعتقد الكاثوليكي * وكان لهُ اخٌ طبيب ماهر ذكرهُ في مجادلتهِ مع الامير حسين ابي القاسم . (ثمّه ٢٦٦) *

وممّن اشتهر في عهد مكيخا (١) يحيى الطبيب البغدادي ابن غزالة . ومن مشاهير تصانيفهِ كتاب المنهاج في الطبّ وكتاب تقويم الابدان . ويتكلّم عنهُ ابن العبري في تاريخ الدول العربي * (٢) يوحنا بن خميس اسقف ثمانين والّف كتاباً في النحو السرياني . (ثمّه ٥٤١ و٢٥٦) *

الباب الثامن عشر

في تواريخ اليعاقبة في القرن الحادي عشر (١٠٠٤ - ١٠٩٠ م)

الفصل الأوّل

في ترجمة يوحنا الثامن المعروف ببرعبدون واخبار ايام بطريركيّتهِ

وُلد يوحنا في ماطية سنة ٩٤٤ م ويُعرف ببرعبدون . ومنذ نعومة اظفارهِ سعى ابواهُ بتربيتهِ في العلم والفضيلة * ودعاهُ الله لخدمتهِ فاختار الطريقة الرهبانيّة فهجر بيت اهلهِ ولبس ثوب الرهبنة في دير رهطا في السنة الثامنة عشرة من عُمره من دون علم ابويهِ ورضاهم . فلمّا اتّصل بهِ سعيا في ترجيعهِ عن مقصده بالالحاح والتعجيز فلم يستفيدا الّا نَصَبًا . وعوّل يوحنا على الهرب الى دير برصوما . ثم تركهُ وقصد مغارةً قريبة من الفرات وآثر السكنى فيها * قال ابن العبري : « ومنحهُ الله نعمة اجتراح المعجزات . فلمّا راى صيتهُ شائعًا ثمّه انتقل الى الجبل الاسود (ܐܘܟܡܐ) » انتهى * ولمّا اجتمع الاساقفة اجمعوا بصوتٍ واحد على اختياره راعياً عامًّا * فأبى اوّلاً لانهُ لم يكن قد أُسيم ولو شماسًا . ولزيادة تواضعهِ كانت نفسهُ راغبةً عن كل المناصب الكهنوتية . الّا انهُ لما راى هذا الاختيار من الله طاوع ارادة الاساقفة * ففي الرابع من تموز سنة ١٠٠٤ م أُسيم شمّاسًا . وفي اليوم التابع قسيسًا وفي السادس منهُ بطريركًا في الستّين من عُمره * واسامهُ بطرس اسقف حرّان . وهو الثامن باسم يوحنا في سلسلة البطاركة اليعاقبة *

وكان تدبير يوحنا مستقيمًا حسنًا . وسعى في حفظ القوانين القدسيّة .

الَّا انهُ لم يكن محنكًا في تدبير المصالح العالميّة . فعهد امرها الى داود الراهب كاتب دارهِ * لكن هذا لم يقف في حدٍّ بل اساء الاستعمال في البيع والابرشيات واقام يوحنا برعبدون كرسيّهُ في ملطية في دير البارد الذي شادهُ يوحنا سريغنا البطريرك . وكان قد تقاطر الى ملطية عددٌ وافر من المهاجرين الروم واليعاقبة فعمّروها بعد ان استعادها الروم من حوزة المسلمين سنة ٩٣٤ م . وكانت على هذا العهد قد اشرفت على الخراب . وشهد في تاريخ زكريا البطريرك ميخائيل اسقف تانيس احدى مدن مصر الذي حمل الرسالة الجمعية التي انفذها كربستودول بطريرك اليعاقبة الاسكندريين الى يوحنا برعبدون البطريرك « انهُ ليس من مدينةٍ في هوفركية البطريرك اكبر واكثر وفورًا بعدد النصارى منها . فانّ فيها ستًّا وخمسين بيعةً وعددًا وافرًا من القسوس والعلمانيين السريان الارثذكسيين (اليعاقبة) . ويروى انهم يتجاوزون الستين الفًا . وهم مقتدرون كلهم على حمل السلاح اذا ارادوا او مسّت الضرورة . وذلك ما خلا النساء والاطفال ... ويوجد فيها ايضًا كثيرٌ من الملكيين الخلقيدونيين . ولهم مطران في هذه المدينة » انتهى *

وفي هذه الغضون اثار نيقافور مطران ملطية الملكيّ على يوحنا برعبدون اضطهادًا شديدًا . كان نيقافور صديقًا لملك الروم ورفيقًا في المكتب . فقصد القسطنطينية واتّهم يوحنا انهُ لا يزال يخدع الروم مستميلًا اياهم الى مذهبهِ * فانفذ الملك امرًا الى حاكم المدينة ان يقبض على يوحنا زعيم اليعاقبة ويبعث بهِ الى القسطنطينية * فاشار هذا الحاكم على البطريرك ان يهرب الى بلاد العرب وينجو بنفسهِ . فلم يتمكن خوفًا من غضب الملك عليهِ . ولاسيما لانهُ

كان قاطنًا في دير البارد القريب من ملطية * فاتكل على الله وسلّم نفسهُ الى جيوش الملك . فاتوا بهِ الى ملطية متسلحين كأنهم متهيئون للقتال * وسعى سكّان ملطية اليعاقبة في اعفاء بطريركهم من غوائل السفر واتعابهِ الى القسطنطينية وكانت قلوبهم محترقةً عليهِ . ورشوا وجوه المدينة وبالكدّ نالوا ان يؤخّروا سفرهُ في الشتاء القاسي * وكان قد دنا زمان الفصح . فالحّ عليهِ اهل ملطية ان يُسيم لهم على الاقل شماسةً . فلم يفعل . ورحل بصحبة ستة اساقفة وعشرين من قسوسٍ ورهبان . ووصلوا القسطنطينية في اواسط حزيران من سنة ١٠٢٩ م (عب ١ : ٤١٩) *

الفصل الثاني

في الفحص عن معتقد يوحنا برعبدون ونفيهِ واخبارهِ الاخيرة

قد وصف لنا ابن العبري المعاملة الشرسة التي عُومل بها على روايتهِ يوحنا البطريرك ورفقاؤهُ في القسطنطينية في ترجمتهِ قال: «وكان نيقافور اسقف ملطية ذاك الرومي اللعين قد انفذ مبشّرًا يُنادي في الاسواق . ها هوذا الذين لا ينزّون بوالدة الله ويسجدون للتبس * ولا حاجة الى وصف وتعداد التفلات التي شوّه الشعب بها وجوههم . والتراب والحجارة التي القاها عليهم من السطوح * ولما حضروا امام بطريرك الخلقيدونيين في بيعتهم الكبرى اغراهُ ذاك الاسقف اللعين الرومي الملطيّ ان لا يتعمّق معهم في مباحث المعتقد لانهم كانوا محنكين في فنّ الجدال * ولكن كان يقتضي الامر الاحفاء في المسئلة . فلما دار البحث على عتقادهم اخرج آباؤنا مجلّدين كُتبًا في اليونانية والسريانية . ولما فتحوا المجلّدين

وشرعوا يقرأون . قال الروم لم نأتِ بكم نحن لنتعلّم الايمان منكم بل لكي نعلّمكموهُ نحن . اقرّوا مثلنا بطبيعتين * فاجاب البطريرك « ان نغيّرن قطعاً اقرار آبائنا » . فقام ذلك الملطيّ اللعين . وقال : « انك بذلك تحتقر اقرار الملك » وضرب البطريرك على خدّهِ . فحوّل له الطوباويّ الآخر * فهاج وماج كثير من عظماء الروم واخذتهم الكآبة وتدمّعوا وخرجوا يدمدمون . ثم أُتي بالبطريرك الى دير مينا وفي الغد الى دير غريغوريوس » * وعوّل الروم بعد ذلك ان يستميلوا البطريرك ورفقاءهُ الى مذهبهم على ما اردف ابن العبري : « عُقدت جمعيّةٌ اخرى واستدعوهم من جديد . وبذلوا قصاراهم في اقناعهم فلم يطاوعوهم . واخيرًا قالوا « على الاقل لا تخلطوا زيتاً مع خبز التقديس ولا ترسموا علامة الصليب باصبع واحدة بل بإصبعين » . وقصدوا بذلك ان ينصبوا فخًّا لهم ويدبّوا المكيدة ليستميلوهم رويدًا رويدًا * ولما لم ينطووا حُبسوا اثنين اثنين في محلّ منفردٍ الى تشرين وهم يقاسون عذابًا شديدًا * وانفذ نيقافور اللعين من يتملّقهم واحدًا واحدًا . فانخدع اغناطيوس التعيس اسقف ملطية وموسى اسقف الحصن (١) . واسحق اسقف عرقا (٢) . واعطوا توثيقًا لعهدهم صكًّا مختومًا بيدهم * فحمله نيقافور الى الملك وقال له اذا انتظرت ولم تطلقهم عاجلاً فسوف ينقادون كلهم الى امرك * فاستدعى الملك البطريرك وقال له ان انت اذعنتَ فنخوّلك عرش انطاكية * فاجاب البطريرك : امّا في

(١) نرى ثلاثة مواضع تسمى بهذا الاسم . اعني حصن كيفا احدى مدن ما بين النهرين . وحصن منصور مدينة اسقفية بقرب شميشاط . وعليها يدور الكلام هنا . وحصن زائد المدينة الاسقفية في ارمينية *

(٢) بقرب ملطية مدينة ارمنية ويذكرها ابن العبري بين الاسقفيات السبع المجاورة لملطية *

شان منصبي فان في قبضتي العرش الرسولي في الارض وعلى السماء * فلما خاب الامل امر الملك بنفي البطريرك الى دير غابوس الواقع في تخوم البلغاريين » انتهى * على ان قول ابن العبري بان الاساقفة الثلاثة المشار اليهم قد انخدعوا انما هو اقتناعهم الديني بصحة تعليم الكنيسة الكاثوليكية الصحيح بشان وجود الطبيعتين بعد الاتحاد *

واما ما جرى بالاساقفة بعد نفي البطريرك فانهُ « أُتي بهم الى قصر الملك . اما الاساقفة الثلاثة الذين اعطوا صكًّا من يدهم الى نيقافور فعرّاهم بطريرك الروم وعمّدهم واضحوا سخريّةً للشياطين . ثم اصاب احدهم وهو اغناطيوس اسقف ملطية وجع شديد فتصرّم اجلهُ عاجلاً . والآخران هربا . ولما وصلا سوريّة قضيا حياتهما بالتوبة * وكان مار ايليا اسقف سيمندو (١) ذلك الرجل الفصيح والشيخ القديس قد انتصر على الاعداء في حومة الجدال فرُجم على باب القصر . اما يوحنا اسقف الحديثة (٢) فقضى نحبهُ في السجن . وفرّ ديونيسيوس اسقف تل بطريق احد حصون ملطية سالمًا بعد موت الملك وحفظ معتقد الارثذكسي (اليعقوبي) وعاد الى كرسيهِ » انتهى *

واذا ساغ لنا ان نحكم في رواية ابن العبري نقول انهُ لا يجدر بنا ان نصادق عليها في كل ظروفها . ولاسيما في شان إعادة الروم عماد الاساقفة وانخذالهم في الجدال مع اليعاقبة * فانّ اعادة سرّ العماد مثل سائر الاسرار

(١) احدى مدن فريجيا كانت يومًا مشحونة باليعاقبة *

(٢) الحديثة مدينتان الاولى في ما بين النهرين على الفرات قريبة من الانبار او فيروز شابور . والاخرى في بلاد اثور او كردستان في محل اختلاط الزاب الاكبر بالدجلة *

التي تخوّل منتحليها سِمةً غير قابلة المحو هو محرّم لدى كل النصارى ولاسيما الكاثوليكيّين الذين كان منهم يوماً الروم الملكيّون . اللهمّ الّا اذا تردّدوا في ان السرّ لم يكن قد مُنح صحيحاً فيكرّر رعايةً للدين وخير الانسان تحت شرط * ولاسيما لأنّ غير ابن العبري من المؤرّخين ومنهم ميخائيل مؤلّف ترجمة زكريّا البطريرك الاسكندري إنما رووا ان الروم رقّوا هولاء الاساقفة الثلاثة الى الشمّاسيّة التي كانت لديهم رتبةً شريفةً بين الاساقفة كما انّ الحبر الاعظم يرفع كرادلة الكنيسة الرومانية اليوم بعضهم الى صفّ الشمّاسية وغيرهم الى صفّ الكهنة ومنهم الى صفّ الاساقفة * امّا نظرًا الى افحام ايليا السمندوي الروم في حومة الجدال فلا يستحقّ هذا القول التصديق . ولاسيّما لانهُ كان بين الروم على هذا العهد ودائمًا في عاصمة مملكتهم اساقفة كثيرون اشتهروا بالعلوم الدينيّة واللاهوتيّة والحذق في فنون الجدال * هذا وان زعم اليعاقبة القائل بطبيعةٍ واحدة في المسيح فضلاً عن سخافته نقويضهُ امرٌ قريب المتناول لا يتجشّم فيهِ احدٌ مشقّةً لبُعدهِ عن الحق بُعدًا شاسعًا * وابن العبري في هذه النكتة كما في غيرها ايضاً يُظهر تعصّبهُ المذهبي *

وبقي يوحنا برعبدون البطريرك في المنفى اربع سنين وقضى نحبهُ في ٢ شباط من سنة ١٠٣٢ م ودفن بسعي تلميذه يوحنا . وفرغ الكرسي البطريركي بعد موتهِ سنةً كاملة بعد ان جلس عليهِ ٢٩ سنةً * وكان سبب مجيء هذا يوحنا الى سورية انهُ أُنفذ حاملاً المصحف الذي كتبهُ البطريرك قبل موته في وجوب اقتبال الاساقفة المرتدّين اذا رجعوا الى مذهبهم نادمين * وليوحنا برعبدون رسالتان مجمعيّتان الى زكريّا البطريرك * وقد ترك لنا ميخائيل اسقف

تانيوس المذكور آنفًا ترجمة هذا البطريرك واعمالهُ مُتّصلاً . وتجدها في المكتبة الشرقية (مجلد ٢ وجه ١٤٦ و٣٥٢ - ٣٥٣ . عب ١ : ٤١٩ - ٤٢١) *

الفصل الثالث

في ملخص ترجمة ديونيسيوس الرابع ويوحنا التاسع البطريركين

خلف يوحنا برعبدون بعد موتهِ في المنفى يحيى رئيس دير لعازر الواقع في جوباس بملطية الذي صار بعد ذلك في حوزة الارمن . وتبوّأهُ رهبانهم . ويُدعى ايضاً بازكونخ * واجتمع الاساقفة في طامنين احدى قرى قلوديا الواقعة بين قسمونيّة وانزة واختاروا يحيى المذكور . ثم أُستدعي الى دير مار ديط الواقع ثمّ . ودعي ديونيسيوس . وهو الرابع بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * واسامهُ بدون حضور المفريان ابراهام اسقف فليسورا احدى الابرشيات السبع المجاورة لملطية سنة ١٠٣٤ م الذي اشتهر على هذا العهد . واخصّ مآثرهِ انهُ بنى الهيكل القديم في دير برصوما الواقع في ملطية بعد خرابهِ *

اما الخلقيدونيّون فحالما استحسّوا بنصب بطريرك جديد لليعاقبة اخبروا بذلك ملك الروم فأمر بالقبض عليهِ وانفاذهِ الى القسطنطينية . فلما بلغ ذلك ديونيسيوس فرّ الى آمد واقام ثمّ كرسيهُ * ومن هذا العهد صار البطاركة الذين خلفوهُ يسكنون في آمد او في دير مار حنانيا القريب من ماردين *

ودبّر ديونيسيوس او هو يحيى فطركيّة اليعاقبة عشر سنين وبعد ان اسام ستة وثلاثين اسقفاً توفي سنة ١٠٤٤ . ودُفن في الجانب الغربي من بيعة آمد . وفرغ الكرسي البطريركي بعده نحو خمس سنين * ولهُ رسالة مجمعية الى

سنوث البطريرك الاسكندري . وتجد نتفًا منها في المكتبة الشرقية مجلد ٢ وجه ١٥٢ *

وجرى في الطائفة اليعقوبية مدة ترمّلها من بطريركها اختباط واضطراب عظيم . فان بعض الاساقفة تجاسروا بالقوّة على الانتقال من كرسي الى آخر وداسوا القوانين البيعية وصاروا اضحوكةً بين الأُمم * اما الاساقفة الامينون على حفظ القوانين فحثتهم النخوة والغيرة واجتمعوا في آب من سنة ١٠٤٩ م ليختاروا شخصًا جديرًا بالمنصب البطريركي . وبعد خوض عظيم اجمعوا على الربان تيودوروس الراهب من دير ابن اجاجي الواقع في كورة انطاكية . وهو ابن اخي يوحنا برعبدون البطريرك المار ذكره * ولم يجب هذا الى دعوة الاساقفة . بل ابى وهرب الى ناحية دلوخ فتعقّبه الاساقفة . اما هو ففرّ الى مغارةٍ في جبلٍ قريب واختفى ثمّ . فلحق به الاساقفة وقهروهُ حتى اساموهُ في مدينة فرزمان بوضع يد ايليا اسقف هذا الكرسي بدون حضور المفريان . ودعي باسم عمّه يوحنا . وهو التاسع بهذا الاسم في سلسلة البطاركة * وبعد ان استتبّ له الامر اقام في آمد وضواحيها وسعى في اصلاح شؤون طائفته . وقرّب الاساقفة الذين تعدّوا القوانين البيعية واثبت الذين اقالوا عثرتهم . اما الذين جاهروا بالتمرّد عليه فحرّمهم بالكلية من منصبهم الحبري *

ودبّر يوحنا كرسيه البطريركي ثماني سنين وعشرة اشهر . وبعد ان اسام ثلاثين اسقفًا قضى نحبهُ في آمد سنة ١٠٥٨ م . ودفن في بيعة العذراء والدة الاله التي في آمد . وله رسالة مجمعية الى كريستودول البطريرك الاسكندري (عب ١ : ٤٢١ – ٤٣٥ . س ٢ : ٣٥٢ – ٣٥٤) *

وجرى في عهده بين كريستودول بطريرك الاسكندرية وبين بعض

اليعاقبة جدال طويل . فان اليعاقبة السريان اوجبوا دائمًا خلط الملح والزيت مع الخبز الاوخارستي . اما كريستودول فلم يقبل ذلك . وانفذ سفراء الى يوحنا بطريركهم . فاثبت هذا عادة آبائهِ من بحث يوحنا برشوشن البطريرك في ذا الشان (س ٢ : ١٥٣) *

الفصل الرابع

في اختيار اثناسيوس السادس المعروف بعانش ونزاع يشوع برشوشن على الرئاسة

تبوّأ الكرسي البطريركي بعد يوحنا التاسع اثناسيوس اسقف ارشمشاط احدى مدن ارمينية المعروف ايضًا بعانش. وكان هذا قد فارق كرسيهُ واقام السكنى في دير مارهرون الواقع في سنجار. فاجتمع الاساقفة في آمد . واختاروهُ. ونادوا به بطريركًا في دير فاريس الواقع في حصن منصور سنة ١٠٥٨ م * ولم يرضَ باختيارهِ اساقفة يعاقبة المشرق بل اغتاظوا منهُ محتجّين ان اثناسيوس كان اسقفًا . وكان ممنوعًا من القوانين البيعية لدى اليعاقبة ان يُقام الاسقف بطريركًا * اما في الواقع فانما امتنعوا عليهِ لان اختيارهُ تمّ دون رضاهم * واظهر هؤلاء الاساقفة المشرقيون سخطهم بان اجتمع منهم عددٌ ليس بقليلٍ في آمد واختاروا يشوع الكاتب لأسرار يوحنا الذي يُعرف ايضًا برشوشن . وكان رجلاً فصيحًا . وقهروهُ على قبول السيامة سنة ١٠٥٩ م * اما الاساقفة الذين اختاروا اثناسيوس فاذ ارادوا لسُقم رايهم تاييد رئاسة اثناسيوس وتقرير اختيارهم . عوّلوا على ان يُسيموهُ ثانية . واعتُبر هذا الفعل ضربًا من

الحماقة لانهُ مخالفٌ للاصول الدينية * فاغتاظ بنو الطائفة وشرعوا يطعنون بالاساقفة بمقالاتٍ تهكّمية . وكان يشوع يدبّر حزبهُ رغمًا عن هذه الانقلابات *

وكان الحزب الواحد يندّد بالآخر في هذه الغضون * فان اثناسيوس عائش واعوانهُ كانوا يقذفون بيرشوشن شتائم ومعائب يطول شرحها بسبب انهُ طاوع الاساقفة المشرقيّين بعد سيامة عائش . وكانوا دِفاعًا عن ترقية عائش وهو اسقف الى المنصب البطريركي يحتجّون بان كثيرين قد تبوّأوا العرش البطريركي الانطاكي وهم اساقفة . من ذلك ملطيوس اسقف سبواس . وايليّا اسقف اوفيميا . ويوانيس اسقف حرّان . كما ان بروقلوس القوزيقي وانثيموس قد ارتقيا الى العرش القسطنطيني * اما برشوشن فكان يعارضهم على ما روى ابن العبري قائلاً : « لا مِراء ان بعض الرسل ايضاً كان لهم نساء وكانوا ياكلون اللحم واستعملوا الختان والتحفّظات اليهوديّة اقتضاء لاحوال الزمان رغبةً في ان يربحوا الناس . الّا انهُ لم يحِلّ لهم ان يحافظوا عليها . وكذا ابو اللاهوتي (غريغور النازينزي) ترك بيعتهُ بالوراثة لابنهِ ما لا يحقّ لهُ اليوم عملهُ . وعليهِ فلا ينبغي تطبيق احوالنا على عوائد القدماء اذا اتّفق انهم تجاوزوا الشريعة » انتهى * وزال هذا الشقاق باستقالة يشوع الكاتب برشوشن عن منصبهِ ولاسيّما اذ راى ان اعوان ندّهِ قد استفحلوا على حزبهِ وقصدوا رفع دعواهم الى الملك . فطلب الراحة وتفرّغ لمهنة الكتابة واستتبّ الامر لاثناسيوس وهو عائش * وكان اصل اسباب هذه النزاعات انتخاب البطاركة ورسامتهم دون حضور المفريان الذي كان لهُ الحق الأوّلي بذلك بمقتضى القوانين (عب ١ : ٤٢٥ . س ٢ : ٤٥٤ - ٤٥٥) *

الفصل الخامس

في اضطهاد الروم لاثناسيوس . وجدالهم مع اغناطيوس اسقف ملطيّة ابن اختهِ

لم يصفُ الجوّ لاثناسيوس بعد استعفاء يشوع الكاتب وانقطاع اسباب النزاع فان الغوائل لم تلبث ان آثارت عليهِ نار قلاقل واضطهادات اكثر جفاء * فان الخلقيدونيّين شرعوا من جديد يضطهدون اليعاقبة . فقُبض على البطريرك اثناسيوس ورفاقهِ الاساقفة وأُلقوا في السجن في دير الروم المعروف بمار ابدوخوس الواقع فوق ملطيّة . ثم ذهبوا بهِ الى القسطنطينيّة . ولمّا وصل عرتا قضى نحبهُ ثمّ . ونُقل جسدهُ الى دير مار هارون اسقف سنجار . ودُفن فيهِ . وكان ذلك سنة ١٠٦٤ م * ودبّر اثناسيوس كرسيهُ البطريركي خمس سنين ونصفًا . وأسام عشرين اسقفًا *

وكان منهم اغناطيوس ابن اختهِ . ورُسم على ملطيّة * وأُخذ هذا عُقَيب موت خالهِ الى القسطنطينيّة وجرى لهُ جدال طويل مع الروم . وبعد محاورات طويلة حكموا على اغناطيوس بالنفي الى جبل غانوس الواقع في مقدونيّة * قال ابن العبري : « ولبث ثلاث سنين في ضيقٍ شديد وعومِل اقبح معاملة . وقُهر لازدياد العار على فلاحة الحقول والكروم الى ان توفي الملك قسطنطين دوقا . فأُطلق الى حال سبيلهِ . وتمكّن من العود الى ملطيّة والجلوس على كرسيهِ » * وقال ايضاً : « كان رجلاً ماهرًا في اللغتين السريانيّة واليونانية نظير يعقوب الرهاوي وتوما الحرقليّ . ولم يكن بين معاصريهِ من ضاهاهُ في اتقان فن المنطق والنحو . وكان بسيط الاخلاق رحومًا محبًّا للفقر . يحبث

انهُ لم يكن يحوي في فلاّيتهِ شيئًا » انتهى (عب ا : ٤٤٢ – ٤٤٥) * وفي تلك الاثناء اعتنق الايمان الكاثوليكي بطرس ابن الطويل مطران عرقا وانحاز الى الخلقيدونيين نابذًا القول بالطبيعة الواحدة *

الفصل السادس

في اختيار يوحنا بر شوشن العاشر واخبار ايام رئاستهِ

عوّل الاساقفة اليعاقبة بعد موت اثناسيوس البطريرك على ان ينادوا بيوحنا برشوشن ذاك الذي كان نصبهُ بعض الاساقفة الشرقيين بطريركًا . وذلك رغبةً في استئصال شأفة الشقاق الذي كان نشأ على عهد اثناسيوس . ولاسيما لانهُ لم يكن على هذا الزمان من يضاهيهِ في الحكمة والمعارف البيعية والفصاحة وكان سالكًا باجتهاد في طريق الزهد والنسك ومحنكًا في السياسة البيعية * ولم يطاوع ارادة الاساقفة في بدء الامر واظهر تأسّفهُ لانهُ انقاد يومًا الى ارادة الاساقفة وحيلتهم واسيم بطريركًا حتى صار اصل شقاق جسيم في البيعة * اما الآباء والرهبان فالحّوا عليهِ . ولم يطلقوا سبيلهُ حتى اجاب الى سؤالهم * والتأم الاساقفة لاجراء انتخابهِ وتجليسهِ في دير مار ابحي الواقع على شاطئ الفرات . وكان ذلك سنة ١٠٦٤ م . وهو العاشر باسم يوحنا في سلسلة البطاركة اليعاقبة *

وبعد ان استتبَّ الامر ليوحنا عقد مجمعًا بحضور الاساقفة وسنَّ اربعة وعشرين قانونًا . وامر ان تحفظ من الاساقفة طرًّا * فلما قُرئت عَلَنًا اغتاظ الناس الماكرون . اما الانقياء فاستبشروا لها فرحًا . وعزل خمسةً من الاساقفة الذين سقطوا في هوّة الشهوات . واقام مكانهم رجالاً فاضلين مجرَّبين * ولم

يغيّر يوحنا عوائدهُ بعد ان ارتقى الى السدّة البطريركية بل كان ينهك جسدهُ بالسهر والاصوام والصلوة متمسّكًا بطريقتهِ الاولى الرهبانية . قال ابن العبري : « وكان يمشي في الطريق مترجّلاً . فاذا احسَّ بالتعب ومشقّة الطريق كان يستريح قليلاً فوق حمارٍ كان ياخذهُ صحبتهُ . اما في بقية الزمان فكان يامر ان يركب عليهِ من كان ضعيفًا وتعبان من الرهبان المرافقين لهُ . ولما كان يسير الطوباوي معهم كان يتكلّم معهم ويؤانسهم ببشاشة وتواضع القلب . ولم يكن يكلّ من التاليف حتى في اوان راحة الطريق... » وعليهِ فقد شحن العالم برسائلهِ وتنبيهاتهِ المنمّقة عذوبةً » ومن تصانيفهِ نافورة او قداس مبدأهُ ܡܠܟܐ ܕܫܘܒܚܐ . وكتاب دافع فيهِ عن طقس بني طائفتهِ ضد القبط في شان خلط الملح والزيت في الخبز الاوخارستي . ورسالة مجمعية الى كريستودول بطريرك القبط الاسكندري . ورسالة طويلة ضد الارمن . واربع قصائد في خراب ملطية وغيرها * وتفرَّغ لدرس ميامر مار افرام ومار اسحق وجمعها في كتاب واحدٍ خطّهُ بيدهِ في ايام شيخوختهِ *

وقام باعباء منصبهِ البطريركي تسع سنين وبعد ان اسام سبعة عشر اسقفًا قضى نحبهُ سنة ١٠٧٢ في آمد حيث اقام سلفاؤهُ كرسيهم هربًا من دسائس الروم . ودُفن في بيعة والدة الاله في جرنٍ مرمري بقرب مدفن يوحنا البطريرك معلمهِ (عب ا : ٤٤٥ – ٤٤٩ . س ٣ : ٢٥٥ . مق ١٥١) *

الفصل السابع

في ملخص ترجمة باسيليوس ويوحنا الحادي عشر البطريركين

كان الاساقفة قد اجتمعوا في حصن منصور للاختيار وبعد خوضٍ طويل

لم يتفقوا فيما بينهم . فآل الامر بهم الى ان يكتبوا اسم عبدون رئيس دير برجاجي. وكان من عائلة برعبدون البطريرك المار الكلام عنهُ وكان رجلاً ماهرًا بالعلوم ذا اخلاق فاضلة. واسم باسيليوس الراهب وكيل دير برصوما واقترعوا عليهما * فخرج اسم باسيليوس . ففرح بهِ الاساقفة . لان عبدون كان متجرّفًا ولم يرُق اختيارهُ باعين كثيرين * ولم يطاوع باسيليوس ارادة المنتخبين بل ابى لشدَّة تواضعهِ . وبلغ الى ان يقطع لحيتهُ رغبةً في الاستقالة عن هذا المنصب السامي . فلم يتركهُ الاساقفة حتى قهروهُ على قبول السيامة بوضع يد اثناسيوس اسقف الرها . وجرت حفلة تجليسهِ في حصن منصور في كانون الاوَّل من سنة ١٠٧٤ م *

ودبّر كرسيهُ سنةً ونصفًا . وتوفي في ميافرقين بعد ان اسام يوحنا الراهب من دير قرطمين مفريانًا للمشرق وستّة اساقفة . وكان منهم عبدون الذي كان ينازعهُ المنصب البطريركي في الاقتراع ونصبهُ مطرانًا على سيمندو *

وخلف باسيليوس على الكرسي البطركية يوحنا مطران سيمندو المار ذكرهُ * ولم يجرِ سيامتهُ برضى كل الاساقفة واختيارهم . فانهُ لما اجتمع الاساقفة للاختيار اوعز شمعون اسقف خيشوم واثناسيوس اسقف شميشاط الى سائر الاساقفة ان يختاروا يوحنا عبدون لان الرئاسة كانت حقيقةً بهِ . واثبتا ان اسمهُ كان قد اخفاهُ رئيس المجمع بغضةً بهِ في الانتخاب السابق الذي جرى بالاقتراع . وكان رئيس المجمع قد قضى نحبهُ * فلم يُصدّق بقية الاساقفة كلامهما وصمّموا على رفض اختيار يوحنا عبدون تنفّرًا من كبريائهِ * قال ابن العبري : « بعد ان راى عبدون نفسهُ مهجورًا . آل بهِ الأمر ان يطرح عن قلبهِ

خوف الله . واطبق خاتم الحرص على قلب فلرطس قائد الجيش الارمني واستدرجهُ بالرشوات * فقبض هذا على عشرة من الاساقفة من نواحي ملطية وغيرها . وقهرهم على إسامة عبدون بطريركًا * ثم اعطى كلٌّ من الاساقفة فلرطس مائة دينارًا رغبةً في التخلّص من يديهِ والاستقلال من رئاسة عبدون غير الشرعي * وعاش عبدون في عهد البطاركة الاربعة الى زمان ابي الفرج واسام اربعة اساقفة ومنهم خوربزا الذي اعتنق الإسلام في آمد » انتهى . (عب ١ : ٤٥٠ - ٤٥٣ . س ٢ : ٣٥٦ - ٣٥٧) *

الفصل الثامن

في رئاسة ديونيسيوس الخامس ويوحنا الثاني عشر البطريركين

لما اراد آباء اليعاقبة يختاروا خليفةً لباسيليوس بعد ان اختلس يوحنا اسقف سيمندو الكرسي اجتمعوا بعد عدة شهور في دير برصوما الكائن في ملطية واختاروا رئيسهُ لعازر * اما هذا فأبى بالكلية واستحلف الاساقفة ان يتركوهُ في حال سبيلهِ خوفًا من السقوط في الحرم الذي ضرب بهِ يوحنا عبدون مَن يَختار ويُختار على عهدهِ بطريركًا * فلم يقبلوا عُذرهُ . ورغبةً في الذبّ عن حمى الحقّ والقوانين البيعية وكسر سَورة عبدون الذي قصد الجَوْر على البيعة اليعقوبية آثروا الخضوع لسيف الحرم لو صحَّ تصويبهُ بهم * وكان باسيليوس معروفًا لدى الأُمراء وفلرطس الارمني قائد الجيش . فقهروهُ على قبول المنصب البطريركي * وجرى تكريسهُ بطريركًا يوم الجمعة السابقة لاحد السعانين سنة ١٠٧٧ م . واسامهُ يوحنا الرابع المفريان

ودُعي ديونيسيوس وهو الخامس بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * ولم يعش ديونيسيوس زمانًا طويلاً بعد ارتقائهِ الى المنصب البطريركي فانهُ في الخميس التابع لحفلة سياميذ الذي هو خميس الاسرار سألهُ الاساقفة ان يكرّس الاسرار . فلم يقدر لان ذراعهُ كانت قد جفّت . وعاش بعد ذلك نحو سنةٍ . ولم يسِمِ احدًا في الدرجة الاسقفية . وتوفي يوم الاحد من شهر كانون الاوّل في حصن منصور سنة ١٠٧٨ م . ودُفن في بيعة مار ثيودور . وفرغ الكرسي بعدهُ نحو ثماني سنين *

ولمّا صفا الجوّ ليوحنا عبدون البطريرك الدخيل بعد موت ديونيسيوس ومدة فراغ الكرسي سعى في منع الاساقفة من اختيار بطريرك جديد ليتسنى لهُ هو وحدهُ الاستيلاء على الكرسي دون منازع . وخَبَطَ خبْط عشواء في التصرّف البيعيّ . وبلغ الى هذا الحدّ من الجسارة والتعجرف حتى انهُ نهب البيع تدميرًا للاساقفة الذين كانوا يقاومون بأسهُ *

اما الاساقفة فلمّا شاهدوا طائفتهم تئنّ تحت نير هذا اللّص الشقي اخذتهم النخوة والغيرة على بيت الله واجتمعوا في ملطية وعزلوهُ بمثابة هرطوقي * واختاروا بطريركًا في فرصة التئامهم هذا يوحنا الذي كان قد ترهب في اكواخ ناحية كرشنا بقرب منبج . وكان متواضعًا حليمًا خالص السيرة . واسامهُ اغناطيوس اسقف ملطية سنة ١٠٨٦ م . وهو الثاني عشر باسم يوحنا في سلسلة البطاركة اليعاقبة * وقام باعباء منصبهِ سنةً ونصفًا . واسام خمسة اساقفة وقضى نحبهُ سنة ١٠٨٨ م ودفن في دير البارد (س ٢ : ٣٥٧ . عب ١ : ٤٥٢ - ٤٥٧) *

الفصل التاسع

في الشقاق الذي اثارهُ يوحنا عبدون ومرقس رئيس دير بارد في الطائفة اليعقوبية رغبةً في الرئاسة . وقبول مرقس وهو ديونيسيوس السادس بطريركًا

لم يكفَّ يوحنا عبدون البطريرك اللصّ من إثارة الشقاق بين اليعاقبة تنازعًا على الرئاسة بل شرع من جديد بعد وفاة يوحنا البطريرك في إحداث القلاقل والفتن . وشدّ على عَضُدِهِ بعض الناس السخيفي العقول الذين اغواهم بمكايدهِ وتلفيقاتهِ الخبيثة * فكانوا يشيعون ان انتخاب عبدون هو من الله . لان البطاركة الذين نُصبوا في عهدهِ لم يتهنأوا في كرسيهم بل تصرّم اجلهم عاجلاً . وكان عبدون بغلاظة عقلهِ يبث بين الناس أوراقًا مكتوبًا فيها « تركوني انا ينبوع ماء الحيوة واحتفروا لانفسهم آبارًا آبارًا مشقّقة لا تحوي ماء » (ارميا ٢ : ١٢) * وبلغت جسارتهُ بعد ان عُزل الى حدّ ان يُسيم اربعة اساقفة طَلَبًا لتمادي الشقاق . وأضرم البلاد بسوء سيرتهِ نارًا . ووصل اليعاقبة الى درجةٍ من الضيق لا يُطاق احتمالها . وآل الامر بكثير منهم الى قطع الرجاء ونقصٍ في الايمان *

وممن زاد حال الطائفة اليعقوبية شرًّا مرقس رئيس دير البارد . فانهُ لمّا راى الخراب والاضطراب عاملَين فيها من جراء عبدون . والنظام مقلوبًا والقوانين البيعية تحت الارجل مدوسة زيّنت لهُ نفسهُ ان يعتو هو ايضًا فيها مفسدًا استئثارًا بالرئاسة * وكان ذا غنى وثروة عظيمة . فأتى فلرطس المار ذكرهُ مستنجدًا اياهُ على نيل الرئاسة وسلّمهُ ثلاثة آلاف دينار . الفين من كيسهِ

والفًا من ديره * فاستدعى فارطس اثنين من الاساقفة ٠ وقهرهما على اسامته بطريركًا ودُعي ديونيسيوس ٠ وجرى ذلك سنة ١٠٨٢ م * اما راي سائر الاساقفة في شان عبدون ومرقس رئيس الدير ٠ فانهم رفضوا رئاستهما وصرحوا بان سيامتهما هو غير شرعي لانهما اختلسا الكرسي قهرًا ٠ وابثت الطائفة تئنّ على هذه الحال تحت نير الاطماع والشقاق والاضطراب والقلاقل والنزاعات الداخلية ستّ سنين كاملة *

ولم يبقَ الامر على هذه الحال السيئة فان اساقفة الطائفة راوا ان يختاروا من الشرّين الأهون ٠ وقبلوا مرقس وهو ديونيسيوس ونادوا بهِ بطريركًا لئلّا يتسلّط عليهم عبدون اللصّ * وجرى ذلك باقناع يوحنا الرابع المفريان الذي وهب له البطريرك ابرشية نصيبين مكافأةً لسعيهِ ٠ فصارت هذه الابرشية الواسعة منذ هذا العهد عائدةً الى ولاية مفريان المشرق *

ولم يتمتّع ديونيسيوس بالرئاسة بعد ان قُبل بطريركًا على الطائفة ٠ ودبّر كرسيه بعدئذٍ سنةً وسبعة اشهر فقط ٠ وبعد ان اسام عشرة اساقفة توفي سنة ١٠٩٠ م ٠ ودفن في دير الزرنوق الواقع في كورة انطاكية الذي تسلّط عليهِ الارمن في القرن الرابع عشر (عب ٠ س ٠ ثه ٠ مق ١٥٢) *

الفصل العاشر

في جلوس اثناسيوس الرهاوي على كرسي تكريت والمشرق

عوّل اليعاقبة الشرقيّون بعد إسلام اغناطيوس برقيقي المفريان وفراغ كرسيهم احدى عشرة سنة على ان ينفذوا الى بلاد المغرب سفيرَين

من قبلهم ليختار لهم البطريرك شخصًا جديرًا بالرئاسة عليهم ويسيمهُ * ولمّا وصل السفيران ملطية حيث كان البطريرك مقيمًا وقع الاختيار على شماس يُعرَف بعبد المسيح ٠ وكان ذا آداب شريفة فاضلًا بالتقوى ذكيًّا غنيًّا بالمعارف من الرها ٠ ولذلك يُعرَف بالرهاوي ايضًا ٠ فاتيا بهِ الى يوحنا برعبدون البطريرك ٠ وكان ذلك قبل ان يُستدعى الى القسطنطينيّة * فلمّا امتحن اعتقادهُ وجدهُ لائقًا بالمنصب المفرياني ٠ فاسامهُ قسيسًا ثم مفريانًا على تكريت والمشرق سنة ١٠٢٧ م ولقّبهُ اثناسيوس ٠ فقبلهُ المشرقيّون بعزٍّ وتوقيرٍ ٠ وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة المفريانات *

وفي هذه الاثناء نشأ بين اثناسيوس المفريان وديونيسيوس يحيى البطريرك نزاع طويل ٠ لانهُ كان قد رُسم باتفاق اساقفة المغرب والمشرق اليعاقبة ان لا يُسام المفريان الّا على يد البطريرك ٠ ولا هذا الّا على يد ذاك كما مرّ الكلام ٠ الّا ان ديونيسيوس البطريرك لم يكن قد أُختير وأُسيم بحضور اثناسيوس المفريان ورضاهُ جريًا على العادة ٠ لان اليعاقبة الغربيّين لم يتمكّنوا من استدعاء المفريان او اطلاعهِ خوفًا من الروم مضطهديهم ٠ فاغتاظ المفريان مدّعيًا ان ذلك جرى مكابرةً عليهِ ٠ وابطل الكرازة باسم البطريرك في المشرق ٠ وانقطعت صِلات الاتّفاق بين يعاقبة المشرق والمغرب ٠ ومع كل الذرائع التي اتّخذت لعقد وصال الاتحاد لم ينقَد المفريان الى الكرازة باسم البطريرك *

فعوّل البطريرك يحيى ليستميل المفريان الى المهادنة والصلح على ان يبين تواضعًا يفوق كل وصف ٠ فانهُ خرج من بلاد الروم واتى آمد ٠ ثم

تردّى ثيابًا سودًا وقصد طور عابدين بزيّ راهب غريب حتى وصل تكريت *
قال ابن العبري: « فدخل (البطريرك بهذا الزيّ) الى بيعة تكريت واستمرّ فيها زمانًا * فاقتبله المفريان . وسأله من انت ومن اين اتيت . فاخبره انه راهب غريب من اقليم جيحان يتوق الى مشاهدة وزيارة بيع المشرق واديرتها * ولبث ثمّ نحو شهر منعكفًا على التراتيل والخدم الكهنوتية . فاحبّه المفريان جدًّا . ولاسيما اذ عاين حلمه وتواضعه . ونعمة الروح التي أُفيضت عليه * وكانت ابرشية العرب في تلك الغضون قد ترمّلت بموت راعيها . فعوّل المفريان على نصبه اسقفًا عليها . فأبى متمنّعًا . فاستحلفه المفريان ان يقبل هذا المنصب . اما هو فلم يزدد الّا إباءً * ولمّا أصرّ قيّده بالحرم وصرّح له انه ان يحلّه حتى ينقاد الى طلبه » انتهى * فعوّل البطريرك يحيى إذ لم يقدر على تحمّل صرامة هذه المعاملة القاسية على ان يُبيّن نفسه قائلاً: انا هو يحيى تلميذك الذي نصبني الغربيّون بطريركًا بدون رضاهم . وقد اتيتُ اليك لتصلّي عليّ . وانا مستعدّ لاجراء ما تامرني به » * اما ما كان من المفريان لمّا سمع هذا الكلام فانه اخذته الحيرة والاندهاش ولبث مختطفًا غائبًا عن وعيه * وبعد ان تيقّن صدق مقاله وعرفه رفع صوته باكيًا . وجثا على ركبتي البطريرك . وقبض على رجله اليمنى ليقبّلها طالبًا العفو منه *

وادّى المفريان حقّ الحرمة والمروءة بل المعروف للبطريرك مكافاةً لتواضعه فانه امر حالاً ان يُلبس ثيابًا لائقة ثم تهيأ للسفر . وقصد دير جبرائيل اسقف قرطمين . ويوحنا اسقف طورعابدين الذي كان حثّه الترأس على مجمع الانتخاب . وكان هذا قد امتنع ايضًا عن الكرازة باسم

البطريرك لان الاساقفة لم يدعوهُ الى السياميذ * فسعى المفريان بمصالحته مع البطريرك ومن يومئذٍ شرع بالكرازة باسمه * وبعد ان قضى المفريان هذه المهمّة على احسن منوال ودّع البطريرك . وعاد الى تكريت *

ودبّر اثناسيوس الرهاوي كرسي تكريت اربع عشرة سنة . وبعد ان اسام تسعة اساقفة توفي في شيخوخة كاملة سنة ١٠٤١ م وفرغ الكرسي بعده خمس سنين (عب ٢ : ٢٩١ - ٢٩٧ . س ٢ : ٤٤٧ . مق ١٦٤) *

الفصل الحادي عشر

في ملخص ترجمة باسيليوس التكريتي واخبار ايامه

بعد موت اثناسيوس المفريان توفي ايضًا ديونيسيوس البطريرك المعروف بيحيى . فاصبحت كنيسة اليعاقبة في المشرق والمغرب مترمّلة من راعيها * وهذا كان سبب فراغ الكرسي التكريتي * ولما تاخر الغربيون عن اختيار بطريرك جديد راى اليعاقبة الشرقيون ان يجمع اساقفتهم . واختاروا باسيليوس بن قباد التكريتي واساموهُ مفريانًا سنة ١٠٤٦ م * وهو الرابع بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . وعليه لم يستدع الغربيون المفريان للحضور الى اختيار وسياميذ يوحنا التاسع البطريرك لان الشرقيين لم ينتظروا الى ان يُختار البطريرك ليُسيم لهم المفريان بل استعجلوا في نصبه. فساء الغربيين ذلك * وبعد ان تعاظم النزاع والحقد جرى الاتفاق على عقد عهد الصلح بين اليعاقبة الغربيين والشرقيين وانفذ يوحنا التاسع البطريرك سفراءهُ ومكاتيبهُ الى المفريان وطيّب خاطره فلما راى المفريان كرم اخلاق البطريرك ووسع عريكته رحل بنفسه ليعرض له امارات

الخضوع والطاعة * فلما بلغ ذلك مسامع البطريرك وهو في آمد خرج لملاقاة المفريان الى الجزيرة العمرية . فتعانقا وتصالحا وعقدا عهد الاتحاد وأبداهُ بالقوانين الرسمية التي امضياها وحرما من يتجاوزها في المستقبل . ففرح اليعاقبة في المشرق والمغرب * وهذه القوانين التي سنّها البطريرك والمفريان كانت مبنيّة على الشروط التي كانت قد تقررت بين ثيودور البطريرك ودنحا الاول خليفة ماروثا المفريان اي ان لا يُقام المفريان بدون البطريرك ولا هذا بدون ذلك *

وقام باسيليوس المفريان باعباء منصبهِ ثلاثاً وعشرين سنةً . وتوفي سنة ١٠٦٩ م . وفرغ كرسي تكريت بعده ستّ سنين (عب ٢ : ٢٩٧ . س ٢ : ٤٤٧) *

الفصل الثاني عشر

في اختيار يوحنا الرابع المفريان واخبار رئاستهِ

كان سبب فراغ كرسي تكريت ستّ سنين العهد المار ذكره الذي عُقد بين المشرق والمغرب اي ان لا يقام المفريان بدون البطريرك * فلما اختير باسيليوس البطريرك سنة ١٠٧٤ م سعى في استمالة التكريتيين برسائل ابوية . وكان قد بلغهم صيت علمهِ وصلاحهِ . فرحل وفدٌ منهم الى دير مار جبرائيل او هو دير قرطمين حيث كان البطريرك مقيماً ليتولى امر انتخاب المفريان وسياميته * واختير مفرياناً صليبا الراهب من دير مار جبرائيل نفسهِ . وكان من قرية سويرين الواقعة في طورعابدين . وكان رجلاً تقياً ذا علم فائق محنكاً بامور السياسة والعوائد البيعية . فاسامهُ سنة ١٠٧٥ م ولقّبهُ يوحنا . وهو الرابع في سلسلة المفريانات بهذا الاسم *

واما التدابير التي اتخذها البطريرك والمفريان في هذه الفرصة فهي انهما اضافا ابرشية نصيبين الى ولاية المفريان . وأثبتا العهد المار ذكره بين المشرق والمغرب اي ان لا يجسر الغربيون ان يقيموا بطريركاً بدون حضور المفريان ورضاهُ * ثم خرجا من دير قرطمين . وتوجه البطريرك الى حاح . والمفريان الى الموصل * وفي تلك الليلة نفسها اختلس السُرّاق امتعة هيكل دير قرطمين *

واقتبل اليعاقبة المفريان في الموصل وتكريت وبغداد بكلّ عزّ وابّهة . وصعد المفريان الى دير مار متى . واسام عليهِ طيماثاوس المعروف بسوغدي مطراناً * ثم قصد تكريت . فخرج التكريتيون لاستقبالهِ وادخلوهُ المدينة باحتفال * اما العرب فلم تحمل اعينهم هذه شعائر الشرف . واخذهم الحسد فشرعوا يرشقون المفريان بالحجارة وبالكدّ استطاع ان ينجو بنفسهِ ويلتجيء الى هيكل مار احودمي * ثم نزل بعد قليل الى بغداد وكان البغداديون قد الحّوا عليهِ ان يقدم اليهم لافتقاد جماعتهِ وتدبير شؤونها ثمة * وفي الاحد الاول من وصولهِ نهب السراق الهيكل الكبير الذي قرّب فيهِ القربان . فخاف المفريان على نفسهِ وعاد الى تكريت بعد قليل *

ولم يبقَ المفريان مشكور السيرة والسريرة فانهُ تغير وتظاهر بالصلف والعُجب بنفسهِ وشرع يبيع الحلل البيعية ويتردّى الثياب الفاخرة ويهيّء الموائد ويدعو امراء العرب اليها * فصار الشعب في تكريت يتمقم عليهِ * ولتهاونهِ في تدبير البيعة باد ما كان في تكريت جيلاً فاخراً من الآثار . وهدم حاكم تكريت بيعة القديسين سركيس وباخوس المبنية على القلعة فوق قمة جبل عالي *

وفي هذه الاثناء اتى الى تكريت ديونيسيوس مرقس رئيس دير البارد الذي اختير بطريركًا واستغاث بالمفريان ليتوسّط له لدى الاساقفة الذين بدون رضاهم اسيم بطريركًا . فاجاب اليهِ المفريان ورافقهُ الى ملطية هو وبعض اساقفته وعقدوا مجمعًا حضر فيه ايضًا اساقفة المغرب واسقطوا عبدون البطريرك اللصّي وابدوا بطريركيّة ديونيسيوس * فاستتبّ له الامر واقام كرسيّهُ في دير الزرنوخ القريب من ملطية الى ان توفي *

ولمّا خلف اثناسيوس ديونيسيوس البطريرك المار ذكره شرع عبدون البطريرك المتمرّد يضطهده ويؤذيهِ * فاقتضى الامر تحصيل براءة من الخليفة لاستعراف حقوقهِ وسلطتهِ البطريركيّة . فلمّا بلغ اثناسيوس الموصل كان يتوقع من رهبان دير مار متى ان يخرجوا لاستقبالهِ ويُظهروا له امارات عزّ وتوقير . فلم يكن الامر على ما امّلهُ منهم * فشقّ ذلك على البطريرك وعرّج الى تكريت فاكرم يوحنا المفريان مثواهُ ونزل صحبتهُ الى بغداد وسعيا بنيل البراءة المُشعرة باستعراف حقوقهِ وبالزام العُمّال المسلمين ان يحاموهُ ويشدّوا على عضده في اتمام مهامّهِ الدينيّة * وبعد نيل البراءة جرى استقبال البطريرك بكلّ ابّهة ولم يجرِ ادنى تقصير في الاحتفاء والالطاف بهِ وقدّم له وجوه تكريت هدايا فاخرة * ولما بلغ الموصل خرج رهبان دير مار متى لاستقبالهِ طالبين ان يصعد الى ديرهم . فلم يعبأ بهم اذ خطر على بالهِ كيف ساموهُ الخسف اوّل مرة . بل تهدّدهم بقطع الزيارات الراعويّة لهم *

والمّت بيعاقبة تكريت على عهد يوحنا المفريان نوائب كثيرة . من ذلك انه نهب بعض اشرار العرب سنة ١٠٨٩ م بيعة مار احودمّي المعروفة

بمخرتثا التي هي البيعة الاوّليّة في تكريت واستولوا على كل املاكها وحللها . فلم يستفد المفريان من كل الولائم الفاخرة التي كان قد اعدّها لاستمالة امراء العرب الى المصادقة معهُ * وانفتحت على اهل تكريت رعيّتهِ ابواب الظلم والتدمير وصرعتهم النوائب وقُدحوا بالكُلف الباهظة وأكبّ عليهم الدهر . فتشتتوا ايادي سبا في البلاد * فلما حصل المفريان في هذه الشدائد عوّل على هجر تكريت واتى الموصل واقام فيها *

وساس يوحنا المفريان كرسي المشرق احدى وثلاثين سنة . واقام في بيعة تكريت المعروفة بمار زينا قبل ان يرحل الى الموصل سبع عشرة سنة . وقضى نحبهُ يوم الجمعة الواقع في ٢ اذار من سنة ١١٠٦ م ونقل جسدهُ الى تكريت ودُفن في تلك البيعة . (عب ٢ : ٣٠٢ . س ٢ : ٤٤٨ مق ١٦٥) *

الفصل الثالث عشر

في المؤلّفين اليعاقبة الذين ازهروا في القرن الحادي عشر

اشتهر من مؤلّفي اليعاقبة على عهد يوحنا الثامن البطريرك واغناطيوس الاوّل المفريان (١) ابو علي عيسى . وُلد في بغداد سنة ٩٤٢ م . قال عنهُ ابن العبري في تاريخ الدول « وفي سنة ثماني وتسعين وثلثمائة (١٠٠٧ م) توفي ابو علي عيسى بن زرعة النصراني اليعقوبي المنطقي ببغداد وهو احد المتقدّمين في علم المنطق والفلسفة واحد النقلة المجيدين . وله تصانيف مذكورة ونقول من السرياني الى العربي » انتهى * والّف خمسة كتب في المنطق والطبّ في السريانيّة ونقل ستة من السريانيّة الى العربيّة *

(٢) ابراهيم ابو اسحق بن زرعا تلميذ يحيى بن عدي المار ذكره آنفاً . ولعلّه هو ابراهيم بن بكوس الذي ذكره ابن العبري في آخر الدولة الخامسة من تاريخ الدول . ونقل كتاب ثاوفرسطس في الحس والمحسوس واسباب النبات من السرياني الى العربي * وذكر ابو البركات تصانيفه العربية في كتابهِ المعروف بايضاح الفروض . وهي بحث في حقيقة النصرانية وبطلان اليهودية . وفي التثليث والتوحيد . وفي ان اليعاقبة لا ينسبون الآلام الى طبيعة الابن . واربعة مباحث في الاتحاد والتجسد . وجواب على كتاب ابي القاسم البلخيّ الذي طعن بالنصرانية . وكتاب باسم يحيى معلّمهِ في الذهن والعقل . وجواب على مسائل ابي حليم بحيرا الميافرقي *

(٣) يوحنا مارون اليعقوبي الذي بعد ان تولى امر دير جاجي الواقع بقرب ملطية من سنة ١٠٠١ الى ١٠١٣ م فرّ الى دير هرون في جبل الرها . وتوفي ثمَّ بعد اربع سنين * ولهُ تفاسير في سفر الحكمة . س ٢ : ٣١١ و٤٤٤ و٢٨٣ و٣٥١ .

وفي عهد يوحنا الثامن البطريرك واثناسيوس المفريان ازهر يحيا ابو نصر بن الحريري التكريتي نحو سنة ١٠٤٠ م . ولهُ كتاب لقّبهُ بأصول النصرانية وفيهِ بحث عن صفات الله والتجسد وشِيَع النصارى الثلاث اعني اليعقوبية والنسطورية والملكية . وعن الختان والكنيسة والقيامة والكهنوت والمعاد والصلوة س ٢ : ٣٠٩

وممّن ازهر على عهد يوحنا العاشر المعروف ببر شوشن البطريرك وباسيليوس الرابع المفريان حبيب التكريتي . ولهُ رسالة الى النصارى العرب وغيرهم في سرّ الثالوث الاقدس . وبني عليها يوحنا برشوشن في رسالتهِ المجمعية التي كتبها الى كريستودول البطريرك الاسكندري (س ٢ : ١٥٤ . مق . ثمه) *

الباب التاسع عشر

في تواريخ المشارقة النساطرة في القرن الثاني عشر ومبادىء الثالث عشر اعني من زمان ايليا الثاني الى زمان سبريشوع بن قيوما (١١١١ - ١٢٢٥)

الفصل الاوّل

في اختيار ايليا الثاني واخبار ايام رئاستهِ

خلف مكيخا الاول الجاثليق في كرسي المدائن ايليا الثاني في سلسلة الجثالقة النساطرة ويعرف بابن المقلي من اهل الموصل * وكان شيخاً فاضلاً ذا تقوى وعلم . وصار مطراناً على الموصل واربل * ولما حضر الآباء للاختيار توفّق له الراي العام . فأُسيم على الرسم في المدائن يوم الاحد الثالث بعد القيامة في ٦ نيسان سنة ١١١١ في خلافة المستظهر . وكان السابوم سبريشوع مطران نصيبين * وقد وصف لنا الاحتفال الذي كان يجريهِ عادةً النساطرة لاستقبال الجاثليق الجديد عمرو الطيرهاني في ترجمة هذا ايليا قال: « وكان يوماً مشهوراً وجرت الامور في الاسابيذ وغيره من الاحتفالات على السداد . ثم انحدر الى دورقُنى وخرج الكهنة والاسكولائيون من دير مار ماري الرسول واستقبلوهُ بالصليب والانجيل والشموع والبخور والصلوة * وفُرشت الطرق امامهُ كجاري العادة بالبُسُط والثياب وعمل النبال . ثم قصد دير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي وتقبّل بهِ . وعاد بالجموع صاعداً الى بغداد وجلس بالثلاثة بدير الروم » انتهى *

ونحو سنة ١١٢٩ أُرسل في عهد ايليا الثاني البطريرك الى ملبار يوحنا الثاني بهذا الاسم بين اساقفتها واعطي اسقفين آخرين معاونين له . وهما مار دوا الذي تولى جزيرة سوقطرا ومار توما الذي قصد بلاد الخطا او الصين ليسوس اهلها النصارى . اما يوحنا فاقام كرسيَّهُ المطراني في فرانقانور (طالع لكيان ٢ : ١٢٧٥ - ١٢٧٦ . وهو يذكر في هذا المحل نفسهِ يوحنا آخر وهو الثالث بهذا الاسم يسمّى بطريرك الهند . وروى عنهُ انهُ قصد القسطنطينية في عهد قاليستس الثاني الحبر الاعظم ليقتبل الباليون وتواجه فيها مع سفراء البابا ورحل معهم الى رومية وفي معرض خطابهِ امام البابا في مجمع الكرادلة قال انهُ مقيم في كنيسة الهند حيث يوحنا جسد مار توما الرسول محفوظًا دون فساد (ش ج ٥٨٤ - ٥٨٥) *

ودبّر ايليا مصالح طائفتهِ تدبيرًا حسنًا . وكان لهُ اليد الطولى في التدبير وحكم بالحق والنصفة بين القوي والضعيف والغني والفقير . ووفّق الامور على اصول العدل * وتولّى كرسيَّهُ عشرين سنة وبضعة اشهر . وتوفي سَحَر السبت في ١٧ تشرين الاول من سنة ١١٣١ م . ودُفن بدار الروم في صدر البيت عند الباصلوث في بيعة السيدة الى جانب عمانوئيل البطريرك . وفرغ الكرسي بعدهُ نحو سنةٍ (ص . س ٢ : ٤٤٩) . ولا اعلم كيف اهمل ترجمة ابن العبري جاعلًا برصوما خليفةً لمكيخا (عب ٢ : ٣٣٧) *

الفصل الثاني

في اخبار رئاسة برصوما الجاثليق

كان برصوما من بلد الجزيرة الزبدية من اعمال نصيبين . وصار اسقفًا على ثمانين * ولما اجتمع الآباء اجمع رايهم على اختيار برصوما . واسيم على الترتيب في المدائن في خلافة المسترشد بالله في الاحد الثاني من القيظ في ٥ آب من سنة ١١٣٣ م *

وانتشرت النصرانية في بدء القرن الثاني عشر الى سرخس ونواحي البلاد الشرقية الداخلية التي تُسمّى خراسان . واسام لها برصوما يوحنا الاسقف * وهذا دليل على ان النصارى كانوا قد كثروا جدًّا في هذه البلاد حتى اقتضى الامر نصب كرسي اسقفيّ فيها *

وقضى برصوما زمان رئاستهِ في الضيقات والمرائر بسبب صروف الزمان وتقلّبات الدُول والاتاوات الباهظة المرسومة على النصارى تبعتهِ . وكان يطلب الى الله ان يقصّر حياتهُ . فجرى الامر كذلك * وكانت مدة رئاستهِ سنةً وخمسة اشهر وعشرين يومًا . وتوفي في ١١ كانون الثاني سنة ١١٣٥ م . ودُفن ببيعة مار سبريشوع الجاثليق في الجانب الشرقي من مدينة بغداد * وهو اوّل جاثليق قُبر فيها . وفرغ الكرسي بعدهُ سنتين . (ص . عب ٢ : ٣٣٧ . س ٢ : ٤٥٠) *

الفصل الثالث

في ترجمة عبديشوع الثالث واخبار ايامهِ

كان عبديشوع من اهل الموصل ويُعرَف بابن المقلي وكان ابن اخي ايليا الثاني المار الكلام عنهُ. وكان هاديًا مشكور السيرة والسريرة. واشتهر بالعلم والفضل حتى أُسيم مطرانًا على باجرمي * ولما اجتمع الآباء للاختيار قرّ رأيهم على نصب عبديشوع. فاسامهُ يوحنا مطران نصيبين ابن عمّهِ وعليهِ بيرون ازرق في ١٢ تشرين الثاني من سنة ١١٣٨ م في خلافة المقتفي بالله. وعبديشوع هو الثالث بهذا الاسم في سلسلة الفطاركة المشارقة *

وكانت امارات التوقير والاحتفاء التي اراد الخليفة اجراءها في فرصة سيامتهِ في غاية الابهة. فانهُ لما ذهب بهِ الآباء في يوم اختيارهِ كان يتبعهم جمهور لا يحصى من النصارى الى باب القصر (وهو حجر اسود أُتي بهِ من مكّة) ودخلوا بهِ الى ديوان الخليفة. فسلّم وزيره شرف الدين الى عبديشوع براءة. ومنحهُ من جملة الهدايا حُلّة ثمينة * وامر ان يركب بغلة. وكان يصحبهُ جمهور من المؤمنين ورافقهُ ابو الكرامة الهاشم رئيس الجنود وخدامهُ وكثير من العرب حتى وصلوا بهِ الى القلاية البطريركية * وكان ذلك شرفًا عظيمًا لم يحصل عليهِ غيرهُ من الجثالقة الذين سلفوهُ *

وجلس عبديشوع تسع سنين واثني عشر يومًا. وبعد ان دبّر الكرسي تدبيرًا حسنًا واقام بدار الروم وجدّد في القلاية ابنية جميلة استنفاح مصابًا بالفالج يوم الثلاثاء في ٢٥ تشرين الثاني من سنة ١١٤٧ م. وخلا الكرسي بعدهُ سبعة اشهر (ص. عب ٢ : ٣٢٧. س ٢ : ٤٥٠ *

الفصل الرابع

في ترجمة ايشوعياب واخبار ايامهِ

وخلف عبديشوع في كرسي المدائن يشوعياب. وكان من مدينة بلد. وتولى امر اسقفية الجزيرة الزبدية زمانًا * ولما اجتمع الآباء للاختيار قرّ رأيهم عليهِ. وجرى ذلك بسعي ابي منصور ابن الكاتب احد الاطباء البغداديّين. واسيم على الرسم في الاحد الثاني من تقديس البيعة سنة ١١٤٨ في خلافة المقتفي * وهو الخامس بهذا الاسم في سلسلة البطاركة المشارقة *

وقد وصف لنا اهم الوقائع التي جرت على عهدهِ عمرو الطيرهاني قال: «وفي ايامهِ غرقت بغداد ثلث دفعات ... واستشهد الشهداء الافرنج ودُفنوا في بيعة سوق الثلثاء قدام الباصلوث بين الكودين» انتهى * ولا ريب ان هؤلاء الافرنج هم الصليبيون الذين وصلوا الرها واستولوا عليها مع انها كانت من امنع الحصون. وكانوا قد توغلوا في بلاد المشرق وسكن جمعٌ كبيرٌ منهم في بغداد *

ودبّر يشوعياب كرسيهُ تدبيرًا حسنًا. وسعى في اصلاح شؤون بني طائفتهِ. واسام للكراسي المترمّلة نحو اربعين اسقفًا وتسعة مطارين. وينسب اليهِ عمرو الطيرهاني بعض المعجزات *

ودامت ايام رئاستهِ ستّ وعشرين سنةً وخمسة اشهر واياماً * وبلغ من العمر ثمان وتسعين سنةً. وجميع حواسهِ سالمة. وخدم الكهنوت سبعين سنة شماسًا وقسيسًا واسقفًا وبطركًا. وخلا الكرسي بعد موتهِ سبعة اشهر ونصفًا. وتوفي سنة ١١٧٥ م (ص. عب ٢ : ٣٢٩. س ٢ : ٤٥٠) *

الفصل الخامس

في اختيار ايليا الثالث البطريرك واخبار رئاسته

ايليا كان من اهل ميافرقين . ومنذ نعومة اظفاره تمهّر بالعلوم والآداب وفاق اهل زمانه * ويعرف بابي حليم . واسيم مطرانًا على نصيبين لشهرته وفضله * واتّفق راي الآباء على اختياره لانهُ لم يكن فيهم من يماثله علمًا وحكمةً وكرمًا وحسنًا وبلاغةً وفصاحةً * واسامهُ يوانيس مطران جنديسابور على الرسم بالمدائن وعليه بيرونٌ فستقيٌّ في خلافة المستضيء في الاحد الثالث من الدنح سنة ١١٧٦ م * وهو الثالث باسم ايليا في سلسلة البطاركة المشارقة *

وقد وصف لنا اشهر مآثره واعماله ومناقبه عمرو الطيرهاني قال « ولما عاد من المدائن الى القلاية بدار الروم . وراى أن قد استولى عليها الخراب شرع بعمارتها وعمارة البيعة ووفقهُ الله . وجرت الخيرات على يده . واسام جماعةً من المطارنة والاساقفة ... وجدّد بنيان مار ماري الرسول بدير قُنى وغيره من البيع والاديرة * وكان مع اوصافه الجميلة حَسَن الخلق والخليقة سخيًّا متلفًا للمال في عمل الخير مع الناس الضعفاء والمساكين ومع الاشرار الذين من غير دينه ومع الحكّام والمتولّين لاجل اقامة مال النصارى اجمعين * ومع ذلك كان مرتاضًا بالعلوم النحوية واللغوية والسريانية والعربية والعلوم الحكمية » انتهى *

ومن افخر تصانيفه الرسالة الكبيرة في اثبات الامانة والاعتقاد وصحة دين النصرانية . والخطب والمواعظ الكثيرة ولاسيما كتاب تراجيم الاعياد المارانية والذكارين . وكتاب التعزيات . وهي محلّاة بفصاحة عجيبة ومعاني دقيقة في اللغة العربية . ومنها الصلوات التي تتلى قبل صلاة الصبح لاعظم الاعياد

والذكارين وآحاد الصوم . ولهُ ايضًا مقالات ادبية وتوصيات في الخطبي . (س ٢ : ١ وجه ٢٨٧) *

ودبّر كرسي المدائن اربع عشرة سنةً وشهرين وتسعة عشر يومًا . وتوفي في الجمعة الثالثة من سابوع القيامة ودُفن في الباصلوث ببيعة سوق الثلاثاء في ٢ نيسان من سنة ١١٩٠ م . وفرغ الكرسي بعد موته ثلاثة اشهر (ص . عب ٢ : ٢٢٩ . س ٢ : ٤٥٠) *

قال عمرو الطيرهاني نقلًا عن ابي سعيد بن ابي جود تلميذ القلاية : لما جاء الآباء والرؤساء الى عيادته في اوان مرضه الذي توفي فيه اخذ ايليا يرثي نفسهُ ويعزّيهم وفي آخر ذلك كلّه . قال هذين البيتين :

اروني من يقوم لكم مقامي   اذا ما الامرُ جلّ عن الخطابِ
بمن تستصرخون اذا حُثيتم   بأنملكم عليّ من الترابِ

الفصل السادس

في اختيار يابالاها الثاني واخبار ايام رئاسته

ان يابالاها كان من الموصل ويعرف بابن قيوما وكان يدعى ايليا . وصار اوّلًا اسقفًا على ميافرقين . ثم رُفع الى مطرانية نصيبين . وروى عن اختياره ابن العبري: « انهُ لما راى ان الاساقفة ووجوه اهل بغداد لم يصادقوا على اختياره تعهّد للوالي ان يدفع سبعة آلاف دينار ذهبيٍّ على ان يسعى لدى اصحاب الاختيار ليختاروهُ ويسيموهُ * فتمّ لهُ الامر . واسيم على الرسم في الاحد الثالث من سابوع الرسل » انتهى * ويابالاها هذا هو الثاني بهذا الاسم

في سلسلة البطاركة المشارقة وكان انتخابهُ سنة ١١٩١ * واقام يابالاها كرسيهُ في بيعة السبتة قال عمرو: « ولما عاد الى بغداد الى القلاّية بدار الروم ترك السكنى بها وانتقل عنها وسكن في بيعة السبتة المعروفة ببيعة العتقي في الجانب الغربي » *

وفي عهده استولى على دير النساطرة المعروف بالزعفران من اعمال نصيبين المبني على اسم مار بابي النصيبيني رهبان طورعبدين اليعاقبة باليد الغاصبة . الاّ انهُ أُستعيد بسعي سعيد الشماس المعروف بوجه الدولة الرهاوي النسطوري وداود بطريرك اليعاقبة * وكان ذلك سبب رسالة يشوعياب بن ملكون التي سياتي الكلام عنها *

ودبر يابالاها بني طائفتهِ تدبيراً حسناً . وكان لهُ اليد الطولى في المداراة واجتذاب قلوب الناس اليهِ وسعى باصلاح شؤون طائفتهِ وتقدمها لدى الملوك والحكّام * وكان النصارى في ايامهِ على آمن وارغد عيش . واسام ثمانية عشر مطراناً وسبعة وثلثين اسقفاً . واستشهد على عهده عبديشوع ابو الغنائم ابو ساوا * ودبر كرسيهُ احدى وثلثين سنةً وسبعة اشهر وبعض الايام وتوفي يوم الاثنين آخر كانون الثاني من سنة ١٢٢٢ م . وفرغ الكرسي بعد موتهِ خمسة اشهر (ص . عب ٢ : ٢٦٩ : ٢٧١ س ٢ : ٤٥٢) *

الفصل السابع

في ترجمة حال سبريشوع الرابع واخبار ايامهِ

كان سبريشوع ابن اخي يابالاها سالفهِ من الموصل . ويعرف بابن قيوما . واسامهُ عمّهُ اسقفاً على بانوهدرا . ثم رقاه الى مطرانية اربل . وكان

متفقّناً في العلوم والآداب ذا باعٍ طويل في التدبير * ولما حضر الآباء للانتخاب صار يطلب كل واحدٍ منهم الرئاسة لنفسهِ * قال عمرو الطيرهاني: « ثم تحزّب المؤمنون فريقين الفريق الواحد وهو الاقلّ اختار يشوعياب بن المسيحي مطران داقوق لعلمهِ وفضلهِ وقدسهِ ولاجل اخوتهِ الحكماء والفضلاء * والفريق الآخر وهو الاكثر اختار سبريشوع بن قيّوما * وكان عمّهُ يابالاها قد ثقّفهُ حتى صارت لهُ دراية بالتدبير والمداراة . فكان يكاتب الشعب ويستميل قلوبهم . وما برح حتى صار لهُ الاختيار من الكلّ والتقدّم من الخليفة الناصر * واسيم بطركاً وعليهِ بيرون نفطي يوم الاحد الرابع من القيظ . وهو آخر يوم تموز سنة الف وخمسمائة وثلث وثلثين يونانية (١٢٢٢ م) . وروى ابن العبري انهُ فاز بالرئاسة برشوة والي بغداد *

ودبّر بني طائفتهِ تدبيراً حسناً . وسعى في اصلاح شؤونهم وفتح المدارس واحيا العلوم بعد اندراسها على قدر ما كانت تتحمّل صروف ذلك الزمان في المشرق الذي كان مكتنفاً بالحروب والاهوال والانقلابات الدولية على يد المغول *

واشتهرت في بغداد في نحو هذا الزمان المدرسة المستنصرية . قال ابن العبري في تاريخ الدول عن الخليفة المستنصر بن الظاهر: « وتقدّم بانشاء مدرستهِ المعروفة بالمستنصرية التي لم يعمّر في الدنيا مثلها فعمّرت على اعظم وصفٍ في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها ووقوفها * ووقفها على المذاهب الاربعة ورتّب فيها اربعة من المدرّسين في كل مذهبٍ مدرّساً وثلثمائة فقيه . لكلّ مذهبٍ خمسة وسبعون فقيهاً . ورتّب لهم من المشاهرات

والخبز والطعام في كل يوم ما يكفي كل فقيه وينفصل عنهُ وبنى داخل المدرسة حماماً خاصاً للفقهاء . ومخزناً فيهِ كل ما يُحتاجُ اليهِ من انواع ما يُطبخ من الاطعمة . ومخزناً آخر فيهِ انواع الاشربة والادوية . وعيّن لهم طبيباً خاصاً يتردّد اليهم في بكرة كل يوم يفتقدهم « انتهى *

وتوفي سبريشوع يوم الاثنين الواقع في ١٥ حزيران من سنة ١٢٢٦ م . وتولى رئاسة طائفتهِ اربع سنين وعشرة اشهر وثمانية عشر يوماً * وفرغ الكرسي بعدهُ نحو سنةٍ كاملة . ودُفن في بيعة السيدة المعروفة بالعقبى بقرب قبر عمهِ يابالاها (ص . عب ٢ : ٣٧١ - ٣٧٧ . س ٢ : ٤٥٢) *

الفصل الثامن

في اشهر المؤلفين الذين ازهروا في هذا القرن بين المشارقة واسباب رسالة يشوعياب بر ملكون

ممن ازهر في العلوم والتآليف في نحو زمان ايليا الثاني يوحنا ابن الحداد مطران الموصل . ولهُ خطب منظومة لتعزية الحزانى * وماري بن سليمان المؤرخ . ولهُ تاليف ادبي يُعرف بالمجدل . وفيهِ تكلّم عن تواريخ بطاركة المشارقة الى زمان برصوما الجاثليق الذي عاش في زمانهِ نحو سنة ١١٣٥ . وقد اقتبسنا منهُ اخباراً كثيرة في هذا المصنف . وهو غير المجدل الآخر الذي يُنسب الى عمرو الطيرهاني كما سياتي الكلام (س ٢ : ١ وجه ٢٢٢ و٥٥٤) *

ومن اشتهر في عهد يشوعياب الجاثليق هبة الله ابو الحسن وهو ابن صاعد ابن التلميذ الشاعر الطبيب البغدادي . واشتهر في عهد المقتفي . ولهُ

لحةٌ في اثبات دين النصرانية وتصانيف في الشعر ذكرها صاحب عيون الانباء * وقد وصف ترجمتهُ ابن العبري في تاريخ الدول العربي * قال : « اما التلميذ الطبيب النصراني البغدادي ففاضل زمانهِ وعالم اوانهِ . خدم الخلفاء من بني العبّاس وتقدّم في خدمتهم . وارتفعت مكانتهُ لديهم * وكان موفّقاً في المباشرة والمعالجة عالماً بقوانين هذه الصناعة . عمّر طويلاً وعاش نبيلاً جليلاً * وكان شيخاً بهيّ المنظر حسن الرواء عذب المجتنى والمجتبى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهمّ عالي الهمّة ذكيّ الخاطر مُصيب الفكر حازم الراي * ولهُ في نظم الشعر كلمات رائقة شافية تُعرب عن لطافة طبعهِ . ومن شعره :

كانت بلَهنية الشبيبة سكرةً   فصحوتُ واستأنفتُ سيرة مُجمِلِ
وقعدتُ ارتقبُ الفناء كراكبٍ   عرَفَ المحلّ فبات دون المنزلِ «

ومنهم صاعد ابو الحسن واخوه ابو الخير وهما اخوا سبريشوع ابن المسيحي . وكانا من الحضيرة . ونرى ترجمتهما في تاريخ الدول المار ذكره قال : « اما صاعد فخدم الخليفة الناصر وتقرّب قرباً كثيراً . وكانت لهُ المعرفة التامّة بالطب والمنطق وصنّف كتاباً صغير الحجم سمّاهُ الصفوة جمع فيهِ اجزاء الطبّ علميها وعمليها . والحق في آخر الفنّ الاوّل من الجزء الثاني ثلثة فصول في الختانة لكونها منوطة بالاطباء ببغداد ... وكان ينسخ بخطّهِ كتب الحكمة . ومات في آخر سنة احدى وتسعين وخمسمائة * واما الاركيذياقون وكان ايضاً فاضلاً صنّف كتاباً مختصراً لخص فيهِ مباحث كتاب الكلّيات من القانون سمّاهُ الاقتضاب ثم اختصرهُ وسمّى المختصر انتخاب الاقتضاب «* انتهى (ثه ٥٥٥ و٥٥٦) *

ومن ازهر في نحو زمان ايليا الثالث ميخائيل اسقف آمد وميافرقين في ما بين النهرين وكانتا يومئذٍ مقترنتين في ابرشيةٍ واحدة . وروى عمرو المؤرخ في المجدل اقرار امانتهِ في شأن تجسّد المسيح ووحدة اقنومهِ وبنوتهِ . فاذا قرأتهُ تراهُ كاثوليكيًا بحتًا لا غشّ فيهِ (ثمه ٥٥٧) *

ومن اشتهر في عهد يابالاها الثاني يحيا بن سعد بن ماري الطبيب . قال ابن العبري في تاريخ الدول : « وهو صاحب المقامات الستين صنّفها واحسن فيها . وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلوم العربية والشعر يرتزق بالطبّ » انتهى (ثمه ٣٠٧ و٥٥٧) *

ومن اشهر هولاء المولفين يشوعياب بر ملكون مطران نصيبين . وله مسائل نحوية ورسائل وتراتيل ومقالاتٌ دينية . من ذلك امانتهُ التي يورد صورتها عمرو الطيرهاني في كتابهِ المعروف بالمجدل . وهي مستقيمة النحلة كانها صادرة من فم رجلٍ كاثوليكي * من ذلك ما يقول : « ان اعتقادي وامانتي في السيد المسيح انهُ إلهٌ كامل وانسانٌ كامل ابنٌ واحدٌ هو ابن الله وابن البشر شخصٌ واحد ... وان مريم العذراء ولدت الاهًا كاملاً وانسانًا كاملاً ابنًا واحدًا هو الرب المسيح » . وليشوعياب ايضًا رسالة عربية الى سعيد الشماس يذبّ بها عن امانة النساطرة التي كان ينكّل بها داود او هو اغناطيوس الثاني الذي جلس سنة ١٢٢٢ بطريركًا على اليعاقبة . وفيها يقرّر الاعتقاد بالثالوث الاقدس ومجيء المسيح وتجسّده وغير ذلك من ابواب الايمان وهي في غاية الفائدة عنوانها « البرهان على صحة الايمان » (ثمه ٢٩٥) *

وكان سبب هذه الرسالة ما قال يشوعياب نفسهُ في الفاتحة « ان قومًا مترهّبين من اليعاقبة بطورعبدين رحلوا عن اديرتهم واوطانهم هربًا من سطوة سلطانهم إمّا لجرمٍ اوبقهم بالذنب . او لمقدور لحقهم من الرب فتعرّضوا الى عُمرٍ يُعرف بالزعفران لم يزل للنساطرة من قديم الزمان . وهو على اسم القديس مار بابي من اعمال نصيبين يسكنهُ من النساطرة الآن نفرٌ يسير من الرهابين بعد ما كان من اقوى الاعمال المشحونة بالكثيرين من الرهبان الاطهار . ورام هولاء المترهّبون من اليعاقبة دفع رهبانهِ وسكناهُ باليد الغاصبة * واقتضى الامر مكاتبة بطركهم لكفّهم عن عدوانهم وصدّهم عن الطمع فيما لم يكن قط لهم ولا لسكنى رهبانهم * فمن جملة من كاتبهُ في المعنى رئيس نسطوري من الرها ذو ايمانٍ وعقلٍ شديد يُعرف بوجيه الدولة سعيد وكان ممّن يتوسّم في البطرك صدْق الوداد وانهُ لا يحيله عن الوفاء تنافي الاعتقاد . فاجابهُ البطرك بلفظ المجيب الى مطلبهِ والعيب على دينهِ ومذهبهِ * فشقّ على الرئيس ما صدّعهُ بهِ في رسالتهِ من مجاهرة الاستخفاف بدينهِ وامانتهِ وارسل الرسالة مصحوبةً برسالةٍ منهُ الينا الى نصيبين ملتمسًا منّا ايضاح مناقضة ما اعابهُ من امور الدين ... وهذا السبب في رسالتنا اليهِ » * واعلم ان هذا دير الزعفران الذي كان في حوزة النساطرة ليس هو عين دير الزعفران كرسي بطاركة اليعاقبة الآن فان هذا الذي اقام فيهِ بطاركة اليعاقبة كرسيهم هو بقرب ماردين . اما ذلك فهو من اعمال نصيبين . وبهذا الاسم اديرة كثيرة كما روى ياقوت الحموي *

ومن اشتهر ايضًا من العلماء في هذا العصر سبريشوع القسيس ابن بولس الموصلي . وله جدال مع يهوديّ عن مجيء المسيح ومع

يعقوبي عن التجسد. وله ايضًا قصائد في السريانية (١) . وابو العزّ الحديريّ وله صلاتان طويلتان تقالان في الاحد الاول من تقديس البيعة (٢) *

الفصل التاسع

في تقويم المطارين الذين كانوا خاضعين لبطريرك المشارقة . وملخص تواريخ الاقاليم التي كانوا يسوسونها

انتشر النساطرة بالعموم في مبادئ القرن الثالث عشر الى اقاصي المشرق. وكان بطاركتهم يتولّون امرهم اينما وُجدوا في البلاد من مصر وقبرس وسورية وفلسطين غربًا الى اقاصي المشرق ومادي وبلاد آثور والجزيرة شرقًا. ومن بلاد الهند والصين والعرب والعراق العربي وفرثيا او العراق العجمي جنوبًا الى ارمنية وكرجستان شمالاً *

ولنا طريقةٌ امينة لمعرفة سموّ واتّساع السلطان الذي كان لبطريرك النساطرة وهم السريان المشارقة وهي ان نرى عدد المطارين والاساقفة الذين كانوا مستخرين يومًا لطاعته ونطّلع ولو بوجيزٍ من الكلام على تاريخ الاقاليم والمدن او الابرشيات التي كلٌّ منهم كان يتولى امرها * ولم يكن عدد المطارين ومقامهم واحدًا على الدوام . فان عددهم كان يزيد او ينقص بمقتضى

(١) † وكان له ايضًا تفسير الكتاب المقدس كما يتضح ذلك من كتاب جنة اللذات . وكان على عهد باباالاها الثاني لا في زمان يوانيس الثاني كما يقول السمعاني (طالع كتاب جنة المؤمنين العدد ٢٧٨)

(٢) † هذا ايضًا كان معاصرًا لسبريشوع بن بولس (طالع كتاب جنة المؤمنين العدد ٢١٩) *

الحاجة . وكذا مقامهم كان يهبط ويعلو بصروف الزمان لأهمية مركزهم وعدد سكّانها * ولذلك نرى عددهم ومقامهم مختلفين في قائمة ايليا الدمشقي وعمرو الطيرهاني والصوباوي . فان هوفركية الشام التي كانت السادسة في قائمة ايليا المذكور اضحت السادسة عشرة على عهد عمرو الطيرهاني . وقلْ كذلك عن غيرها * وانما سمّي المطارنة روساء الاساقفة لانّ كل واحدٍ منهم كان له اساقفة خاضعون له * قال عمرو الطيرهاني في شان مطارنة الاساقفة « ومنهم من له اثنا عشر اسقفًا ومنهم من له ستّة اساقفة » * وكان البطاركة ليس فقط يرقّون الكراسي المعتبرة الى الشرف المطراني بل كانوا يعيّنون مقامها ايضًا . وكانوا اقتضاء للاحوال والزمان ينزّلون او يرفعون مقامها * اما المطران الآن فمقامهُ شرَفي على الاغلب لا تميّز ولايتهُ عن ولاية الاسقف لان ليس له اساقفة خاضعون له *

اما المطرانيات او الهوفركيات التي كانت يومًا موجودةً في بيعة السريان المشارقة فهي (١) هوفركية جنديسابور (٢) نصيبين (٣) فرات ميشان او هي البصرة (٤) الموصل وآثور (٥) اربل وحزّة (حذّياب) (٦) باجرمي (٧) حلوان . وهولاء السبعة كانوا اصحاب اسامية البطريرك (٨) هوفركية اورشليم (٩) الرها (١٠) فارس (١١) مرو (١٢) هرات (١٣) الوازيقيين اي العرب وقرطبة (١٤) الصين الجنوبية (١٥) الهند (١٦) ارمنية (١٧) سورية اي الشام (١٨) بردعة اي اذربيجان (١٩) الري وطبرستان (٢٠) الديلم (٢١) سمرقند وما وراء النهر (٢٢) قشغر وتركستان (٢٣) بلخ وطوخرستان (١٤) سجستان (٢٥) همدان (٢٦) خان بالق او الصين الشمالية (٢٧) تنكت في بلاد التتر (٢٨) التواكت

وقشغر في تركستان * ولنصف بوجه الاختصار كلاً من هذه المطرانيات *

اما هوفركية جنديسابور فكانت تدعى لفظ ܒܝܬ ܠܦܛ وبلاد السوس وعيلم وخوزستان والاهواز . وانما دُعيت جنديسابور لان شابور الملك وسّعها * وكان مطرانها المدبوم للبطريرك اذا كان حاضرًا . لان رسالة المغاربة المؤذنة برفع اسقف المداين الى مقام الجثلقة قد أُنفذت الى المشارقة على رواية هولاء على يد اغابيط اسقف عيلم * ولذلك فلهُ التقدّم على سائر المطارنة * ومن اسقفيأتها الخاضعة لهوفركيتهِ كانت سوس . وتستر . وليدن . وهلدجرد *

وكانت نصيبين من اشهر مدن الجزيرة على عهد مار يعقوب اسقفها . وكانت مشحونة بالخلق ومحصّنة بالاسوار المنيعة . وتُسَمّى ايضًا ܨܘܒܐ ܨܘܒܐ * ورفعها يوسف الجاثليق خليفة مار ابا الى المقام الثاني المطراني . وكان شانها قبل ذلك قد انحطّ جدًّا بعد ما اجراهُ برصوما اسقفها من تدنيس الشرائع البيعيّة واضطهاد بابوي الجاثليق . ولم تزل مطرانيةً بعد يوسف الجاثليق الى ان سقط امتيازها نحو سنة ١٠٧٢ م . ثم اعادها الى مقامها الاوّلي سبريشوع البطريرك نحو سنة ١٢٢٢ * ومن الاسقفيات التي كانت خاضعة لهوفركيتها بلد . وسنجار . وارزن . وآمد . وماردين . وميافرقين . وبعربايا . وحرّان . وحصن كيفا . ومعرّا . وبافردى او هي الجزيرة الزبدية * ثم اقترنت معها قبل عهد عبديشوع الصوباوي ارمينيّة . فكان هذا يُلقّب مطران صوبا وارمنيّة * ولم تبق نصيبين على عظمتها الاولى بل انها قُسِمت بعد خرابها بغزوات العرب الى ثلث مطرانيات . اعني آمد . والجزيرة . وحصن كيفا . فان مطارينها كانوا حاضرين في مجمع آمد الذي عُقد سنة ١٦١٦ *

واضحت نصيبين اسقفيةً بعد نحو هذا الزمان . على ان عبديشوع خليفة سولاقا في آخر صورة ايمانهِ الذي اصدرهُ امام بيوس الرابع البابا يعدّها بين الكراسي الاسقفيةّ * وبعد نحو سنة ١٥٦٦ م خربت نصيبين من جديد بغزوات العرب والتركمان * ولم يبق الآن من آثارها سوى بيوت قليلة . وكان يقطنها بعض العائلات الكلدانيّة يرعاها قسّيس برسالة اسقف ماردين القريب منها . ويقضي الخدم الدينيّة في بيعة مار يعقوب اسقفها . وقد ضبطها اليعاقبة بقوّة الحكام في بدء الربع الاخير من القرن التاسع عشر *

ونعلم من هوفركيّة البصرة ان هذه المدينة بُنيت في ايام عُمر بن الخَطّاب . وكانت تُسّمى يومًا ميشان ܡܝܫܢ او ܦܪܬ ܡܝܫܢ . وجعلها فافا الجاثليق نحو سنة ٣١٠ مطرانيّةً * ومن الاسقفيات التي كانت خاضعة لهوفركيتها الأُبلة ونهر الدير ودستميسان . وقبل مدّة لم يكن فيها سوى عائلات قليلة كلدانية اما الآن فازداد عددها بهمّة القسوس الذين يرسلهم اليها بطريرك الكلدان *

ونقول في شان هوفركيّة آثور والموصل ان آثور كانت دولةً شهيرة وقُسِمت الى اربع مطرانيات اعني الموصل . وحزّة او اربل . وباجرمي . وحلوان * اما الموصل فكانت يومًا اسقفيةً خاضعة لمطرانية حزّة . ثم اضحت مطرانية مقترنة بحزّة او منفصلة عنها حتى استبدّت هي وحدها بالمقام المطراني وخصوصًا بعد خراب حزّة او اربل * ومن الاسقفيات التي كانت خاضعة لها . بانهدرا . وبابغاش . وداسن . ونينوى . والحديثة . وبادية * واضحت كرسي الفطاركة النساطرة الايلياويين المنسوبين الى السلالة الابوية الذين كانوا يسكنون ايضًا في القوش احدى القرى القريبة منها * والآن هي كرسي البطاركة

الكلدان الكاثوليكيّين * وانما سُمّيت الموصل اثور لانها صارت بعد الاسلام عاصمة هذا الاقليم العظيم *

اما الموفركيّة الحزّية فتُسمى بالسريانية ܚܕܝܐܒ ويحيط باقليمها الزاب الاكبر والاصغر . ورأى مار افرام الملفان ان حذيآب او حزّة هي عين رحوبوت المذكورة في سفر التكوين ١٠ : ١١ * واقتبلت الايمان المسيحي على يد رسل المشرق . وكانت دولةً صغيرةً يملك عليها يومئذٍ مُليك يُسمى عزّات . ورُوِي ان هيلانة امهُ قد تنصّرت كما مرّ الكلام آنفًا * وكانت اربل مدينةً شهيرة مشحونةً بالخلق . وبالقرب منها انكسر داريوش ملك الفرس امام الاسكندر ذي القرنين * وكان اسقفها يوماً يدبر الاثوريين طرًّا . وخوّلها فاقا الجاثليق المقام المطراني نحو سنة ٢٠٠ م . وكانت الموصل اسقفيةً خاضعة لها * ولما اتسعت الموصل ونالت المقام المطراني تسلّطت على الكرسي الاربلي نفسهِ اما منفصلةً عنها واما مقترنةً بها بحيث ان مطرانًا واحدًا كان يدبر المطرانيّتين ويسمّى تارةً مطران اربل والموصل . وطورًا مطران الموصل فقط * وكان لهذه الموفركيّة الحزّية اسقفياتٌ خاضعة لها . منها مرجة وسالاخ وبابغاش . والبوازيخ . وداسن . ونوهدرا . ومعلثايا * وبعد ان خربت اربل بغزوات العرب نحو سنة ١٤٠١ الميلاد لم يبق فيها احدٌ من النصارى *

واقام مطرانية باجرمي المسمّاة في السريانية ܒܝܬ ܓܪܡܝ مار شمعون برصباعي الجاثليق . وتُسمّى ايضاً باسلوخ والكرخ ܟܪܟܐ ܕܒܝܬ ܣܠܘܟ . وقد اشتهر الكرخ بعدد وافر من الشهداء في الاضطهاد الاربعيني . ويُعرف هذا الاقليم في زماننا الحاضر بكركوك * وكان كرسي المطرانية اولاً في

شهرقرد . ثم صارت الكرخ ايضاً مطرانية . وبعد مرور زمان طويل صار الكرسي مشتملاً على هتين المدينتين وعُرِف بباجرمي اعني باسم الاقليم كلّهِ * واما الآن فيُسمّى كركوك المختصرة عن ܟܪܟ ܣܠܘܟ . ومن الاسقفيات التي كانت خاضعة لها شهرقردت . ودقوقا . والبوازيخ . وداراباد . وخانيجار . ولاشوم . وماحوز . وحربت جلال *

واما في شان موفركيّة حلوان او حلح فنقول ان الاقليم الاثوري هو مجاورٌ لاربل وقريب الى حدود مادي * وروى الصوباوي ان يشوعياب الجدالي هو الذي رفع حلوان الى المقام المطراني . وفي القرون المتاخرة نُقل كرسي حلوان الى همدان * ومن الاسقفيات التي كانت عائدة الى هذه الموفركية الدينور وهمدان . ونهاوند . والكرج * ويقال ان حلوان كانت واقعة في المحل الذي قامت الآن بقربهِ سليمانية . وكان يدبرها مطران كركوك بعد اضمحلالها *

ولنصف شيئاً من احوال موفركية فارس . فاعلم ان هذه الموفركية كانت اقدم الموفركيات . وكانت سائدة على نصارى بلاد الهند وجزيرة سقوطرا منذ القرون الاولى . ويقال ان يوحنا مطرانها امضى المجمع النيقاوي باسمهِ وباسم نصارى الهند وفارس . ونال مطرانها بعض التمييز والاستقلال حتى اراد الخروج عن طاعة جاثليق المدائن * الّا ان نفوذهُ اخذ في التزن الخامس في الخمول حتى خضع تماماً لجيورجيس بطريرك المشارقة خليفة يشوعياب الحزّي * وكان كرسي مطران فارس في مدينة اردشير . ومن الاسقفيات الخاضعة لموفركيتهِ شيراز . واصطخر . وسابور . وكرمان . ودارابجرد وسيراف . ومرمديت . وسقوطرا * وفي مجمع آبا الذي عقد في عهد ايليا

السادس سنة ١٦١٦م كان للكلدان في فارس مطران يلقب ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܒܝܬ ܩܛܪܝܐ * واما الآن فللطائفة الكلدانية في فارس مطرانيتان الاولى في اورمي والاخرى في خوسراوا المعروفة بسلمس . واسقفيةٌ في السن *

ونقول في شان هوفركية مرو ان هذه المدينة هي عاصمة خوزستان . وكانت يوماً كرسي الملوك السلجوقيين. وخوّلها يابالاها الجاثليق في نحو القرن الخامس الحقوق المطرانية * ومن الاسقفيات الخاضعة لهوفركيتها دبرحنس ودمادوت . ودعبرسناي كما روى ايليا الدمشقي في قائمته *

ونقول في هوفركية هرات ان هذه المدينة هي من مدن خوزستان . وكان مار احّي الجاثليق قد خوّلها نحو سنة ٤١١ م الحقوق المطرانية . وكان لها المقام التاسع *

وكان يتولى مطران هوفركية قطربة او بلاد العرب امر الرازيقيين ܒܢܝ ܙܪܝܩ والرامانيين ܒܢܝ ܪܡܢ سكان بلاد العرب الغربية من بابل والحميريين وسكان بلاد اليمن وجزيرة سقطرا * وقطربة هي جزيرة بحر عمان في بلاد العرب . وكانت خاضعةً يوماً لمطران فارس . ثم صارت مطرانية مستقلة بذاتها . وانقسمت اخيرًا الى ثلاث مطرانيات الاولى للبيشانيين في البصرة . والثانية للرازيقيين والرامانيين في السن . والثالثة لسكان الجزائر في قطربة *

وتُقسم بلاد الصين الى قسمين كبيرين اعني الصين الشمالية وتُدعى بلاد الخطا . وقاعدتها بكين . والصين الجنوبية المعروفة بماجين وقاعدتها نانكين . وفيها اقام المرسلون النساطرة الاثر الحجري سنة ٧٨١ م * وناهيك ما رواهُ الصوباوي في مجموعته جزء ٨ ف ١٥ ان صليبا زخا البطريرك اقام سنة ٨١٤ مطارنة لهرات وسمرقند والصين وخوّلها الحقوق المطرانية * ومنهم

من قال ان احّي خوّلهم هذه الحقوق سنة ٤١١ م وبعضهم سيلا سنة ٥٠٣ . ومن ذلك يتّضح ان النصارى كانوا كثيرين في بلاد الصين . وعلى الاقل في مبادئ القرن الثامن . لان سُنّة النساطرة كانت تقتضي لانشاء مطرانية ان يكون خاضعاً لها ثلاث اسقفيات على الاقلّ * وكان مطران بلاد الصين الجنوبية قد اقام كرسيّه في نانكين *

اما بلاد الهند او ملبار فكانت خاضعةً اولاً لمطران فارس الذي كان يُرسل اليها اساقفةً من لدنه . وبعد اضمحلال قوّة مطارين فارس خوّلها ثاودوسيوس البطريرك نحو سنة ٨٥٢ م الحقوق المطرانية * وكانت اولاً انكامال كرسي مطارينها ثم حُوّل الى قرانقانور * وفي بدء القرن السادس عشر تولى امرها النُوّاب الرسوليون . وفي القرن السابع عشر انتهز اليعاقبة الفرصة من نزاع الملباريين مع روساء اللاتين ودخل اساقفتهم ملبار . فانضوى الى طقسهم عددٌ وافر من الملباريين الكلدان *

ومما نعلم من هوفركية ارمنية ان مطران فارس كان يدبّر جهات ارمنية الكبرى والصغرى . وبعد اضمحلال قوة مطرانة فارس اقام طيماثاوس الاول البطريرك مطرانيةً لارمنية في دابين ثم تحوّل كرسيها الى وان . فان حنانيشوع مطرانها كان حاضرًا في مجمع آمد المعقود سنة ١٦١٦ * ومن الاسقفيات التي كانت خاضعةً لها وان . وارزنك . وارزرون *

واما في شان هوفركية الشام او سورية فاعلم ان طيماثاوس الاوّل البطريرك هو الذي اقام هذه المطرانية نحو سنة ٨٠٠ م في دمشق وكان يتولى مطرانها امر النساطرة المنتشرين في سورية . وفلسطين . ومصر . وقبليقية .

وجزيرة قبرس . وتحوّل كرسيّة الى اورشليم ثم الى طرسوس * ومن الاسقفيات التي كانت خاضعةً له حلب . ومنبج . واورشليم . ومصيصة . وطرسوس *

ونقول في هوفركية بُردُع ان بردع هي احدى مدن اذربيجان او مادي . وكانت يومًا قاعدة دولة ايران . ومن الاسقفيات الخاضعة لها تبريز وسلمس اللتين نُقل اليهما احيانًا الكرسي المطراني *

واما في شان مطرانية الري وطبرستان فنقول ان الري هي من مدن فرثيا او العراق العجمي . ومن الاسقفيات التي كانت خاضعةً له جرجان . وانضمّت احيانًا في القرن العاشر الى مطرانية حلوان *

واقام مطرانية الديلم وجيلان طيماثاوس الثاني . واسام عليها شوحاليشوع . وبعد ان قُتِل هذا . اسام قرداغ لجيلان وبابالاها للديلم * ولا يخفى ان هذه البلاد تُعادل هرقانيا القديمة *

ثم ان سمرقند هي عاصمة ما وراء النهر احد اقسام تركستان الوسطى . واقام احّي او سيلا الجاثليقان اسقفيةً لسمرقند سنة ٤٤١ او سنة ٥٠٢ م . وارتقت الى المقام المطراني في عهد صليبا زخا البطريرك نحو سنة ٧١٤ م * وكان جاكتاي ملك المغول قد بنى فيها بيعةً كبيرة على اسم مار يوحنا المعمذان . وخربت سمرقند بغارات المغول وصروف الزمان ولم يبقَ فيها اثر للنصرانية *

ونقول في هوفركية قشغر وتركستان ان تركستان هذه كانت تُعرف بالمستقلة تمييزًا لها من تركستان الاخرى وهي بلاد الصين الشمالية * وتنقسم الى ثلاثة اقسام الوُسطى وهي ما وراء النهر الشهير بجيحون . وقد مرّ ان سمرقند كانت عاصمتها . والشمالية الواقعة في شماليها . والجنوبية الواقعة في جنوبيها . وهي التي يدور كلامنا عليها الآن . وكان الكرسي المطراني قد اقيم في قشغر او قند *

وكانت هوفركية بلخ او طوخارستان في ما وراء نهر جيحون ايضاً . وهي عين باقطرايا القديمة . وكان الكرسي المطراني في بلخ *

وكانت اورشليم اولاً اسقفية خاضعة لمطران دمشق الى نحو سنة ١٢٠٠ م ثم صارت مطرانيةً هي ايضًا امّا وحدها او مقترنة بآمد * ومن مطارنتها يشوعياب الذي له ذكر مخصوص في رسالة آرا الى البابا انوجنس الرابع سنة ١٢٤٧ م . وطيماثاوس الشهير في سفارة ايليا السادس الى البابا بولس الخامس وفي مجمع آمد سنة ١٦١٦ م * وكان نساطرة اورشليم قد تكثلكوا على يد المرسلين اللاتينيين . ثم اعتنقوا الطقس اللاتيني لعدم اعتناء رؤسائهم بهم . وكان لهم بيعةٌ ثمة باسم مار يعقوب النصيبيني اشتراها منهم الارمن في نحو اواخر القرن الثامن عشر *

ولنشرح الآن حال هوفركية همدان ونقول : ان هذه المدينة هي واقعة في بلاد الجبل او فرثيا المعروفة ايضًا بالعراق العجمي * واعلم ان النصارى الذين كانوا قاطنين فرثيا كان يتولى امرهم مطران حلوان ثم قُسِمت هوفركيتها في القرون المتاخرة الى اربع مطرانيات . وهي بردع في ادربيجان . وهمدان التي خلفت حلوان . والري في جيلان . وكورجلى لسكان بلاد الكرج المعروفين بالجرجيان *

وكان موقع كرسي هوفركية كمبالو او هي خان بالق في بلاد الخطا او الصين الشمالية التي قاعدتها بكين . وقد مرّ الكلام عن هوفركيّة الصين الجنوبيّة * وجعل صليبا زخا البطريرك كمبالو مطرانيّةً نحو سنة ٧١٤ م .

وكانت احياناً مقترنةً بتنكُت . وولج فيها اللاتينيّون . وكان اوّل مطارينها يوحنا دي مونتي كورفين الذي أُسيم عليها نحو سنة ١٣٠٧ م *

ونقول في هوفركية تنكت ان هذه المدينة كانت من اقطار بلاد التتر الجنوبية المجاورة لبلاد الصين شمالاً . وأُقيمت اسقفيّاتٌ كثيرة في مدن هذه الناحية *

وكانت هوفركية نواكث وكشغر في اقليم من تركستان الجنوبية *

ويسوغ لنا ان نستنتج من هذا البحث الحاضر عن هوفركيات الطائفة النسطورية ان النساطرة كان عددهم كثيرًا لانهم انتشروا في اقطار اسيا الى بلاد الصين والهند . وان بطريركهم الذي مدّ ولايتهُ الروحية الى هذه الجهات كان ذا نفوذٍ عظيم . وكانت طائفتهُ تزداد وتنتشر حتى بلغت اوج كمالها في بدء القرن الرابع عشر * ولم يبق امرها مستفحلاً كما في القرون المتوسّطة فانك لا ترى على عهدنا الحاضر من هذه الأُمة سوى في بلاد الجزيرة وفارس وآثور . وامّا في بقية المواضع فقد محتها صروف الزمان وغوائلهُ من دستور الوجود ولاسيما بعد غزوات المغول والتركمان * لانهُ لما كان كمال هذه الأُمّة بعد خروجها عن سُبُل الحق والايمان القويم مُؤسّساً لا على أَيدٍ عَلَويّ بل على غايةٍ بشريّة . فقد اخذت بعد تلك القوّة في الخمول والاضمحلال كما هو شان سائر الاعمال البشريّة . لانّ كلّ غُصنٍ لا يغرسهُ الآب يُقطع . وامّا البيعة الجامعة التي تأسّست على الصخرة فلن تتزعزع وابواب الجحيم لن تقوى عليها . (س٢ : ٢ من وجه ٤١٤ فصاعدًا .و٧٠٥ - ٧٨٨)*

الفصل العاشر

في اصوام السريان المشارقة واشهر عوائدهم

يحسب المشارقة يومهم بموجب سنتهم البيعيّة اعني من مغرب الشمس الى مغربها . ولذلك نرى ان الكنيسة شرقيّة كانت او غربيّة تتلو مساء الصلوات القانونية المخصوصة باليوم التابع * وكذلك يبدأُ النساطرة اصوامهم من المغرب * الّا ان الكلدان منذ مبادئ هذا القرن التاسع عشر قد تبعوا عادة البيعة اللاتينية في امر الصوم والإمساك اي ان يُحسب اليوم من نصف الليل الى نصف الليل * والفرق بين الإمساك والصوم هو ان الإمساك هو الانقطاع عن بعض الماكولات المصنوعة من اللحم والبياض * وامّا الصوم فيتضمّن فريضتين الأُولى الامساك المذكور والثانية الانقطاع الطبيعيّ عن كل نوع. من الاكل من المغرب الى المغرب بموجب عادة الشرقيّين القديمة . ومن نصف الليل الى الظهر تبعًا لعادتهم الحديثة المستفادة من اللاتينيّين * فالفريضة الأُولى تشمل كل المؤمنين منذ بلوغهم سنّ التمييز . وامّا الثانية فتشمل المؤمنين منذ دخولهم الاحدى والعشرين سنةً من عمرهم * واليوم كل الاصوام هي محسوبة امساكات ما خلا الصوم الكبير وصوم نينوى *

وكان يستعمل الشرقيّون في تعيين ايام الاصوام والاعياد الحساب اليولي القديم المنسوب الى يوليوس قيصر . واما بعد اهتدائهم فقد اتّبعوا حساب الكنيسة الغربيّة المعروف بالغريغوري الذي فيهِ اصلح غلط الحساب القديم * واجرى الكلدان هذا الحساب في غالب بيعهم نحو سنة ١٨٢٣ م *

ولم يكن كل الشرقيين ينقطعون عن الاكل الطبيعي ايام السبت

والاحد في الصوم الكبير فان النساطرة القدماء اطلقوا هذا الانقطاع على ايام السبت لكنهم حرّموهُ ايام الاحد. ولذلك نرى ان جبورجيس البطريرك رسم ان يصير القداس مساء ايام سبوت الصوم الكبير * وقد خالفوا في ذا الشان عادة الكنيسة الجامعة القديمة والتقليد الابوي. فان قانون الرسل الثالث والستين الذي يذكره الصوباوي في مجموعهِ يحرّم هذا الانقطاع ليس فقط ايام الاحد الذي هو تذكار قيامة المسيح بل السبت ايضاً ما عدا سبتاً واحدًا وهو سبت القيامة *

واما الاصوام التي كانت متداولةً في بيعة المشارقة النساطرة فهي الآتية. (١) صوم يومي الاربعاء والجمعة في مدار السنة كلها (٢) صوم الميلاد ويبتديء من اثنين الاحد الاقرب الى كانون الاول الى الخامس والعشرين منهُ الذي يقع فيهِ عيد الميلاد * (٣) صوم البتولات ويقع بعد الاحد الاول من عيد الدنح. ومدّتهُ ثلاثة ايام * (٤) صوم الباعوثة او نينوى. ومدّتهُ ثلاثة ايام ابتداء من اثنين الاحد السابق للصوم الكبير بثلاثة اسابيع * (٥) صوم الكبير. مدّتهُ سبعة اسابيع قبل عيد القيامة ويبتديء يوم الاثنين (٦) صوم الرسل. ومدّتهُ سبعة اسابيع ايضاً اوّلهُ يوم الاثنين الذي يلي احد الفنطقوسطي الى عيد الرسولين بطرس وبولس * (٧) صوم السيدة ويبتديء في اول يوم من آب وينتهي في ١٥ منهُ. وفيهِ يقع عيد انتقال السيدة مريم * (٨) صوم ايليا ومدّتهُ سبعة اسابيع متوالية اوّلهُ يوم الاثنين الذي يلي اسابيع ايليا كما في طقس المشارقة*

ولم تبقَ هذه الاصوام لدى النساطرة فان صومَي البتولات وايليا قد بطل استعمالها. والمرجّح انهما كانا مفروضين على الرهبان منهم دون العالميين.

وصوم الميلاد اقتُصر على خمسة وعشرين يوماً. وصوم الرسل على ثلاثة عشر يوماً. وبقي لديهم صوم نينوى. والصوم الكبير. وصوم السيدة * وسنرى ان الكلدان اقتصروا هذه الاصوام ايضاً ما خلا صوم نينوى والصوم الكبير في مجمع دير مار هرمزد على عهد مار يوسف اودو البطريرك *

ولنأتِ الآن الى وصف عوائد السريان المشارقة ونقول انّ بعضها هي بيعية وبعضها ادبية. فمن عوائد البيعية (١) انهم يرسمون علامة الصليب على عادة الروم من اليمين الى اليسار * (٢) انهم يخمّرون خبزهم الممزوج بالزيت والملح بالخمير الذي يدّعون انهُ اتى بهِ رسلهم الاطهار من القطعة التي حفظها مار يوحنا الرسول في العشاء السرّي وتقاسمها الرسل قبل انتشارهم في العالم * (٣) ان بطاركتهم واقليروسهم لا يقصّون شعر راسهم بهيئة اكليل ولا يتردّون بثياب ممتازة عن العالميين * (٤) وسنرى انهُ دخلت في نحو القرن الرابع عشر عادة قبيحة لديهم اي ان لا يُقام البطاركة بالانتخاب بل بالوراثة *

ومن عوائدهم الادبية (١) انهم يستعملون في الكتابة صورة الحروف السريانية القديمة المسمّاة ܐܣܛܪܢܓܠܐ اعني السطر او الكتابة التي كان يُخطّ بها الاناجيل. ومنها نشأت الحروف الدقيقة المعروفة بالكلدانية او البسيطة * (٢) انهم حافظوا على عادة التنقيط القديمة بالعلامات الستّ المعروفة * اما السريان اليعاقبة والموارنة فاستعاروا من اليونان خمسة حروف. وصاروا يكتبونها فوق الحروف وتحتها للدلالة على الحركة * (٣) انهم حافظوا ايضاً على اللفظ الاصلي للفنهم الذي هو الاقرب الى لفظ الكلدان او هم الاثوريون القدماء (س ٢: ٣ وجه ٢٥٨ و٢٦٩ - ٢٩١)*

الباب العشرون

في تواريخ الطائفة اليعقوبية في القرن الثاني عشر (١٠٩٠-١٢٢٢ م)

الفصل الاوّل

في اختيار اثناسيوس السابع المعروف بابي الفرج بر خامر
والاذايا التي احتملها في بدء رئاسته

بعد موت ديونيسيوس السادس اختير اثناسيوس بطريركًا على الطائفة اليعقوبية. وكان مسقط راسهِ في آمد احدى مدن الجزيرة من عائلةٍ تُعرَف بالتجارة. ومنذ نعومة اظفاره تهذّب في العلوم والآداب في ملطية وتفرّغ لدرس الكتب القدسيّة. ومال الى العيشة النسكية. فلبس الثوب الرهباني في دير برصوما القريب من تلك المدينة * وكان عبدون مختلس الكرسي البطريركي لا يزال عاملاً في فتق الفتن والمشاجرات بين الطائفة اليعقوبية طمعًا بالرئاسة * اما اساقفة الطائفة فلم يعبأوا بهِ. بل اجتمعوا في قلعة قراميس من كورة انطاكية. واتّفقوا على بعض الرجال الجديرين بالمنصب البطريركي. ولما جرى الاقتراع خرج اسم ابي الفرج. فنادوا بهِ بطريركًا * ولم يرضَ ان يحمل على كاهلهِ اعباء هذا المنصب لما استدعاهُ محفل الاساقفة من ديره وذلك خوفًا من القلاقل التي احدثها ولم يزل يثيرها عبدون اللّصّي في البيعة. اما الاساقفة فانتصروا منهُ بالتاديبات والحروم البيعية * وبعد ان لبث تسعة اشهر مقيدًا بها احضروهُ رغمًا عنهُ امام جبرائيل الرومي حاكم ملطيّة. فاقنعهُ واتوا بهِ الى البيعة المعروفة

برهطا. واسامهُ طيماثاوس اسقف تل فطريق في الاحد الاوّل من كانون الاوّل سنة ١٠٩٠ م. ودُعي اثناسيوس وهو السابع بهذا الاسم في سلسلة فطاركتهم *

واما عبدون اللّصّي فلما اخفقت مساعيهِ لجئ بجبرائيل حاكم ملطيّة المذكور ووعدهُ بالفي دينار على ان يقيمهُ بطريركًا ويعزل اثناسيوس * وكان جبرائيل يتوقّع من اثناسيوس هديّةً ليست باقل من هذا المقدار ولاسيما لانهُ فضّلهُ على عبدون ورفض هذا * اما جبرائيل فلما لم يأتهِ الامل عفوًا صفحًا امر ان يُؤْتى باثناسيوس بالرغم عنهُ من دير برصوما. فلما وصل اثناسيوس باب القصر خرج جبرائيل لاستقبالهِ طالبًا منهُ البركة. فأبى البطريرك ولم يوطّن نفسهُ على المثول بين يديهِ لانهُ عاملهُ بقوّةٍ جبريّة. وقال لجبرائيل: انت رومي ونحن سريان. فنبض عرق الغضب في جبين جبرائيل وامر بحبس اثناسيوس لازدياد العار في دار امراة زانية * فأغلق اليعاقبة بيعهم وابطلوا قرع النواقيس * فعوّل شعب ملطيّة اليعاقبة ما بين هذه الغُصَص التي فاجأتهم على ان يجمعوا اربعمائة دينار ذهبي ويقدّموها الى جبرائيل المذكور. فأُطلق اثناسيوس في حال سبيلهِ وعاد الى دير برصوما *

واسام اثناسيوس على ملطية بعد وفاة اغناطيوس مطرانها سعيدًا برصابوني في تشرين الاول سنة ١٠٩٤ م في قنقرت الواقعة في كورة آمد. وكان رجلاً فاضلاً بالعلم ماهرًا في الإنشاء باللغتين السريانية واليونانية ودُعي يوحنا * وكان هذا المنصب وبالاً عليهِ في فرصة اغلاق ابواب ملطية في وجه قليج ارسلان سلطان قونية الذي حاصرها فانهُ بعد اربعين يومًا من سيامتهِ اوقع جبرائيل حاكمها المذكور على يوحنا الظنّ انهُ هو الذي اراد تسليم المدينة بيد الترك.

فغضب عليهِ وضرب راسهُ بعصا فأبلغهُ منونهُ يوم الجمعة في ٤ تموز سنة ١٠٩٥ م . واخفى جبرائيل جسدهُ يومين حتى اظهره . فدُفن وجرى ماتمهُ في بيعة رهطا *

وفي هذه الاثناء عوَّل اثناسيوس البطريرك على النزول الى بغداد لاستحصال البراءة تاييدًا لرئاستهِ . وما الجاه الى ذلك الدسائس التي كان عبدون البطريرك المتمرد ينصبها لهُ لمقاومة سلطتهِ * ولكن عبدون توفي بعد نيل البراءة بقليل في حصن منصور سنة ١٠٩٥ م . ولبث يوذي بيعتهُ ويثير فيها نار الخصومات طمعًا بالرئاسة نحو ثلاثين سنة . وكان قد اوصى قبل موتهِ ان يُدفن امام باب البيعة ليدوسهُ الخارجون والداخلون كفارةً عمّا خطئهُ في حق بيعة الله * ولم يعاملهُ اثناسيوس البطريرك بعد موتهِ بالجفاء الذي كان يستحقهُ بل جمع الاساقفة وامر ان يقام لهُ مأتم حافل . وغفر لهُ قائلاً ان قلبهُ وان كان مقيدًا بمحبة الارتفاع الَّا انهُ رقد بالايمان وفي حضيرة البيعة *

ولم يتمكن اثناسيوس البطريرك من نصب احدٍ على كرسي ملطية بعد قتل برصابوني لان ملطية كان قد خرّبها قليج ارسلان فلبثت مترملةً سبع سنين . ولما تراجع امر اهلها وهدأ روعهم نقل اليها ديونيسيوس اسقف الجب المعروف ببر ماوديانى * وكان هذا تلميذ يوحنا العاشر البطريرك المعروف ببرشوشن . وقرأ عليهِ اثناسيوس البطريرك * وبعد خراب مدينة الجب كرسيهِ التجأ الى دير برصوما واقام فيهِ زمانًا . ورتَّب وعلَّم فيهِ الخِدَم البيعية التي كانت سائدةً في دير جاجي * ولما نُقل الى كرسي ملطية سعى في جمع شمل الملطيين وتدبيرهم على افضل اساليب الآداب . واقام فيها المدارس والمعلمين

لتثقيف الطلبة . ولشدَّة غيرتهِ كان هو ايضاً يُعلّم قراءة العهد القديم والجديد وكُتُب الآباء وفن الكتابة والفصاحة (س٢ : ٣٥٧ - ٣٦٠ . عب ١ : ٤٥٩ - ٤٨١) *

الفصل الثاني

في النزاعات التي نشأت بين البطريرك اثناسيوس والاساقفة

واسام اثناسيوس مطرانًا على الرها ابا غالب برصابوني اخا سعيد المار ذكره . ودُعي ديونيسيوس في سيامتهِ . وكان مزدانًا بالعلوم البيعية والادبية ماهرًا في اللغتين السريانية واليونانية نظير اخيهِ القتيل . وكانت عائلتهما عريقةً في الشرف بين اليعاقبة على هذا العهد * وبعد اربعين يومًا من سيامتهِ نشأ بينهُ وبين البطريرك خلاف شديد . وذلك ان عبدون البطريرك الدخيل كان اختلس امتعة الكرسي البطريركي ورهنها لدى الرهاويين على مقدار معهود من الدراهم كان مديونًا بهِ لهم . وكان يتمنع من ردّهِ . وكان ابو غالب قبل سيامتهِ على الرها قد تعهّد بايفائها للبطريرك بصكٍّ مختومٍ من يدهِ محرِّمًا على نفسهِ التصرُّف برئاسة كرسيهِ قبل انفاذها * لكنهُ لما بلغ الرها صار يحتجّ ان وجوه الرها يكرهون انفاذها وانهم في خصام شديد من جرّاء ذلك . فحرم البطريرك برصابوني * اما هذا فصار يدّعي ان هذا التاديب لا يقع عليهِ . لان منطوق ذلك الصك ليس منوطًا بارادتهِ * وانقسم الرهاويون الى حزبين . وكان بعضهم يحامون عن حقوق البطريرك وغيرهم يدافعون عن برصابوني . وحلوهُ وهو في حال الحرم على ان يُسيم لهم قسوسًا وشمامسة *

ومن الوسائط القويّة التي اتُّخذت لاستمالة البطريرك الى حلّ ابي غالب هي انهُ كان بالدوين اخو غودفريد احد امراء الصليبيين الفرنسي واليًا على الرها على هذا العهد . فانفذ بعض الرجال الفرنسويين صحبة وجوه الرهاويين الى البطريرك ليدافعوا عن مطرانهم ويسترحموهُ . فرفض البطريرك توسطهم * ثم قدم ديونيسيوس برماودياني مطران ملطية صحبة سبعين رجلاً من اشرافها وبلغوا الى ان يخرّوا بوجوههم على قدَمَي البطريرك مصمّمين على ان لا يرفعوا وجوههم من الارض ان لم يعدهم بحلّ ابي غالب * فابى البطريرك لا بل غضب على الشيخ ديونيسيوس وعرّاهُ من منصبهِ لانهُ عاون ابا غالب . ولم يلتفت لا الى هيبتهِ ولا الى اتعابهِ التي صرفها لخير كرسيّهِ الملطيّ الذي اغناهُ بالعلوم . بل اسام مكانهُ اليشاع رئيس دير بارد ودعاهُ يوحنا * اما ما كان من هذا يوحنا فانهُ لما دخل ملطية الزمهُ والي المدينة بأداء مائتي دينار جعالةً ولم يقبلهُ حتى وفى بنو ابرشيتهِ عنهُ هذا المبلغ * ثم ظهر سكيرًا محبًّا للخمر . فمقتهُ اهل ملطية *

واغرب امرٍ اتى بهِ البطريرك بعد ذلك في شان القسوس الرهاويين الذين اسامهم ابو غالب مطرانهم المحروم هو انهُ كان البطريرك قد امر باعادة سياميذهم . فاقتبلوا الكهنوت من دون ان يسالهم عن امر شماسيتهم * فلما جرى الفحص عنهم ظهر ان ابا غالب ايضاً قد رقّاهم الى الدرجة الشماسية * فتوقف البطريرك متحيرًا من انهُ سبق واعاد سياميذهم في درجة الكهنوت فقط زاعمًا انهُ اذا كانت شماسيتهم صحيحةً يجب ان يكون كهنوتهم الاول ايضاً صحيحًا . واذا صُرّح ببطلان شماسيتهم يكون سياميذهم الثاني في

درجة الكهنوت ايضاً باطلاً * وفي هذه الحيرة التي اكتنفتهُ راى بغلاظة عقلهِ ان يطلقهم آمرًا اياهم ان لا يجروا الخدم الكهنوتية بدون معاونة احد الشمامسة . كأنّ نقصان الشماسية فيهم يمكن تسديدهُ بالبَدَل . مع ان كل من لهُ اقلّ إلمام في الرسوم الدينية يعلم ان شماسية الواحد لا تُغني للآخر شيئاً *

اما ابو غالب مطران الرها ففي اثناء رحيل البطريرك الى دير الدواير الواقع في كورة انطاكية استعان ببرنرد الفرنسي الذي كان من فالنِس وصار اوّل بطريرك لاتيني على انطاكية سنة ١١٠٠ * قال ابن العبري : « فامر (بطريرك الافرنج) ان يؤتى بماراثناسيوس اليهِ ولو رغمًا . وسألهُ ان يُصلّي على برصابوني ويرضى عنهُ دلالة على اعادة شركتهِ معهُ . فاجاب البطريرك انهُ لمذنبٌ جدًّا [illegible] . ولم يفهم الترجمان قوّة هذه العبارة فأفهمهُ انهُ مديون لهُ كثيرًا * فقال بطريرك الافرنج : ليس ذلك من شان بطرس بل من شان سيمون . ولكن هب انكم تقبلون الرشوة في السياميذ لكن اعتقد انك بحِلّك هذا الذي التجأ الينا من التأديب تكون قد أُهديت لبيعتنا اليوم عشرة آلاف درهم * فلم يبق للبطريرك ما يحتج بهِ . وعُرِض عليهِ صكّ ليمضي صورة مصالحتهِ مع برصابوني . فاتقد غيظًا ونظر شزرًا الى برصابوني قائلاً : انظر يا ابا غالب الى اين ساقني عملك هذا . فلم يصمت التعيس بل اجاب متجاسرًا : ان كنت انا ابا غالب فانت ابو الفرج . وحل هذا الكلام البطريرك الى هذا الحدّ من التغيير والتشوّش في وجههِ حتى القى الصكّ من يدهِ وشرع يخاطب بطريرك الافرنج على هذا النحو : ان احلّتهُ ولو قطعت راسي » انتهى * ثم اردف ابن العبري بعد هذه النكتة قائلاً : « فاتقدت وجوه الافرنج

غضباً وامروا ان يُضرب (البطريرك) بالسياط . غير ان احد الاساقفة قال لبطريركهِ : ان هذا التعيس ولو استحق الضرب الاّ انهُ لا يسوغ لنا ان نستعمل ذلك في البيعة . فدفع الله ما كان اعظم * وخرج البطريرك مار اثناسيوس واتى بيعة والدة الاله التي للسريان (اليعاقبة) واستدعى اليهِ عبد المسيح الرهاوي والفيلسوف الخلقيدوني وكان صديقاً لهُ فسعى هذا لدى روجيل [1] صاحب انطاكية وقدَّم لهُ هدايا واسعة واستأذنهُ في عود البطريرك الى ديرهِ * اما بطريرك الافرنج فاوقف على ابواب المدينة حرَّاساً وامرهم ان يمنعوهُ من الخروج . الاّ انهُ تمكَّن بعدئذٍ من الخروج . فاقام في دير قنقرت الذي في آمد » انتهى * وفي هذه الاثناء بادى ايضاً صاحب آمد البطريرك اثناسيوس بالعداوة وكان سبب ذلك ان اثناسيوس قد حرم الشماس اسحق برقرابا بسبب الخلاف الذي نشأ بينهما في شان الدور والكروم والحقول . وكان اسحق ذا وجاهة لدى صاحب آمد * فتوسط هذا بينهما وسأل البطريرك ان يحلَّ الشماس اسحق . ولما ابى اثناسيوس غضب عليهِ صاحب آمد ومنعهُ من الخروج منها * فاقام البطريرك ثمه كما في حبسٍ ضيّقٍ وقاسى عذاباً اليماً . فاستغاث بغوسلين صاحب الرها . فأُطلق بتشفعهِ ولو كرهاً . وقصد الرها ليؤدي وجيبة معروفهِ وتشكرهِ لغوسلين * واما اثناسيوس البطريرك فلما صعد من ثمَّ الى دير برصوما ضرب بسيف الحرم الرها . ومنع بني بيعتها من تناول الاسرار لسبب اشتراكهم مع برصابوني المحروم وعضدهم لهُ (عب . س ثم) *

(1) هو روجير بن ريكارد الذي عهد اليهِ تانكرد وهو على سرير الموت امارة انطاكية الى ان يبلغ بوامُند الثاني الى سنّهِ المطلوبة *

الفصل الثالث

في تأسيس دير فسقين . واخبار رئاسة اثناسيوس الاخيرة

جرى تأسيس دير فسقين على عهد اثناسيوس البطريرك قال ابن العبري: « كان شيخٌ متقدّم في العمر اسمهُ فلوطين قد اتى من ناحية كرشنا [1] . وطلب الضيافة في دير برصوما . فاوعز الى الربان داود ورفقائهِ الرهبان الفاضلين الذين آووا دير مار ابحى ان يقصدوا مغارة قريبة من سواحل الفرات مجاورة للدير الخرب المعروف بدير الشميشاطيين ويسكنوا فيها لان الرب اوحى لهُ ان تلك المغارة ستكون ديراً لمتوحدين فضلاء . فصعدوا اليها واقاموا في الكرخ واستحقوا الاكتشافات الالهيَّة واجتراح المعجزات » انتهى * وقد اوضح راي بعض الاساقفة اليعاقبة في شان هولاء الرهبان بقولهِ « ان ديونيسيوس اسقف ملطية وبني صابوني همّوا ان يفترسوا الشيخ فلوطين ورهبان دير فسقين لانهم كانوا يتخيلون ببدعة المصلّين ويقبلون الاكتشافات من الشياطين . اما البطريرك فلم يكن يطاوعهم » انتهى * وخلف بعد الربان داود في رئاسة الدير الربان حبقوق . وبنى الهيكل وامر بحفظ القوانين التي وضعها سالفهُ الربان داود اي ان لا ينصبوا كرماً ولا حقولاً ولا كوارات نحل *

ودبَّر اثناسيوس السابع البطريرك كرسيَّهُ ثمانٍ وثلاثين سنةً . وكان قد باشر بحفلة القداس في دير برصوما يوم احد القطنوسطي . ولما وصل

(1) كرشنا مدينة قريبة من منبج كانت خاضعة للملوك الارمن الفيليقيين *

الى دعوة الروح القدس ارتجفت يداهُ وأُغمي عليهِ . فأُجلس على كرسيهِ وكمّل الذبيحة اسقف جرجر * ثم نقه البطريرك من دائهِ ورفع هذا الاسقف الى هوفركية سجستان احدى مدن خراسان . الاّ انهُ بقي طريح الفراش . واشتدّ مرضهُ وبعد سبعة ايام قضى نحبهُ في الساعة الثامنة من يوم السبت الواقع في ٨ حزيران سنة ١١٢٩ م بعد ان اسام دبونيسيوس الاوّل المفريان واربعة وستين اسقفًا . وتمت حفلة مأتمهِ ودفنهِ في دير برصوما * وكان اثناسيوس مجمّلاً بالفضائل ذا حزمٍ وتدبير . الاّ انهُ كان قليل الفطنة حادّ الطبع مطبوعًا على المشاجرات متمسكًا برايهِ لا ينقاد الى مشورات غيره * ويُعاب ايضًا لصرامتهِ في تدبير البيعة وخصوصًا لاستعجالهِ في اصدار التاديبات البيعيّة ولعناده * ونجم عن هذه الصرامة انهُ القى الخوف والرعبة في قلوب بني طائفتهِ حتى تقرّب كثيرٌ من الرهاويّين اليعاقبة الى الكثلكة وصاروا يعمّدون اولادهم في بيعة الافرنج الذين قدموا بلاد المشرق في زمان الحروب الصليبيّة . وتضعضعت دعائم اليعاقبة بسبب الخلف الذي جرى بين البطريرك وبرصابوني مطران الرها . وبرماودياني اسقف ملطية . وغيرهما من الاساقفة الذين لم يطاوعوا عناده . فحرمهم ولم يحلّهم من التاديبات حتى ماتوا *

وفي هذه الاثناء قضى برصابوني اجلهُ فانهُ لما بلغهُ خبر موت البطريرك اتى ليحضر مأتمهُ . وفي اوان هذه الحفلة فاجأهُ عارضٌ ما فوقع لساعتهِ طريحًا وحُمل الى فراشهِ . ثم عوفي ورحل الى خيشوم لانتخاب بطريرك جديد . وفي طريقهِ الى شميشاط سقط من حصانهِ فعاد الى الرها . وتوفي بعد قليل بعد ان حلّهُ من الحرم البطريرك المنتخب (س . عب ثمّ) *

الفصل الرابع

في اختيار يوحنا الثالث عشر واخبار رئاستهِ

ان يوحنا كان رئيس دير الدوابر الواقع في كورة انطاكية . وكان يُعرَف بماوديانا . ولما اجتمع الاساقفة في خيشوم . وقع اختيارهم عليهِ بالاقتراع * واسيم في تل باشر(١) في بيعة الافرنج في ١٨ شباط سنة ١١٢٩ م . بسعي غوسلين صاحب الرها . واسامهُ دبونيسيوس المفريان ودُعي يوحنا وهو الثالث عشر بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * وكان حاضرًا في هذه الحفلة غوسلين وعظماؤهُ . وفي هذه الغضون توفي دبونيسيوس اسقف خيشوم الذي كان يترأس مجمع الانتخاب * ولما استتبّ لهُ الامر عزل يوحنا براندراوس اسقف منبج لانهُ لما صعد البطريرك الى دير برصوما ومرّ بمنبج لم يقتبلهُ بابّهة * الاّ ان كثيرين من ذوي الانصاف لم يستصوبوا هذا الفعل بل ذمّوهُ وعذلوهُ . لان براندراوس لا يستحق في الاكثر سوى التوبيخ * وكان هذا منذ نعومة اظفارهِ اضحى لاقرانهِ مرآةً مضيئةً في العلوم وتمهّر في اللغتين السريانية والارمنية . وكان لكلامهِ سطوة ووقع عظيم حتى ان فصاحة لسانهِ كانت من اقوى المحجبين للارمن * الاّ انهُ استحقّ التوبيخ لانهُ لم يؤدِّ التوقير الذي كان واجبًا للبطريرك . ولم يُقِل عثرتهُ بطلب الغفران * وكان يظنّ انهُ اذا انعزل عن منصبهِ يأول الأمر ببني مرعيتهِ لا بل بالبطريرك نفسهِ ان يتوسّلوا اليهِ ليعود الى منزلتهِ *

(١) قلعة على ضفة نهر سابور كثيرة المياه والبساتين في الطريق التي تودّي من حلب الى الرها بين الفرات وحلب . وتبعد عن هذه مرحلتين *

وهذا كان سبب استقالة باسيليوس اسقف خيشوم (او هو بر شومنا) عن منصبهِ فانهُ شقَّ عليهِ سوء تدبير مصالح البيعة وظهر ذلك خصوصاً في امر عزل بر اندراوس واقامة برنوركيا مكانهُ * فانفرد في دير فسقين ليعيش ثمَّ براحة وهدوّ * فعوَّل البطريرك في فرصة استعفاء باسيليوس ان ينصب باسيليوس آخر على آمد التي كانت يومئذٍ الكرسي البطريركي . وجعل خيشوم كرسيهُ . ولم يُرضِ برنوركيا اسقف منبج بني رعيتهِ بل خاط في التدبير . فندم البطريرك على عزل بر اندراوس * واتفق ان هذا لما خاب املهُ من العود الى منزلتهِ تندَّم جدًّا وسأل البطريرك العفو . فأعادهُ الى كرسيهِ بعد انعزالهِ عنهُ ثلاث سنين . وبهذه الواسطة ايضاً تصالح باسيليوس اسقف خيشوم مع البطريرك بعد خمس سنين *

وكان البطريرك اتخذ باسيليوس في قلايتهِ بصفة كاتب اسرارهِ لاضطلاعهِ في الانشاء والتدبير البيعيّ * واتفق في هذه الاثناء موت يوحنا او هو ايشاع اسقف ملطية . وكان باسيليوس يرغب في التسلط على هذا الكرسي * وكان البطريرك بسلامة قلبهِ ينقاد الى مشوراتهِ ولو كانت رديةً حتى انهُ منع كثيرًا من المترشحين لرئاسة هذا الكرسي . ولبثت ملطيةُ محرومةً من راعٍ يسوسها ثلاث سنين * واخيرًا اختار الملطيون ابن وطنهم الربان يشوع الشماس المعروف ببرقوطري . فاشتعل باسيليوس الجيحاني حسدا وسعى لدى البطريرك بجرمهِ * ولم ينشك الربان يشوع من هذه المعاملة الجافية ولما قُرئ الحرم من على المنبر قَبِل امر البطريرك بصبرٍ وفرح وانعزل الى بيتهِ * ولما بلغ ذلك مسامع البطريرك اثنى على طاعتهِ وتواضعهِ . وانفذ اليهِ كتاب الشركة

معهُ * واتفق موت يوحنا البطريرك في ايلول من سنة ١١٣٧ . فكتب باسيليوس المذكور لنفسهِ عن لسان البطريرك كتاب التأييد على ملطيةَ وامضاهُ بختم البطريرك وتسلَّط بالقوة على كرسيها * ودبَّر يوحنا الثالث عشر البطريركيةَ ثمان سنين . وتوفي في دير الدوابر وقُبر ثمَّ . وسام اثني عشر اسقفًا . وفرغ الكرسي بعده سنةً وثلاثة اشهر في خيشوم * وفي ايامهِ دوَّخ الاتراك مدينة اطنة سنة ١١٣٦ ونهبوها . وكان اهلها يعاقبةً وسبوا مطرانها ابوانيس الطويل *

الفصل الخامس

في انتخاب اثناسيوس الثامن والنزاع الذي نشأ بينهُ وبين باسيليوس اسقف جيحان

ان اثناسيوس هو يشوع الشماس الملطيّ الذي كان قد حرمهُ البطريرك باغراء باسيليوس الجيحاني * وبعد ان ترملت الطائفة اليعقوبية من راعيها الاعظم عوَّل اساقفتها المتقدمون على الالتئام في دير ماقرونا لاختيار بطريرك جديد * وحضر منهم اسقف جرجر [1] . واسقف صمحا . واسقف قلوديا [2] . واسقف جيحان [3] . واجمعوا على ثلثة اشخاص جديرين بهذا المنصب * وبعد ان أُجري الاقتراع خرج اسم يشوع المعروف ببرقطري . فأُنفذ اسقفان واتيا بهِ من ملطية الى دير ماقرون والبساهُ ثياب الرهبانية *

(١) حصنٌ منيع غربي الفرات بقرب ملطية *

(٢) صمحا وقلوديا من الاسقفيات السبع المجاورة لملطية احدى مدن ارمينية الصغرى *

(٣) كرسي اسقفي في الناحية المسماة من نهر جيحون الذي يروي قيليقية *

وفي هذه الاثناء بلغهم قدوم المفريان الى آمد . واتّفق ان صاحب آمد طلب اليهم ان يجتمعوا في مدينتهِ . فقصد الاساقفة صحبة المختار دير قنقرت واسامهُ ثمه اسقف جرجر قسّيساً ثم دخلوا آمد . وتمّت فيها حفلة تكريسهِ بطريركًا يوم الاحد الواقع في ٤ كانون الاول سنة ١١٣٨ م في عيد القديسة بربارة . وكان السابوم ديونيسيوس المفريان بمعاونة اثني عشر اسقفًا . ودُعي اثناسيوس وهو الثامن بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * واعدّ مؤيد الدين برنيسَن صاحب آمد في ذلك اليوم للاساقفة وليمةً فاخرة *

ومن التدابير التي اجراها البطريرك الجديد ثاني يوم تجليسهِ هي انهُ امر ان يترك اسقف جيجان ملطية ويعود الى كرسيهِ . واقام على كرسي قلعة جعبر باسيليوس مطران آمد . امّا آمد فأراد ان تبقى الكرسي البطريركي كما كانت اوّلاً * ونشأ من النزاع والشكوك في الطائفة من جرّاء ذلك ما يكلّ اللسان عن وصفهِ . واضحت هذه التدابير منبع انشقاق عظيم فيها . فان باسيليوس الجيجاني تمرّد على البطريرك وشرع يبثّ لهُ المصائد واسباب الشغَب . ونهض بجسارةٍ قائلاً لهُ امام جمهور الاساقفة والمؤمنين : انك لم تُنتخب بطريركًا انتخاباً صادقًا بل بالغش والاثم . وان اسقف جرجر قد غشّني اذ حلف لي انك لن تطردني من ملطية اذا اختُرت بطريركًا . وانهُ قد اتى بإثمٍ فظيع اذ خاتل الاساقفة وكتب في ثلاثة قراطيس اسمك فقط * فلما شاع هذا الخبر خالجت الشكوك قلوب الجميع حتى ان الاساقفة الذين لم يحضروا الانتخاب والسياميذ لم يكرزوا باسم اثناسيوس . وتهيأوا لاختيار آخر عوضهُ * ولم يعبأ اثناسيوس البطريرك بهذه التقوّلات والاراجيف بل عمد الى الحزم وثبات الجنان . وقصد

دير برصوما . واسام ثيودور ابن اختهِ مطرانًا على ملطية باسم اغناطيوس . واسام رومانوس الملطيّ احد رهبان دير الجدلية في اورشليم على اورشليم نفسها . ودعاهُ اغناطيوس ايضًا *

وفي هذه الاثناء جرى عهد الاتحاد بين البطريرك والاساقفة الغربيين الذين لم يكرزوا باسمهِ . فانهم اجتمعوا في حصن منصور مع براندراوس اسقف منبج وبرشومانا اسقف خيشوم وغيرهما . وسنّوا بعض القوانين وانفذوها الى البطريرك واعلموه انهم يقبلونهُ اذا صادق عليها وحفظها . فلما وعدهم بحفظها اتوا اليهِ وسلّموهُ كتاب الرضى وجرى ذلك سنة ١٤٥٢ م *

ثم سافر اثناسيوس الى دير مار هرون الواقع في سنجار ليُقيم خلفًا لديونيسيوس الاوّل المفريان . واسام لعازر من دير سركيس الذي عُرِف باسم اغناطيوس كما سوف نرى * وفي هذه الفرصة خوّل اسقف ميافرقين تدبير كرسي آمد . واسقف طرسوس سياسة رعية انطاكية *

وفي هذه الغضون جرى لاثناسيوس مع غوسلين الصغير ابن غوسلين الاوّل صاحب الرها خلافٌ شديد . وذلك ان اثناسيوس لم يراعِ مع يوسلين المعاملات الرسمية الواجبة للأمراء بعد سياميته . وكان قد بلغ غوسلين ان البطريرك قصد ملطية ليوديّ لصاحبها امارات التوقير . وزد على ذلك ان بعض الوُشاة بلّغوا غوسلين ان انتخاب اثناسيوس لم يجرِ على الاصول القانونية * فغضب على البطريرك ومنع ان يكرز باسمهِ في ولايتهِ . ونقل باسيليوس الاسقف المعروف ببرشومنا من خيشوم الى الرها ونهب دير برصوما كما روى ابن العبري تفاصيل هذا الحادث على سنة ١١٤٩ م . ثم استدعى اليهِ طيماثاوس

اسقف جرجر في شميشاط ليستخبره عن صحّة الانتخاب * فلمّا بلغ ذلك مسامع البطريرك توجّس من هذا الاستقصاء وسعى في استمالة غوسلين اليهِ وطاوعهُ في تأييد برشومنا على الرها . واسام على خيشوم ايليا الراهب الشهير بين معاصريهِ اليعاقبة بالعلم والفضل وسُمّي يوحنا * وبذلك انقطعت اسباب نزاع الرهاويين مع البطريرك (س ٢ : ٢٦٠ - ٢٦٢ . عب ١ : ٤٥٩) *

الفصل السادس

في ترجمة يوحنا مطران ماردين ونواحيها ومآثره

كان يوحنا من عائلةٍ غنيّة جدًّا وعريقةٍ في الشرف والنسب . ومنذ نعومة اظفارهِ انعكف على درس العلوم والفضائل . وترهب في الدير الواقع في جبل الرها وكان دمث الاخلاق وذا قريحة وقابليّة لاقتباس العلوم . ونال شهرةً لدى الملوك والامراء والشعوب . فاختارهُ اثناسيوس السابع البطريرك المعروف بابي الفرج مطرانًا على ماردين ودارا والخابور وكفرتوث وتل بسما ونصيبين ونواحيها سنة ١١٢٥ م * ومعلومٌ ان كلاًّ من هذه المواضعِ كان كرسيًّا مستقلاًّ فجُمعت كلها في ابرشيةٍ واحدة لنقصان عدد اليعاقبة فيها . وخصوصًا ليستطيع الاسقف ان يعيش من احسانات الشعب * ومن مروءة يوحنا مطران ماردين التي تذكر فتشكر انهُ كان زنكي صاحب الموصل قد حاصر الرها ودوّخها وخرّب جانبًا منها . واستاق كثيرًا من الرهاويين اسرى سنة ١١٤٥ م . فاخذت يوحنا الشفقة عليهم . وسعى بفدائهم بمالهِ * فحارت عقول الناس لهذا السخاء الفريد . وصارت عيون المعمورة محدقةً بهِ في جيل المستقيمين *

ومن اشهر مآثر يوحنا انهُ كان غيورًا على نجاح بني طائفتهِ . فاقام المدارس في ناحية كرسيهِ بعد اندراسها وحثّ الطلبة على العلوم والفضائل . وبذل قصاراهُ في احياء مذهب اليعاقبة وازهارهِ بعد ان اوشك على الاضمحلال والاندثار . واسام نحو سبعمائة بين شمامسة وقسوس في زمان رئاستهِ . ولم يقُم من يضاهيهِ بين اليعاقبة في الغيرة والصفات الحميدة التي اكتسبها *

وسعى جدًّا في بناء البيع والاديرة التي كانت قد خربت منذ مائتي سنةٍ واكثر حتى لم يكن احدٌ يعرف اسماءها * وامّا البيع التي شادها فمنها خمس بيع كبيرة شادها بالكلس والحجارة أُولاها في دونَيْسَرْ وتُعرف بالجديدة . وثانيتها في تل قُبب . وثالثتها في قرية المشقوق . ورابعتها في قرية الشعب . وخامستها في تل بسما وهي بيعة الاربعين شهيدًا * وبنى ايضًا نحو اربعة وعشرين مصلّى او بيع صغيرة في القرى المجاورة * واما الاديرة التي بناها او رمّها بعد خرابها فهي كثيرة يضيق بنا المجال عن استقصائها . الّا ان اشهر الاديرة التي رمّها هو دير مار حنانيا المعروف بدير الزعفران القريب من ماردين * فالاديرة التي بناها هي دير مار دانيال فوق قلعة بريا . ودير مار جيورجيس الذي تحت قرية الشعب . ودير بيعة برصوما بقرب القريتين تل قبب وبخدشيهِ . ودير مار اسطيفانوس المعروف بالبوخرا او بكر الشهداء القريب من رشميل وبنابيل . ودير بيعة مار ثاودوط القريب من قلعة السور . ودير مار ديط المعروف بدير حور وعبر [illegible] [illegible] * واما الاديرة التي جدّدها ولم يسكن فيها احدٌ من الرهبان فهي اربعة (١) دير مار [illegible] القريب من صور . (٢) دير مار اثناسيوس وهو

الدير الكبير . (٣) دير شميشاط بجانب تل بسما . (٤) دير مار حنانيا .
(طالع في ذا الشان السمعاني مجلد ٢ وجة ٢٢٨) *

واشتهر خصوصاً يوحنا مطران ماردين في فنّ مساحة الارض والاكتشاف على ينابيع الارض وطريقة توجيه المياه بسهولةٍ الى اي محل أُريد عند مسيس الحاجة * وبذلك تمكّن من ادخال المياه الى دير مار حنانيا . وهيّأ له ثلاث ارحية . وهو الذي جمع الينابيع التي كانت في الجبال القريبة من دير برصوما على عهد ميخائيل رئيسهِ الذي صار بعد ذلك بطريركاً . وبذل نفقاتٍ وافرة من كيسهِ ومن كيس الدير وجلب المياه اليهِ رغماً عن تقوّلات ودَمدَمات الرهبان الذين كانوا يحتسبون النجاح في هذا العمل ممتنعاً فضلاً عن اتلاف اموال الدير بدون طائل كما روى مفصلاً ميخائيل الكبير البطريرك في تاريخهِ وابن العبري في ترجمة اثناسيوس *

وترك لنا يوحنا اسقف ماردين من التصانيف في فرصة خراب الرها كتاباً قصد ان يبيّن فيهِ ان النوائب التي تلمّ بالبشر لا تاتي من الله * واثبت هذا زعمهُ من انهُ لو كانت جيوش الافرنج حاضرة في الرها لما تمكّن زنكي من الاستيلاء على الرها وتخريبها . وشحذ فكره في تقرير زعمهِ ببراهين عقلية اوجدها من نفسهِ . وعطفها ببعض آيات الكتب القدسية التي شرحها على رايهِ الخصوصي * ولمّا كان هذا المذهب غريباً منافياً للراي العام نهض عليهِ كثيرٌ من اساقفة الطائفة ودحضوهُ بكتبهم . وخصّ منهم يوحنا اسقف خيشوم وبراندراوس وديونيسيوس اسقف آمد

ويعقوب الملطي الشماس معلم البيان المعروف بابن الصليبي . وصليبا القسّيس في قريجرا القرية الواقعة في جنوب حصن منصور * وقد حصل ليوحنا اسقف ماردين خوضٌ وجدال عظيم في ذا الشان مع اخصامهِ ولاسيما مع ابن الصليبي الذي حرمهُ البطريرك ترضيةً ومراعاةً ليوحنا . الاّ انهُ لما قرا الردّ على يوحنا وراى الحقّ حلّهُ ومدحهُ . لا بل اسامهُ اسقفاً على مرعش باسم ديونيسيوس وانفذهُ الى ماردين ليتصالح مع يوحنا *

وقضى يوحنا مطران ماردين نحبهُ في ١٢ تموز سنة ١١٦٥ م . وعاش سبعاً وسبعين سنةً واقام في دير مار حنانيا الذي عمّرهُ . ودبّر كرسيهُ ثلاث وثلاثين سنةً * وروى ابن العبري انهُ لما كان يوحنا ذاهباً من دير مار حنانيا الى مغارة ادرود ليزور احد الرهبان سقط من على فرسهِ وهو صاعدٌ الجبل ومات . ودُفن في مقبرة الرهبان المخصوصة بدير مار حنانيا * وكان اخص اصدقاءه يوحنا مطران ماردين اغناطيوس الثاني المفريان الذي مرض بقرب ماردين في رحلتهِ الى سورية . وتوفي سنة ١١٦٤ في دير مار حنانيا واوصى بتركتهِ ليوحنا نفسهِ * فلمّا توفي يوحنا استولى على تركة المفريان رجال اشرار وبدّدوها بالمنكرات . فبادوا بعد حينٍ في اسوإ حال * وكان يوحنا قد سعى لدى البطريرك اثناسيوس باقتران كرسي الموصل بتكريت تحت ادارة المفريان وعقدِ مجمع طائفي لتدبير شؤون بني ملتهِ . (عب ١ : ٤٤٩ - ٥٠٢) *

الفصل السابع

في المجمع الذي عقده أيمة اليعاقبة في دير برصوما واعماله وقوانينه التي سُنّت فيه واسباب انحطاط الطائفة اليعقوبية على هذا العهد

من جملة الذين سعوا بعقد هذا المجمع في دير برصوما يوحنا اسقف ماردين المار ذكره . ويوحنا اسقف خيشوم . واغناطيوس الثاني المفريان واساقفته في المشرق * وانفذوا الى البطريرك مكاتيب شتّى صحبة نفرٍ من الرهبان يحثّونه على عقد مجمعٍ وسنّ القوانين الملائمة لإصلاح شؤون الطائفة وتقويم الامور البيعية التي اوشكت على الاضمحلال والخراب * لا بل ان اسقف خيشوم قصد هو بنفسه البطريرك وبيّن له ضرورة هذا المجمع الطائفي * وجرى اجتماع ايمة الطائفة اليعقوبية على هذا الاسلوب . اتى اسقف خيشوم ماردين واستدعى المفريان والاساقفة الشرقيين . وقصدوا صحبة يوحنا اسقف ماردين واساقفة المغرب سورية وعُقد المجمع في دير برصوما القريب من ملطية في كانون الثاني سنة ١١٥٥ م *

وسنّ آباء هذا المجمع اربعين قانونًا وفيها اثبتوا وجدّدوا القوانين الرسُلية وسعوا في اصلاح شؤون الطائفة ونقض سوء الاستعمال والسيمونية في تخويل الدرجات القدسية وضبط اميال ذوي الاطماع عن الاستيلاء عليها مع عدم جدارتهم واستحقاقهم * وابرم آباء هذا المجمع في شان تدبير الابرشيات امورًا كثيرة . منها انهُ كان المفريان قد قصد البطريرك ملتمسًا منهُ المساعدة على توحيد تكريت والموصل في الكرسي المفرياني . فلم يوافقهُ اولاً * فاستعان المفريان بحكّام البلاد واسقف ماردين وتوسّطهم . فشدّوا على عضده واقنعوا

البطريرك وآباء هذا المجمع * وخوّلوا ايضًا برانداروس كرسي طور عبدين وعزلوا اسقفهُ الذي كان قد طعن في السن . وسُلِّمت رَعيان الى يوحنا اسقف خيشوم . ومنبج الى برصليبا ما خلا مرعش . وأُلحقت سيبابرخ بالرها . وعُزل باسيليوس اسقفها الذي كان يومًا في لاقبين *

ولم تستفد الطائفة اليعقوبية من القوانين التي سُنّت في هذا المجمع فان البطريرك واساقفة المغرب لم يحفظوها لانهم كانوا قد اعتادوا التصرّف في كراسيهم بحرّية من دون ان تردعهم القوانين الشرعية عن المُنكر * ولذلك انحطّت طائفتهم الى اقصى درجة من الذلّ والهوان *

واخصّ اسباب هذا الانحطاط الذي جرى في هذه الطائفة على نحو هذا العهد (١) انتقاض القوانين البيعيّة التي كان الرؤساء اوّل من يثلمها ويحتقرها مع انهم قد أُقيموا من الله ليكونوا مثالاً لغيرهم في حفظها * وعليه شهد ابن العبري ان القوانين التي حُدّدت في هذا المجمع المار الآن ذكرهُ توطيدًا لدعائم التهذيب لم يحفظها لا البطريرك ولا اساقفة المغرب * (٢) السيمونيّة او اخذ الرشوة في ترقية المترشّحين الى اعلى مناصب البيعة . وعليه روى ابن العبري ان البطريرك والاساقفة كانوا يبيعون على جاري عادتهم بعد هذا المجمع ايضًا الكهنوت اقتداء بالارمن * ولذلك قام براندراوس في القصيدة التهكمية (التي انشأها باسم صديقه ميخائيل الذي هجر ثوب الرهبنة وذهب سكن في عكا) يفخر بالبطريرك بنوعٍ مُخزٍ قائلاً : « مختارنا هو احسن كل الصيارف . تعلّم هذا الفنّ وتمهّر بهِ منذ زمان طويل . سكّ الدرهم من نقدٍ جديد . فان رُفض الاوّل فهذا هو الاصلح » *

(٣) خرق بعض السنن الالهية التي خالفها بعض من اساقفة هذه الطائفة . ومنهم باسيليوس اسقف لاقبين . وبرتركا اسقف تل باشر . وجبرائيل اسقف سروج . وطيماثاوس اسقف جرجر . وهرون اسقف سجستان . كما روى ابن العبري في ترجمة اثناسيوس الثامن * وهذا هرون رحل بُعَيد ذلك الى القسطنطينية واورشليم ولبنان حيث قضى ايامهُ بالتوبة بين الموارنة واعتنق الايمان الكاثوليكي *

(٤) الطمع في الرئاسة لا لوجه الله وخدمتهِ والقيام باعباء الكهنوت الذي قد رُسِم لفائدة المؤمنين واحتياجاتهم الروحية بل ليتسلّطوا على الجمهور ويجروا مقاصدهم الذميمة وآمال كبريائهم *

(٥) تخويل الرئاسة لمن ليس هو اهلاً لها بل لمن يمتهنها واهمال من يُحسَب جديرًا للقيام باعبائها * واكبر شاهد لذلك هو ابن العبري الذي في ترجمة اثناسيوس نفسهِ يقول ما نصهُ : « وفي نحو هذا الزمان اتى الشيخ باسيليوس اسقف جيحان البطريرك والزمهُ ان يُسِم ابن اخيهِ وكان بعد صغيرًا لم يبلغ سنّ التمييز ليخلفهُ في كرسيهِ الاسقفيّ . فاحتجّ البطريرك بان ذلك مخالف للشرع . اجابهُ الشيخ : كما اسمت يوسف اسقف جرجر خليفةً لعمهِ وخوّلتهُ كرسيهُ . وجعلت اسقف عرقا خليفةً لخالهِ . واسمت لكرسي لاقبين صغيرًا لم يكن قد بلغ بعدُ سنّ التمييز كذلك احسبني واحدًا من هولاء بل احقهم * فراى البطريرك نفسهُ مجبورًا على مطاوعتهِ فاسام ابن اخيهِ (باسيليوس) على جيحان * وفي الحال قصد ديونيسيوس اسقف الجب البطريرك فاسام ابن اخيهِ في مكانهِ . ودُعي طيماثاوس او ابراهام وتمّ ما

كُتب « اذا ما انكسرت الاسيجة الصغيرة يعطف كل النهر الى الطبقات السُفلى » انتهى . فتأمل (عب ١ : ٥١٤ - ٥٢٦) *

الفصل الثامن

في اخبار اثناسيوس البطريرك الاخيرة

اقام اثناسيوس البطريرك كرسيهُ في آمد . وكان قد رحل نحو سنة ١١٤٩ م الى حصن زيد المعروف في السريانية بخِرِّت بَرْت ܚܣܢܐ ܙܝܕ او هو خربوط احدى مدن ارمنية الواقعة على جبل عال بين الفرات شمالاً والخليج الذي ينشأ منهُ الدجلة جنوبًا . واقام ثمه ثلاث سنين واسام عليها سركيس تلميذهُ اسقفًا * واشار عليهِ بعض اصدقائهِ وخاصةً بعد موت يوحنا مطران ماردين ان يُقيم كرسيهُ في دير مار حنانيا المعروف بالزعفران القريب من ماردين الذي كان قد اتخذهُ يوحنا كرسيًا * وكان هذا المركز اطيب واحرى من آمد لاسباب شتّى ولاسيما لتفاوت مناخهِ ونيل الراحة فيهِ * وكان في تلك الاثناء قد أُبتلي اثناسيوس بداء الحصا . فعجبهُ هذا الرأي . الا انهُ أخّر قصدهُ ريثما ينقه من مرضهِ * واقام اثناسيوس مفريانًا على تكريت والموصل بعد موت اغناطيوس يوحنا رئيس دير مار يعقوب الواقع في جبل الرها . وكان ذلك سنة ١١٦٦ م *

واما اثناسيوس فلما راى دنوّ اجلهِ عوّل على ان يستدعي ديونيسيوس ابن الصليبي من ملطية ليقيمهُ نائبًا عنهُ في آمد . فأبى * ثم ان الماردينيين لما رأوا ان تحويل الكرسي البطريركي في تلك الغضون كان ممتنعًا اختاروا

ميخائيل رئيس دير برصوما ليُولّى عليهم خليفةً ليوحنا اسقفهم . فصادق البطريرك والاساقفة على ذلك . اما هو فابى متمنعًا * وجرى إبّان انشغال الطائفة بهذه التدابير موت الشيخ البطريرك اثناسيوس الثامن ليلة الجمعة الواقعة في ١٤ تموز من سنة ١١٦٦ م في دير برصوما بعد ان دبّر طائفتهُ سبعًا وعشرين سنةً وسبعة اشهر واسام مفريانين واثنين وثلاثين اسقفًا * ودُفن في خزانة هيكل الدير في مدفن البطاركة الثلاثة المعروفين باثناسيوس .(عبا : ٥٢٩ - ٥٣٥) *

الفصل التاسع

في اختيار ميخائيل الاوّل البطريرك المعروف بالكبير واخبار ايام رئاستهِ الاولى

اختير بطريركًا على الطائفة اليعقوبية بعد موت اثناسيوس الثامن ميخائيل بن ايليا القسّيس الملطيّ من العائلة المعروفة بقينداسي وكان قد ترهّب في دير برصوما وصار رئيسًا عليهِ . وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة . ويُعرف نيافةً بالكبير للاعمال الخطيرة التي اتى بها في زمان إمامتهِ * وكان اساقفة البطريركية الاسكندرية قد اختاروا مرقس بطريركًا بعد موت يوحنا باربعين يومًا * فبذل اساقفة اليعاقبة ايضًا الهمّة في تعجيل اختيار راعٍ لطائفتهم ولاسيّما لانّ نفرًا من الاساقفة زيّنت لهم انفسهم قبيح فعل حايا وعبدون وغيرهما من الاساقفة الدُخلاء الذين استولوا على البطريركية بالتجبّر * فاخذت الغيرة بقيّة الاساقفة واختاروا ثلاثة اشخاص من الفضلاء . وهم الربان غالب الشيخ الذي كان ما بين المترشحين في اختيار اثناسيوس الثامن . والربان

سهدا من جبل الرها . وميخائيل رئيس دير برصوما . واجروا الاقتراع عليهم في دير فسقين الواقع في ناحية جرجر يوم عيد العنصرة بعد القداس وتلاوة الصلوات الثلاث الفرضية . فخرج اسم ميخائيل *

فلم يقبل ميخائيل على كاهلهِ اعباء هذا المنصب بل ابى رغمًا عن الحاح الاساقفة الثلاثة الذين انفذهم آباء المجمع للإتيان بهِ * وكان ميخائيل قد استحسّ بالخلف الذي وقع بين الاساقفة في بُهرة الانتخاب . ولاسيما لان ليس كل الاساقفة كانوا حاضرين في مجمع الانتخاب وراضين بهِ . فهرب من وجههم * ولم يتمكّن الاساقفة من اخراج ميخائيل من مخبإهِ واقناعهِ على قبول الرئاسة . واصرّ ميخائيل على الإباء زمانًا ولم يطاوع الاساقفة الى ان اشترط عليهم ان يسلكوا بموجب احكام قوانين الآباء القدّيسين وان لا يخوّلوا الدرجات القدسية بالسيمونية والرشوة . وان يحرّموا الانتقال من كرسيّ الى كرسيّ آخر * فلم يطاوعهُ جميع الاساقفة على هذه الشروط بل قاومهُ بعضهم . ومنهم عوّلوا على الرجوع عن انتخابهم . فنهض ديونيسيوس ابن الصليبي وقد اخذتهُ الغيرة على بيت الرب وخاطبهم قائلاً : « اننا منذ سنين طويلة نحن وآباؤنا ذوو الذكر الطيب نشعر بنخس الضمير الذي يمزّقنا لاننا لا نسير بموجب قوانين المجامع التي عُقدت لاستئصال الضلال وسوء الاستعمال واصلاح شؤون الطائفة . والآن بعد ان حرّك الله غيرة من اختير راعيًا علينا ليُعيد رونق القوانين الابوية . فهل يسوغ لنا ان نقاوم ارادتهُ * الحق اقول لكم : كل من لا يطاوع فهو ابليس » . فزال الخلف من بينهم بهذا الكلام وامضوا تلك الشروط *

وتمّ السياميذ في دير برصوما يوم الثلاثاء في ١٨ تشرين الاوّل سنة ١١٦٦ م . على يد يوحنا المفريان كما كان حقهُ *

وكتب ميخائيل يوم جلوسهِ على العرش البطريركي اقرار ايمانهِ . وانفذهُ الى بطريرك الاسكندرية على يد ثلاثة من رهبانهِ ليكرز باسمهِ في مصر كما يفعل بطاركة مصر ليكرز باسمهم في بيع سورية اليعقوبية جريًا على العادة المستمرة منذ سنة ٦١٦ في عهد اثناسيوس الاوّل * واقام ميخائيل كرسيهُ لمّا استتبّ لهُ الامر في دير مار حننيا . وسنّ تسعة عشر قانونًا في التهذيب واصلاح شؤون طائفتهِ * وتولّى ديونيسيوس ابن الصليبي آمد التي كانت كرسي بطاركة اليعاقبة . (س ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٩ . مي ١٥٢ . عب ١ : ٥٢٥) *

الفصل العاشر

في اسفار البطريرك ميخائيل وفي الاساقفة الذين اسامهم

ان الاسفار التي باشرها ميخائيل البطريرك بعد ان قام لهُ الامر هي كثيرة . وقبل كلّ شيء قصد الرها . وجال اديرة جبلها بصُحبة اغناطيوس الجرجري وباسيليوس القيصري ثم عبر الفرات * وكان في عزمهِ ان يتفقد كراسي المشرق . الّا انهُ لم يتمكن من التقدم لداعي الحروب التي شبّت بين أُمراء حلب وانطاكية . فعرّج الى خيشوم وقصد دير بارد فأدركهُ الشتاء ولبث ثمّة . ثم توجّه الى قيليقية ونزل الى اللاذقية وصور وانطاكية . وتواجه مع عمّالها . فاكرموا مثواهُ * ووصل اورشليم خميس اسبوع السعانين وتبارك من

المواضع القدسية واقام حفلات الاعياد المارانية وتكريس الميرون في الدير المعروف بالجدلية * وصباح احد القيامة زار امالاريق بطريرك الافرنج الاورشليمي الذي جلس على هذا الكرسي من سنة ١١٥٨ الى ١١٨٠ م * ثمّ عاد الى انطاكية وزار ايميريك بطريرك الافرنج الانطاكي . ونال ان يدخل عليهِ بأُبّهة عظمى تنكيلاً بالروم الذين كان ايميريك مغتاظًا من بطريركهم *

وفي هذه الاثناء عقد البطريرك ميخائيل مجمعًا من الاساقفة بعد عودهِ الى دير برصوما سنة ١١٦٩ . فانهُ كان قد شاع تطاول الاساقفة على السنن الالهية كما مرّ الكلام * فلمّا شُكي اسقفا جيحان وهما باسيليوس وابن اخيهِ المار ذكرهما ببعض الذنوب راى ميخائيل البطريرك ان يتلافى الامر فعزلهما من كرسيّهما . وسنّ قانونًا مناسبًا لمقتضى الحال *

واخصّ الاساقفة الذين اسامهم او نصبهم ميخائيل البطريرك على الكراسي هم الآتي ذكرهم: اثناسيوس واسامهُ على انازربا مكان اثناسيوس الشيخ عم ميخائيل نفسهِ الذي قضى نحبهُ في شيخوختهِ كاملة بعد ان ساس كرسيهُ ثلاث وثلاثين سنةً * واباغالب الراهب على جيحان مكان باسيليوس وابن اخيهِ المعزول * واغناطيوس او هو ابوغالب ابن اخي اغناطيوس المفريان على ميافرقين . وكان راهبًا من دير برصوما * واثناسيوس دنحا الشماس على الرها . وكان الملطيون قد عرضوا شكاياتٍ على اغناطيوس اسقفهم وهو الذي اغرمهُ صاحب ملطية بثلثمائة دينار جزاءً نقديًا . فابطلهُ البطريرك زمانًا . فذهب فقعد في دير اجبى ثم صالحهُ مع بني شعبهِ واعادهُ الى كرسيهِ * واسام ايضًا

سنة ١١٨٢ اغناطيوس او هو جبرائيل الراهب في دير برصوما على ميافرقين مكان عمهِ ابي غالب * واسام سنة ١١٨٣ اثناسيوس اخاهُ على اورشليم . الا ان رهبان هذه المدينة لم يقبلوهُ * ويعقوب ابن اخيهِ مفريانًا على تكريت والموصل سنة ١١٨٩ . وسهدا على اورشليم سنة ١١٩٢ بعد موت اثناسيوس اخيهِ . وفيها ايضًا اسام يوحنا قليسورا المسمى برفنون اسقفًا على ملطية . (عب ١ : ٥٤٣ - ٥٥٠) * ومنهم ايضًا يوحنا ܡܘܕܝܢܐ المعروف بالمعترف الرهاوي الذي رُسم مطرانًا على ماردين ليسوسها بدلهُ سنة ١١٨٢ . وبعد قليل حصل لهُ نزاع مع بني رعيتهِ فرحل الى القسطنطينية واعتنق ثم معتقد الخلقيدونيين او الملكيين وجُعل مطرانًا عليهم في ميافرقين . فاقام ميخائيل البطريرك عوضهُ على ماردين ابن اخيهِ غريغوريوس يعقوب المفريان ليسوسهم بدلهُ في تشرين الاول من سنة ١١٩٥ م * واوّل مطران رسمهُ كان يوحنا الذي اقامهُ سنة ١١٦٨ على دمشق يوم عيد القيامة * وحتم ميخائيل البطريرك ان تكون ماردين كرسيًّا للبطريركية الانطاكية *

الفصل الحادي عشر

في اخبار ميخائيل البطريرك في السنين المتوسطة من امامتهِ

انَّ الرقيين كانوا قد شكوا يوحنا اسقفهم واوجبوا عليهِ حكم البطريرك بالانعزال عن كرسيهِ . فاستشاط يوحنا غضبًا وقصد حُكّام ماردين والموصل ونصيبين وبغداد واغراهم بالرشوة لاستماع دعواهُ وحبس البطريرك * اما هذا فتمكّن من الدفاع عن نفسهِ . ولما راى يوحنا نفسهُ مخذولًا وشى بميخائيل

البطريرك لدى حاكم نصيبين قائلًا : انهُ يلجئ المسلمين الى النصرانية * فنبض عرق الغضب في جبين الحاكم . وكان ثم حاضرًا نفرٌ من المسلمين . فقالوا للحاكم : ان هذا البطريرك كان قد غضب على بعض الاساقفة والقسوس والرهبان وشجبهم لفحشائهم وسوء سيرتهم حينما كانوا نصارى فأسلموا . ولم يتعرَّض لهم بعد اسلامهم . فهدىء غضب الحاكم واطلق البطريرك *

اما الخدمة التي اداها ميخائيل البطريرك لدير برصوما حيث كان رئيسًا فهي انهُ قرَّر الإنعام الذي كان الاساقفة قد خوَّلوهُ اياهُ في المجمع الذي عُقد بعد موت يوحنا برشوشن بإعفاء الدير من سلطة البطاركة * وكان سبب هذا الإنعام ان كثيرًا من البطاركة كانوا يستحلّون امتعة هذا الدير الثمينة ويبيعونها ليفوا الكلف الباهظة التي كان الحكّام يضايقونهم بها ولم يكونوا يردّون العوض عنها * وكان قد استمرَّ إنعام ذلك المجمع بدون فائدة لان البطاركة الذين قاموا بعدئذٍ لم يصادقوا عليهِ حتى اثبتهُ ميخائيل * وكانت مكافاة رهبان دير برصوما للمحسن اليهم انهم تطاولوا على البطريرك بمثابة دابةٍ لا زمام لها واغاظوهُ بنزقهم فحرمهم ولم يُنعم عليهم بالحلة حتى شقَّ صكَّ ذلك الإنعام واعدمهم اياهُ *

وفي هذه الاثناء نشأ الخلاف في البطريركية الاسكندرية بشان الاعتراف . فان مرقس بن قونبر الاعمى كان يُبشّر بالاعتراف بالخطايا على مذهب المُصلّين الماهرين الذين كانوا يزعمون ان من يعترف بخطاياهُ يصير روحًا ويبلغ الى حال عدم التألم * فراى مرقس بطريرك القبط الاسكندري بجهل يرثى لهُ ان يمنع الاعتراف دفعًا لهذا الضلال * فنشأ من ذلك شقاق عظيم

في مصر. وحزبان مضادّان الاوّل يلوذ بالبطريرك والآخر يحامي عن مرقس بن قونبر. وكتبا الى ميخائيل البطريرك يستفتيانهِ * اما ما راى ميخائيل البطريرك في ذا الشان فانهُ كتب سنة ١١٨٠ مقالةً طويلة دحض اوّلاً بدعة المصلّين وصادق على حرم ابن قونبر اذا بقي على غيّهِ . وقرّر وجوب الاعتراف بالخطايا تبعاً لعادة كل الكنائس الشرقية والغربية القديمة . وعزل مرقس البطريرك لانهُ الغى استعمال هذا السرّ اذ لا يجوز ابطال ضلالٍ بضلالٍ آخر *

وفي هذه الاثناء اي سنة ١١٨١ م اتى ميخائيل البطريرك ملطية . فعاملهُ السلطان قليج ارسلان بكل لطفٍ والتفات ووهب لهُ تاجًا جميلاً وساعدهُ بمبلغٍ وافر للنفقة على نفسهِ واحتياجات طائفتهِ * وسنة ١١٨٢ م اتى السلطان من جديد ملطية واستدعى اليهِ البطريرك . فلما وصل راى السلطان راكبًا ايضًا فاراد ان ينزل من على فرسهِ ليعرض لهُ واجبات الادعية والتحيات فلم يدعهُ السلطان فتعانقا راكبين * وكانت رايةُ السلطان معلّقةً في اعلى الرمح فوق راس البطريرك فحصل للنصارى بذلك تعزية ليست بقليلة * وخاطب البطريرك السلطان في امور شتّى مازجًا كلامهُ بنصائح وتنبيهات روحية حتى بكى السلطان* وانفذ السلطان في اليوم التالي الى البطريرك براءة اعفاء لدير برصوما من الرسوم الاُميرية * ورُوي انهُ اهدى لهُ يدًا من ذهب خالص مزركشة بحجارة كريمة تتضمّن ذخائر من عظام مار بطرس زعيم الرسل كان عسكر قليج ارسلان قد سلبها من جنود الروم * فاودع ميخائيل البطريرك هذه الهدية الثمينة في دير برصوما الذي كان رئيسًا عليهِ (عب ١ : ٥٢١ - ٥٧٥ و٥٩٥) *

الفصل الثاني عشر

في الشقاق الذي انشأهُ ثيودور بن وهبون بسبب تنازعهِ على البطريركية

كان سبب الانشقاق الذي انشأهُ ثيودور بن وهبون تلميذ ميخائيل البطريرك في الطائفة الطمع في الرئاسة العليا . اما من اغراهُ على هذا العمل الفظيع فهم اربعة من الاساقفة قد وبّخهم البطريرك لذنوب شتّى . فاغتاظوا منهُ وقصدوا ابا القاسم بن نيسَن صاحب آمد ونالوا منهُ كتاب الاختيار لثيودور بن وهبون على ان يدعهُ جالسًا في آمد * ووعدوه بجمع الاموال الجزيلة لهُ *

وجرى سيامتهُ ثيودور بطريركًا سنة ١١٨٠ م * فانّ ابراهام اسقف آمد زعيم هذه الحركة الشقاقيّة اقنع ثيودور ان يقبل المنصب البطريركي ليكون من الدّ اخصام معلّمهِ * فلمّا بلغ ذلك مسامع القسوس والشعب في آمد ضجّوا محتجّين على الحاكم . اما الاساقفة المتآمرون فدفعًا لكل محذور تظاهروا بالإمساك عن مشروعهم . ودخلوا ليلاً البيعة واساموا ابن وهبون بطريركًا والابواب مغلقة * وصباح ذلك اليوم تنكروا وقصدوا الموصل ليستميلوا يوحنا الخامس الى حزبهم * وكان هذا متخاصمًا مع البطريرك بسبب الحصاصيّين الذين كانوا يلتمسون عقد الصلح مع البيعة اليعقوبيّة التي كانوا قد انفصلوا عنها منذ عهد جيورجيس وقرياقوس البطريركين * اما يوحنا المفريان فاستقبح فعل هولاء الاساقفة وقصد سورية ليجد علاجًا لهذا الداء * واما ما كان من ابن وهبون الدخيل واتباعهِ فانهم لما راوا اقوام المشرق كلهم يفرّقونهم على جسارتهم تركوا الموصل واتوا دارا . فلما استحسّ بهم المفريان ادركهم هو واساقفتهُ ورهبانهُ واستاقوهم مقيّدين الى دير برصوما * فاوجب الاساقفة

الحكم على ابن وهبون بالعزل ولبث في الدير محجوبًا بصفة راهب بسيط *
ولم يلبث ابن وهبون ان فرّ هاربًا من الدير. فانهُ كان قد حرّك بعض الرهبان الى الشفقة عليهِ فدلّوهُ ليلاً بالحبال من حائط الدير فهرب الى دمشق ثم قصد اورشليم ثم وجّه نظره الى المشرق. وكان قد بلغهُ خبر موت يوحنا المفرياني فوعد والي الموصل وماردين بمالٍ جزيل على ان يخوّلاهُ الرئاسة المفريانيّة * ولمّا لم يحرز نجاحًا في هذا المشروع قصد قلعة الروم. واقتبلهُ غريغور جاثليق الارمن ابن اخي نرسي المار ذكرهُ بفرح عظيم وسعى لدى حكام الترك في سورية وبلاد ما بين النهرين بنصبهِ بطريركًا ليكون ندًّا لميخائيل البطريرك الذي كان يبتغي عزلهُ * لا بل اتى بهِ الى لاون ملك قيليقية الارمني فامر هذا ان يُكرَّز بابن وهبون بطريركًا على اليعاقبة القاطنين في مملكتهِ *

فعوّل ميخائيل ما بين هذه الغصص والاحوال الحرجة على ان يستقيل من منصبهِ في مجمع الاساقفة الذي عقدهُ في دير برصوما * اما الاساقفة فلم يقبلوا استعفاءهُ ووعدوهُ ان يبذلوا مجهودهم في إطفاء نار هذه الفتنة. واقناع جاثليق الارمن ولاون الملك على طرد ابن وهبون وكشف هذه الغمّة * اما البطريرك فلم يزدد الّا إصرارًا على الاستعفاء. وكان يكرّر قائلاً: « لا شك ان الرب من اجل خطاياي سمح بتعذيب البيعة على يد ابن وهبون » * ولكن فضّ الله هذه المشاكل التي اقلقت طائفة اليعاقبة. فانهُ بعد اربعين يومًا مات ابن وهبون وكثير من الاساقفة اعوانهِ * واستمرّ هذا الاضطراب والانشقاق بين اليعاقبة ثلاث عشرة سنة اي من سنة ١١٨٠ الى ١١٩٣ م (س ٣: ٢٦٨، عص ١: ٥٧٥-٥٨٩) *

الفصل الثالث عشر

في الاديرة والبيع التي بناها او رمّها ميخائيل البطريرك بعد خرابها

ان الاديرة او البيع التي بُنيت او رُمّت في عهد ميخائيل البطريرك وبسعيهِ هي كثيرة. منها بيعة دير ابي غالب في قلعة جرجر. وبيعة دير قنقرت. وبيعة ملطية الكبرى المعروفة برهطا. ودير برصوما القريب من ملطية بعد ان حُرِق على ما سنرى *

وكانت بيعة ملطية قد بُنيت سنة ٩٦٩ م بسعي اغناطيوس اسقف ملطية الذي توفي سنة ٩٩١ م * ولبثت حتى اوشكت على الخراب فتصدّع سقفها وقبّتها. فلم يتمكن اساقفتها لضيق يدهم من مباشرة بنائها. فشجّعهم البطريرك وتبرّع لهم من كيسهِ بخمسمائة دينار ووعدهم بغير ذلك من الإمداد * فسعى بنو هذه الابرشية ولاسيما ابو الحسن الارخذياقون ورومانوس الوكيل بالاقدام على هذا العمل الخطير. وهدموا البيعة كلها وبنوها من جديد وسقفوها وعلّوها حتى تمّت بعد ست سنين * واشتركت النساء والارامل في هذا الاحسان حتى كُنّ يقدّمن خفيةً حليهنّ لتُباع وتُنفق على البناء *

وفي هذه الغضون جرى حريق دير برصوما وكيفية ذلك انهُ كان راهبٌ طاعن في السنّ يدعى دنحا قد نسي السراج موقدًا في قلّايتهِ. وتوجّه في اول الفجر الى الكرم. فسقطت لهبة السراج على الارض واحرقت اثاث قلّايتهِ. ثم انتشرت النار الى كل جهاتها فالتهمت سقفها وحيطانها الخشبية * ثم امتدّت النار الى التي هي فوقها وفي جوارها. وكان ذلك في -

الساعة الثالثة من يوم السبت الواقع في ٣٠ تموز من سنة ١١٨٣ م * ثم اشتدّت النار قوّةً لان الريح كانت مطاوعةً لها . فحملت الزوبعة اللهبات الى كل انحاء الدير وعلقت النار بسائر قلالي الرهبان والخدّام وبالأبنية الداخلية والامتعة الموجودة فيها . وفي ساعاتٍ قليلة صار الدير قاعًا صفصفًا واحترق هيكلهُ القديم والكتب . وذابت الامتعة الفضيّة والنحاسية حتى ابواب الدير الحديدية . وتساقطت الحيطان * وبالكدّ استطاع ان ينجو ميخائيل البطريرك ورهبان الدير بانفسهم . فانهم صعدوا الى قمّة القلعة . وخلّصوا من غائلة الحريق بعض الكتب والاواني الثمينة والذخائر ولاسيما الذخيرة التي كانت محفوظةً فيها ذراع برصوما *

وتمكّن الرهبان من تجديد عمارة الدير والهيكل بعد هذه النائبة . فانهم شمّروا عن ساعد الهمة وهدموا بقايا القلالي وبنوا الدير بهندسةٍ وعمارة اجمل ممّا كان عليهِ اولاً * فانهم عقدوا في الابنية السفلى اروقة على دائرتهِ عوضًا عن الاخشاب المعروضة غالبًا للعطب . وانتهوا من العمل بعد ثلاث سنين * اما الهيكل (او البيعة الجديدة) فكانوا قد باشروا ببنائهِ منذ سنة ١١٨٠ م . وكانت الاشغال ماشيةً على قدم النجاح يوم حُرق الدير ولم تضرّ النار الهيكل المذكور * وواصل الرهبان الشغل حتى انتهوا من العمارة والتصوير والتجميل بالنقوش الفاخرة بعد اربع عشرة سنة نحو سنة ١١٩٤م *

ومن البيع التي استولى عليها المسلمون او حُرقت وهُدمت على هذا العهد تبعًا لرواية ابن العبري هي بيعة مار توما في ماردين التي رمّها واصلحها احد اغنياء اليعاقبة ثم حُكم عليهِ بضبط جميع املاكهِ فحُسبت هذه البيعة من

هذا القبيل * وضبط سنة ١١٧٠م امين الدين حاكم ماردين رواقًا لاحدى بيع اليعاقبة ثمّ فالحقهُ المسلمون بمسجدهم * واما البيع التي هُدمت في الرها بسبب غوائل الزمان فتبلغ خمس عشرة بيعةً واشهرها بيعة مار يوحنا التي احترقت سنة ١١٨٣ (عبا : ٥٩١ - ٥٩٥ م) *

الفصل الرابع عشر

في اواخر رئاسة ميخائيل الاوّل البطريرك

ان امور الطائفة اليعقوبية في السنين الاخيرة من رئاسة ميخائيل البطريرك آلت الى حالٍ يُرثى لها وعاثت فيها البلبلات والانقلابات والنزاعات الداخليّة * وذلك لان ميخائيل كان قد طعن في السنّ وأضنتهُ الأتعاب والمشقات التي كابدها . ولم يكن في وسعهِ ان يدبّر ازمّة طائفتهِ بحزمٍ وجدّ كما كان في بدء امامتهِ وهو في عنفوان الشبوبية * وزاد على هذه الاحوال شرًا ان يشوع ابن اخيهِ المعروف بسفتانا كان طمعًا بالرئاسة يختلي مع كلّ من الاساقفة الذين يأتون لزيارة عمّهِ الشيخ البطريرك ويطلب منهُ صكًا بعد بالخلافة لعمّهِ * فلما فهم البطريرك انكر عليهِ ذلك فصار الاساقفة ورؤساء الاديرة يمقتون سفتانا من جرّاء ذلك * الّا انهُ لم يكفّ من فتق الحيل لنيل مرغوبهِ *

وقضى ميخائيل الاول البطريرك نحبهُ يوم الاثنين في ٧ تشرين الاول سنة ١٢٠٠ م . وبعد ان اسام مفريانًا واربعة وخمسين اسقفًا ودبّر طائفته ثلاثين سنةً دُفن وعمرهُ ثلاث وسبعون سنةً في البيعة الجديدة التي شادها في دير برصوما في قبرٍ جديد كان قد اعدّهُ لنفسهِ * ومن اوصاف ومناقب

ميخائيل الاول انهُ كان عالمًا فاضلاً فقيهًا في الكتب القدسية ذا قامةٍ معتدلة ووجهٍ بشوش وصوتٍ عالٍ ونغمات لذيذة * وكان محبًا للشغل مُدمنًا على التصنيف والكتابة في ما يأول الى تدبير طائفتهِ وخيرها * ومن تصانيفهِ (١) واحد وثلاثون قانونًا سنّها في المجمع الذي عُقد سنة اختيارهِ بطريركًا وعليهِ فيعدّهُ ابن العبري ما بين مؤلّفي الشرع القانوني . (٢) تاليف في الاستعداد الى التناول اثبت فيهِ سرّ الاعتراف ضد القبط . (٣) تصحيح سيرة مار ابجي . (٤) قصيدة بوزن مار بالاي في صبيّةٍ معترفة بالايمان المسيحي سنة ١١٥٩ م . (٥) اقرار ايمانهِ انفذهُ الى امانوئيل ملك الروم . (٦) نافورة او قداس يبتدىء بأيها الاله القادر على كل شيء ورب الكل . (٧) التاريخ البيعي لطائفتهِ اليعقوبية خاصّةً وهو من اشهر تآليفهِ . وقد ترجم الى اللغة الفرنسية لانكلوا وطُبع في فنسيا سنة ١٨٦٩ م . ويضاف الى هذا التاريخ المترجم الى الارمنية بحث في اصل الرسوم الكهنوتية وكتاب يتضمن الاقرار بالايمان . (٨) الطقوس المخصوصة بالسيامات وبعض الصلوات القانونية التي في حيز الاستعمال اليوم لدى طائفة اليعاقبة . (طالع المكتبة الشرقية مجلد م وجه ١٥٥ عمد ١ : ٥٩٩ : ٦٠٥) *

الفصل الخامس عشر

في اخبار اثناسيوس التاسع المعروف بقراحا والشقاق الذي انشأهُ يشوع سفنتانا طامعًا في الرئاسة العليا

املى الشيطان ليشوع سفنتانا حال خروجهِ من مأتم عمّهِ ميخائيل

البطريرك ان يتسلّط على البطريركية باي حيلة كانت ولو بالقوة . فقصد آمد ليُدبّر الامر بواسطة عاملها * ولكن رهبان دير برصوما لما استحسّوا بقصدهِ اوعزوا الى الربان ميخائيل المعروف بقردس وكان رجلاً شريفًا من ملطية ان يتعقّبهُ . فادركهُ في دير ابي غالب وحاول القبض عليهِ * اما يشوع فشكا ميخائيل لدى حاكم قلعة جرجر وسعى بالقبض عليهِ والقائهِ في السجن ولم يخرج حتى أدّى غرامةً باهظة * واما رهبان دير برصوما فلما عاد ميخائيل خائبًا رأوا تلافيًا للامر واحباطًا لمساعي يشوع ان يجمعوا خمسة عشر من اساقفة المغرب واقنعوهم ان يعجّلوا الانتخاب * فقصدوا دير مذبق الواقع في ناحية قلوديا واجمعوا على ثلاثة ممن يصلح للرئاسة واقترعوا على المترشحين فخرج اسم الربان صليبا المعروف بقراحا رئيس دير برصوما . وجرى سيامتهُ في ١٩ كانون الاول سنة ١٢٠٠ م . وسُمّي اثناسيوس وهو التاسع بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * وكان اثناسيوس أميًا غير متدرّب في العلوم البيعية . الا انهُ كان محنكًا في المصالح العالمية ذا ثروةٍ وسطوةٍ عظيمتين . وبالنتيجة كان ملائمًا لاحوال الزمان ولاسيما لقهر شوكة يشوع سفنتانا . ولذلك اقتبلهُ الاساقفة *

واتفق بعد انقضاء السيامة وصول المفريان غريغوريوس الاوّل ابن اخي ميخائيل البطريرك مع ثلاثةٍ من اساقفة المشرقيين الى آمد ووجد اخاه يشوع سفنتانا ثمّ * فشقّ عليهِ امر سيامة قراحا ومضّهُ الحزن فقصد حاكم آمد ووعدهُ بستة آلاف دينار على ان يتعهّد بإقامة اخيهِ بطريركًا في مدينتهِ * ولكن لم يتوفق المفريان لنيل مقصودهِ على هذه الصورة بل نازعهُ مينا مطران

آمد اليعقوبي هذا الحق . ونال ان يُنفى هو واخوهُ بالرغم عنهما من آمد * وكان مينا رجلاً فاضلاً محنكًا في تطبيب الاجساد . ولذلك كان مقبولاً مكرمًا لدى الحكّام . وتعهّد هو وجماعتهُ بأداء مقدار من المال لحاكم آمد مكافأةً لمعاونتهِ اياهم على طرد ذينك الدخيلين . (عب ا : ٦٠٥ - ٦٠٩ . س ٢ : ٣٦٩ مق ١٥٤) *

الفصل السادس عشر

في سيامة يشوع سفتانا الدخيل بطريركًا واخبار ايام اثناسيوس الاخيرة

عوّل المفريان لما خرج هو واخوه واساقفتهُ مخذولاً من آمد على ان يقصد ماردين فأتاها واستعان بحاكمها ليسيم اخاه في المنصب البطريركي * وجرى سيامتهُ يوم جمعة المعترفين سنة ١٢٠٠ في دير مار حنانيا . وسُمّي ميخائيل باسم عمّهِ . وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * فهذا الدخيل اسام حالاً لازدياد الشقاق ثلاثة اساقفة للكراسي القريبة . فاخذت الغيرة وجوه ماردين واستعانوا بواليها . فامر بطرد يشوع واخيهِ المفريان * فقصد هذا ملطية وطنهُ . اما يشوع فقصد الى طورعبدين . فلم يتوفّق الى استمالة حزبٍ لهُ ثمّه . لان سكان تلك الناحية مقتوه لما بلغتهم اخبار حيلهِ وفتنهِ . فاضطُرَّ الى الذهاب الى ملطية وقضى ثمّ زمانًا صُحبة اخيهِ * ثم عاد الى فتق الحيل والدسائس بين الطائفة . وكان هو وندّه اثناسيوس البطريرك يتسابقان في تقديم الرشوات الى الحكام ليغلب الواحد الآخر ويستتبّ لهُ الامر *

اما ملخص اعمال اثناسيوس البطريرك في هذه الاثناء فانهُ قصد ناحية طورعبدين لافتقاد اقوامهِ . فاقتبلوه بأبّهة وتوقير لا مزيد عليهما . ثم رحل الى دير قرطمين واسام ثمه اسقفًا لحصن زيد المعروف بخرت برت او خربوط . واخيرًا وصل ماردين . فاقتبلهُ حاكمها واهلها بالتفات وانعطاف . ثم انطلق الى راس العين وجدّد بيعتها * ولما بلغ مسامع اثناسيوس ان يشوع سفتانا استولى على دير برصوما واقرّ كرسيَّهُ فيهِ بسعي والي ملطية ركن الدولة استعان بالفقيه سديد الدولة برناشو المصري الذي اتى سفيرًا الى ركن الدولة امير ملطية فنال ان يُطرَد يشوع الدخيل من دير برصوما * فعاد هذا الى بيت ابيهِ . اما اخوه غريغور المفريان فعاد الى المشرق حيث قاسى المضض من انداده الذين سعوا بهِ لدى حاكم الموصل انهُ بدّد ثروتهُ التي جمعها في المشرق رشواتٍ للحكام الاجنبيّين *

وفي عهد اثناسيوس البطريرك جرى رمّ دير مار قرياقوس المعروف بزونيقرط الواقع في ناحية حصن زيد او خربوط حيث يختلط نهر الزاب وشطّ مراد وسعى برمّهِ شمعون الحصني الطبيب . وكان رجلاً مستغنيًا تقيًّا . وزيّنهُ باثاث من ذهب وفضة وجمع فيهِ نحو ستين راهبًا واوقف لهم الاوقاف من قرى وحقول ومواشي للقيام بأودهم . وهذا الدير استمرّ زمانًا شهيرًا بالرهبان ومزهرًا بالفضائل . الّا انهُ خرب بعد ذلك على ما سنرى *

ودبّر اثناسيوس التاسع طائفتهُ سبع سنين وتصرّم اجلهُ سنة ١٢٠٧ م ودُفن في دير برصوما (عب ا : ٦١١ - ٦١٧) *

الفصل السابع عشر

في دواعي الشقاق الذي انشأهُ ميخائيل الثاني وموتهِ
واختيار يوحنا الرابع عشر

ان ميخائيل الثاني الدخيل او هو يشوع سفنتانا لما صفا له الجوّ بعد موت اثناسيوس قدّم الى المُنتجِب حاكم ملطية جعالة ليمكّنه من الجلوس في دير برصوما . فاجاب هذا الى طلبهِ . وفي هذه الفرصة الزم ايضاً حاكم آمد الطائفة بأداء الف دينار جزاء نقدياً بسبب النزاعات الداخلية الثائرة فيها * فلما راى مقدَّموا الاساقفة اليعاقبة ولاسيما مينا الآمدي ابواب الجور والنوائب مفتوحة على طائفتهم عوَّلوا على ان ينفذوا اليهِ وفداً يقولون له : لقد عجزنا من الخصام فاكفنا الشرور التي دهمت البيعة . والآن نسألك ان تدفع انت من الالف ديناراً التي يطالبنا بها حاكم آمد الثلث . ونحن الثلث . والرهبان الثلث . واستبدَّ انت بالكرسي الذي استوليت عليهِ وارفع عنا دواعي الشكوك والاضطراب والنزاع لتكون الرعية رعية واحدة لراعٍ واحد *

ولم يجب يشوع سفنتانا الى طلبهم بل ردَّ الوفد خائباً ظاناً انه قد قبر ندّه وان الأمر مستتبٌ له * فاستشاط الاساقفة غضباً . واختاروا يشوع الكاتب الروميَّ احد رهبان دير شيرا . فلما بلغ ذلك يشوع الدخيل توجّس من إقامة ندٍّ جديد لمقاومتهِ . وارتعدت فرائصهُ . واخبر الاساقفة على يد مبارك رئيس الدير وميخائيل فردس الراهب انه مستعدٌ لأداء كل ذلك الجزاء اذا اوجب الامر واجراء طلبهم بشرط ان ينثنوا عن مشروعهم * ولم يطاوع الاساقفة يشوع سفنتانا لا بل اصرّوا على سيامة مختارهم . فان

ميخائيل فهمهم ان ذلك دسيسةٌ قصد بها خداعهم * فانهُ اذا نال الأرب منهم سيُضحي اقوى آلةٍ تمزيق شملهم والانتقام منهم . فضلاً عن انهُ لن يساعدهم ولا بدرهمٍ واحد * فانفذوا اسقفين الى نصيبين وامروهما ان يضعوا على راس يشوع الكاتب البيرون وباتيا بهِ قسرًا انهما وجداهُ لاقتبال السيامة * واحتفلوا بسيامتهِ في دير شيرا . وكان ذلك سنة ١٢٠٨ م ودُعي يوحنا وهو الرابع عشر بهذا الاسم في سلسلة البطاركة اليعاقبة * واراد الاساقفة ان يدخلوا بهِ بأُبهة الى آمد وماردين وطورعبدين فأبى معتذرًا . وقصد دير جوبقات او كوبخات في قيليقية وعاش زمانًا بالنسك بمثابة راهبٍ بسيط *

ولم ينل يوحنا البطريرك حالاً ان يُنادى باسمهِ بطريركًا على اليعاقبة في كل مكان فان يشوع سفنتانا كان ينازعهُ الرئاسة * الا ان لاون ملك قيليقية خوّل يوحنا التسلّط على دير جوبقات ونواحيهِ فلما بلغ ذلك مسامع الاساقفة انصارهِ قصدوا لاون المذكور وسألوهُ ايضاً ان يتشفع عنهُ لدى عزّ الدين كيكاوس سلطان الروم الذي كان مالكًا في اسيا الصغرى وقيصارية وقبادوقية * فكتب لاون الملك توصيةً بحقهِ الى عزّ الدين فخوّله هذا ثوباً ثميناً وبراءة ليكرز باسمهِ وحده في بلادهِ . فآل الامر بميخائيل الثاني البطريرك الدخيل ان ينسحب عن الدير ويذهب يقطن في ملطية وطنهِ *

وقد وصف ابن العبري الاحتفالات والأُبهة التي اظهرها اليعاقبة واساقفتهم في ابّان تطوافهم بيوحنا البطريرك في كراسي طائفتهِ . قال : ذهبوا بهِ اولاً الى دير برصوما الذي طُرد منهُ ميخائيل الدخيل ثم قصدوا ملطية وفي مرورهم بباب دار ميخائيل المذكور كانوا بعجرفة قائلين : اين ذهبت البوم يا يهوذا

الخادع . هلمَّ وانظر رفقاءك * وكان ميخائيل يسمع وقلبهُ يتفطر حزنًا حتى انهُ لم يتمالك من اذراف الدموع لانهُ كان يرى نفسهُ لا كالراعي بل كالقيِّم بيد اساقفة حزبهِ لتشبيع شهواتهم * ثم طاف الاساقفة بيوحنا البطريرك الرها وآمد وماردين وطور عبدين والبلاد المجاورة . وفي كل مكان كان اليعاقبة يقتبلونهُ بترحاب وتوقير ويزيدون عليهِ العطاء وفاءً للألف دينارًا المديون بها . حتى ان النساء كنَّ يرمين حليهنّ قائلات : كيف يليق بنا ان نلبس هذه الحلى وابونا مثقل بالديون للامراء * واخيرًا عاد البطريرك يوحنا واقام في دير جوبيقات طلبًا للراحة *

ولم يكفّ ميخائيل البطريرك الدخيل عن إثارة اسباب النزاع بل رشا حاكم ملطية واستولى على دير برصوما . الا انهُ لما بلغهُ موت اخيهِ غريغوريوس المفريان اصابهُ حزنٌ شديد لانهُ راى سُورة الحصين مهدومًا * فوقع في اليأس من الرئاسة . وبعد اربعين يومًا من موت اخيهِ توفي هو ايضًا في دير برصوما سنة ١٢١٥ م ولهُ نافورة باسمهِ *

واقام يوحنا البطريرك كرسيهُ بعد موت ندّهِ في دير برصوما . واسام ثمَّ داود الراهب مفريانًا الا انهُ لم يلبث حليفَ السلم فيهِ . فقصد دير مذيق الواقع في ناحية قلوديا وبنى لنفسهِ قلايةً واقام فيها * وجرى لهُ نزاعاتٌ يطول شرحها مع شمعون طَبَقان رئيس دير برصوما كما روى ابن العبري مُفصَّلاً . لان هذا كان خشن الطباع جسورًا وبلغت بهِ الحماقة الى التهكم على البطريرك وقذف تجديفات بهِ . ومات شرَّ ميتةٍ بخنجرٍ اخرج امعاءهُ من جوفهِ * وعوّل رهبان دير برصوما بعد هذه الواقعة التي القت الرعبة في قلوبهم على ان يقصدوا

البطريرك واعادوهُ الى ديرهم مكرّمًا . واقام فيهِ الى ان توفي سنة ١٢٢٠ ودُفن ثمَّ * ودبّر يوحنا الرابع عشر كرسيهُ اثنتي عشرة سنةً . وفرغ الكرسي بعد سنتين * وباسمهِ نافورة او قداس نشرهُ رنادوت . وانفذ في ٨ تموز سنة ١٢١١ م سفارةً الى يوحنا الرابع والسبعين الملقَّب بابي ماجد بطريرك القبط في شان الاتحاد بين الطائفتين . وقد ذكرها يوسف السمعاني في مكتبة الشرقية (مجلد ٢ وجه ٢٣٥ . و ٢٧٠ . عب ١ : ٦١٧ - ٦٤١) *

الفصل الثامن عشر

في رئاسة ديونيسيوس الاوّل المفريان واخبار ايامهِ الاولى

بعد موت يوحنا الرابع المفريان المعروف بصليبا فرغ كرسي تكريت والمشرق سبع سنين وكان سبب ذلك خراب بيعة احودمَّي التي كانت تُعد من الفخر بيع تكريت وتشتّت اهلها بغوائل الزمان والكلف الباهظة ايادي سبا في البلاد * وممن سعى بإسامة خليفة ليوحنا المفريان بعد تلك المدّة ابو الفرج القسّيس طبيب حاكم الموصل . فانهُ اتفق مع طيماثاوس سوغدي مطران دير مار متّى وبرايِ واحد كتبا الى اثناسيوس السابع البطريرك المعروف بابي الفرج ابن خمرا . وعرضا لهُ ان يسيم ابا شكر القسّيس التكريتي مفريانًا . وكان هذا من الموصل *

ولم يسمهُ البطريرك مفريانًا لان وجوه سائر الابرشيات لم يقبلوهُ . ولاسيما لانهُ لم يجد فيهِ ادنى صلاحيةٍ للقيام بهذا المنصب السامي . فعمد الى اسامة موسى احد رهبان الاديرة الواقعة في ناحية ملطية . وكان فاضلاً بالعلم

والتقوى * الّا ان هذا هرب صباح اليوم المعيّن لسيامته فاختار البطريرك راهبًا آخر يُدعى موسى ايضًا . وأسامهُ يوم عيد انتقال العذراء الواقع في ١٥ آب من سنة ١١١٢ م . ودعاهُ ديونيسيوس . وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة المفريانات واوّل من ابرز صورة ايمانهم بين يدي البطريرك *

ولم يوافق هذا العمل راي ابي الفرج الطبيب ومطران الدير لا بل شقّ عليهما ذلك لاستبداد البطريرك برايهِ في اختيار ديونيسيوس * ولمّا بلغ هذا الموصل لم يذهب سوغدي لزيارته الى ان استماله بالهدايا . فكتب له بالرضى وصعد صحبتهُ الى الدير وحملهُ ان يُمضي القوانين على الخطّة التي ارادها . وكانت قد جرت العادة في بلاد نينوى ان يتقدّم للمفريان بغلٌ في اوّل بلدٍ يدخلها . غيرانّ سوغدي ألغى هذه العادة بغضةً بديونيسيوس * امّا المفريان فلما راى نفسهُ محتاطًا بهذه المضادّات الشاقة عوّل على الرحيل الى نصيبين فقصد الجزيرة وأسام ثمَّهُ ابا منصور القسيس من قلعة خيال اسقفًا على نصيبين * ثم طلب اليهِ رهبان دير مار متى ان يُسيم اسقفًا لبانوهدرا . فلما شرع في السياميذ وكان اسقف الجزيرة يكرز بتكريت عاصمة المشرق وِفقًا للقوانين اخذ الرهبان بايديهم العصي ودخلوا على المفريان وهو في المذبح وجعلوا يضربونهُ ولم يكفّوا عنهُ حتى ابطل هو بذاته الكرازة * وبعد هذه النكتة الامتهانية اغتاظ المفريان جدًّا وتوجّه الى تكريت وعوّل على ان يقيم كرسيّهُ فيها ولو بقي من اهلها خمسة بيوت لا غير * وفي تلك الاثناء عُزل حاكمها الذي كان يُثقّل على النصارى بالكُلَف الباهظة ويضطهدهم ووُلّي عليها مجاهد الدين . فتصادق معهُ المفريان . ونزل صحبتهُ الى بغداد ونال بسعيهِ براءةً من الخليفة *

وقد وصف ابن العبري مفاعيل غيرة المفريان التي ابداها بُعَيد ذلك في تكريت والموصل . فانهُ لمّا عاد الى تكريت سعى بترميم البيع وتجديدها وتزيين المدينة وترتيب مساكنها واستدعى التكريتيين الذين تفرّقوا ايادي سبا في البلاد ووعدهم بالأمان وانكشاف الغُمّة والغاء الكُلَف * واقام المدارس والمعلمين لتهذيب الطلبة . ثم قصد الموصل ورتّب ابرشيات ذلك الاقليم تبعًا للعادة رغمًا عن مضادّة مبغضيهِ . واقام في بيعة التكريتيين المعروفة بمار زينا * ولمّا راى رهبان الدير من المفريان هذه المآثر عوّلوا على ان يتصالحوا معهُ ويكرزوا باسمهِ في بلاد نينوى ولاسيما بعد موت مطرانهم . ولكن طلبوا منهُ ان يصادق على القوانين التي سنّها لهم مطرانهم كأنها صادرة منهُ . فلم يطاوعهم المفريان . فشقّ عليهم ذلك ووشوا بهِ لدى حاكم الموصل . فأودعهُ السجن وألزمهُ بمائة وخمسين دينارًا جزاءً نقديًّا . فلما راى المفريان دواعي هذه المشاجرات المتّصلة ضاق صدرهُ وقصد البطريرك وقدّم استعفاءهُ * اما الرهبان فلما خافوا من عاقبة الامور والقصاصات التي تهدّدهم بها البطريرك انفذوا نفرًا من الرهبان ووجوه ناحية نينوى ليصالحوا المفريان. فعاد هذا مكرّمًا واقتبلهُ المشرقيون اينما حلّ بأبهة وترحاب * واكبر دليل على مصالحته هو انهُ صعد الى دير مار متى واقتبل فيهِ بحفاوة. واسام لهُ كهنة وشمامسة ثم اسام بني الفرج الطبيب الذي كان الدّ اعدائهِ شمامسة (عب ٢ : ٣١١. س ٢ : ٤٤٩) *

الفصل التاسع عشر

في ما بقي من اخبار ديونيسيوس المفريان

وفي هذه الاثناء سافر ديونيسيوس المفريان الى آمد . وكان سبب ذلك ان الاساقفة المغاربة استدعوهُ سنة ١١٢٩ م ليسيم يوحنا الثالث عشر المعروف بماوداني الذي اختير بطريركًا كما مرّ الكلام * وفي عوده اسام احد رهبان طورعبدين اسقفًا لبازبدي المعروفة بالجزيرة العمريّة *

وبعد هذا جرى بين ديونيسيوس المفريان وزكا اسقف ارزون من النزاع ما يطول شرحهُ . وكان زكا طمعًا في الرئاسة قد رشا الحاكم وتولى امر الموصل واغتصب رضى ناحيتها وقصد البطريرك يوحنا ليصادق على رئاستهِ . فحرمهُ المفريان * واذ كان زكا واصحابهُ في الطريق هجم عليهم بعض الاشقياء فقتلوهم حتى آخرهم * ولم يلبث المفريان حليف الراحة بل قام عليهِ بركوتلا رئيس دير مار متى في هذه الغضون وراى ان ينازعهُ الرئاسة . وكان يُبغضهُ ومنع الكرازة باسمهِ في ناحية نينوى . ورشا حاكم الموصل والزم المفريان ان يُسيمهُ مطرانًا على الدير * فلما استقام لبركوتلا الامر اظهر تمرّده ونال من الوالي براءةً تعفيهِ من الطاعة للمفريان وللبطريرك نفسهِ . فحرمهُ المفريان . فلم يعبأ بالحرم بل احتقرهُ وكرّس الميرون * ولذلك عاقب الله اهل ناحية نينوى وبركوتلا في روايةٍ لابن العبري لتمرّدهم على المفريان . فانهُ ارسل الله بردًا جسيمًا وجرادًا زحافًا على نينوى . وبعد ايام ثلاثة مات بركوتلا محرومًا * وفي هذه الاثناء كان المفريان قد قصد آمد سنة ١٨٢٨ م ليسيم اثناسيوس الثامن البطريرك *

واشتهر على هذا العهد من الرهبان الاتقياء في دير مار بهنام الواقع في نينوى بقرب خوديدا او هي قرقوش خسرون القسّيس وتوفي في ١٧ كانون الاوّل من سنة ١١٢٩ . وكان رهاويًّا سباهُ الفُرس الذين نهبوا ناحية سورية . وسكن مراغة واغنى خزانة هذه البيعة بالكتب النفيسة . وكان كاتبًا ماهرًا . وروى ابن العبري انّ كتبهُ قد حُفظت في نينوى الى زمانهِ * ولما لعب الفقر بجماعة مراغة وفقد بصرهُ للالحاح على عينيهِ في الكتابة قدِم الى هذا الدير وقضى بقية ايامهِ فيهِ *

ولم يلبث ان تنازع ديونيسيوس المفريان مع عبديشوع جاثليق النساطرة ايضاً . وكان سبب ذلك المكابرة في الرئاسة والتصرّف الروحي * وحصل بين اليعاقبة والنساطرة في اوقاتٍ مختلفة مشاجرات طويلة كما سنقف على ذلك الّا ان ديونيسيوس حالما نزل الى بغداد سنة ١١٤٢ م تصالح مع عبديشوع . فاستدعاه هذا الى وليمةٍ فاخرة واهدى لهُ على العادة الجارية يومئذٍ حُلةً بيعيةً وتاجاً وقضيباً رعائياً * واقام ديونيسيوس في بيعة مار توما التي في موحول الواقعة بقرب الكرخ *

وقضى ديونيسيوس نحبهُ في بغداد نفسها يوم الاثنين الواقع في ١٧ حزيران سنة ١١٤٢ م . وقد اسام بطركين وتسعة اساقفة وقام باعباء منصبهِ ثلاثين سنةً * وحُمل في نعشٍ الى تكريت حيثُ دُفن في بيعة مار جورجيس في هيكل برصوما الذي بناهُ ديونيسيوس نفسهُ . (عب ٢ : ٣١١ - ٣٢٧ . س ٢ : ٤٤٩ - ٤٥٠) *

الفصل العشرون

في اخبار اغناطيوس الثاني او هو لعازر والاخبار الاولى من رئاسته

أُختير خلفاً لديونيسيوس الاوّل المفريان لعازر الذي دُعي في سياميذه اغناطيوس وهو الثاني بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . وكان التكريتيّون قد سعوا بإنفاذ وفدٍ الى اثناسيوس الثامن البطريرك ليختار رجلاً فاضلاً يتمكن من إصلاح شؤون هذه الامصار بعلمهِ وتدبيرهِ * واغناطيوس هو لعازر بن حسن القسّيس في عبري احدى قلاع ناحية الجُبّ وترهّب في دير مار سركيس وباخوس الواقع في ملطية . وكان مزيّناً بالفضائل ذا قريحة ثاقبة وعلم اكتسابي * فتمنّع اولاً محتجاً انهُ يجهل اللغة العربية . الّا انهُ لبى اخيراً الى دعوة الله . فأُسيم في دير سنجار المعروف بدير مار مارون حيث كان البطريرك قاطناً * واقتبلهُ التكريتيّون لمّا وصل الى كرسيهِ بكلّ أُبهة وتوقير . وادّوا لهُ مثل هذه الأمارات في الموصل . الّا انهُ لم يدخل نينوى ولم يصعد الى دير مار متّى لسبب الإهانات التي الحقها اهلها بديونيسيوس المفريان سالفهِ * ولم يلبث سوى ثلاثة ايام في تكريت . ثم نزل الى بغداد ليواجه مجاهد الدين حاكم تكريت ويسعى لهُ بقضاء مصالحهِ في مدينة السلام * وكان هذا الرجل كريماً ارمنياً جنساً ففرح بوصول المفريان . ثم زار اغناطيوس عبديشوع جاثليق النساطرة فاكرم هذا مثواهُ *

ثم ان اغناطيوس بعد عودهِ الى تكريت سعى قبل كل شيء ببناء بيعة جديدة. وجهّز كرسيّهُ بلوازمهِ الدينية والدنيوية ودرس اللغة العربية ليتمكن من تدبير اقوامهِ حتى اتقنها في برهةٍ وجيزة *

وكان شأن مطران دير مار متّى الذي كان يتولّى أمر ناحية نينوى وبعض بيع الموصل عظيماً . وكان يُعتبر بمنزلة المفريان نفسهِ . فان العادة التي كانت متملّكة في المشرق منذ زمان قرياقوس البطريرك هي ان يُسيم المفريان مطراناً لهذا الدير ونينوى وبعض بيع الموصل (ما عدا بيعتي التكريتيين المقيمين في الموصل وهما جدّانا القديمة وبيعة مار زينا الجديدة اللتين كانتا راساً تحت رئاسة المفريان) * فكان هذا المطران بعد السياميذ يعتبر نفسهُ عديلاً للمفريان . ولم يكن قط خاضعاً مثل سائر الاساقفة الشرقيين للمفريان . وكان هذا منبع القلاقل والمشاجرات الطويلة التي كانت تنشأ بين المفارنة ومطارين الدير * فعوّل اغناطيوس المفريان بعد ان توفي مطران الدير سنة ١١٥٢ م على ان يضمّ هذين الابرشيتين اعني تكريت ونينوى ويجعلهما واحدةً تحت رعاية المفريان . فقصد اثناسيوس الثامن البطريرك الذي كان مقيماً في قلعة زبد او هي خربوط احدى مدن ارمنية . وسألهُ ان يشدّ على عضدهِ في ذا الشان . فلم يطاوعهُ البطريرك ولاسيما لان سكان تكريت كانوا يحتجّون على المفريان انهُ بهذه الوسيلة يريد ان يهجر تكريت ويُقيم كرسيّهُ في الموصل * وممّن سعى اخيراً للمفريان بنيل مرغوبهِ في شان توحيد كرسي تكريت والموصل يوحنا مطران ماردين المار ذكرهُ . فانهُ تقدّم الى حُسام الدين تمورتاش حاكم ماردين وسألهُ ان يكتب الى صاحب الموصل قطب الدين مودود بن زنكي واخي نور الدين توصيةً بحقّ المفريان ليسعى في ترئيسهِ على بلادهِ والزيادة في إكرامهِ * فلما بلغ المفريان الموصل اقتبلهُ قطب الدين بترحاب وجمع رهبان دير مار متى ووجوه النينويين . وبعد ان

اوردوا حججًا واهية بوجوب التمسّك بعوائدهم القديمة ورفض رئاسة المفريان آل بهم الامرُ اخيرًا الى الانقياد لأمر الحاكم * فذهب اولاً الرهبان بالمفريان الى دير مار متى ولم يتركوهُ ان يصعد اليهِ حتى استوفوا منهُ عربون او هديّة قبولهم اياهُ رئيسًا عليهم كما جرت العادة في قبول مطرانهم . ولما دخلوا الدير احتفلوا برسم التجليس * ثم نزل الى قرية بادانيال واقام لديهم ثلاثة ايام . فدعاهُ الخوديديّون (وهم القرقوشيّون) ثمّ البرطليّون * ومن ثمّ جرت العادة انهُ حين اقتبال المفريان الجديد يُصعد بهِ اولاً الى الدير . ثم ينزل الى قرية بادانيال ثم يذهب الى باخوديدا وبرطلي *

الفصل الحادي والعشرون

في ما بقي من اخبار رئاسة اغناطيوس المفريان

ان اغناطيوس المفريان لما استقام لهُ الامر على الدير ونواحي نينوى عوّل على ان يجلس في برطلي فبنى مصلّى البيعة الكبرى الذي كان صغيرًا . ثم شاد الدور التي كان يُرقى اليها من اروقة البيعة . فلمّا راى النينويّون غيرتهُ وسعيهُ في نجاح بني اقوامهِ وعفتهُ وعلمهُ وبراعتهُ وتدبيرهُ احبّوهُ . وشرعوا يلهجون باسمهِ في كل مكان ويقرّظونهُ باسنى التقاريظ * وتغايروا على بناء البيع بتشجيعهِ . وبسعيهِ ايضًا بُني مُصلّى بيعة مار توما في بغداد وصار امراء العرب ووجوههم يودّون صداقتهُ ويكرّمونهُ *

وفي وسط هذا العزّ الرفيع دهمتهُ غُصص واذايا شتى بوشاية ابراهام احد القسوس الاشرار . فان هذا القسّيس كان قد هجر زوجتهُ واراد التزوّج

بثانية فانكر ذلك عليهِ المفريان * فتلظّى ابراهام بنار الغضب وصار يتعقّب المفريان ليجد موجدةً تذهب بحياتهِ ويُروي منهُ غليلهُ * وفي تلك الغضون استفتى القسوس التلعفريّون المفريان بشان صبيّةٍ قد اسلم ابوها هل يجوز تزويجها بنصراني . فاجاب المفريان يجوز اذا لبثت الفتاة على نصرانيتها . فوقعت تلك الفتوى بيد ابراهام فسلّمها الى الحاكم * فتألّب المسلمون وشرعوا يرشقون المفريان بالحجارة . وبالكدّ استطاع الشُرط ان يخلّصوهُ من ايديهم * اما القاضي فحكم انهُ اذا اقرّت الفتاة بانها مُسلمة فليُقتل المفريان * وكان المُسلمون يبتغون ان يقتنصوا من لسان تلك الفتاة هذه الكلمة واستعملوا الوعد والوعيد وكل فنون الحيل ليصطادوها فلم تطاوعهم * فطُرحت في السجن وحُبس المفريان في سجنٍ ضيّق وقاسى فيهِ مدّة اربعين يومًا اذايا ومُضضًا وشدائد يضيق المجال عن وصفها * ثم انكشفت هذه الغُمّة عن المفريان . لان تلك الفتاة لبثت ثابتةً على عزمها رغمًا عن التهديدات التي اوقعوها بها * وقد الّف البطريرك ميخائيل الاوّل قصيدةً عجيبة بوزن مار بالاي في ثبات هذه المعترفة . ونظم يعقوب ابن الصليبي الراهب قصيدتين الاولى بوزن مار افرام والاخرى بوزن مار يعقوب في ذا الشان * واذ كان المفريان بعدُ محبوسًا مات ابراهام الشقي فجأةً . فارتعدت فرائص الحاكم واطلقهُ من السجن . ثم قصدت تلك الفتاة اورشليم ولبست الثوب الرهباني *

وفي هذه الاثناء انفذ جمال الدين حاكم الموصل اغناطيوس المفريان سفيرًا الى جيورجيس النسطوري ملك الابيريّين وكان هذا الملك قد شنّ الغارة على بلاد المسلمين واسر كثيرًا منهم . وعلم جمال الدين ان المفريان لهُ

نفوذ بالقول والفعل لدى جيورجيس * فانفذ اليهِ سنة ١١٦١م صحبة وجوه البلد لافتداء اولئك الأسرى * فاستقبلهم جيورجيس واكرم مثواهم واجاب الى طلبهم واعتق عددًا وافرًا منهم رعايةً للمفريان . اما الباقون فافتداهم سفراء الوزير. وكان ذلك من اعظم التسليات للنصارى في هذه الناحية *

ولمّا استحسّ المفريان بدنوّ اجلهِ عوّل على ان يقصد دير برصوما . الّا انهُ لمّا بلغ انحل احدى قرى نصيبين اشتدّ عليهِ المرض . فسأل تلاميذهُ ان يوصلوهُ الى دير قرطمين . فتصرّم اجلهُ في تلك الليلة فعادوا من طريقهم الى دير مار حنانيا واستقبلهم يوحنا مطران ماردين وسعى في دفنهِ في هيكل الدير * وقام اغناطيوس باعباء منصبهِ احدى وعشرين سنة وتوفي يوم الخميس في ١٤ حزيران من سنة ١١٦٤م . (عب ١ : ٢٢٣ - ٢٥٧ س ٢ : ٤٥٠ - ٤٥٢) *

الفصل الثاني والعشرون

في اختيار يوحنا الخامس المفريان والنوائب التي ألمّت بدير مار متى بغارات الاكراد

لا يخفى ان النينويّين كانوا يتمنّعون من اقامة المفريان في ناحيتهم . الّا انهُ لمّا راوا انتعاش روح الايمان والنجاح الذي اصاب بلادهم بسعي المفريان استدعوا وجوه التكريتيين وحرّضوهم على الاتفاق في اختيار اب عامّ للمشرق * فقصدوا يوحنا مطران ماردين ثمّ صعدوا صُحبتهُ الى دير برصوما ليستشيروا اثناسيوس الثامن برقطرى البطريرك * فاختار لهم اوّلاً

ميخائيل رئيس دير برصوما . فأبى هذا متمنّعًا . واخيرًا وقع رضاهم على يوحنا رئيس دير مار يعقوب الواقع في جبل الرها * وعُرف بالخامس بهذا الاسم في سلسلة المفريانات * وكان من عائلة شريفة ذات غنى وثروة في سروج . واكتسب صيتًا عظيمًا لانهُ هجر العالم وآثر السيرة الرهبانية ونبغ في التقوى ودبّر دير مار يعقوب المار ذكرهُ بعد ان نهبهُ الاكراد ولبث زمانًا مهجورًا * فرمّهُ وسعى بإعادة الطريقة الرهبانية والفرائض القدسيّة فيهِ * الّا انهُ يُعاب في انهُ كان قصير الباع في العلم حتى انهُ لم يكن يحسن كتابة اسمهِ * وبعد ان نودي بهِ يوم الجمعة الواقع في ٦ تشرين الثاني سنة ١١٦٤ مفريانًا على تكريت والموصل ونينوى وصل المشرق . فاقتبلهُ اليعاقبة في كل مكان بابّهة وزادوا في توقيرهِ * اما التكريتيّون فشقّ عليهم انهُ كُرز بهِ على نينوى وحملهم على ذلك خمير البغضة القديم بينهم وبين رهبان مار متى *

وممّن سعى في حسم النزاع الذي ثار بين المفريان واساقفة المغرب الذين جدّوا في تعرية المفريان من حق وضع اليد على ميخائيل الكبير الذي أُختير بطريركًا طيماثاوس اسقف العرب الشهير. فانهُ قاوم اساقفة المغرب بغيرة . وكبح تجبّرهم وتطاولهم ودافع عن حق المفريان جهدهُ * وبعد موت طيماثاوس اسام المفريان على كرسي العرب رواد المرقي الراهب وعُرف هذا باسم يوحنا في سيامتهِ * اما بنو هذا المرعيث فكانوا قد اختاروا ابا ياسر معلّم رواد . وكان رجلاً فاضلاً اديبًا * ولما رفضهُ المفريان وفضّل رواد عليهِ هاجوا وماجوا وطردوا رواد ورفعوا الدعوى الى الحاكم . والزموا

المفريان ان يسيم ابا ياسر. فعهد اليهِ كرسي تلعفر وابي ماريا وقلعة مرق الواقعة بين نصيبين والموصل * اما رواد فبقي في يدهِ كرسي العرب وبلد ودير موعلق او هو دير مار سرجيس الواقع في جبل صهيا قبالة بلد *

وفي هذه الغضون تهيأ للاكراد ان ينهبوا دير مار متى وجرى ذلك ان حاكم الموصل كان مشغولاً في الحرب مع نور الدين بن زنكي صاحب دمشق الذي نزل بمُعسكرهِ قرب الموصل سنة ١١٧١ * فاستغنم الاكراد هذه الفرصة وصاروا يتعرّضون للرهبان ويسلبونهم ويقتلون منهم . وبلغت جسارتهم الى ان يقتحموا الدير * فاستنجد الرهبان سُكّان قرى نينوى المجاورة . فاسرع هولاء لمساعدتهم . وممّن فاق في هذا النزال بالحماسة اهالي قرية باسحرايا . فانهم قطعوا نظام الاكراد وشتّتوا شملهم ونالوا اكاليل الظفر والشرف * فكافأهم رهبان دير مار متى على هذا المعروف بتخويلهم هذا الامتياز وهو ان يُعمّذ اولادهم قبل الجميع وان يكون لاقليروسهم التقدّم في تكريس الميرون يوم خميس الاسرار * ثم ان الرهبان دفعاً لكل مكروهٍ يقع عليهم من الاكراد ذوي الاخلاق الشرسة عوّلوا على ان يطلبوا منهم المهادنة على ثلثمائة درهم صلحاً * الّا ان الاكراد بعد ان قبضوا هذه الأتاوة ازدادوا بأساً . فتألّب منهم نحو الف وخمسمائة فارس وصاروا يكمنون للدير . وزحزحوا صخراً عظيماً من اعلى الجبل فنزل وهو يهوي وصدّع حائط الدير . فاسرع الرهبان لاصلاحهِ فلم يتمكنوا . لان الاكراد كانوا يرمونهم بنبالهم الحادّة * وفتح الاكراد ابواب الحَيف على الرهبان حينما ظهر منهم العجز عن المدافعة فانهم دخلوا الدير بضجّةٍ عظيمة وسيوفٍ مسنّنةٍ وحبسوا متى ودنحا الراهبين

وقتلوا غيرهما . ونجا الباقون بانفسهم الى القلعة العليا من الدير * فسلب الاكراد منهُ اموالاً كثيرةً كان قد اودعها فيهِ سكان تلك الناحية خوفاً من بأس نور الدين * وبعد هذه النائبة نزل الرهبان من القلعة وجمعوا الكتب وما بقي من امتعة الدير وقصدوا الموصل تاركين الدير فارغاً * فوضع سكان ناحية نينوى حُراساً في الدير خوفاً من بأس الاكراد وغوائلهم * ولم يسكت امراء الموصل لهذه النائبة بل وجّهوا جيشاً على الاكراد فقتلوا منهم وفرّ غيرهم الى الجبال واستفحلوا ثم ايضاً * وروى ابن العبري انهم عاثوا ايضاً مفسدين باربعين قريةً من النساطرة وسبوا النساء وقتلوا الصبيان واحرقوا منازلهم *

الفصل الثالث والعشرون

في النزاع الذي نشأ بين يوحنا المفريان وميخائيل البطريرك بسبب الحصاصيين واخبار ايام يوحنا الاخيرة

وفي هذه الاثناء رحل يوحنا المفريان ورئيس دير مار متى الى دير مار حنانيا القريب من ماردين ليحضر المجمع الذي عقدهُ ميخائيل البطريرك. وفيهِ رسم اثني عشر قانوناً واثبت اربعة وعشرين أُخرى قديمة *

ومن اخبار دير المعاقبة الواقع في الجزيرة العمرية انهُ استولى عليهِ الاشقياء زوراً وسعوا في القاء اسقف الجزيرة في حبس الموصل . الّا ان اهل الجزيرة قصدوا بغداد لإقامة الدعوى ونالوا ان يسترجعوا الدير ويُطلقوا اسقفهم *

ولم يلبث ان تنازع يوحنا المفريان مع ميخائيل البطريرك بسبب الحصاصيين . وكان الحصاصيون وهم سكان حصاصة قد استقلّوا بانفسهم منذ

عهد قرياقوس البطريرك بسبب كلمات القداس « نكسر الخبز السماوي » كما مرّ الكلام . وقصدوا إبرام الصلح على يد ميخائيل البطريرك . فاقتبلهم هذا بمزيد الفرح * ومن حيث انهم تحت ولاية المفريان اشار عليهم ان يراجعوهُ في ذا الشان . اما هم فأصرّوا على طلب اسقفٍ منهُ فاستمهلهم ريثما يستأذن المفريان واطلقهم * اما المفريان فلما راى نفسهُ مهملاً شقّ عليهِ ذلك وابرز في كل ابرشيات المشرق الحرم على الحصاصيين * فاغتاظ البطريرك وارسل وبّخهُ توبيخًا صارمًا لانهُ اوقف بهذا التهوّر الصلح الذي طالما تاق اليهِ البطاركة الذين سلفوهُ ولاسيما قرياقوس وديونيسيوس التلمحري ولم يستفيدوا شيئًا من الاتعاب التي كابدوها لتوقيع الاتحاد الذي يطلبهُ الآن الحصاصيّون هم من ذاتهم * اما المفريان فلم يَعبأْ بهذه النكتة بل اضمر في نفسهِ العُصيان * ولكن لم يستمرّ المفريان على تمرّدهِ بل تندّم اخيرًا وقصد البطريرك ليستغفرهُ ويتصالح معهُ . فلم يقبل ميخائيل مواجهتهُ وصرّح لهُ انهُ يجب التنقيب عن جريرتهِ في مجمع الاساقفة * ولما عُقد المجمع في دير برصوما سنة ١١٨٧ م سعى الاساقفة في ابرام المصالحة والزموا المفريان بامضاء الخضوع والطاعة للبطريرك *

وقضى المفريان ايام رئاستهِ الاخيرة في المشرق بالمشقّات والاتعاب التي اكتنفتهُ . فقصد البطريرك وسألهُ ان يُعفيهُ من كرسيهِ . ولم يزل يلحّ عليهِ حتى استقال من منصبهِ * فرحل الى دير جبل الرها حيث كان قد ترهّب . وبعد ان اقام فيهِ زمانًا تندّم وعاد الى منصبهِ * ولم يلبث ان تصرّم اجَلهُ وذلك انهُ كان ذات ليلةٍ نائمًا في سريرهِ على سطح بيعة خوديدا الكبرى . فوقع من اعلى السطح ومات بعد ان قام باعباء منصبهِ اربعًا وعشرين سنةً .

فنُقل الى دير مار متى . ودُفن ثمه في آب من سنة ١١٨٨ م . (عب ٢ : ٣٥٧ - ٣٦٩ . س ٢ : ٤٥٢ - ٤٥٣ . مق ١٦٦) *

الفصل الرابع والعشرون

في اختيار غريغور الاوّل المفريان او هو يعقوب واخبار رئاستهِ

ممّن سعى في اختيار خَلَفٍ ليوحنا المفريان السروجي رؤساء الاديرة ورهبان دير مار متى ووجوه اهل نينوى وبعض الاساقفة اخصُّهم اغناطيوس اسقف أُرمي احدى مدن اذوربيجان او هو جبرائيل بن يوحنا الهندي . و يوحنا اسقف العرب او هو رواد المرقيّ . وصليبا مطران دير مار متى . وباسيليوس اسقف بغداد او هو متى بن سوَيك من قرية بادانيال السفلى (1) * فاجمعوا على اختيار كريم الراهب من دير مار متى وهو ابن ماسح احد التكريتيين القاطنين في الموصل من عائلة بني جابر * وقبل ان يُنفذ الى ميخائيل الاوّل البطريرك ليُسيمهُ مفريانًا اتّفق ابو منصور القسّيس ابن طيبون مع يعقوب احد رهبان دير مار متى وشمطح الخوديدي (2) وكتبوا الى البطريرك يطعنون بابن ماسح . ويثنون على يعقوب الراهب ابن اخي البطريرك نفسهِ ملتمسين منهُ ان يسيمهُ مفريانًا على المشرق * فلم يلبث ميخائيل البطريرك ان اسامهُ بوم الاحد التابع للدنح المسمّى ܨܒܚܐ

(1) بادانيال قريتان . الاولى تعرف بالعليا . وقد مرّ ذكرها . وموقعها شمالي برطلي وجنوبي جبل مقلوب او هو الالفاف حيث بُني دير مار متى . اما بادانيال السفلى فهي قريبة من العليا في ناحية نينوى نفسها *

(2) نسبة الى خوديدا في السريانية وهي قرقوش احدى قرى نينوى *

سنة ١١٨٩ . ودُعي غريغوريوس وهو الاوّل بهذا الاسم في سلسلة المفريانات . وقصد حالاً المشرق ولم يتمكّن من الدخول الى الموصل بدون اذن حاكمها بل نزل ضيفاً لدى رهبان دير مار ميخائيل القريب من الموصل الذي كان في حوزة النساطرة الى ان استأذنهُ على جُعالةٍ قيمتها الف دينار *

اما الاساقفة والنينويّون فلما بلغهم استطالة غريغوريوس المفريان وتجبّرهُ استشاطوا غضباً وعرضوا لحاكم الموصل ضُعف جعالة المفريان على ان يأذن لهم ان يسيموا ابن ماسح مفرياناً * فلبّى طلبهم وجرى السياميذ في دير مار متى يوم السبت المعروف بلعازر السابق لاحد السعانين سنة ١١٨٩ م * فلما راى غريغوريوس ندّهُ مستفحلاً عوّل على تجرّع الغصّة ريثما تتبدّل حال الامور ولبث شهرين في دير مار ميخائيل . ثم قصد سنجار والخابور ونصيبين والجزيرة الزبدية وسعى بان يكرز باسمهِ ثمه * وبعد ان اقام سنةً كاملةً في نصيبين تعهّد لوزير الموصل ان يؤدّي قيمة الجعالة التي قدّمها لهُ انصار ابن ماسح . وتسلّط على المشرق كلّهِ وابطل رئاسة ندّهِ والقاهُ في السجن سنة ١١٩٠ م ودخل الموصل ظافراً * ثم اخرج ابن ماسح من سجنهِ واتى بهِ الى بيعة التكريتيين وعرّاهُ من ثوبهِ الرهباني . وكان اعداؤهُ الاشقياء يبصقون في وجههِ لازدياد العار . ثم أُطلق في حال سبيلهِ وقصد ناحية ميافرقين والهتاخ وسكن ثمه *

ونجم عن هذا التنازع للرئاسة انشقاق هائل في ناحية نينوى . وكاد الأبُ يُفصل من ابنهِ والأخ من اخيهِ . وصار الحزب الواحد يُعرف بالبطريركي نسبةً الى ميخائيل البطريرك عمّ غريغوريوس المفريان

والآخر بالماسحي * اما الشتائم وانواع التحقير التي كان يقذفها البرطليّون والحزب الماسحي بغريغوريوس فلا يطيق اللسان وصفها * فكان هذا يسمعها بأُذنهِ صامتاً . وبقي الامر كذلك خمس سنين * اما أنصار ابن ماسح فلما رحل غريغوريوس لزيارة عمّهِ عوّلوا ان يقدّموا لحاكم الموصل جعالةً وافرةً على ان يُعيد ابن ماسح مفرياناً الى المشرق . فلمّا استحسّ غريغوريوس بالدسيسة عاد سريعاً ومنع عودهُ . فلبث المشرق اربع عشرة سنةً منقلباً في انشقاقٍ هائلٍ الى ان توفي ابن ماسح ليلة عيد الميلاد سنة ١٢٠٣ م ودُفن في بيعة ميافرقين المعروفة بمدينة الشهداء *

ولم يصفُ لغريغوريوس الجوّ بعد موت ندّهِ الّا قليلاً فسعى ببناء القلاّية المفريانية في بيعة برطلي . ثم انهُ بعد ذلك تشبّث بترقية اخيهِ يشوع سفنانا الى المنصب البطريركي بعد موت الشيخ ميخائيل البطريرك عمّهِ كما مرّ الكلام . فاصابتهُ هموم وغُصص كثيرة حتى قضى نحبهُ في حبال قلعة من جبل سنجار في ١٢ تشرين الاوّل سنة ١٢١٤ م * ودبّر كرسيهُ المفرياني خمساً وعشرين سنةً . ونُقل جسدهُ الى دير مار متى حيث دُفن. (عب ٢ : ٣٧٧-٣٨٩ . س ٢ : ٤٥٢-٤٥٤) *

الفصل الخامس والعشرون

في اشهر المؤلفين اليعاقبة الذين نبغوا في القرن الثاني عشر

اشتهر من العلماء بين اليعاقبة في عهد اثناسيوس السابع (١) باسيليوس ابو غالب اسقف الرها . وألّف ثلاث قصائد بوزن مار يعقوب الاثني عشري في خراب الرها . (س ٢ : ٣١٧ و ٣٥٩) *

(٢) يوحنا مطران ماردين الذي رمَّ دير حننانيا. وقد مرَّ حال ترجمتِهِ اخذًا عن مصحف الاناجيل المحفوظ في خزانة الكتب الواتيكانية كما تراها في المكتبة الشرقية مجلد ٢ وجه ٢١٧. ولهُ نافورة او قدّاس يبتدىء بأيها الاله العظيم الازلي. وغلطًا يُنسب الى مار يوحنا فم الذهب. ولهُ كتابٌ في العناية الربانية صنّفهُ في فرصة خراب الرها. ولغرابة رايهِ في ذا الشان قدح بهِ كثيرٌ من مؤلفي عصرهِ اليعاقبة. (ثمه ٢٠٨ و ٢٢٠) *

(٢) يوحنا سعيد برصابوني الذي مرَّ الكلام عنهُ. ولهُ تراتيل ادبية توجد في طقس اليعاقبة الحبري. يتلونها في قصّ شعر الرهبان. والحروف الأولى من كل بيت تُشِف عن اسم المؤلف. وهو ܝܘܚܢܢ ܡܕܢܚܐ ܠܡܫܒܚܘ ܝܘܚܢܢ ܕܨܒܘܢܝ ثمه ٢١٢ و ٢٢٨ *

وازهر في عهد اثناسيوس الثامن (١) يوحنا براندراوس اسقف منبج وتوفي سنة ١١٦٥ م. ولهُ بحثٌ في العناية الربانية دحضًا لراي يوحنا مطران ماردين. وقصيدة باللغة الارمنية يعيّر الارمن بالعادات اليهودية. وقصيدة بالسريانية باسم ميخائيل الراهب يعيّر ايضًا اثناسيوس الثامن السيموني الذي كان يبيع المناصب الكهنوتية بالرشوة. ثمه ٢٠٨ و ٢١١ و ٢١٠ - ٢٦٣ *

(٢) صليبا قسّيس فريجرا الذي توفي سنة ١١٦٤ م. وينسب اليهِ ديونيسيوس ابن الصليبي تآليف كثيرة منها ردٌّ على يوحنا مطران ماردين. ثمه ٢٠٨ و٢٦١-٢٦١ *

وممّن نبغ في عهد ميخائيل الاوَّل البطريرك (١) يوحنا اسقف خيشوم. ونشر كتابًا في عناية الله دحضًا لراي يوحنا المذكور ويجادل مع ثاوريان سفير ملك الروم كما مرَّ الكلام. ثمه ٢٠٨ و ٢٦٤ *

(٢) ثيودور بن وهبون الذي تآمر مع بعض الاساقفة على معلّمهِ ميخائيل البطريرك واختلس الكرسي البطريركي من سنة ١١٨٠ م الى ١١٩٣. ولهُ كتاب في تفسير القداس السرياني. وقداس جمعهُ من قداديس الآباء المختلفة بدءهُ ايها الآب الالهي القوي الغير المُدرك. ثمه ٢١٦ *

(٢) ديونيسيوس او هو يعقوب المعروف بابن الصليبي نسبةً الى ابيهِ صليبا وهو من اشهر من جاد بالعلم في ذلك القرن. ووُلد في ملطية وأسامهُ اثناسيوس الثامن اسقفًا على مرعش ثم زيد كرسي منبج. واخيرًا نُقل الى كرسي آمد سنة ١١٦٦ م وقضى نحبهُ سنة ١١٧١ * قال ابن العبري « واصاب البيعة كلها حزنٌ شديد واذرفت الدموع لخسارتهِ. لانهُ كان عالمًا بليغًا وكوكب اوانهِ » * وقال الشيخ السمعاني في المكتبة الشرقية مجلد ٢ وجه ١٥٧ عنهُ « والف كتبًا كثيرة موعبةً تهذيبًا وسدادًا باللغة السريانية الفصيحة. ولا نشاهد فيها ما ينقصهُ عن افضل اللاهوتيّين سوى انهُ يحامي البدعة القائلة بالطبيعة الواحدة » * اما تآليفهُ فهي. (١) تفاسير للعهد القديم والجديد. (٢) شرح مختصر المزامير. (٣) كتاب في مئات اوغريس الشرح مع النصّ. (٤) تفاسير في تآليف المعلّمين. (٥) مجموعة رسائلهِ. (٦) مختصر تواريخ الآباء والقديسين والشهداء. (٧) خلاصة القوانين الرُسلية. (٨) مباحث في الله والتجسّد وشجرة الحبوة والملائكة والشياطين والنفس الناطقة والكهنوت. (٩) مباحث في السماء والشمس والقمر والنجوم. وغير ذلك مما يوافق ترتيب ايام الخلقة الستة. وفي الفردوس وقيامة الجسد البشري. وفي الصليب والايمان وغير ذلك من السرّيات (١٠) في سرّ المعاذ. (١١) في القداس والحلل الكهنوتية والاحتفال في البيعة وقدّمهُ

الى اغناطيوس اسقف اورشليم . (١٢) شرح رموز الميرون المقدّس . (١٣) رموز السياميذات القدسيّة . (١٤) قوانين لاقتبال التائب في سرّ الاعتراف . (١٥) ثلاثة قداديس . بدء الاوّل ايها الاله الذي يُسَرُّ بالمحبة . والثاني المحبّة والاتفاق والسلام الكامل اعطنا . والثالث ايها الرب الاله المحبة الحقيقية والكاملة . (١٦) ثلاث صلوات تُتلى في القداس . ولعلّها هي ملحق القداديس الثلاثة المار ذكرها . (١٧) مباحث جدالية ردًا على العرب واليهود والنساطرة والخلقيدونيين والارمن وعاداتهم حيث يتكلم ايضًا عن اصلهم وطقوسهم . (١٨) بحث في العناية الالهية ردًا على يوحنا مطران ماردين . (١٩) خطبة قالها في دير مار حنانيا يوم سياميذ ميخائيل البطريرك . (٢٠) مرثيتان في خراب الرها بوزن مار يعقوب . (٢١) ثلاث مراثٍ في خراب مرعش . (٢٢) قصيدتان في القناة المعترفة على عهد اغناطيوس المفريان الاولى بوزن مار افرام والاخرى بوزن مار يعقوب * وقد تكلّم بمزيد الايضاح عن تصانيف ابن الصليبي الشيخ يوسف السمعاني . فانهُ في المجلد الثاني من مكتبتهِ الشرقية من وجه ١٥٧ الى ٢١١ يذكر كلًا من هذه التصانيف ويورد منها بعض النتف المُهِمّة وينقّب عن بعض تعاليمهِ الخصوصية . (طالع ايضًا في شان هولاء المولّفين س . مق ١٨١ - ١٨٣) *

فِهرِس المجلّد الاوّل

وجه

التصديق الاول ٥

التصديق الثاني ٧

شهادة الفاحص ٨

مقدّمة ٩

تنبيهات ١٣

توطئة ٢٠

الحقبة الاولى

في تواريخ كنيسة المشارقة منذ ابتدائها الى استفحال النساطرة (٣٣ - ٤٩٨ م)

الباب الاول

في تاسيس كنيسة المشارقة على يد رسلها وسياسة جثالقة المدائن لها بعدهم (٣٣ - ٨٣)

الفصل الاول . في معنى الكنيسة السريانية . وتسمياتها المختلفة . واحوالها دينًا ودنيا ولغةً في زمان ظهور النصرانية ٢٧

الثاني . في بدء معرفة الانجيل في بلاد المشرق على وجه العموم ٣٣

الثالث . في خلاصة اخبار رُسُل المشارقة من الصنف الاوّل ٣٤

الرابع . في اخبار رسل المشارقة من الصنف الثاني ٣٥

الخامس . في تاسيس مار ماري كرسيهُ في المدائن . وافضال مار ادى ومار ماري ٣٩

الفصل السادس . في احوال الكنيسة الشرقية في مبادئها نظرًا الى عوائدها وتهذيبها وسياستها ٤٢

السابع . في الدول التي كانت مستولية على المشرق في بدء النصرانية واخبار المدائن ٤٥

الباب الثاني

في اخبار المشارقة الى زمان جلوس فافا الجاثليق (٨٩ - ٢٤٧ م)

الفصل الاول . في توفيق زمان جلوس جثالقة المدائن من مار ماري الى زمان فافا ٤٧

الثاني . في امامة ابريس الاسقف ٤٩

الثالث . في اخبار الكنيسة المشرقية على عهد ابراهيم الكشكري ٥٠

الرابع . في الاضطهاد الثاني الذي اثارهُ طرابانس ملك الروم على المشارقة ٥١

الخامس . في رئاسة يعقوب الجاثليق على كرسي المدائن ٥٢

السادس . في تفسيح فطرك انطاكية في ان يُسام مطران المدائن على يد اساقفة المشرق . وفي جلوس احادابوي ٥٢

السابع . في ترجمة شحلوفا جاثليق المشارقة واخبار ايامهِ ٥٦

الثامن . في بدعة برديصان واخبارهِ ٥٧

الباب الثالث

في اخبار كنيسة المشارقة في زمان فافا الجاثليق (٢٤٧ - ٣١٦)

الفصل الاول . في اختيار فافا على كرسي المدائن والبلبلة التي نشأت بسببهِ ٥٨

الفصل الثاني . في الاضطهاد الثالث والرابع الذي ثار على المشارقة بامر ملوك الروم ٥٩

الثالث . في بدعة ماني الملحد وافحام مار ارخلاوس اياهُ ٦٠

الرابع . في انتشار الطريقة الرهبانية في بلاد المشارقة ٦١

الخامس . في الاديرة التي بُنيت في نواحي المشرق ٦٣

السادس . في سيرة الرهبان والخدم التي ادّوها للديانة ٦٨

السابع . في التئام المجمع النيقاوي وقوانينهِ العربية ٦٩

الثامن . في نجاح الكنيسة الشرقية وسياستها وعوائدها في الاجيال الاولى ٧١

الباب الرابع

في تواريخ المشارقة الى زمان انقضاء الاضطهاد الاربعيني (٣١٦ - ٣٨٠)

الفصل الاول . في امامة مار شمعون برصباعي والاضطهادات التي اثارها شابور الملك على المشارقة ٧٥

الثاني . في خبر انتصار مار شمعون الجاثليق ورفقائهِ المعترفين ٧٩

الثالث . في مناقب مار شمعون وتآليفهِ واثارهِ ٨١

الرابع . في جلوس شهدست على كرسي المدائن واستشهادهِ ٨٣

الخامس . في ذكر اعظم الشهداء الذين تكللوا في هذ الاثناء ٨٤

السادس . في جلوس بربعشمين الجاثليق على كرسي المدائن واستشهاده واخبار سائر الشهداء الذين تكللوا الى السنة الخامسة عشرة من الاضطهاد ٨٥

السابع . في ترجمة مار يعقوب النصيبيني ٨٧

الفصل الثامن . في ترجمة مار بهنام وسارا اخته الشهيدين ٨٩
التاسع . في ملخّص اخبار الشهداء الذين تكلّلوا في السنين الاخرى من الاضطهاد الاربعيني ٩٠

الباب الخامس

في تواريخ المشارقة بعد زوال الاضطهاد الى موت يابالاها جاثليق المدائن (٣٨٠ - ٤٢٠)

الفصل الاول . في امامة تومرصا واخبار ايامهِ ٩٢
الثاني . في هرب المعترفين الروم الى بلاد الفرس والاديرة التي اسّسوها فيها ٩٢
الثالث . في ترجمة الاسكندر رئيس الرهبان . واخبار مار عبدا وتلميذيهِ عبديشوع ويابالاها والاديرة التي اقاموها على الفرات وفي بابل وبلاد العرب ٩٥
الرابع . في ترجمة مار افرام الملفان ٩٧
الخامس . في الاضطهاد الثامن الذي اثارهُ بهرام ملك الفرس . وفي مروءة قيوما الجاثليق ١٠٠
السادس . في تنازل قيوما الجاثليق وفي المجمع المدائني الاوّل ومناقب اسحق خليفتهِ ١٠١
السابع . في اخبار الاضطهاد الذي اثاره يزدجرد الاول وشهداء اهل كرخ ١٠٢
الثامن . في مجمع سلبق الثاني الذي عقده اسحق الجاثليق ١٠٦
التاسع . في جلوس مار احّي على كرسي المدائن واخبار امامتهِ ١٠٧

الفصل العاشر . في جلوس يابالاها على كرسي المدائن واخبار امامتهِ ١٠٨
الحادي عشر . في المجمع المدائني الثالث الذي عقده يابالاها الجاثليق ١٠٩
الثاني عشر . في الاضطهاد العاشر الذي اثاره يزدجرد على المشارقة ١١٠
الثالث عشر . في ترجمة مار ماروثا الميافارقيني وخبر اعمالهِ الشهيرة ١١١

الباب السادس

في اخبار المشارقة الى زمان ظهور النسطرة وانتشارها بينهم (٤٢٠ - ٤٨٤م)

الفصل الاول . في البلبلة التي احدثها معنى اسقف اردشير وفرابخت اسقف كازارون في كنيسة المدائن ١١٣
الثاني . في الامر الذي اصدره بهرام باضطهاد النصارى واستشهاد مار هرمزد ومار يعقوب المقطّع ١١٥
الثالث . في اختيار دادبشوع الجاثليق واخبار امامتهِ ١١٧
الرابع . في ملخّص اخبار المجمع الذي عقده دادبشوع واخبار ايامهِ الاخيرة ١١٨
الخامس . في ملخّص ترجمة مار فثيون وخبر استشهاده ١٢٠
السادس . في مشاهير الآباء والعلماء الذين ظهروا في نحو هذا العهد ١٢٢
السابع . في اختيار بابوي الجاثليق واخبار امامتهِ ومكايد برصوما النصيبيني ١٢٤
الثامن . في المجمع الذي عقده بابوي الجاثليق لحرم برصوما وبدء اضطهاد برصوما للبيعة ١٢٥
التاسع . في اثارة برصوما الاضطهاد على مستقيمي الايمان ١٢٦
العاشر . في استشهاد بابوي الجاثليق واخباره الاخيرة ١٢٧
الحادي عشر . في اشهر آباء الكنيسة السريانية على هذا العهد ١٢٨

الباب السابع

في اصل البدعة النسطورية واسبابها ومبادئها وتقدمها في هذه البلاد

الفصل الاول . في اخبار نسطور والثورة التي احدثها في القسطنطينية ١٢٢

الثاني . في تجديد مجمع افسس والحوادث التي جرت بعد ذلك ١٢٤

الثالث . في الاسباب التي ساعدت البدعة النسطورية على الانتشار في المشرق ١٢٦

الباب الثامن

في تواريخ المشارقة من عهد اقاق الجاثليق الى ان دخلت النسطرة رسميًّا هذه البلاد (٤٨٤ - ٤٩٦)

الفصل الاول . في اختيار اقاق واخبار امامته واعمال برصوما الاخيرة ١٣٨

الثاني . في المجمع الذي عقده اقاق الجاثليق واخبار حياته الاخيرة وسيرة بعض الرهبان الشهيرين ١٤٠

الثالث . في سلسلة اساقفة الرها ١٤٢

الرابع . في ترجمة نرسي واليشاع الملفانين ١٤٤

الخامس . في الشعوب والاقوام التي كانت خاضعةً للكنيسة الشرقية قبل النسطرة ١٤٦

السادس . في الاختصاصات والعوائد التي يمتاز بها المشارقة الكلدان ١٥٠

الحقبة الثانية

في تواريخ الكنيسة السريانية بعد الانشقاقات التي نشأت فيها بدخول البدعتين النسطورية واليعقوبية هذه البلاد حتى بدء الاهتداءات الى حظيرة الكنيسة الجامعة (٤٩٨ - ١٢٢٦)

الباب الاول

في اخبار الكنيسة السريانية المشرقية منذ دخول النسطرة الى زمان مار آبا (٤٩٨ - ٥٤٠)

الفصل الاول . في خلع الكنيسة السريانية المشرقية الطاعة لبطريرك انطاكية واقامة الرئاسة العظمى في شخص جاثليق المدائن ١٥٢

الثاني . في انتخاب البطريرك الجديد وما يتعلق بذلك لدى النساطرة ١٥٦

الثالث . في اتساع ولاية بطريرك النساطرة وسلطانه على المطارنة والاساقفة ١٥٩

الرابع . في انتخاب بابي الجاثليق وفي مجمعه واخبار امامته وفي ترجمة شمعون الباراشي ١٦١

الخامس . في استشهاد نصارى العرب الحميريين وتنصّر الحبش ١٦٤

السادس . في جلوس شيلا الجاثليق واخبار امامته ١٦٦

السابع . في الشقاق الذي احدثه اليشاع ونرسي في المدائن لتنازعهما الجثلقة ١٦٨

الثامن . في جلوس بولس الجاثليق على كرسي المدائن واخبار امامته ١٧٠

الباب الثاني

في اخبار المشارقة من عهد مار ابا الجاثليق الى زمان يشوعياب الارزني (٥٤٠ - ٥٨٠)

الفصل الاوّل . في جلوس مار ابا على كرسي المدائن والمجمع الذي عقدهُ لاصلاح فاسد امور البيعة ١٧١

الثاني . في اضطهاد انوشروان والمجوس لمار ابا ولرعيتهِ المشارقة وفي تآليف مار ابا ١٧٣

الثالث . في اخبار مار ابراهام مصلح الرهبانية بين النساطرة ١٧٥

الرابع . في اخبار يوسف الجاثليق ومجمعهِ وسبب اسقاطهِ ١٧٧

الخامس . في اخبار رئاسة حزقيال الجاثليق ومجمعهِ الذي عقدهُ . وفي بدعة المصلّين . والوباء الذي اصاب بلاد آثور ١٧٩

السادس . في الرهبان الذين اشتهروا في نحو ذلك العهد . وفي اخبار الموصل واصلها وتوسيع عمارتها ونطاقها ١٨١

السابع . في مشاهير المؤلفين الذين نبغوا في نحو ذلك الزمان ١٨٣

الثامن . في اشهر تلاميذ مار ابراهام الكبير ١٨٦

الباب الثالث

في تواريخ المشارقة النساطرة من زمان يشوعياب الارزني الى عهد جريغور الجاثليق (٥٨٣ - ٦٠٤)

الفصل الاوّل . في اختيار يشوعياب الارزني ومجمعهِ ١٨٨

الثاني . في تنصّر النعمان ملك الحيرة ١٨٩

الفصل الثالث . في الخطوب الشهيرة التي جرت في ايام يشوعياب الارزني واخباره الاخيرة ١٩١

الرابع . في اخبار رئاسة سبريشوع الاوّل الجاثليق ١٩٤

الخامس . في ولاء ابرويز الملك للنصارى والمجمع الذي عقدهُ سبريشوع ١٩٥

السادس . في مآثر جريغور مطران نصيبين والنزاع الذي جرى بينهُ وبين حنانا الملفان والنائبة التي حلت بنصيبين ١٩٦

السابع . في اخبار سبريشوع الاخيرة وتغيّر كسرى ابرويز على النصارى ١٩٨

الثامن . في اشهر الرهبان المؤلفين الذين اشتهروا على هذا العهد ٢٠٠

الباب الرابع

في بدعة اوطاخي واستقلال اليعاقبة من الكنيسة الكاثوليكية

الفصل الاوّل . في ظهور البدعة القائلين بطبيعةٍ واحدة في المسيح ٢٠٥

الثاني . في حرم ضلال اوطاخي في المجمع الرابع الخلقيدوني (٤٥١ م) ٢٠٦

الثالث . في اشهر الائمة الذين سعوا بنشر بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة ٢٠٨

الرابع . في اسباب انشقاق اليعاقبة من الكنيسة الكاثوليكية وفطريركية انطاكية ٢١٤

الخامس . في نهاية انشقاق اليعاقبة واقامة ثلاث فطريركيات مستقلة مخصوصة بالسريان المغاربة والقبط والارمن ٢١٦

السادس . في اختلاف المعتقد بين الفطريركيات الثلاث المار ذكرها واحوالها وعوائدها واتصالاتها ٢١٩

الفصل السابع . في انتخاب الفطاركة اليعاقبة ومتعلقاتهِ الخصوصية ٢٢٥
الثامن . في سلطان فطاركة اليعاقبة واحوالهم وطقوسهم ٢٣٠

الباب الخامس

في اخبار السريان المغاربة وهم اليعاقبة من سنة ٥١٢ الى ٥٩٥

الفصل الاوَّل . في جلوس ساويرا على كرسي انطاكية واخبار ايامهِ ٢٣٥
الثاني . في رئاسة سركيس الفطريرك على القائلين بالطبيعة الواحدة ٢٣٧
الثالث . في اخبار امامة بولس الاسود الفطريرك واسباب عزلهِ ٢٣٩
الرابع . في اخبار امامة بطرس الرقّي وبوليانوس الاوَّل الفطريركين ٢٤٢

الباب السادس

في حال الطائفة السريانية المشرقية منذ عهد جريغور الى زمان يشوعياب الحزّي (٦٠٥ - ٦٥٠)

الفصل الاول . في اخبار جريغور الجاثليق ٢٤٤
الثاني . في اخبار بيعة النساطرة في زمان نيابة بابي ومار ابا . واضطهاد كسرى لها ٢٤٦
الثالث . في اختيار يشوعياب الجدالي واخبار رئاستهِ ٢٤٩
الرابع . في اخص الرهبان وموسّسي الادبرة الذين ازهروا في نحو القرن التاسع ٢٥٣
الخامس . في اخبار امامة مار امّي الجاثليق ٢٥٩
السادس . في المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا الزمان ٢٦١

الباب السابع

في احوال السريان المشارقة او هم النساطرة من زمان يشوعياب الحزّي الى عهد صليبا زخا (٦٥٠-٧١٤)

الفصل الاول . في اخبار ايام رئاسة يشوعياب الحزّي ٢٦٣
الثاني . في مآثر يشوعياب واخباره الاخيرة ٢٦٤
الثالث . في اخبار جيورجيس الجاثليق ٢٦٦
الرابع . في اخبار رئاسة يوحنا بن مرنا ٢٦٨
الخامس . في اخبار رئاسة حنانيشوع الاعرج ٢٦٨
السادس . في اشهر موسّسي الادبرة الذين ازهروا في المشرق في نحو القرن السابع ٢٧٠
السابع . في صوم العذارى والتفتيش على المصلّين واخبار حنانيشوع الاخيرة ٢٧٥
الثامن . في اشهر المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا العصر ٢١٧
التاسع . في اشهر الادبرة التي شُيّدت في المشرق ٢٨١

الباب الثامن

في تواريخ السريان اليعاقبة من سنة ٥٩٥ الى ٦٨١

الفصل الاول . في نبوءِ اثناسيوس الاول الكرسي الفطريركي واخبار ايام رئاستهِ ٢٩١
الثاني . في الاتحاد الذي عُقد بين الفطريركيتين الاسكندرية والانطاكية وما جرى لليعاقبة في عهد هرقل الملك واخبار اثناسيوس الاخيرة ٢٩٣

الفصل الثالث . في اخبار يوحنا المعروف بسدرات وثيودور
الفطريركين ٢٩٦
الرابع . في امامة ساويرا المعروف بابن مشقا واخبار ايامهِ ٢٩٨
الخامس . في دخول مذهب اليعاقبة الى بلاد الجزيرة وفارس وبابل ٣٠٠
السادس . في الاساقفة الذين دبّروا اليعاقبة في المشرق ٣٠٢
السابع . في المؤلفين اليعاقبة الذين ازهروا في هذا العصر ٣٠٦
الثامن . في ظهور بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة والفِرَق والملل
التي انقسمت اليها الفطريركيّة الانطاكيّة بعد ذلك في اواخر
القرن السابع ٣١١
التاسع . في اشهر الاديرة التي تبوّاها اليعاقبة في بلاد سورية والجزيرة ٣١٥
العاشر . في اديرة اليعاقبة من الصنف الثاني ٣١٩

الباب التاسع

في اقامة المفريانية لليعاقبة في المشرق وفي وظيفتها وسلطانها .
والمفريانات الاوّلين الذين تولوا امرها

الفصل الاول . في مقام المفريان لدى اليعاقبة واصلهِ والابرشيات
الخاضعة لسلطانهِ ٣٢٣
الثاني . في لقب المفريان وكرسيهِ وسلطانهِ على الاساقفة الخاضعين لهُ ٣٢٦
الثالث . في ترجمة ماروثا واختياره مفرياناً واخبار ايامهِ ٣٢٩
الرابع . في اخبار رئاسة دنخا وباريشوع المفريانين ٣٣٢

الباب العاشر

في تواريخ الطائفة النسطورية منذ زمان صليبا زخا الى عهد
يشوع برنون (٧١٤ - ٨٢٤)

الفصل الاول في اخبار رئاسة صليبا زخا الجاثليق ٣٣٣
الثاني . في ترجمة فثيون الجاثليق واخبار ايامهِ ٣٣٥
الثالث . في اخبار رئاسة ابا الثاني الجاثليق ٣٣٦
الرابع . في اختلاس سبوريشوع كرسي المدائن واختيار يعقوب
الجنديسابوري ٣٣٧
الخامس . في اخبار يعقوب الجاثليق وما جرى لهُ ولسليمان
اسقف الحديثة مع عيسى الطبيب ٣٣٨
السادس . في الراهبات بين المشارقة ووظائفهنّ ٣٣٩
السابع . في اخبار حنانيشوع الثاني . واقامة الاثر الحجري في
بلاد الصين ٣٤٠
الثامن . في انتخاب طيماثاوس الجاثليق ٣٤١
التاسع . في اشهر اعمال امامة طيماثاوس ومجمعهِ واخباره الاخيرة ٣٤٢
العاشر . في اخبار بلاد مليبار الى اواخر القرن التاسع ٣٤٥
الحادي عشر . في المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا العهد ٣٤٨

الباب الحادي عشر

في تواريخ السريان اليعاقبة من سنة ٦٨٤ الى ٧٥٤ م

الفصل الاول . في اخبار اثناسيوس الثاني البلدي وسلسلة اساقفة الرها ٣٥٠

الفصل الثاني . في اخبار بوليانوس الرومي وابليا البطريركين ٣٥٤
الثالث . في اخبار اثناسيوس الثالث البطريرك وعهد الصلح الذي عقد مع الارمن ٣٥٦
الرابع . في اخبار يوحنا الثاني البطريرك واخبار مبادىء رئاسته ٣٥٨
الخامس . في الاخبار الاخيرة من رئاسة يوحنا . وسياق سلسلة البطاركة الانطاكيين الكاثوليكيين ٣٦٠
السادس . في اخبار رئاسة ابراهام وداود ويوحنا المفريانات ٣٦٢
السابع . في اخبار دنحا الثاني وبولس المفريانين ٣٦٤
الثامن . في التآليف التي تركها لنا يعقوب الرهاوي المفشقان ٣٦٦

الباب الثاني عشر

في تواريخ الطائفة اليعقوبية في القسم الثاني من القرن الثامن (٧٥٤ - ٨٩٩)

الفصل الاول . في اخبار اسحق واثناسيوس الرابع البطريركين غير الشرعيين ٣٧٠
الثاني . في اخبار رئاسة جيورجيس البطريرك ٣٧٢
الثالث . في اختيار داود اسقف دارا الدخيل بطريركاً ونزاع الطائفة اليعقوبية واخبار جيورجيس البطريرك الاخيرة ٣٧٤
الرابع . في رئاسة يوسف وقرياقوس البطريركين وتاسيس دير مار حنانيا المعروف بالزعفران ٣٧٧
الخامس . في اهم الحوادث التي جرت على عهد قرياقوس البطريرك ٣٧٨
السادس . في اخبار يوحنا الثاني ويوسف وساربليوس وشمعون وباسيليوس الاوّل المفريانات ٣٨٤

الباب الثالث عشر

في تواريخ المشارقة (النساطرة) من زمان يشوع برنون الى عهد يوحنا الاعرج (٨٢٤-٩٠٠ م)

الفصل الاول . في اخبار رئاسة يشوع برنون الجاثليق ٣٨٧
الثاني . في اخبار جيورجيس الثاني الجاثليق . وحال النساطرة والعلوم على عهد الخلفاء ٣٨٩
الثالث . في اخبار سبريشوع الثاني الجاثليق وسعيه في تقديم العلوم ونصب المدارس ٣٩٠
الرابع . في اخبار رئاسة ابراهام الجاثليق ٣٩٢
الخامس . في جلوس ثاودوسيوس على كرسي المداين واخبار ايامه ٣٩٢
السادس . في ترجمة سرجيس الجاثليق واخبار رئاسته ٣٩٤
السابع . في نزاع انوش مطران الموصل اسرائيل اسقف كشكر على الرئاسة واخبار انوش ٣٩٦
الثامن . في اخبار يوحنا بن نرسي واخبار رئاسته ٣٩٧
التاسع . في اخبار رئاسة يوانيس الجاثليق ٣٩٨
العاشر . في اشهر المؤلفين الذين ازهروا في نحو هذا الزمان ٣٩٨

الباب الرابع عشر

في تواريخ السريان اليعاقبة في القرن التاسع من سنة ٨١٨ الى ٨٩٦ م

الفصل الاوّل . في اخبار ديونيسيوس الاول التلمحري واخبار سيامته ٤٠١
الثاني . في اخبار مبادىء رئاسة ديونيسيوس البطريرك ٤٠٢

الفصل الثالث . في اخبار ديونيسيوس البطريرك في اوان سفره الى مصر وبغداد ٤٠٥
الرابع . في ما بقي من اخبار ديونيسيوس البطريرك ٤٠٩
الخامس . في اختيار يوحنا الثالث وملخّص اخبار ايامهِ ٤١٠
السادس . في اختيار اغناطيوس الاوّل وثيودوسيوس البطريركين وملخص اخبار رئاستهما ٤١١
السابع . في ملخص ترجمة دانيال وتوما الاول وباسيليوس الثاني وملكيصدق المفريانات . وسبب عقد مجمع كفرتوت ٤١٣
الثامن . في ترجمة سركيس واثناسيوس المفريانين واخبار ايامهما ٤١٦
التاسع . في اشهر المؤلفين اليعاقبة الذين ازهروا على هذا العهد ٤١٨

الباب الخامس عشر

في تواريخ الطائفة النسطورية من زمان يوحنا الاعرج الى زمان يوانيس (٩٠٠-١٠٠١)

الفصل الاول . في اختيار يوحنا الاعرج واخبار ايام رئاستهِ ٤٢١
الثاني . في اختيار ابراهام الجاثليق واخبار رئاستهِ ٤٢٢
الثالث . في رفض الآباء ايليا اسقف الانبار . واختيار عمانوئيل واخبار ايامهِ ٤٢٥
الرابع . في اخبار رئاسة اسرائيل ٤٢٦
الخامس . في اختيار عبديشوع الاوّل . واخبار ايامهِ ٤٢٧
السادس . في اختيار ماري بن طوبي واخبار ايام رئاستهِ ٤٢٩
السابع . في المؤلفين المشارقة الذين نبغوا في نحو هذا الزمان ٤٣٠

الباب السادس عشر

في تواريخ اليعاقبة في القرن التاسع (٨٩٧ - ١٠٠٢ م)

الفصل الاول . في ترجمة ديونيسيوس الثاني ويوحنا الرابع وباسيليوس الاول ويوحنا الخامس البطاركة ٤٣٢
الثاني . في اخبار رئاسة يوانيس (يوحنا السادس) وديونيسيوس الثالث وابراهام البطاركة ٤٣٥
الثالث . في تاسيس دير مار سركيس في ناحية الجبّ . ودير الاربعين شهيدًا واخبار رهبانهما ٤٣٦
الرابع . في ترجمة يوحنا السابع واثناسيوس الخامس البطريركين واخبارهما ٤٣٩
الخامس . في ملخص ترجمة المفريانات واخبار ايامهم (٩١٠-٩٨٨) ٤٤٢
السادس . في ملخص ترجمة اغناطيوس الاول المفريان واخبار ايام رئاستهِ ونهاية حياتهِ الشقيّة ٤٤٤
السابع . في ترجمة يحيى بن عدي وفي تصانيفهِ ٤٤٩

الباب السابع عشر

في تواريخ الطائفة النسطورية في القرن الحادي عشر (١٠٠٠ - ١١٠٩)

الفصل الاوّل . في اختيار يوانيس الجاثليق واخبار ايامهِ وتنصّر التتر ٤٥٠
الثاني . في اختيار يوحنا بن نازوك واخبار ايامهِ ٤٥٣
الثالث . في ترجمة يشوعياب بن حزقيال الجاثليق واخبار ايام رئاستهِ ٤٥٤
الرابع . في اختيار ايليا الاول وترجمة حالهِ واخبار رئاستهِ ٤٥٥
الخامس . في اخبار ايام رئاسة يوحنا الخامس ابن ترجل ٤٥٧

الفصل السادس · في ترجمة سبريشوع الثالث الجاثليق واخبار ايامهِ ٤٥٨
السابع · في اختيار عبديشوع ابن العارض واخبار ايامهِ ٤٦٠
الثامن · في ترجمة مكيخا واخبار ايام رئاستهِ ٤٦١
التاسع · في اشهر المؤلفين الذين نبغوا في هذا العصر ٤٦٢

الباب الثامن عشر

في تواريخ اليعاقبة في القرن الحادي عشر (١٠٠٤-١٠٩٠)

الفصل الاول · في ترجمة يوحنا الثامن المعروف ببرعبدون واخبار ايام بطريركيتهِ ٤٦٥
الثاني · في الفحص عن معتقد يوحنا برعبدون ونفيهِ واخبارهِ الاخيرة ٤٦٧
الثالث · في ملخص ترجمة ديونيسيوس الرابع ويوحنا التاسع البطريركين ٤٧١
الرابع · في اختيار اثناسيوس السادس المعروف بعائش ونزاع يشوع برشوشن على الرئاسة ٤٧٣
الخامس · في اضطهاد الروم لاثناسيوس وجدالهم مع اغناطيوس اسقف ملطية ابن اختهِ ٤٧٥
السادس · في اختيار يوحنا برشوشن العاشر واخبار ايام رئاستهِ ٤٧٦
السابع · في ملخص ترجمة باسيليوس ويوحنا الحادي عشر البطريركين ٤٧٧
الثامن · في رئاسة ديونيسيوس الخامس ويوحنا الثاني عشر البطريركين ٤٧٩
التاسع · في الشقاق الذي اثارهُ يوحنا عبدون ومرقس رئيس دير بارد في الطائفة اليعقوبية رغبةً في الرئاسة · وقبول مرقس وهو ديونيسيوس السادس بطريركاً ٤٨١

الفصل العاشر · في جلوس اثناسيوس الرهاوي على كرسي تكريت والمشرق ٤٨٢
الحادي عشر · في ملخص ترجمة باسيليوس التكريتي واخبار ايامهِ ٤٨٥
الثاني عشر · في اختيار يوحنا الرابع المفريان واخبار رئاستهِ ٤٨٦
الثالث عشر · في المؤلفين اليعاقبة الذين ازهروا في القرن الحادي عشر ٤٨٩

الباب التاسع عشر

في تواريخ المشارقة النساطرة في القرن الثاني عشر ومبادىء الثالث عشر اعني من زمان ايليا الثاني الى زمان سبريشوع بن قيوما (١١١١-١٢٢٥)

الفصل الاول · في اختيار ايليا الثاني واخبار ايام رئاستهِ ٤٩١
الثاني · في اخبار رئاسة برصوما الجاثليق ٤٩٢
الثالث · في ترجمة عبديشوع الثالث واخبار ايامهِ ٤٩٤
الرابع · في ترجمة يشوعياب واخبار ايامهِ ٤٩٥
الخامس · في اختيار ايليا الثالث البطريرك واخبار رئاستهِ ٤٩٦
السادس · في اختيار بابالاها الثاني واخبار ايام رئاستهِ ٤٩٧
السابع · في ترجمة حال سبريشوع الرابع واخبار ايامهِ ٤٩٨
الثامن · في اشهر المؤلفين الذين ازهروا في هذا القرن بين المشارقة واسباب رسالة يشوعياب بر ملكون ٥٠٠
التاسع · في تقويم المطارين الذين كانوا خاضعين لبطريرك المشارقة وملخص تواريخ الاقاليم التي كانوا يسوسونها ٥٠٤
العاشر · في اصوام السريان المشارقة واشهر عوائدهم ٥١٥

الباب العشرون

في تواريخ الطائفة اليعقوبية في القرن الثاني عشر (١٠٩٠ - ١٢٢٢م)

الفصل الاول . في اخبار اثناسيوس السابع المعروف بابي الفرج بن خامر والاذايا التي احتملها في بدء رئاسته ٥١٨
الثاني . في النزاعات التي نشأت بين البطريرك اثناسيوس والاساقفة ٥٢١
الثالث . في تاسيس دير فسقين · واخبار رئاسة اثناسيوس الاخيرة ٥٢٥
الرابع . في اخبار يوحنا الثالث عشر واخبار رئاسته ٥٢٧
الخامس . في انتخاب اثناسيوس الثامن والنزاع الذي نشأ بينه وبين باسيليوس اسقف جيحان ٥٢٩
السادس . في ترجمة يوحنا مطران ماردين ونواحيها ومآثره ٥٣٦
السابع . في المجمع الذي عقده ائمة اليعاقبة في دير برصوما واعماله وقوانينه واسباب انحطاط الطائفة اليعقوبية على هذا العهد ٥٣٦
الثامن . في اخبار اثناسيوس البطريرك الاخيرة ٥٣٩
التاسع . في اخبار ميخائيل الاول البطريرك واخبار ايام رئاسته الاولى ٥٤٠
العاشر . في اسفار البطريرك ميخائيل وفي الاساقفة الذين اسامهم ٥٤٢
الحادي عشر . في اخبار ميخائيل البطريرك في السنين المتوسّطة من امامته ٥٤٤
الثاني عشر . في الشقاق الذي انشاه ثيودور بن وهبون بسبب تنازعه على البطريركية ٥٤٧
الثالث عشر . في الاديرة والبيع التي بناها او رمّها ميخائيل البطريرك ٥٤٩
الرابع عشر . في اواخر رئاسة ميخائيل الاوّل البطريرك ٥٥١

الفصل الخامس عشر . في اخبار اثناسيوس التاسع عشر المعروف بقراحا والشقاق الذي انشأهُ يشوع سفنانا طمعاً في الرئاسة العليا ٥٥٣
السادس عشر . في سيامة يشوع سفنانا الدخيل بطريركاً واخبار ايام اثناسيوس الاخيرة ٥٥٤
السابع عشر . في دواعي الشقاق الذي انشأهُ ميخائيل الثاني وموته واخبار يوحنا الرابع عشر ٥٥٦
الثامن عشر . في رئاسة ديونيسيوس الاول المفريان واخبار ايامه الاولى ٥٥٩
التاسع عشر . في ما بقي من اخبار ديونيسيوس المفريان ٥٦٢
العشرون . في اخبار اغناطيوس الثاني والاخبار الاولى من رئاسته ٥٦٤
الحادي والعشرون . في ما بقي من اخبار رئاسة اغناطيوس المفريان ٥٦٦
الثاني والعشرون . في اخبار يوحنا الخامس المفريان والنوائب التي المّت بدير مار متى بغارات الاكراد ٥٦٨
الثالث والعشرون . في النزاع الذي نشأ بين يوحنا المفريان وميخائيل البطريرك بسبب الحصاصيين واخبار ايام يوحنا الاخيرة ٥٧١
الرابع والعشرون . في اخبار غريغوريوس الاوّل المفريان او هو يعقوب واخبار رئاسته ٥٧٣
الخامس والعشرون . في اشهر المؤلّفين المعاقبة الذين نبغوا في القرن الثاني عشر ٥٧٥

اصلاح غلط

وجه	سطر	خطا	صواب
٤١	٢	س : ٢٢	س ٢ : ٢
٤٨	١٦	٦٧	٦٩
٤٨	١٨	٢٢٦	٢٢٨
٥٨	١٧	سنة ٢٢٦	٢٢٨
٨٤	٢	٢٤٢	٢٤٢ او ٢٤٣
٨٦	١١	٢٤٧	٢٤٦ او ٢٤٧
٩٢	١٢	٢٨٩	٢٨٣ او ٢٨٤
٩٣	٧	٢٩٧	٢٩٣
١٠٧	١٤	٤١١	٤١٠ او ٤١١
١١٠	٨	٢٢٠	٤٢٠
١٢٠	٧	خمساً وثلثين سنة	ستاً وعشرين سنة
١٢٠	٨	سنة ٤٦٥	سنة ٤٥٦
١٢٧	١٢	٤٨٥	٤٨٤
١٢٨	١	٤٨١	٤٨٤
١٦٣	١٠	٥٠٢	٥٠٢ او ٥٠٣
١٦٩	٤	٥٢٢	٥٢٣ او ٥٢٤
٢٨٢	١٢	صحابي *	صحابي » *

وقس على ذلك كل ما وجب وضع موربين في نهاية نصّ، هكذا »
كما في سطر ١٦ و١٨ من هذا الوجه بعينهِ *